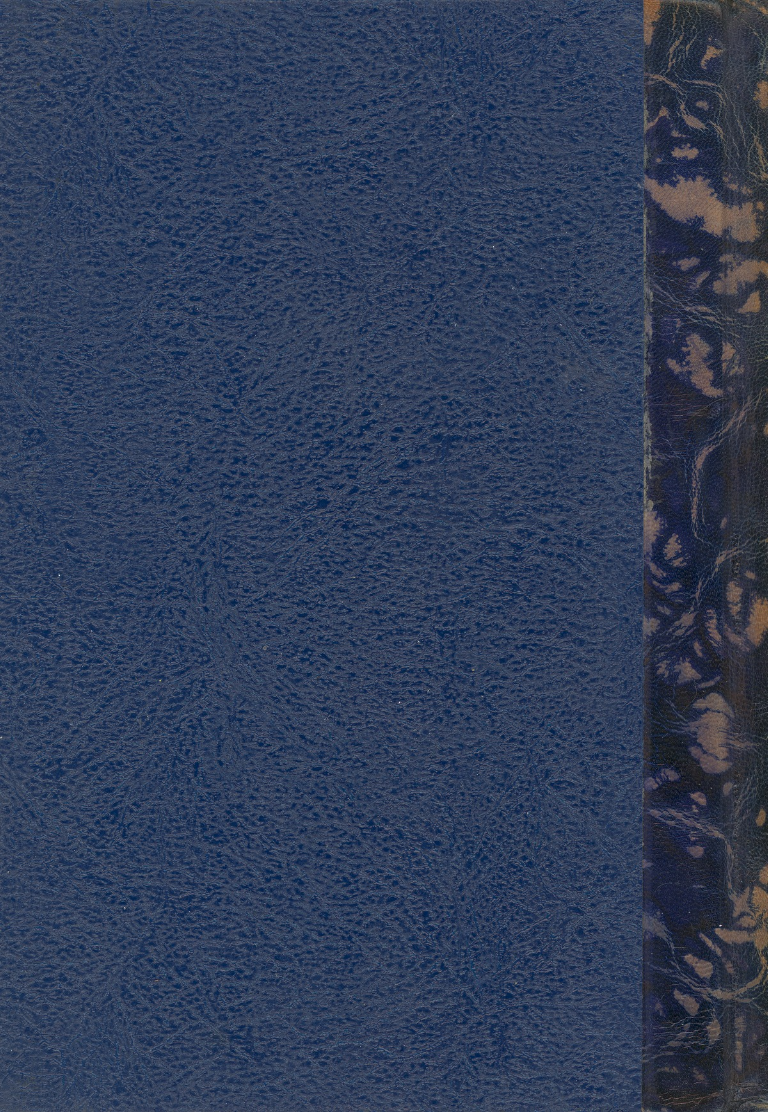




المجلة الاجتماعية القومية

- تحديد نسبة المتخلفين عقليا فى مدينة القاهرة الكبرى
- استطلاع رأى عام (الاتجاه نحو العمل فى البلاد العربية)
- ازدواج توجيهات القيم عند الصبية (دراسة ميدانية)
- اتجاهات السياسة الانمائية فى دول العالم الثالث
- المشاركة الشعبية والتنمية الاجتماعية

مقالات بالانجليزية :

- أنماط الاتجاهات والانحرافات للسلوك الجنسى بين طلاب الجامعة المصريين
- محاولة لاكتشاف الواقع الاجتماعى العربى
- كتب جديدة
- رسائل جامعية

يصدرها
المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية
جمهورية مصر العربية

العدد الأول | يناير ١٩٧٨ | المجلد الخامس عشر

المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية

رئيس مجلس الادارة

الأستاذ الدكتور احمد محمد خليفة

المجلة الاجتماعية القومية

المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية
بريد الجزيرة ـ القاهرة

الثمن خمسة وسبعون قرشا

ثمن العدد
ثلاثون قرشا

تصدر ثلاث مرات فى العام
يناير ، مايو ، سبتمبر

الاشتراك عن السنة
تسعون قرشا

المجلة الاجتماعية القومية

المجلد الخامس عشر | يناير ١٩٧٨ | العدد الأول

محتويات العدد | صفحة

بحوث ومقالات :

كتب جديدة :

رسائل جامعية :

مقالات باللغة الأنجليزية :

تحديد نسبة المتخلفين عقليا فى
مدينة القاهرة الكبرى (*)

دكتور عماد الدين سلطان (**)

يعرف الأشخاص الذين يوضعون فى النهاية السفلى من المنحنى الاعتدالى باسم ضعاف العقول أو ناقصى العقول أو متخلفى العقل ، وهم يشكلون مشكلة اجتماعية معقدة ، وبالرغم من أن الانسان عرف هذه المشكلة منذ أقدم العصور الا أنه خلال هذه الحقبة كان يختلف فى تعريفها وبالتالى تشخيصها وعلاجها •

فقد كان الرومان والاغريق يعتبرون ضعاف العقول مكروهين من المجتمع وخلال العصور الوسطى تغيرت هذه النظرة بدافع الشفقة عليهم وأنشأت لهم الكنيسة الملاجىء • وخلال العصور الاسلامية عـــرف المسلمون كثيرا عن الانحرافات الذهنية ، الا أنه لا يوجد ما يدل على وجود مجهودات لرعايتهم وايوائهم •

أما فى عصر النهضة فسنجد أن البروتستانت نادوا بمسئولية الفرد عن أعماله مهما كانت ظروفه وأطلق مارتن لوثر عليهم « أعداء الله » وزعموا أن أرواح الشر قد لبست أبدانهم وأعتبروا أن أفعالهم مقصودة ولذلك عاقبوهم بأبشع أنواع العقاب • وفى بداية القرن ١٩ بدأ الاهتمام العـلمى بالمعوقين ذهنيا وجسميا وظهر اتجاه بضرورة توفير الحياة الكريمة لهم ففى

(*) اشترك فى هذا البحث :
الأستاذ الدكتور مختار حمزة
الأستاذ الدكتور عثمان لبيب فراج
الأستاذة الدكتورة هدى براده
الأستاذ الدكتور محمود عبد القادر
الأستاذ نبيل عبد الحميد

(**) مستشار بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية •

سنة ١٨٢٨ أنشأ جاجيموس مدرسة لتعليم وتدريب حالات الضعف العقلى فى النمسا وكذلك نادى بالهوم بقابليتهم للتعلم وذلك بحسب درجة ضعفهم ، كما يعتبر جوهان جاكوب من أفضل من نادوا برعاية المتخلفين عقليا ،

ومع تقدم العلوم ازداد الاهتمام بمشكلة ضعاف العقول وبدأ العالم يهتم بهم وأعدت برامج تدريب لتدريبهم ولتعليمهم وأجريت البحوث والدراسات المتخصصة للوقوف على العوامل المسببة للضعف العقلى حتى يمكن العمل على علاجه والوقاية منه ٠

تعريف الضعف العقلى :

يرى بينيه أن الضعف العقلى هو قصر فكرى وظيفى ناتج عن عوامل وراثية وبيئية سببت عجزا للجهاز العصبى ترتب عليه ضعف قدرة الفرد على الفهم والادراك وبالتالى قدرته على التكيف الأجتماعى ٠

ويعرفه بورنفيل بأنه نمو معوق — طبيعى أو مكتسب — فى القدرات العقلية والخلقية والانفعالية وقد تصاحبه عيوب أو قصور جسمى ٠

ويعرفه سارون بأنه حالة « أداء عقلى أقل من المتوسط تؤثر على التكيف الاجتماعى للفرد » ويأتى نتيجة نقص أو اصابة للجهاز العصبىالمركزى غير قابلة للشفاء ٠

وعرفه جيرفس بأنه حالة توقف أو نقص فى النمو العقلى للفرد نتيجة لمرض أو اصابة قبل مرحلة المراهقة أو نتيجة عوامل وراثية ٠

وعرفه ترادجولد بأنه حالة عجز فيها المخ عن الوصول الى درجة اكتمال النمو ٠

ويعرفه دول بأنه حالة نمو محدود فى الذكاء تجعل ذكاء الفرد لا يتعدى ذكاء طفل عمره ١٢ سنة ٠

ويصف كويل ضعيف العقل بأنه :

١ — قاصر اجتماعيا بمعنى أنه غير قادر على التوافق — عاجز مهنيا ولا يستطيع أن يرعى شئونه الخاصة ٠

٢ — قاصر عقليا نتيجة سبب وراثى أو بيئى (مرض أو اصابة) ٠

٣ ـ متخلف الذكاء منذ الميلاد أو الطفولة المبكرة ٠

٤ ـ متخلف فى النمو والبلوغ ٠

٥ ـ غير قابل للعلاج ٠

مستويات الضعف العقلى :

لقد اصطلح على تحديد مستويات للضعف العقلى تبعا لنسبة الذكاء ودرجة التوافق الاجتماعى وهذه المستويات هي :

المأفون ٠

الأبلـــه ٠

المعتـــوه ٠

اولا : المأفون :

تتراوح نسبة ذكائه بين ٥١ ، ٦٩ ويظهر عليه نقائص جسمية طفيفة ويستطيع بالتدريب الكفء أن يصل الى مستوى محدود من التعليم ويقـــوم بأعمال روتينية بسيطة ٠

ثانيا : الأبلة :

تتراوح نسبة ذكاء الابلة بين ٢٥ ، ٥٠ وعادة ما يعانى من نقائص جسمية ، وقد يصل الى النضج الاجتماعى الذى يميز الاطفال بين سن الرابعة والتاسعة ويستطيع تعلم الكلام وبالتالى يعبر عن حاجاته الأساسية ولكنه عادة لا يستطيع تعلم القراءة أو الكتابة بينما يستطيع حماية نفسه من الاخطار العادية ٠

ثالثا المعتوه :

تقل نسبة ذكاء المعتوه عن ٢٥ ويظهر لديه تأخر شديدة فى نموه مع نقائص حركية وجسمية شديدة كما يعجز عن القيام بشئونه الخاصة أو حماية نفسه ٠ وهو لا يعيش طويلا ، ويرى البعض أنه من الافضل وضع كل المعتوهين فى المؤسسات ٠

الطبقات السفلى للضعف العقلى :

يمكن بسهولة اكتشاف الطبقات الدنيا من الضعف العقلى (المعتوه والابلة) وذلك عن طريق الملاحظة بين هؤلاء والأسوياء . معنى ذلك أنه ليست هناك صعوبة كبيرة فى معرفة الطبقات الدنيا من الضعف العقلى وهذه الطبقات لا تحمل مشكلات اجتماعية ذات خطر وذلك لقلة عدد هؤلاء الأفراد ، ولذلك فان الافراد الذين يوضعون فى الفئات الدنيا من الضعف العقلى يحتاجون فقط الى رعاية داخل مؤسسة طول حياتهم .

الطبقات العليا من الضعف العقلى :

يعتبر من يقع فى فئة المأفون والحالات الناضجة لهذه الفئة أعلى الطبقات فى الضعف العقلى وهؤلاء الافراد يشكلون الغالبية العظمى بين ضعاف العقول وبينهم نجد أشد المشكلات الاجتماعية خطرا وذلك لانهم كثيرا ما ينحرفون الى السلوك المضاد للمجتمع .

أسباب الضعف العقلى :

مع ايماننا بأن العوامل البيئية مكملة للعوامل الوارثية وأن كلا منها امتداد للآخر الا أننا نستطيع أن نذهب الى القول بأن هناك نوعين من الضعف العقلى من حيث أسباب كل منهما .

أولا : الضعف العقلى الأولى : حيث لا يكون هناك أسباب بيئية ظاهرة وانتشار الضعف بين أفراد الأسرة .

ثانيا : الضعف العقلى الثانوى : حيث الضعف العقلى نتيجة لعوامل بيئية ظاهرة سواء أكانت هذه العوامل قبل ولادته كمرض الأم واختلال غددها أو صدمات ولادية تؤثر على المخ أثناء الولادة ، كالولادة القيصرية والولادة العسرة وتوقف وصول الاكسجين الى الجنين أو اصابات بعد الولادة من صدمة فى الرأس . أو مرض معدى .

وهذه العوامل الوراثية والبيئية تضع الفرد مع بداية حياته باستعدادات وامكانيات عقلية معينة تؤثر عليها العوامل البيئية التى يتعرض لها بعد ذلك فتخفض منها أو تصل بها الى المستوى الذى تضع أبعاده استعدادات الفرد .

تشخيص الضعف العقلى :

يذهب البعض الى القول بأن تشخيص الضعف العقلى يجب أن يتم من أبعاد متعددة ، فاختبارات الذكاء فى رأيهم لا تتناول أبعاد الحياة المختلفة ، وبهذا فهى لا تعطى صورة كاملة عن المستوى العقلى للفرد كما أن أداء الفرد لاختبارات الذكاء يتأثر بعوامل كاللغة وملاءمة بنود الاختبار لثقافة الفرد وحالته الانفعالية وقت تطبيق الاختبار ومن هنا يرى هذا الفريق من العلماء أنه يجب الاهتمام بجانب استخدام اختبارات الذكاء فى تشخيص ا لضعف العقلى ، بدراسة النضج الاجتماعى للفرد ودراسة التاريخ الشخصى والدراسى ودراسة لتاريخ الأسرة والمستوى الاقتصادى والاجتماعى لها ودراسة جوانب الشخصية الاخرى بالاضافة الى اجراء فحص طبى للفرد على أننا نرى أن أهم وسيلة للتشخيص هى اختبارات الذكاء والقدرات العقلية فالضعف العقلى ، انخفاض فى الأداء العقلى ، واختبارات الأداء العقلى هى الوسيلة الأساسيةفى الكشف عنه ويؤكد هذا القول الدراسات والبحوث التى أوضحت انخفاض العلاقة بين القدرات العقلية والسمات الانفعالية والجسمية ويعنى هذا أنه لا يمكننا أن نقف على مستوى الاداء العقلى من معرفة سمات الفرد الجسمية أو من سماته الانفعالية فلكل جانب من الجوانب الشخصية ، والعقليـــة والانفعالى ، والجسمى ، أبعاده ، وبالتالى أدوات القياس الخاص به ، ومع هذا يمكن أن نقرر أنه بالاضافة الى اتخاذ اختبارات الذكاء والقدرات العقليـــة كوسائل أساسية فى تشخيص الضعف العقلى ، الا أنه يمكن الاسترشاد بنتائج الوسائل الاخرى ، وخاصة فى المستويات المنخفضة من الضعف العقلى التى تتضح فيها بين سمات الشخصية المختلفة ٠

وهذا ما وضعته هيئة البحث فى الاعتبار حيث استخدمنا القياس العقلى الوسيلة الأولى للكشف عن الضعف العقلى ثم قمنا بدراسة اجتماعية وطبية لعدد من الحالات للاسترشاد بها فى تناول نتائج البحث ٠

الهدف من البحث

يدور بحث تأهيل المتخلفين عقليا حول الاطفال من سن ١٢ ـ ٢٥ سنة داخل حدود مدينة القاهرة الكبرى (مناطق محافظة القاهرة مضافا اليها أجزاء من محافظتى القليوبية والجيزة) والذين تقع نسبة ذكائهم فى فئة (المأفون) ولا يوجد لديهم عاهات جسمية تمهيدا لامكانية تأهيلهم مهنيا ٠

ويتطلب هذا تحديد حجم عينة أفراد هذه الفئة ، حتى يمكن التخطيط للبرامج اللازمة لهم فى ضوء معرفة دقيقة لحجم العينة ٠ ويقتضى ذلك دراسة

لذكاء هؤلاء الافراد وذلك بعد تحديد عينة ممثلة لهم يجرى عليها القياس على أن هيئة البحث رأت أن تبدأ عملية القياس بفحص عينة من تلاميذ المدارس الابتدائية أخذه فى اعتبارها أن التعليم الالزامى يتيح الفرصة لكل أطفال السادسة من العمر للالتحاق بالمدرسة ، وبهذا يمكن لنسبة الضعف العقلى التى تحصل عليها من هذه العينة أن تعطى صورة واضحة عما تكون عليه نسبة الضعف العقلى فى العينة التى يقع أعمار أفرادها بين ١٢ ، ٢٥ سنة حيث يمكن اعتبار أطفال المدارس الابتدائية مصدرا للعينة الأخيرة من الأفراد ٠

وعلى هذا الأساس تم البحث الذى نحن بصدده حيث يهدف الى دراسة لنسبة الضعف العقلى بين تلاميذ المدرسة الابتدائية ٠

خطة البحث :

عينة البحث : رأت هيئة البحث أن تقتصر عينة البحث على تلاميذ السنة الأولى والثانية والثالثة حيث لا يواصل التلاميذ ضعاف العقول عادة الوصول الى سنوات متقدمة بعد ذلك ٠ وبهذا اختيرت العينة من تلاميذ الصف الأول والثانى والثالث من المدارس الابتدائية الواقعة فى نطاق القاهرة الكبرى والتى تضم مدارس المناطق التعليمية بمحافظة القاهرة بوضعها الحالى مضافا اليها المدارس الواقعة فى أقسام ومراكز محافظتى القليوبية والجيزة الداخلة فى نطاق القاهرة الكبرى ٠ وقد حصلنا على هذا الاطار من أحدث البيانات بالادارة العامة للاحصاء بوزارة التربية والتعليم وكانت عن العام الدراسى ١٩٦٩/١٩٧٠ وبلغ عدد فصول الصف الأول والثانى والثالث بالاطار المذكور ٨٣٤١ فصلا بها ٤١٣٦٧ تلميذ أى بمتوسط قدره ٥٠ تلميذا فى الفصل الواحد ٠

وأتبعنا أسلوب العشوائية التامة فى اختيار عينة المدارس بعد تقسيم المهنة على المناطق التعليمية حتى نضمن بذلك تمثيل كل منطقة تعليمية فى العينة ٠ كما كان اختيار الصف الأول والثانى والثالث لكل مدرسة فى العينة اختيارا عشوائيا كذلك ٠ وقد قدرنا حجم العينة بغرض أن نسبة حدوث الظاهرة موضع الدراسة هى ٠٣ر٠ وأن الظاهرة تتوزع طبقا للتوزيع ذى الحدين وأن الخطأ المسموح به هو ٠١ر٠

وبهذا اختيرت العينة التالية :

المنطقة	المدرسة	عدد التلاميذ	المجموع
١ـ وسط القاهرة	١ ـ الزمالك الابتدائية	١٣٥	
	٢ ـ الشهيد منصور على	١٤٧	
	٣ ـ التحرير الابتدائيةالمشتركة	١٥٠	٤٣٢
٢ ـ شرق القاهرة	١ ـ الزهرات النموذجية	١٤٧	
	٢ ـ سرأى القبة القومية	٠٩٨	
	٣ ـ النزهة الابتدائية	١٢١	
	٤ ـ المسلة المشتركة	١٧٣	
	٥ ـ الجلاء	١٥٣	٦٩٢
٣ ـ شمال القاهرة	١ ـ بلال المشتركة	١٥٥	
	٢ ـ الانجيلية	١١١	
	٣ ـ الظاهر	١٢٦	٣٩٢
٤ ـ جنوب القاهرة	١ ـ أمين سامى بالمنيرة	١٣١	
	٢ ـ حافظ ابراهيم بحلوان	١١٥	
	٣ ـ جاردن سيتى الابتدائية	١٥٨	
	٤ ـ الناصرى الابتدائية	١٢٠	٥٢٤
٥ ـ القليوبية	١ ـ القناطر الخيريةالنموذجية	١٤٧	
	٢ ـ بهتيم المشتركة	١٨٩	
	٣ ـ ميت نما	١٢٩	٤٦٥
٦ ـ منطقة الجيزة	١ ـ التحرير الابتدائية	١٥٤	
	٢ ـ ابن خلدون	١٤٣	
	٣ ـ نزلة البطران	١٢٦	
	٤ ـ العهد المنير بالجيزة	١٥٩	٥٨٢

وبذلك يصبح مجموع التلاميذ بالعينة ٣٠٨٧ تلميذا وتلميذة ومجموع المدارس بالعينة ٢٣ مدرسة ٠

أدوات البحث :

لقد تمت عملية القياس على مرحلتين حيث استخدمت فى المرحلة الاولى أدوات بقصد استبعاد التلاميذ ذوى الذكاء المتوسط والمرتفع واستخدمت فى المرحلة الثانية مقياس بينية للتأكد من وقوع التلميذ فى فئة ضعاف العقول • وقامت هيئة البحث باستعراض مجموعة من الاختبارات والتى تتناسب مع مستوى تلاميذ الصف الأول والثانى والثالث ، وقد اتفق على اجراء الاختبارات الآتية :

أولا — اختبارات الصف الأول :

١ — لوحة سيجان (لجودارد) •

٢ — اختبار رسم الرجل (لجود أنف) •

٣ — اختبارات التحصيل المدرسى فى مادتى اللغة العربيةوالحساب•

ثانيا : اختبارات الصف الثانى :

١ — اختبار الذكاء الابتدائى (لاسماعيل القبانى) •

٢ — اختبار رسم الرجل •

٣ — اختبارات التحصيل المدرسى فى مادتى اللغة العربية والحساب•

ثالثا : اختبارات الصف الثالث :

١ — اختبار الذكاء الابتدائى •

٢ — اختبار رسم الرجل •

٣ — اختبارات التحصيل المدرسى فى مادتى اللغة العربية والحساب•

وفيما يلى وصف مختصر لهذه الادوات :

لوحة سيجان :

يتكون الاختبار من لوحة خشبية مساحتها ١٨١/١١ بوصة وعشر قطع خشبية تتطابق أشكالها والفتحات المحفورة فى هذه اللوحة • وتبعا للمدة التى يستغرقها المفحوص فى وضع الاشكال فى الفراغات يحسب له عمره العقلى ثم يحول الى نسبة ذكاء •

اختبار رسم الرجل :

يعطى المفحوص نصف ورقة بيضاء ويطلب منه رسم رجل كامل ويصحح حسب المعايير وتحول بالدرجة التى يحصل عليها المفحوص الى عمر عقلى ثم تحسب نسبة الذكاء ٠

اختبار الذكاء الابتدائى :

أعد هذا الاختبار اسماعيل القبانى وهو اختبار جمعى ويتكون من قسمين كل قسم يتكون من ٣٦ سؤالا ٠ وبعد تطبيق الاختبار تجمع كل الدرجات التى حصل عليها التلميذ ثم تحول الى عمر عقلى ثم الى نسبة ذكاء ٠

مقياس ستانفورد بنية :

يتكون المقياس من ١٢٩ اختبار تتضمن اختبارات فى التفهم اللغوى والسخافات اللفظية ورسم الأشكال وتعريف الكلمات وادراك أوجه الشبه والاختلاف ٠ ولكل سنة عمرية اختباراتها الخاصة ومنه يمكن حساب العمر العقلى للمفحوص ثم نسبة ذكائه ٠

اختبار المتاهات لبورتيس :

يتكون هذا الاختبار من ١٤ متاهة متدرجة فى الصعوبة ويمكن أيضا بهذا الاختبار الحصول على العمر العقلى للمفحوص ثم نسبة ذكائه ٠

وقامت هيئة البحث بتحديد مستويات للتحصيل الدراسى ٠ بحيث يعتبر التلميذ ضعيفا ان حصل على أقل من ٤٠٪ ومتوسطا اذا حصل على ٤٠٪ الى أقل من ٦٠٪ ، وجيدا اذا حصل على ٦٠٪ فأكثر وآخر لنسب الذكاء حيث يعتبر ذكاء التلميذ منخفضا اذا حصل على نسبة ذكاء ٨٥ فأقل ثم وضعت محكات يستبعد التلميذ على أساسها أو يبقى لاجراء عملية القياس الفردى فى كل صف من صفوف الدراسة الثلاثة موضوع البحث ٠

أولا ـ بالنسبة للصف الأول :

اذا حصل التلميذ على تقدير متوسط أو جيد فى اداتين من الادوات الثلاث (اختبار لوحة سيجان ، اختيار رسم الرجل ، التحصيل الدراسى) فان التلميذ يستبعد ، يعنى ذلك انه اذا حصل على نسبة ذكاء ٨٧ فى

لوحة سيجان ، ٩٠ فى اختبار رسم الرجل وعلى تقدير ضعيف فى التحصيل الدراسى فان التلميذ يستبعد ولا يدخل فى مرحلة القياس الفردى ، أما اذا حصل على نسبة ذكاء ٨٤٪ فى لوحة سيجان ٩٠ فى اختبار رسم الرجل وعلى تقدير ضعيف فى التحصيل الدراسى فان التلميذ يدخل فى مرحلة القياس الفردى ٠

ثانيا ـ بالنسبة للصفين الثانى والثالث :

رأت الهيئة أن تكتفى بتقدير التحصيل الدراسى ونسبة الذكاء فى اختبار رسم الرجل وعلى هذا اذا حصل التلميذ على تقدير ضعيف فى أى من الاداتين (اختبار رسم الرجل والتحصيل الدراسى) فان التلميذ يدخل فى مرحلة القياس الفردى ، معنى هذا اذا حصل التلميذ على تقدير ضعيف فى التحصيل الدراسى ونسبة ذكاء ٨٧ فانه يبقى لمرحلة قياس أخرى ٠ كذلك لا يستبعد التلميذ اذا حصل على تقدير جيد فى التحصيل الدراسى وعلى نسبة ذكاء ٨٠ ٠

وقد اهتمت هيئة البحث باختيار مجموعة من الاحصائيين النفسيين تتوفر فيهم الكفاءة ومارسوا تطبيق الاختبارات النفسية ٠ وقد تم توزيعهم على ثلاث مجموعات خصص لكل مجموعة مشرف عام على التطبيق كما شكلت لجنة خاصة للمراجعة الميدانية والمكتبية ٠

ولقد تم تطبيق أدوات البحث فى المرحلة الأولى على ٣٠٨٧ تلميذا وتلميذة استبعد منهم ١٧٨٩ تلميذا وتلميذة واجريت عملية القياس الفردى على ١٢٩٨ تلميذا وتلميذة ٠ ولقد استخدم لعملية القياس الفردى مقياس بينية واختبار المتاهات لبورتيس الا أن هيئة البحث رأت استبعاد نتائج اختبار المتاهات والاكتفاء بنسب الذكاء والتى يكشف عنها مقياس بينيه ٠ وفى ضوء هذه النسب وزعت العينة الى فئات هى :

أقل ٦٠ نسب ذكاء

من ٦٠ ـ ٦٥ نسبة ذكاء

من ٦٥ ـ ٧٠ نسبة ذكاء

من ٧٠ ـ ٧٥ نسبة ذكاء

تحليل البيانات

يقوم التحليل الاحصائى على أساس حصر عدد التلاميذ الذين حصلوا على نسب ذكاء أقل من ٧٥ باستخدام اختبار الذكاء لبيئة ، ثم توزيع هؤلاء التلاميذ تبعا لنسب ذكائهم الى الفئات ٠

أقل من ٦٠ ، ٦٠ ـ ٦٥ ، ٦٥ـ٧٠ ، ٧٠ـ٧٥ ، وحساب النسبة المئوية لعدد التلاميذ فى كل فئة ٠ وبهذا نستطيع أن نوضح النسب المئوية لعدد التلاميذ فى مستويات مختلفة من الضعف العقلى حتى يجد الباحثون على اختلاف مايذهبون اليه ، البيانات اللازمة التى يرونها ٠

وجدير بالذكر هنا أن نقرر أننا اتخذنا لهذا التحليل عـــددا من الابعاد :

أولا ـ تحليل البيانات تبعا لتقسيم المناطق الى حضرية وشبه حضرية ٠

ثانيا ـ تحليل البيانات تبعا للمناطق التعليمية ـ وسط القاهرة ، شرق القاهرة ، شمال القاهرة ، جنوب القاهرة ، القليوبية والجيزة ٠

ثالثا ـ تحليل البيانات تبعا لكل مدرسة فى كل منطقة ٠

رابعا ـ تحليل البيانات تبعا لفئات السن : أقل من ٧ سنوات ،٧ـ٨ ، ٨ـ٩ ، ٩ ـ فأكثر ٠

خامسا ـ تحليل البيانات تبعا للصف الدراسى ـ الصف الأول ، الثانى ، الثالث ٠

أولا ـ تحليل البيانات تبعا لتقسيم المناطق الى حضرية وشبه حضرية ٠

يبين جدول (١) عدد المدارس فى كل من المناطق الحضرية وشبه الحضرية وعدد التلاميذ فيها والنسب المئوية لعدد التلاميذ فى كل فئة من فئات الضعف العقلى ٠

جدول (١) :

	مناطق حضرية	مناطق شبه حضرية	المجموع
عدد المدارس فى العينة	١٨	٤	٢٢
عدد التلاميذ فى العينة	٢٤٩٦	٥٩١	٣٠٨٧
تلاميذ اختبروا ببينية	١٠٠٣	٢٩٥	١٢٩٨
نسبة ذكاء أقل من ٦٠	٥١ـ ر٢٪	٢٨ـ٧ر٤٪	٧٩ـ٦ر٢٪
من ٦٠ الى أقل من ٦٥	٤٣ـ٧ر١٪	٣١ـ٢ر٥٪	٧٤ـ٤ر٢٪
من ٦٥ الى أقل من ٧٠	٦٨ـ٧ر٢٪	٤٧ـ ر٨٪	١١٥ـ٧ر٣٪
من ٧٠ الى أقل من ٧٥	١٠٧ـ٣ر٤٪	٦١ـ٣ر١٠٪	١٦٨ـ ر٥٪

يتبين من الجدول أن عددا كبيرا من مدارس العينة يقع فى مناطق حضرية وهذا أمر طبيعى حيث أننا اعتبرنا أن المناطق الحضرية هى مناطق محافظة القاهرة ، بينما تشتمل المناطق شبة الحضرية على تلك التى أضيفت من محافظة القليوبية ومحافظة الجيزة لتكون فى مجموعها مدينة القاهرة الكبرى •

ويلاحظ من البيانات هنا زيادة نسب عدد تلاميذ المناطق شبه الحضرية فى فئات الضعف العقلى المختلفة ، عنها فى المناطق الحضرية • ونستطيع أن نذهب الى القول بأنه فى المناطق شبه الحضرية التى تناولناها بالبحث لا تتاح للفرد المثيرات البيئية التى تعمل على تنشيط امكانياته العقلية فتبقى داخل غلافها المحدود دون انطلاق • مما نقرر معه انها امكانيات عقلية معوقة • على حين أن الفرد فى المناطق الحضرية يجد من هذه المثيرات ما يعمل على انطلاق هذه الامكانيات حيث يكون هذا الانطلاق بقدر ما يتعرض له الفرد من مثيرات وهذا ينعكس فى استجابات الفرد لبنود الاختبار ، حيث أنها مثيرات حضارية ترتفع اجابة الفرد لها أو تنخفض بقدر ما يكون قد

مارسه من هذه المثيرات على أننا نستطيع أن نقرر هنا أيضا أن المستوى الاقتصادى للفرد فى المناطق شبه الحضرية أقل منه فى المناطق الحضرية ، ومع هذا تقل عناصر التغذية الصحيحة مما ينخفض معه نشاط الخلايا وبالتالى انطلاق الامكانيات العقلية للفرد • ويكون نتيجة ذلك مانلاحظه من انخفاض فى أداء بنود الاختبار الذى استخدمناه •

وهذه النتيجة توضح أن للعامل الحضارى اعتباره وأن ما يتعرض له الفرد من مثيرات بيئية لها أثرها فى انطلاق وتنشيط طاقاته العقلية •

ثانيا : تحليل البيانات تبعا للمناطق التعليمية :

يبين جدول (٢) المناطق التعليمية التى شملها البحث وعدد المدارس فيها وعدد التلاميذ بكل منها ، والنسب المئوية لعدد التلاميذ فى كل فئة من فئات الضعف العقلى •

جدول (٢) :

	وسط القاهرة	شرق القاهرة	شمال القاهرة	جنوب القاهرة	القليوبية	الجيزة	المجموع
عددالمدارس فى العينة	٣	٥	٣	٤	٣	٤	٢٢
عدد تلاميذ العينة	٤٣٢	٦٩٢	٣٩٢	٥٢٤	٤٦٥	٥٨٢	٣٠٨٧
تلاميذ اختبروا ببنيه	٢٤٩	٣٧٢	١٩٣	١٤٣	٢٢٢	١١٩	١٢٩٨
نسبةذكاءأقل من ٦٠	٢٢ــ١ر٥٪	٦ ــ٩ر ٪	٢٠ــ١ر٥٪	١ ــ ر ٪	١٦ــ٠ر٨ ٪	١٦ــ٤ر٢٪	٧٩ ــ٦ر٢٪
من ٦٠الىأقل من ٦٥	٧ ــ٦ر١٪	٧ ــ ر١٪	١٥ــ٨ر٣٪	١٠ــ ر٢٪	٢٣ــ٩ر٤ ٪	١٢ــ١ر٢٪	٧٤ ــ٤ر٢٪
من٦٥الىأقل من ٧٠	١٩ــ٤ر٤٪	١٤ــ ر٣٪	٢٠ــ١ر٥٪	٨ ــ٥ر١٪	٤١ــ٨ر٨ ٪	١٣ــ٢ر٢٪	١١٥ــ٧ر٣٪
من ٧٠ الىأقل من ٧٥	٣٤ــ٩ر٧٪	٢٩ــ٢ر٤٪	٣١ــ٩ر٧٪	١٣ــ٥ر٢٪	٥٣ــ٤ر١١٪	٨ ــ٤ر١٪	١٦٨ــ٤ر٥٪

يتبين من الجدول انخفاض النسبة المئوية لعدد التلاميذ فى المستويات المختلفة للضعف العقلى فى منطقة شرق وجنوب القاهرة ، عنها فى المناطق التعليمية الأخرى . ويؤكد هذه النتيجة ماذهبنا اليه من القول بأن المثيرات البيئية تعمل علي تنشيط الامكانيات العقلية .

فمن الملاحظ أن عددا غير قليل من تلاميذ مدارس عينة البحث فى منطقتى شرق وجنوب القاهرة من أسر ذات مستوى اقتصادى واجتماعى مرتفع حيث تشتمل هاتان المنطقتان على أحياء متقدمة اقتصادية واجتماعيا. وهذه العوامل البيئية تتيح للفرد من العوامل النفسية والاجتماعية والصحية ما يعمل على انطلاق امكانياته العقلية والوصول بها الى أقصى حد تسمح به استعدادات الفرد . بينما نلاحظ أن معظم الاحياء ذات المستوى الاقتصادى والاجتماعى المنخفض تقع فى مناطق وسط وشمال القاهرة مما ينعكس أثره على تلاميذ مدارس هاتين المنطقتين . وينطبق هذا أيضا على المناطق شبه الحضرية من محافظتى القليوبية والجيزة حيث التخلف الاقتصادى والاجتماعى يؤدى الى حتمية تخلف الفرد فى امكانياته العقلية ، فلا يصل مع نموه الى ما يمكن أن تؤهله له استعداداته ، فيزيد من تخلف الامكانيات العقلية المنخفضة ويقلل من الامكانيات العقلية المرتفعة .

ثالثا : تحليل البيانات تبعا لمدارس كل منطقة تعليمية :

تبين جداول (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) مدارس موضوع الدراسة فى كل منطقة تعليمية عدد التلاميذ من كل مدرسة ، والنسب المئوية فى كل فئة من فئات الضعف العقلى .

جدول (٣) منطقة وسط القاهرة :

	الزمالك المشتركة	الشهيد منصورعلى	التحرير المشتركة	المجموع
عدد تلاميذالعينة	١٣٥	١٤٧	١٥٠	٤٣٢
تلاميذاختبروابنية	٨٠	٩٠	٧٩	٢٤٩
نسبة ذكاء أقل من ٦٠	٢٠–٨ر١٤٪	١–٧ر ٪	١–٧ر ٪	٢٢–١ر٥٪
من٦٠الى أقل من٦٥	٦ –٤ر٤ ٪	———	١–٧ر ٪	٧–٦ر١٪
من ٦٥ الى أقل من ٧٠	١٤–٤ر١٠٪	٥–٤ر٣٪	———	١٩–٤ر٤٪
من ٧٠ الى أقل من ٧٥	١٧–٦ر١٢٪	٨–٤ر٥٪	٩–ر٦٪	٣٤–٩ر٧٪

جدول (٤) منطقة شرق القاهرة :

	الزهرات النموذجية	سراي القبة القومية	النزهة	المسلة	الجلاء	المجموع
عدد تلاميذ العينة	١٤٧	٩٨	١٢١	١٧٣	١٥٣	٦٩٢
تلاميذ اختبروا ببنية	٥٦	٣٤	٦٤	١١٦	١٠٢	٣٧٢
نسبة ذكاء أقل من ٦٠	ـ	ـ		٤ـ٣ر٢٪	٢ـ١ر١٪	٦ ـ٩ر٪
من ٦٠ الى أقل من ٦٥	١ـ٧ر ٪	١ـر١٪	١ـ٨ر ٪	٤ـ٣ر٢٪	ـــــ	٧ ـ ر١٪
من ٦٥ الى أقل من ٧٠	٢ـ٤ر١٪	ـــــ	٢ـ٧ط٪	٨ـ٦ر٤٪	٢ر٣ر١٪	١٤ـ ٢٪
من ٧٠ الى أقل من ٧٥	٥ـ٤ر٣٪	ـــــ	٣ـ٥ر٢٪	١٥ـ٧ر٨٪	٦ـ٩ر٣٪	٢٩ـ٢ر٤٪

جدول (٥) منطقة القاهرة

	مدرسة بلال	المدرسة الانجيلية	الظاهر الابتدائية	المجموع
عدد تلاميذ العينة	١٥٥	١١١	١٢٦	٣٩٢
تلاميذ اختبرو ببنية	٧٤	٣٦	٨٣	١٩٣
نسبة ذكاء أقل من ٦٠	١٦ـ٣ر١٠٪	٢ ـ٨ر١٪	٧ ـ٦ر١ ٪	٢٠ـ١ر٥٪
من ٦٠ الى أقل من ٦٥	٣ ـ٩ر١ ٪	٢ ـ٨ر١٪	١٠ـ٩ر٧ ٪	١٥ـ٨ر٣٪
من ٦٥ الى أقل من ٧٠	٦ ـ٩ر٣ ٪	٢ ـ٨ر١٪	١٢ـ٥ر٩ ٪	٢٠ـ١ر٥٪
من ٧٠ الى أقل من ٧٥	٥ ـ٢ر٣ ٪	١٠ ـ ر٩٪	١٦ـ٧ر١٢٪	٣١ـ٩ر٧٪

جدول (٦) منطقة جنوب القاهرة

	أمين سامى	حافظ ابراهيم	جاردن سيتى	الناصرى	مجموع
عدد تلاميذ العينة	١٣١	١١٥	١٥٨	١٢٠	٥٢٤
تلاميذ اختبروا ببنية	٢٨	٥٤	٩	٥٢	١٤٣
نسبة ذكاء أقل من ٦٠	ـــــ	ـــــ	ـــــ	١ـ٨ر ٪	١ ـ٢ر ٪
من ٦٠ الى أقل من ٦٥	ـــــ	٢ـ٧ر١٪	١ـ٦ ر٪	٧ـ٨ر٥	١٠ـر٢٪
من ٦٥ الى أقل من ٧٠	١ـ٨ر٪	١ـ٩ر ٪	٢ـ٣ر١٪	٤ـ٣ر٣٪	٨ ـ٥ر١٪
من ٧٠ الى أقل من ٧٥	١ـ٨ر٪	٦ـ٢ر٥٪	١ـ٦ر ٪	٥ـ٢ر٤٪	١٣ـ٥ر٢٪

جدول (٧) منطقة القليوبية :

	القناطر الخيرية	بهتيم	ميت نما المشتركة	المجموع
عدد تلاميذ العينة	١٤٧	١٨٩	١٢٩	٤٦٥
تلاميذ اختبروا ببنية	٦٢	٩٥	٦٥	٢٢٢
نسبة ذكاء أقل من ٦٠	١ـ٧ر ٪	١١ـ٨ر٥ ٪	٤ ـ١ر٣ ٪	١٦ـ٤ر٣ ٪
من ٦٠ الى أقل من ٦٥	٥ـ٤ر٣٪	١٦ـ٥ر٨ ٪	٢ ـ٦ر١ ٪	٢٣ـ٩ر٤ ٪
من ٦٥ الى أقل من ٧٠	٩ـ١ر٦٪	٢١ـ١ر١١٪	١١ـ٥ر٨ ٪	٤١ـ٨ر٨ ٪
من ٧٠ الى أقل من ٧٥	٧ـ٨ر٤٪	٢٣ـ٢ر١٢٪	٢٣ـ٨ر١٧٪	٥٣ـ٤ر١١٪

جدول (٨) منطقة الجيزة :

	مدرسة التحرير	ابن خلدون	نزلة البطران	العهد المنير	المجموع
العينة	١٥٤	١٤٣	١٢٦	١٥٩	٥٨٢
تلاميذ اختبروا ببنية	١٠	٤	٧٣	٣٢	١١٩
عدد تلاميذ نسبة ذكاء أقل من ٦٠	١ـ٦ر ٪	١ـ٧ر٪	١٢ـ٥ر٩٪	ـــــ	١٤ـ٤ر٢٪
من ٦٠ الى أقل من ٦٥	٣ـ٩ر١٪	١ـ٧ر٪	٨ ـ٣ر٦٪	ـــــ	١٣ـ١ر٢٪
من ٦٥ الى أقل من ٧٠	٦ـ٩ر٣٪	١ـ٧ر٪	٦ ـ٨ر٤٪	ـــــ	١٣ـ٢ر٢٪
من ٧٠ الى أقل من ٧٥	ـــــ	ـــــ	٨ـ٣ر٦٪	ـــــ	٨ ـ٤ر١٪

يؤكد تحليل البيانات هنا أيضا ارتفاع نسب الضعف العقلى فى مستوياته المختلفة بين تلاميذ الاسر ذات المستوى الاقتصادى والاجتماعى المنخفض ، مما يدل على أن العوامل البيئية ذات أثر فعال فى انطلاق تنشيط الامكانيات العقلية • فنلاحظ فى داخل كل منطقة تعليمية انخفاض نسب الضعف العقلى بين تلاميذ بعض المدارس عنها بين تلاميذ البعض الآخر • والفاحص للمستوى الاقتصادى والاجتماعى لتلاميذ هذه المدارس يلاحظ ارتفاع المستوى الاقتصادى والاجتماعى فى المدارس التى تنخفض فيها نسب الضعف العقلى • ففى منطقة وسط القاهرة يتبين زيادة نسب الضعف العقلى فى مستوياته المختلفة فى مدرسة الزمالك عنها فى مدرسة الشهيد منصور والتحرير • وهذا ما توقعناه حيث أن حيث أن معظم تلاميذ مدرسة الزمالك من حى بولاق على الرغم من وقوع هذه المدرسة فى حى الزمالك ومن المعروف أن غالبية أسر حى بولاق يتصفون بالتخلف الاقتصادى والاجتماعى مما ينعكس أثره على أبنائهم ، ونلاحظ أيضا فى منطقة شرق القاهرة زيادة نسبة الضعف العقلى بين تلاميذ المدارس التى ينخفض فيها المستوى الاقتصادى والاجتماعى للتلاميذ • ويتأكد هذا أيضا بين مدارس منطقة شمال ووسط ا لقاهرة ومنطقة

القليوبية والجيزة ، حيث نلاحظ زيادة نسبة الضعف العقلى فى مستوياته المختلفة بين تلاميذ المدارس التى تقع فى الاحياء التى يزداد فيها التخلف الاقتصادى والاجتماعى بين سكانها ٠

ومن هنا يتضح لنا أنه مع التخلف الاقتصادى والاجتماعى للأسرة تزداد نسبة الضعف العقلى ٠ وهذا أمر طبيعى ، فالفرد فى تكوينه يعتبر حصيلة لعوامل وراثية وعوامل بيئية ٠ ويجب ألا نؤكد أهمية أحد العوامل دون الأخرى ، بل كل منها له أثره الفعال فى التكوين النهائى للفرد ٠ فالعوامل الوراثية تحدد امكانيات الفرد ، بينما تعمل العوامل البيئية على تكشف هذه الامكانيات وتنشيطها والوصول بها الى أقصى حد ممكن لها أو تعوقها وتحد منها ٠

رابعا : تحليل البيانات تبعا لفئات السن :

يبين جدول (٩) فئات أعمار تلاميذ عينة البحث وعدد التلاميذ فى كل فئة ونسبة الضعف العقلى فى كل منها :

جدول رقم (٩)

فئات السن فئات بينية	أقل من ٧ سنوات	من ٧ الى أقل من ٨	من ٨ الى أقل من ٩	من ٩ سنوات فأكثر	المجموع
عدد التلاميذ	٧٢٦	١٠٠٠	٨٧٠	٤٩١	٣٠٨٧
نسبة ذكاء أقل من ٦٠	٢٢ — ٣٪	١٧ — ١ر٧٪	١٦ — ١ر٨٪	٢٤ — ٤ر٩٪	٧٩ — ٢ر٦٪
من ٦٠ الى أقل من ٦٥	١١ — ١ر٥٪	١٥ — ١ر٥٪	٢٧ — ٣ر١٪	٢١ — ٤ر٣٪	٧٤ — ٢ر٤٪
من ٦٥ الى أقل من ٧٠	٢١ — ٢ر٩٪	٣٣ — ٣ر٣٪	٣٣ — ٣ر١٪	٢٨ — ٥ر٧٪	١١٥ — ٣ر٧٪
من ٧٠ الى أقل من ٧٥	١٧ — ٢ر٣٪	٥٦ — ٥ر٦٪	٥٧ — ٦ر٦٪	٣٨ — ٧ر٧٪	١٦٨ — ٥ر٤٪

يتضح من هذا الجدول زيادة نسبة الضعف العقلى من المستوى أقل من ٦٠ نسبة ذكاء بين التلاميذ تقل أعمارهم عن سبع سنوات ثم تأخذ النسبة المئوية للتلاميذ من هذه الفئة من السن فى الانخفاض كلما زادت نسب الذكاء٠ بينما نلاحظ انخفاض نسب الضعف العقلى للمستوى أقل من ٦٠ نسبة ذكاء

بين تلاميذ فئات الاعمار الزمنية الاخرى · وتشير هذه النتيجة من التحليل الى زيادة نسبة التلاميذ ذوى الذكاء المنخفض بين المقبولين بالمدرسة الابتدائية ، ثم تقل هذه النسبة لتسرب بعض التلاميذ لعدم تحملهم ما تتطلبه الدراسة من تكوين عقلى · ويمكن أن نذهب الى القول بأن الاعداد الباقية من التلاميذ الذين تقل نسب ذكائهم عن ٧٥ من الاعمار المختلفة التى تناولها البحث ، ترجع الى نظام النقل فى الصفوف الثلاثة الأول الذى لا يقوم على الامتحانات المدرسية ·

خامسا : تحليل البيانات تبعا للصفوف الدراسية :

يبين جدول (١٠) توزيع التلاميذ تبعا للصفوف الدراسية وعدد التلاميذ فى كل صف ونسب الضعف العقلى بين تلاميذ كل منها :

جدول (١٠) :

فئات بينية السنة الدراسة	سنةأولى	سنة ثانية	سنةثالثة	المجموع
عدد التلاميذ	١٠٠٨	١٠١٠	١٠٦٩	٣٠٨٧
نسبة ذكاء أقل من ٦٠	٣٣–٣ر٣٪	١٥–٥ر١٪	٣١–٩ر٢٪	٧٩ –٦ر٢ ٪
من ٦٠ الى أقل من٦٥	٢٢–٢ر٢٪	١٦–٦ر١٪	٣٦–٤ر٣٪	٧٤ –٤ر٢ ٪
من ٦٥ الى أقل من ٧٠	٣٦–٦ر٣٪	٣٧–٧ر٣٪	٤٢–٩ر٣٪	١١٥–٧ر١٣٪
من ٧٠ الى أقل من ٧٥	٣٠– ر٣٪	٧٥–٥ر٧٪	٦٣–٩ر٥٪	١٦٨–٤ر٥ ٪

تؤكد نتيجة التحليل هنا ما أشرنا اليه من زيادة نسبة التلاميذ ذوى الذكاء المنخفض بين المقبولين بالمدرسة الابتدائية ، ثم تقل هذه النسبة من التلاميذ حيث نلاحظ زيادة نسبة الضعف العقلى من مستوى أقل من ٦٠نسبة ذكاء بين تلاميذ الصف الاول عنها بين تلاميذ الصفين الثانى والثالث · كما تقل نسبة تلاميذ الصف الأول بوضوح عن نسبة تلاميذ الصفين الثانى والثالث فى فئة الذكاء ٧٠ الى أقل من ٧٥ ·

وبهذا يتبين لنا تسرب بعض التلاميذ وتركهم للدراسة حيث لا تقوى امكانياتهم العقلية على الدرس والتحميل · على أن استمرار تلاميذالمستويات الأخرى من الضعف العقلى ، لا يعنى قدرتهم على التحصيل ، وانما يرجع هذا الى طبيعة النقل فى السنوات موضوع الدراسة التى لا تأخذ بقياس تحصيل التلاميذ وتأخذ بنظام النقل الذى يقوم على مجرد الحضور ·

تحليل بيانات الاستمارة الطب نفسية والاستمارة الاجتماعية :

بالاضافة الى عملية القياس العقلى السابقة رأت هيئة البحث أن تكمل هذه الدراسة بدراسة اجتماعية وطب وطب نفسية لبعض الحالات التى تثبت باستخدام مقياس بينية انخفاض ذكائها · فوضعت لذلك استمارة اجتماعية تناولت بعض المتغيرات الاجتماعية كدخل الاسرة ـ بيانات عن السكن ومحتوياته وبيانات عن العلاقات الاجتماعية للتلميذ داخل المدرسة وخارجها ، وتناولت الاستمارة الطب نفسية بعض المتغيرات كالوزن والطول والتشوهات وفحص الجهاز الكلامى والحركى والحسى والتنفسى والهضمى والاعصاب الدماغية أو بيانات عن الحمل والولادة ونمو الطفل ·

ولقد أجريت هذه الدراسة على (٦٠) ستين تلميذا وتلميذة من منطقة شرق ووسط القاهرة · ويوضح جدول رقم (١١) النسب المئوية لافرادالعينة فى كل بعد من أبعاد الدراسة الطب النفسية ·

المظهر العام		الفحص الطبى		التشوهات	
سليم	غيرسليم	سليم	غيرسليم	سليم	غيرسليم
٧٥	٢٥	٤٨ر٣	٥١ر٧	٨٨ر٣	١١ر٧

الفحص الطبى النفسى		سلوك الطفل أثناء الولادة		نتائج الفحص		
سليم	غيرسليم	سليم	غيرسليم	ضعيف	محتمل	غير ضعيف
٨٨	١٢	٥٠	٥٠	٢٣ر٤	٢٨ر٣	٤٨ر٣

يتبين من الجدول أن الفحص الطبى للمظهر العام أوضح أن ٧٥٪ من الحالات التى خفضت للدراسة لم تظهر نقصا فى المظهر العام من حيث الوزن والطول والتشوهات الواضحة فى الوجه والجمجمة وكذلك سيولة اللعاب من

الفم فى حين أن ٢٥٪ من أفراد العينة قد كشف الفحص عن وجود عيوب جسمية ومن هذا يتبين أن المظهر العام الذى يتمثل هنا فى الوزن والطول والتشوهات ليس دليلا على الضعف العقلى ٠

وكشف الفحص الطبى عن عدم وجود تشوهات فى الجهاز التنفسى والجهاز الهضمى والعين والاذن فى ٨٨٫٣٪ من عدد الافراد ٠ كما أن الفحص العصبى بين أن ٤٨٫٣ من عدد الحالات ليس بها اضطرابات فى الاعصاب الدماغية والجهاز الكلامى والجهاز الحركى وخلو الحالات من التوتر العضلى والضمور ويشير هذا أيضا الى انخفاض دلالة الفحص العصبى فى الكشف عن الضعف العقلى ٠

وتؤكد هذه النتائج ما ذهبت اليه الدراسات السابقة من انخفاض الارتباط بين السمات الجسمية والسمات السلوكية بمعنى انخفاض دلالة السمات الجسيمة فى التعرف على قدرات الفرد وسماته المزاجية وقيمة وميوله على أن الفحص الطبى النفسى قد بين أيضا أن ٨٨٪ من أفراد العينة لم تتعرض لتاريخ مرضى فى الحمل أو الولادة أو فى فترة الطفولة ٠ وقد كشفت ملاحظة سلوك أفراد العينة أثناء المقابلة عن أن ٥٠٪ من أفراد العينة أسوياء فى النشاط الحركى والانتباه وتعبير الوجه والانفعال والحديث ٠

ومن هنا يتبين أيضا أن ملاحظة سلوك الفرد أثناء المقابلة أكثر دلالة للتعرف على مستوى ذكائه ٠

وقد كشفت هذه الفحوص على أن ١٤ طفلا من مجموعة العينة الأخيرة وحجمها ٦٠ طفلا يتصفون بالضعف العقلى وأن ٢٩ طفلا غير ضعاف وأن نتيجة الفحص غير مؤكدة لسبعة عشر طفلا ٠

وبهذا يتضح أن الفحوص الطبية ذات دلالة منخفضة فى الكشف عن الضعف العقلى ، وأن عملية القياس العقلى باستخدام الاختبارات أكثر دلالة ، وهذا ما يجب أن نتوقعه حيث أننا بصدد التعرف على أداءات عقلية وأن هذه الاداءات لا يكشف عنها الا ممارستها فعلا ٠

وجدير بالذكر أن سلوك الطفل أثناء المقابلة والفحص العصبى أكثر دلالة فى التعرف على الضعف العقلى من العيوب والتشوهات السجيية ، ويرجع ذلك الى أن الطفل فى سلوكه يكشف عن أبعاد شخصية ونستطيع أن نتبين مستوى لقدراته العقلية ، كما أن الفحص العصبى يكشف عن الجهاز العصبى الذى تتم فيه العمليات الفسيولوجية والكيمائية الأساسية للسلوك ٠

وفيما يتعلق بالاستمارة الاجتماعية التى طبقت على العينة التى أجرى لها فحص طبى ، فان الجدول (١٢) يبين فئات المستوى الاقتصادى والاجتماعى وعدد الافراد فى كل فئة ٠

جدول (١٢) :

أقل من ٥	٥ـ١٠	١٠ـ١٥	١٥ـ٢٠	٢٠ـ٢٥	٢٥ـ٣٠	٣٠ـفاكثر
١٦	١٨	١٢	٥	٣	٥	١

حيث قسمت الاستمارة الى بنود ، ولكل بند مدى من الدرجات ، ويحدد مجموع هذه الدرجات المستوى الاقتصادى والاجتماعى للفرد بحيث تشير الدرجة المنخفضة الى مستوى اقتصادى واجتماعى منخفض ٠ ويتبين من النتائج هنا زيادة عدد أفراد العينة من ذوى المستوى الاقتصادى والاجتماعى المنخفض بين عينة ضعاف العقول الذين أجريت عليهم هذه الدراسة ٠

وبهذا يتضح لنا أيضا أن المستوى الاقتصادى والاجتماعى مؤثر وله دلالة فى الضعف العقلى ٠

استطلاع رأى عام

(الاتجاه نحو العمل فى البلاد العربية)

د • ناهد رمزى (*)

محمد سلامة آدم (**)　　　شاكر عبد الحميد (***)

مقدمة :

يعد هذا الاستطلاع هو الاستطلاع الثانى فى سلسلة الاستطلاعات التدريبية التى قام بها الجهاز بهدف اختبار وسائله وامكاناته المنهجية بهدف: التدريب العملى على اجراء الاستطلاعات فى فترة زمنية قصيرة ، واختبار امكانيات الاتصال السريع بالعينة الدائمة ، والتعرف على المشكلات التى قد تواجهنا ، وامكانية استدعاء فريق باحثى الميدان فى فترة محددة ، واستكمال مراجعة العينة الدائمة بهدف استكمال اضافة عدد من البيانات الخاصة بالمتغيرات التى يجب اضافتها لتضمينها الى العينة الاساسية تم تخزينها من قبل ، واستكمال تدريب باحثى الميدان بهدف زيادة كفاءتهم وأخيرا اختبار سرعة اجراء التحليلات الاحصائية وحساب المدى الزمنى الذى تستغرقة كل هذه العمليات (١) ••

موضوع الاستطلاع الحالى :

اختير موضوع « الاتجاه نحو العمل فى الدول العربية » كموضوع للدراسة وذلك لأنه أولا أحد الموضوعات التى استقر الرأى عليها من قبل لتكون موضعا لاجراء تدريبات تحقق الأهداف التى ذكرناها من قبل

---

* نائب المشرف العام على جهاز قياس الرأى العام •

** مدرس مساعد بكلية آداب الفيوم •

*** معيد بكلية آداب القاهرة •

(١) اشترك فى هذا الاستطلاع : د• صفوت فرج ، عادل عبد الرازق ، منى يوسف ، سميحة نصر •

بالاضافة الى أنه من الموضوعات التى تشغل اهتمام قطاعات عريضة من أفراد المجتمع فى الوقت الحالى ، الأمر الذى يساعد على توفير الايجابية لدى أفراد العينة محل الدراسة ..

تصميم الاستمارة :

شكلت لجنة فرعية لتصميم استمارة الاستطلاع وقد رأت اللجنة ادخال قدر من الاضافات على الاستمارة بهدف زيادة كفاءة الباحثين على تطبيق أنواع مختلفة من الاستمارات تتناول المزيد من التعقيدات المنهجية تضمنت الآتى :

١ ـ ادخال نظام التدرج فى الاستجابة Scaling الذى يكشف عن درجة الموافقة أو عدم الموافقة (شدة الاتجاه) لدى المفحوص أزاء موضوع معين ، (أوافق جدا ـ أوافق بشروط ـ أعارض ـ أعارض بشدة) .

٢ ـ ادخال نوع من الأسئلة المركبة على الاستمارة بحيث يسأل الباحث الجزء الأول من السؤال أولا ثم يسأل الجزء الثانى فى ضوء استجابة المفحوص على الجزء الأول وذلك بهدف تدريب الباحث على اكتساب القدرة على الحصول على كل ما لدى المفحوص من استجابات تتعلق بموضوع السؤال كأن ينتقل من مرحلة الاستجابات التلقائية الى مرحلة الاستجابات الاستدعائية .

٣ ـ وفى اطار الحصول على كل ما لدى المفحوص من استجابات تجاه موضوع الدراسة اشتملت أغلب الأسئلة على عبارة « أخرى تذكر » بقصد الحصول على بعض المتغيرات التى قد تكون غير متضمنة فى احتمالات الاجابة .

٤ ـ كذلك تضمنت الاستمارة بيانات جديدة بهدف اضافتها الى البيانات الاضافية المختزنة عن العينة وهى تتعلق بالتعليم ونوع العمل فضلا عما تضمنه الاستطلاع الأول من بيانات كالدخل وعدد غرف المسكن والسن والجنس .

عناصر الاستمارة :

صممت الاستمارة بحيث تتضمن العناصر التالية :

١ ـ فكرة السفر للعمل فى البلاد العربية (متغير رقم ٧)

٢ ـ مزايا السفر وعيوبه (متغير رقم ٩،٨)

٣ - المفاضلة بين البلاد العربية (متغير رقم ١٠)
٤ - أسباب هذه المفاضلة (متغير رقم ١١)
٥ - أسلوب التصرف في المدخرات (متغير رقم ١٢)
٦ - مدى التمسك بالعمل في نفس التخصص بعد السفر (متغير رقم ١٣)
٧ - الفترة التي يفضل المفحوص بقاءها في الخارج (متغير رقم ١٤)

العينة المستخدمة :

ونظرا للاهمية الكبيرة لمعرفة الرأى العام واتجاهاته بهدف الحصول على تقدير حقيقى لاتجاهات الرأى العام عن طريق الاستطلاعات لذا فقد قام جهاز قياس الرأى العام بتصميم عينة دائمة (*) لاجراء استطلاعات مستمرةللتعرف على احتياجات الجماهير ومشكلاته ومواقفه ازاء ما يصدر أو ما يزمع اصداره من قوانين وصدى ذلك على الرأى العام - ولكى تكون هذه الاستطلاعات معبرة فعلا عن القطاعات العريضة من المجتمع بفئاته وطبقاته المختلفة لابد وأن تكون العينة التى تجرى عليها هذه الاستطلاعات ممثلة تمثيلا حقيقيا للرأى العام وأن تكون على درجة عالية من الدقة فى ذلك التمثيل .

وقد اختار جهاز قياس الرأى العام لنفسه نوعا من العينات أصبح مميزا لبحوث الرأى العام وهو ما يعرف باسم العيناتالدائمة the pannel sample ويقوم هذا النوع من العينات فى جوهره على أساس أنه بدلا من اختيار عينة لكل استطلاع للرأى العام فانه يمكن استخدام نفس العينة لعدة استطلاعات .

ولهذا الأسلوب من العينات مميزاته العلمية بالنسبة لاستطلاعات الرأى العام هذا بالاضافة الى ما به من بعض العيوب الا أن ملاءمته لبحوث الرأى العام تجعل تلك العيوب ضئيلة الشأن أمام ما تحققه من مزايا قيمة فبمقتضاها يمكن اختيار عينة احتمالية لتمثيل الرأى العام وبهذا يتحقق المطلب العلمى من ورائها والذى يستلزم تعميم النتائج على المجتمع وحساب درجة الدقة فى ذلك . ولامكانية الاستفادة من نفس العينة فى استطلاعات متعددة فان من شأن ذلك أن يحد من النفقات والوقت اللذين يستنفذان فى اختيار عينة

(*) تم ذلك عام ١٩٧٠ وقامت به لجنة مشكلة من الأستاذ الدكتور عبادة سرحان والدكتورة ناهد صالح .

جديدة، لكل استطلاع للرأى والتعرف على مفرداتها فى البيئة وكسب ثقة أفرادها وتنمية قدرتهم على التعبير الدقيق عن آرائهم . هذا الى جانب ما تحققه العينة الدائمة من اكتشاف العلاقات الارتباطية بين آراء الشخص وسماته الشخصيـــة والاجتماعية وتتيح الفرصـــة لتراكم المعلومات عن المستبوين وتكوين سجل كامل لكل فرد من أفراد العينة الدائمة . هـــذا بالاضافة الى ما تحققه من ثبات احصائى Statistical Reliability ومن ثم فان حجم العينة الدائمة يمكن أن يصبح أصغر من حجم العينة فى حالة العينات الاخرى (ناهد صالح ، ١٩٧٦) .

فى ضوء تلك الاعتبارات العلمية والعملية تم تصميم عينة دائمة لقياس الرأى العام روعى فيها أن تمثل الفئات المختلفة مستندة الى المتغيرات التالية :

الجنس - السن - الديانة - الحالة التعليمية - الحالة الزواجية - الحالة المهنية - الريف والحضر .

هذا وقد سحبت هذه العينة عن طريق الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء باحتمالية صدق تصل الى ٨٦٪ استنادا الى اخر تعداد أجرى فى ذلك الوقت وهو التعداد بالعينة لعام ١٩٦٦ (*) .

وقد تم تصحيح هذه العينة مرتين آخرهما التصحيح الذى تم فى نهاية عام ١٩٧٦ لكى يوضع فى الاعتبار المتغيرات التى من المحتمل أن تكون قد تدخلت بفعل العامل الزمنى لكى تتمشى خصائصها الديموجرافية مـــع الخصائص الديموجرافية للجمهور العام .

هذا وقد بلغ عدد أفراد العينة (٧٢٦) فردا .

استدعاء الباحثين وتدريبهم :

وفى اطار تجربة وسائل سرعة استدعاء الباحثين قررت الهيئة ان تجرب أسلوب الاستدعاء البرقى فارسلت اليهم فى وقت واحد برقيات لاستدعائهم لحضور الاجتماع التدريبى الذى عقد مساء الاربعاء ١٩٧٧/٢/٢٣ بمقر المركز وكان قد طلب من الباحثين من قبل ضرورة احضار هذه البرقيات فى حالـة

(*) قام جهاز قياس الرأى العام بسحب عينة جديدة استنادا الى التعداد الاخير لعـــام ١٩٧٦ وجارى الآن جمع بيانات العينة الجديدة لتطبق فى الاستطلاعات المقبلة .

وصولها مسجلا عليها يوم وساعة الوصول حتى يمكن حساب متوسط الوقت الذى استغرقه وصول البرقية الى عنوان الباحث وقد اتضح أن الوقت الذى وصلت فيه البرقيات كان متقاربا ومناسبا ولا يزيد عن ٢٦ ساعة فـــى المتوسط ·

وفى الاجتماع التدريبى المشار اليه تمت دراسة الاستمارة من حيث البيانات ، ومن حيث الأسئلة المتضمنة · وقد اتفق بالنسبة للبيانات الاولية على ضرورة تسجيل يوم وساعة التطبيق على أن يكون خلال الـ ٣٦ ساعة المخصصة للتطبيق (والذى يبدأ من منتصف يوم الخميس حتى نهاية يوم الجمعة ٣ ، ٤ من مارس ١٩٧٧) وان يسجل الاسم والعنوان بوضوح حتى يمكن تصحيح البيانات المختزنة عن العينة الدائمة كذلك تسجيل البيانات الجديدة للعينة الخاصة بمستوى التعليم ونوع العمل ·

وقد نوقشت الاستمارة بندا بندا مع الباحثين لشرح الغرض من كل بند وأسلوب تطبيقه وخاصة اننا راعينا فى تصميمنا لاستمارة هذا الاستطلاع تضمينها بعض « التكنيكات » الجديدة من حيث التصميم وطريقة التطبيق كما أشرنا الى ذلك من قبل ·

كذلك طلب من الباحثين تسجيل ملاحظاتهم عن كل حالة فى آخـــر الاستمارة وقد طبقت الاستمارة على فريق الباحثين قبل اجراء الاستطلاع فى نهاية جلسات التدريب لهدفين :

الأول : التثبت من حسن استيعاب التدريب وفهم بعض تفاصيل التطبيق والتعليمات التى تضمنتها الاستمارة ·

الثانى : المطابقة بين اتجاهات الباحثين أنفسهم وبين اتجاهات العينات التى قاموا باستطلاعها لدراسة ما اذا كانت هناك أية دلائل تشير الى وجود متغيرات ايحائية فى الموقف أم لا على أن تتابع نتائج مثل هذه الخطوة بالنسبة لكل باحث مستقبلا ·

العمل الميدانى :

روعى فى توزيع العينة على الباحثين أن يقوم كل باحث باستـــطلاع أفراد العينة ونتيجة لدراسة المشكلات الخاصة باستطلاع سابق من حيث طاقة الباحث الواحد خلال الفترة المحدودة لجمع بيانات الاستطلاع تقرر

ألا يستطلع الباحث الواحد أكثر من ٣٠ فردا بدلا من ٥٠ - كما اتبع فى الاستطلاع الأول الذى قام به الجهاز - وقد تم التطبيق بأسلوب المقابلة التى يقوم فيها الباحث نفسه بتسجيل استجابات المفحوص وبدأ جمع البيانات وانتهى خلال الفترة المحددة طبقا للخطة الموضوعة وأعيدت الاستمارات المستوفاة للمركز صباح السبت ١٩٧٧/٣/٥ وتمت جميع عمليات التثقيب والمراجعة بنفس معدلات العمل فى الاستطلاع السابق واستغرقت جميع العمليات الاحصائية على الحاسب الالكترونى ٤٦ دقيقة تشغيل ٠

خطة التحليلات الاحصائية :

تضمنت خطة التحليل الاحصائى ما يأتى :

١ - عمل جداول تكرارية بسيطة ٠

٢ - استخراج نسب مئوية للتوزيعات التكرارية على متغيرات كل بند من بنود الاستمارة ٠

٣ - حساب التوزيعات التكرارية المركبة بين كل متغير والآخر ٠

٤ - حساب النسب المئوية لجميع خلايا الجداول المركبة ٠

٥ - حساب قيما كا٢ للجداول المركبة ٠

النتـــــائج

أ – المؤشرات الوصفية للعينة :

١ – أظهرت التحليلات أن ٥٢٪ من أفراد العينة من الحرفيين وأصحاب الأعمال الحرة وممن يشغلون وظائف بمؤهل متوسط بينما كانت نسبة من لا يعملون ١٧٪ تقريبا ويلاحظ أن هذه النسبة لا تمثـل فى واقع الأمر من هم بدون عمل اذ تتضمن فئة المحالين الى المعاش وفى ضوء توزيعات أعمـــار العينة يمكن توقع أن هذه النسبة ستنخفض الى ٦٪ تقريبا •

٢ – أظهرت التحليلات أيضا أن ٤٩٪ من الأفراد بين ٤٠ – ٦٥ سنة ويلاحظ أن هذا المدى العمرى المرتفع قد ينعكس على نتائج هذا الاستطلاع •

٣ – اتضح أن ٧٤٪ من أفراد العينة لا تزيد دخولهم عن ٤٠ جنيهـــا شهريا ورغم ان هذا المؤشر من المؤشرات التى تفتقر الى الثبات الا أنه يتسق مع النتائج التى حصلنا عليها فى الاستطلاع الســـابق حيث كانت نسبة من تبلغ دخولهم ٤٠ جنيها فأقل حوالى ٧٠٪ •

٤ – كما تبلغ نسبة الأميين ومن يقرءون ويكتبون فقط ٧٠٪ فى حين تبلغ نسبة الحاصلين على تعليم متوسط أو أقل من المتوسط حوالى ١٧٪ •

وبينما تبلغ نسبة حملة المؤهلات العالية حوالى ٧٪ فقط •

٥ – ويلاحظ أن حوالى ٩١٪ من أفراد العينة من الذكور حيث كان فرد العينة الأساسى هو رب الأسرة •

ب – نتائج عامة :

١ – فيما يتعلق بالسفر الى الخارج فقد اتضح أن ١٨٪ فقط من أفراد العينـــة قد مروا بخبرة السفر الى الخـــارج فى حين كانت نسبة الذين لم يسافروا تبلغ ٨٠٪ •

٢ – توزعت العينـــة بين قطبى الموافقة والمعارضـــة وقد كان اتجاه المعارضة أكثر شدة من اتجاه الموافقة حيث بلغت نسبة المعارضين والمعارضين بشدة ٥٥٪ فى حين بلغت نسبة الموافقين والموافقين بشروط ٤٣٪ مع ملاحظة أن نسبة الموافقين تماما على السفر بلغت ضعف نسبة المعارضين تماما لفكرة السفر ٣٥٪ فى مقابل ١٧٪ •

وفيما يختص بأسباب الموافقة على السفر •

٣ — اتضح من النتائج أن ٨٠٪ من الموافقين[١] وافقوا من أجل رفع مستوى معيشتهم أو بناء مستقبلهم أو الاثنين معا وتتسق هذه النتيجة مع مؤشر الدخل والذى اتضح منه أن ٧٤٪ من حجم العينة لا يزيد دخلهم عن ٤٠ جنيها شهريا ٠

٤ — ظهر بالنسبة لأسباب عدم السفر أن أعلى نسبة[٢] وهى ٧٨٪ كانت ترفض السفر لأسباب الغياب عن الأهل أو الغياب عن البلد أو السببين معا وقد كان الخوف من الحياة غير المضمونة سببا لدى ١٥٪ من الرافضين يمنعهم من السفر[٣] ٠

٥ — وكان ترتيب التفضيل بين البلاد العربية كالآتى :

(أ) السعودية (٥٢٪) ٠
(ب) ليبيا (١٤٪) ٠
(ج) امارات الخليج (٨٪) ٠
(د) سوريا (٧٪) ٠
(هـ) الكويت (٥٪) ٠

٦ — وبذلك تستأثر هذه الدول العربية بتفضيل ٨٦٪ من الموافقين على السفر وفيما يتعلق بأسباب تفضيل البلاد التى اختيرت فقد كانت أهم الأسباب الآتى[٤] :

٤٢٪ بسبب ارتفاع أجورها (أو ما تعطيه من مرتبات) ٠
١٢٪ لأن طبيعة شعبها قريبة من طبيعة شعبنا ٠
٩ ٪ لأن علاقتها جيدة بمصر ٠
٩ ٪ لأن التخصص مطلوب هناك ٠

---

(١) النسب المستخلصة من عدد الموافقين فقط ٠

(٢) من بين غير الموافقين على السفر ٠

(٣) ظهر من تحليل الأسباب الأخرى التى ذكرها أفراد العينة والتى سجلت فى « أخرى تذكر » ان ٣٣٪ من غير الراغبين فى السفر أضافوا عامل كبر السن كسبب آخر لعدم الرغبة فى السفر كما أضاف ١٥٪ عامل المرض ٠ وهذا يكشف عن أثر عامل السن على اتجاه السفر الى خارج العرض ٠

(٤) من بين النواحى الأخرى التى ذكرها أفراد العينة ولم تكن متضمنة فى اختبارات هذا السؤال ان حوالى ٨٪ من بين الراغبين فى السفر ذكروا انهم يرغبون فى تحسين مستوى معيشتهم بهذه المدخرات وتحقيق رغبات غير متيسر تحقيقها فى مصر ٠

٧ ـ أما عن أسلوب التصرف فى المدخرات فكان كالآتى (١) :

١ ـ ٢٥٪ لعمل مشروع تجارى ٠

٢ ـ ٢٥٪ مساعدة الاهل ٠

٣ ـ ١٤٪ بناء منزل ٠

٤ ـ ٦٪ نفس السببين ١ ، ٢ معا ٠

٦٪ السبب ٢ ، السبب ٣ معا ٠

ومعنى ذلك أن ٧٦٪ من الذين رغبوا فى السفر كانت اتجاهاتهم فى انفاق مدخراتهم تتركز أساسا فى ثلاثة مصادر رئيسية هى (عمل مشروع تجارى ومساعدة الاهل وبناء منزل) ٠

٨ ـ اجاب ٩٥٪ من الراغبين فى السفر أنهم يشترطون العمل فى نفس تخصصهم ٠

٩ ـ اجاب ٤٨٪ من الراغبين فى السفر بأنهم يفضلون المكوث فى البلد العربى الذى يفضلون السفر اليه حتى يمكنهم تحقيق أمالهم بينما كانت نسبة من يفضلون البقاء هناك أطول فترة ممكنة ٢٤٪ وكانت نسبة من لا يرغبون فى العودة ٤٪ ٠

جـ ـ نتائج تفصيلية :

وبالنظر الى النتائج التفصيلية التى تضمنتها الجداول المركبة والتى تبين توزيعات العينة على أكثر من متغير نلاحظ ما يأتى :

(أ) المهنة والسفر الى البلاد العربية للعمل ٠

١ ـ المهنة وخبرة السفر الى الخارج (متغير ١و٦) :

كان فى مقدمة الذين سبق لهم السفر الى الخارج من حيث العمل أو المهنة ما يأتى :

ـ الاداريون : ٢٦٪

ـ الحرفيون : ٢٤ ٪

ـ أصحاب الأعمال الحرة ١٥٪ ٠

٢ ـ المهنة ودرجة الموافقة على السفر (متغير ١ و ٧) :

أما بالنسبة لدرجة الموافقة على السفر فقد جاء الحرفيون فى المقدمة يلى ذلك أصحاب الأعمال الحرة والموظفون الاداريون وذلك كما يأتى :

---

(١) يلاحظ أن حوالى ٦٣٪ من الموافقين على السفر الى السعودية قد اختاروا السعودية بغرض أداء فريضة الحج كسبب اضافى لتفضيل هذه البلد ٠

- الحرفيون ٢٨٪
- أصحاب الأعمال الحرة ١٩ ٪
- الموظفون الاداريون : ١٩٪

فاذا كانت النتيجة السابقة تكشف عن الوضع السابق لحركه السفر الى الخارج فان هذه النتيجة تكشف عن الوضع الحالى لاتجاه حركة السفر الى الخارج بالنسبة الى البلاد العربية حيث أصبحت هذه البلاد تشكل مركز جذب شديد للحرفيين وأصحاب الأعمال الحرة ٠

وفيما يتعلق بعدم الموافقة على السفر فقد جاء ترتيب فئات العينة طبقا لمتغير العمل أو المهنة كما يلى :

- الذين لا يعملون (وغالبيتهم من المحالين الى المعاش) ٢٩٪ ٠
- الحرفيون : ٢٥٪
- العمال الزراعيون ١٨٪ (١)

٣ ـ المهنة وأسلوب انفاق المدخرات (متغيرا ١ و ١٣) :

كانت مساعدة الأهل أو الدخول فى مشروعات تجارية أكثر مصادر الانفاق قبولا لدى أفراد العينة وقد اختارهما ٢٣٪ من جملة الموافقين على السفر الى البلاد العربية وان كان من الملاحظ أن طبيعة عمل أفراد العينة يؤثر فى اختيار الأسلوب الملائم لانفاق هذه المدخرات اذ ذكر ٣٦٪ من الحرفيين أنهم يرغبون فى انفاق مدخراتهم فى مساعدة الأهل بينما اتجه ٢٨٪ من أصحاب المهن الحرة الى انفاق هذه المدخرات فى مشروعات تجارية٠

٤ ـ المهنة والحرص على التخصص (متغير ١ و ١٤) :

يبدو هنا كذلك تأثير عامل المهند أو طبيعة العمل على الرغبة فى القيام بنفس التخصص أو التنازل عن هذا الشرط عند السفر للعمل فى البلاد العربية ٠ فقد وجدنا أن أغلب النسب فيما يتصل باشتراط العمل فى نفس التخصص موجودة بين أصحاب المهن الفنية العالية ويلى ذلك الاداريون ثم الحرفيون ، كما يأتى :

- أصحاب المهن الفنية العالية : ٤٠٪
- الاداريون ٢٧٪
- الحرفيون ١٦٪

---

(١) هذه النسب منسوبة الى مجموع الموافقين الا أن هذه النسب ستختلف اذا نسبت الى حجم كل فئة فرعية على حدة ٠

مع ملاحظة أن هذه النسب منسوبة الى اعداد هذه العينات الفرعيــة لا العينة الكلية .

(ب) السن والسفر الى البلاد العربية للعمل .

١ ـ السن ودرجة الموافقة على السفر للعمل (متغير ٢ و ٧) :

بالرغم من أن نسبة الموافقة ونسب المعارضة للسفر كانت متقاربة لدى العينة الكلية ، نتيجة لتركز غالبية أفراد العينة حول المرحلة العمرية ٣٥ ـ ٦٠ سنة حيث وحدة العينة عبارة عن الفرد الاول فى الاسرة (رب الاسرة) الا اننا مع ذلك لاحظنا عندما توزعت العينة من حيث الموافقة والمعارضــة للسفر طبقا لفئات السن المختلفة ، ان الموافقين تماما يتجمعون حول الفئة العمرية من ٣٥ ـ ٦٠ سنة فى حين كان المعارضون والمعارضون تماما يتجمعون حول الفئة العمرية التى تبدأ من ٤٥ ـ ٧٠ سنة وذلك كما يلى :

ـ ٧٤٪ موافقون (بجميع درجات الموافقة) على السفر يقعون بين ٣٥ ـ ٦٠ ذكنة .

ـ ٦٦٪ معارضون (بجميع درجات المعارضة للسفر يقعون بين ٤٥ ـ ٧٠ سنة .

٢ ـ السن وأسباب رفض السفر للعمل (متغير ٢ و ٩) :

كان أكثر المعارضون للسفر (٨٦٪) من بين الذين تزيد أعمارهم عن الاربعين وكانت أسباب رفضهم للسفر تنحصر فى :

ـ الغياب عن الأهل : ٤٦٪

ـ الغياب عن البلد : ١١٪

ـ الغياب عن الأهل والبلد معا : ١٦٪

ـ التعرض لحياة غير مضمونة : ١٣٪

ويظهر هنا تداخل عامل السن مع المسئولية العائلية التى يتحملها رب الأسرة بحيث تجعله أكثر ارتباطا بالآهل والبلد فضلا عن قدر من الحذر من التعرض لحياة غير مضمونة ، لن يتحمل نتائجها هو بمفرده بحكمارتباطاته الأسرية .

٣ ـ السن والمفاضلة بين البلاد العربية (متغير ٢ و ١٠) :

سبق ان لاحظنا فى النتائج المباشرة لهذه الدراسة أن أكثر البــلاد العربية تفضيلا للسفر من أجل العمل هى السعودية حيث اختارها ٥٢٪ من جملة الموافقين على السفر .

وظهر أن حوالى ٧٠٪ من بين هؤلاء كانت أعمارهم بين ٣٥ - ٦٠ سنة ٠ الجدير بالذكر مالوحظ من تحليل الاستجابا تالتى ذكرها المفحوصون ولم تكن ضمن البدائل التى حوتها استمارة الاستطلاع أن حوالى ٦٣٪ من بين الذين فضلوا السعودية كبلد مناسب للعمل كانت رغبتهم فى أداء فريضة الحج من بين أسباب هذا التفضيل ٠

أما بالنسبة الى البلاد الأخرى فقد كانت تفضيلاتها ضئيلة وكانت أعلى نسبة تفضيل بعد السعودية لليبيا (١٤٪ من جملة الموافقين على السفر الى البلاد العربية) ومن بين هؤلاء كان ٨٦٪ تقع أعمارهم بين ٣٥ - ٦٠ سنة٠

٤ - السن وأسلوب انفاق المدخرات (متغير ٢ و ١٣) :

كانت مساعدة الأهل وعمل المشروعات التجارية ، كما سبق أن ذكرنا، أكثر أساليب انفاق المدخرات شيوعاً بين أفراد العينة الراغبين فى السفر للعمل فى البلاد العربية ٠ وان كان قد تبين أن السن يؤثر فى تفضيل أسلوب عن الآخر بينما اتجه ٦٧٪ ممن كانت أعمارهم بين ٤٥ - ٦٥ سنة الى انفاق مدخراتهم فى مساعدة الأهل واتجه ٦٩٪ ممن كانت أعمارهم بين ٤٠ - ٥٥ سنة الى استثمار هذه المدخرات فى مشروعات تجارية مما يمكن أن يفسر بأن عامل التقدم فى العمر يؤثر فى عنصر المخاطرة ويقلل فى مستوى الطموح ٠

(ج) الدخل والسفر الى البلاد العربية للعمل

١ - الدخل ومزايا السفر (متغير ٣ و ٨) :

كانت أهم المزايا التى ذكرها أفراد العينة للسفر للعمل فى البلاد العربية تدور حول رفع مستوى المعيشة أو بناء المستقبل أو الاثنين معا فقد حصلت هذه المزايا وحدها على نسبة ٨٠٪ من استجابات أفراد العينة وقد تبين أن ٧٥٪ من بين هؤلاء الأفراد لا يزيد دخلهم الشهرى عن ٤٠ جنيه وقد سبق أن لاحظنا عند الحديث عن المؤشرات الوصفية للعينة أن حوالى ٧٤٪ من حجم العينة الكلية لا يزيد دخلها عن ٤٠ جنيه شهريا مما يظهر أثر العامل الاقتصادى فى تحديد أهداف الأفراد ٠

٢ - الدخل وانفاق المدخرات :

واذا كانت أهم أساليب انفاق المدخرات تدور حول مساعدة الأهل

أو استخدامها فى مشروعات تجارية فاننا وجدنا كذلك أن أعلى النسب التى فضلت هذه الاختيارات هى التى يقل دخلها عن ٤٠ جنيها شهريا حيث بلغ هؤلاء ٧٨٪ من مجموع الافراد ذكروا أنهم سينفقون مدخراتهم فى مساعدة الأهل . كما بلغت هذه النسب ٦٣٪ تقريبا من مجموع الافراد الذين اختاروا توجيه هذه المدخرات فى عمل مشروعات تجارية (١) .

(د) التعليم والسفر الى البلاد العربية للعمل

١ — التعليم ودرجة الموافقة على السفر للعمل (متغير ٤ و ٧) :

اذا كنا قد لاحظنا انه لم يكن هناك تفاوت كبير بين نسب الموافقين على السفر بصفة عامة وبين نسب المعارضين بالنظر الى العينة ككل ، فاننا قد لاحظنا قدرا من هذا التباين فاذا وضع متغير التعليم فى الاعتبار نجد أن أصحاب أقل هذه النسبة معارضة فى السفر هم حملة الشهادات العالية (٤٠٪) وأن أكثر هذه النسب من بين الأميين (٦٤٪) الا أننا مع ذلك وجدنا معارضة الذين يقرءون ويكتبون فقط (٥٢٪) أقل من معارضة حملة الشهادات المتوسطة (٥٦٪) وحملة الشهادات أقل من المتوسطة (٥٧٪ ، ولعل هذا يشير الى أن الذين يعرفون القراءة والكتابة فقط يمثلون فى الغالب فئات الحرفيين وأصحاب الاعمال الحرة الذين تقدموا على الفئات الأخرى فى الموافقة على السفر للعمل فى البلاد العربية .

٢ — التعليم واشتراط العمل فى التخصص (متغير ٤ و ١٤) :

وبالنسبة الى اشتراط العمل فى التخصص أو قريبا من التخصص فقد تفاوتت هذه النسب بتفاوت مستويات التعليم اذ كانت هذه النسب تتزايد بزيادة مستوى التعليم اذ أن ١٠٠٪ من حملة المؤهلات فوق الجامعية اشترطوا العمل فى تخصصهم يلى ذلك حملة المؤهلات الجامعية (٨٣٪) ثم حملة المؤهلات المتوسطة والأقل من المتوسطة ٦٢٪ .

---

(١) يلاحظ ان هذه النسب غير قابلة للجمع حيث انه كان يطلب من افراد العينة ان يختار أكثر من بديل .

مناقشة النتائج

بالرغم من أن هذا الاستطلاع اقتصر على الفرد الأول من الاسرة (وهو رب الأسرة) وكانت العينة متمركزة حولى فئات عمرية عالية (من ٣٥ ـ ٦٠) كما كانت نسب الموافقة والمعارضة للسفر للعمل فى البلاد العربية مقاربة تقريبا بما يكشف عن ارتباط رب الأسرة ببلده ليتمكن من رعاية أسرته ، الا أن هذا الاستطلاع قد كشف لنا عن مؤشرات جديدة عن الاتجاهات نحو السفر للعمل في البلاد العربية ولعل أهم هذه المؤشرات تدور حول :

١ ـ تقدم فئات الحرفيين وأصحاب الاعمال الحرة الى هذا المجال ، بعد أن كان مألوفا أن السفر الى البلاد العربية يسود بين أصحاب المهن الفنية العالية كالمهندسين والمدرسين والاطباء ٠

٢ ـ أظهر هذا الاستطلاع أن العامل الاقتصادى من اهم الدوافع للسفر الى البلاد العربية فقد كانت الرغبة فى رفع مستوى المعيشة وضمان مستقبل لائق من الحياة الملائمة خلف تصور أفراد جمهور البحث للمزايا التى سيحققونها من السفر أو من الأسلوب الذى سيوجه نحو انفاق مدخراتهم من عائد هذا السفر (مساعدة الأهل أو الدخول فى مشروعات تجارية) ٠

٣ ـ أظهر هذا الاستطلاع كذلك دور العامل السياسى وتأثيرة فى اتجاهات الأفراد فقد اختار أكثر من نصف أفراد عينة البحث من الموافقين على السفر للعمل فى البلاد العربية (٥٢٪) ، اختارو « السعودية » كمكان للعمل وبالرغم من أن ليبيا احتلت المركز الثانى فى التفضيل الا أن النسبة التى حصلت عليها كانت ١٤٪ فقط ٠

٤ ـ أظهر هذا الاستطلاع كذلك دور العامل الدينى فى التأثير على ادجاهات الأفراد نحو العمل فى البلاد العربية ٠ فقد ظهر من تحليل استجابات الأفراد حول أسباب تفضيل بلد العمل أن ٦٣٪ من الذين فضلوا السعودية كبلد عربى للعمل كانت من أسباب اختيارهم لهذا البلد الرغبة فى أداء فريضة الحج ٠

ازدواج توجيهات القيم عند الصبية
(دراسة ميدانية لبعض الصبية)

اعداد
الدكتور محمد سعيد فرح (*)

مدخل :

تعبر أنماط السلوك المميزة الواضحة عن توجيهات القيم السائدة والمتغيرة داخل البناء الاجتماعى وتوضح هذه القيم باعتبارها المعانى اللاشعورية للاختيار نظرة الانسان الى العالم .

ولقد أثبتت الدراسات الاجتماعية والانثريولوجية تباين القيم الاجتماعية التى تحكم سلوك الشخصيات من بناء اجتماعى لآخر . كما يظهر هذا الاختلاف فى القيم بين نسق ونسق داخل البناء الاجتماعى الواحد . وترى فلورنسى كلاكهون أن تفضيلات الأطفال لتوجيهات قيم معينة ، تعكس تأثير عملية التنشئة الاجتماعية فى ثقافة معينة . وتكون هذه التفضيلات جانبا هاما من الشخصية الكلية للطفل (١) . ويؤدى اختلاف أساليب التنشئة الى تباين القيم التى يتوحد بها الافراد ، ويتضح هذا التباين أثناء تصرفات المرء مع الآخرين .

على أن هذا الاختلاف يجب ألا يدفعنا الى اغفال حقيقتين هامتين ، الأولى أن القيم ليست تصورات ذاتية بل تصورات اجتماعية تعبر عن ظروف

مجتمع معين ، والحقيقة الأخرى وجود بعض مشكلات انسانية عامة ترتبط بمجموعة من الحلول الشائعة فى اطار الحلول الممكنة تحددها ظروف البناء .

(*) مدرس علم الاجتماع — كلية آداب المنيا جامعة اسيوط .

1. Kluckhoon, Florence: variation in value orientation. By Florence Kluckhoon and Fred, L. Stredbeck. N.G. Row Pe terron 1961. P. 365.

واهتمامنا بدراسة توجيهات القيم عند الصبية (١) كأشياء ذات أهمية في حياتهم وعناصر منظمة لسلوكهم وضابطة لأهدافهم في الحياة ، يرجع الى أن القيم مفتاح لفهم البناء المتغير وأيضا فهم شخصيات الصبية وسلوكهم في هذا الطور من أطوار النمو باعتبارهم طلائع وأنها محصلة عمليـــات التنشئة الاجتماعية في الأسرة والمدرسة .

كما يرجع اهتمامنا بطور الصبا الى كونه الطور اللاحق لطور الطفولة الأول ، وهو طور هام في حياة المرء فيه يعرف علاقات جديدة لأول مرة لا تقوم على علاقات الدم ولا تستند الى عاطفة الحب الأسرى وحده . فالطفل يخرج في هذا الطور الى المدرسة ويمثل هذا الانتقال تحولا هاما الى مواقف اجتماعية جديدة (٢) والى مرحلة تتطلب منه المنافسة والتحصيل والجهد .

وتستمر عملية التنشئة الاجتماعية في هذا الطور في النمو وتقوم بها الأسرة والمدرسة ، ويتعلم الصبى في هذا الطور معارف جديدة وينتمى الى جماعات جديدة ويساعد تفاعله في المواقف التعليمية والنشاط المدرسى على اكتساب خبرات جديدة قد تدعم من الخبرات الأسرية التى نشأ عليها في طور الطفولة أو قد يتعارض معهما مما يؤثر في شدة توافق الصبى مع الجماعة الأسرية أو المدرسية أو عدم توافقه معهما .

وقد قمنا باجراء بحث ميدانى على عينة تضم مائتى صبى لاختبار الغرض الآتى :

« ان الصبية في فترة التغيير البنائى يواجهـــون كثيرا من القيم المتغيرة والسائدة التى يتوحدون بها ، ولذا تتباين لديهم توجيهات القيـــم في المواقف الاجتماعية لتوحدهم مع قيم متباينة كما يختلف سلوكهم من موقف لآخر » ، وقد واجهنا الصبية بمجموعات من المواقف اللفظية الاسقاطية تتضمن كل مجموعة من المواقف عددا من المشكلات ذات طبيعة واحدة يتطلب كل منها حلولا ممكنة . ويعبر كل حل عن قيمة معينة . ويعكس اختيار الصبى للحلول المفضلة عن توجيهات القيم المفضلة عنده ، والتى تكون جانبا من شخصيته ، ونحن نسعى من ذلك الى تدعيم علم اجتماع الطفل ببعض النتائج التى استقرئت من الواقع المصرى .

---

(١) يبدأ طور الصبا من سن السادسة الى سن الثانية عشرة ، وهو طور يسبق طور البلوغ والمراهقة .

2. Dewey Richard : An introduction to social psychology. By Richard Dewey and W.J. Humber, second edition. N.Y. Macmillan Com 1967 P. 495.

أولا : التقدير المثالى للبطولة والأفعال الخارقة :

(بطولات فردية ـ بطولات جماعية ـ لا بطولة)

وفى البداية وانطلاقا من الظروف الراهنة التى يعيش فيها مجتمعنا ، رأينا أن نستقصى مدى وعى الصبية بأنواع البطولات المفضلة لديهم وتقديرهم المثالى للأفعال التى تتطلب التضحية . والبطولة كما يقول كلاب أورين ليست تصورا فرديا ـ بل هى تصور جماعى(١) . وخلق البطل عملية جماعية لا ارادية تنشأ نتيجة تجارب اجتماعية يمر بها الفرد البطل كما أن الأشخاص يسترجعون فى ذاكرتهم أثناء النشاط اليومى نماذج سلوك الأبطال التى يجب الاقتداء بها باعتبار أن البطولة ترتبط عادة بالتضحية بالذات فى سبيل الآخرين أو فى سبيل مبدأ معين .

وتؤكد جرسيلد أن اختيار الطفل لنوع البطل يبصرنا بنوع القيم التى يؤمن بها الطفل والتى تحدد سلوكه . فاعجاب الطفل ببطولة معينة يدل على تفضيله لأفعال معينة وانجذابه نحوها ، ونفوره من أفعال أخرى واستهجانها(٢) .

وقد عرضنا على الصبية مجموعة من المواقف تتطلب التضحية وتتنازع فيها الحلول الممكنة . وقد حصرنا الحلول المفضلة عن البطولة فى ثلاثة اهتمامات : بطولة جماعية تؤمن بالتضحية من أجل الآخرين ، أو بطولة فردية يؤمن صاحبها بأداء الفعل للحصول على نصر شخصى سعيا وراء نفع خاص ، أو الحل الهروبى من المواقف واللامبالاة بالنتائج كارها البطولة وما يرتبط بها من سلوك .

وفى هذا الشأن حاولنا فى الموقف الأول أن نعرف تقدير البطولة عند الصبية اذا رأى الصبى طفلا يغرق فى البحر - وتباينت فى هذا الموقف تصرفات رفاقه الذين يجيدون السباحة فأولهم يحرص على بطولة الكأس ويخشى التعب خوفا من ضياع بطولة مرتقبة ، والثانى يلجأ الى عامل الانقاذ ، وثالث يجازف بنفسه مضحيا من أجل انقاذ الغريق .

---

1. Klapp Orrin : Heroes, villians and fools as agent of social control. A.S.R. Vol. 19, 1954, PP. 56-62.
2. Jersid, R.J. : Child Psychology. 4th edition. N.Y. Prentice Hall 1954 P. 434.

أما الموقف الثانى فيحكى قصة البطل الفدائى فى بورسعيد الذى سقط برصاص الانجليز فى حرب ١٩٥٦ • وحاولنا أن نعرف فى هذا الموقف هل يتعاطف الصبى مع هذا البطل الذى استشهد ، أم يرى أن العمل الفدائى عمل مقصور على الكبار وعليه أن يتفوق فى دروسه أو يتقبل الهزيمة •

وكان الموقف الثالث عن مشكلة تتنازع فيها الآراء حول قيمة البطولة الفردية فى الرياضة ، والبطولة الايجابية التى تبغى نفع الآخرين والتضحية من أجلهم ، أم الاعتراف بالقصور عن ادراك البطولة فى شتى المجالات •

وفى الموقف الرابع حاولنا أن نعرف موقف الصبية من قضية العمل الفدائى الفلسطينى ، وآراءهم عن الطفلين اللذين غامرا بحياتهما وحاولا نسف الفندق الذى يقيم فيه الحاكم الاسرائيلى للقدس • وتباينت الحلول الممكنة فى هذا الموقف بين حل ينكر تطرف هذين الطفلين ويرى أن البطولة تنحصر فى المجالات التى يتحقق فيها النجاح الشخصى ، وحل ثان يؤكد التضحية بالنفس والاعجاب بالانتصارات التى يحققها الفدائيون ، وحل ثالث ينكر البطولات ويعبر عن الانهزامية والخوف من القوى الغاشمة •

وكان الموقف الخامس مجالا يدعو الطفل الى الاختيار بين أبطال لعبات رياضية فردية ، وأبطال خرافيين تروج لهم الأفلام السينمائية والمجلات التى تقع بين أيديهم ، وبين أشخاص ينكرون أنفسهم ويضحون بحياتهم فى سبيل المجتمع •

ولقد حاولنا أن نعرف تكرار توجيهات القيم التى ترتبط بالتضحية والفعل الخارج من أجل الجماعة أو القيم التى تؤكد البطولة الفردية أو التصرفات التى تؤكد الهروب من الموقف لنعرف مدى توحد الصبى بنوع محدد من البطولات أو تباين توجيهات القيم التى تحكم سلوك الصبى فى المواقف التى تتطلب أفعالا خارقة كما يوضح لنا ذلك جدول رقم (١) •

جدول رقم (١)

تكرار المواقف التى ترتبط بالتقدير المثالى للافعال الخارقة

التكرار توجيهات القيم	بطولة فردية	هروب من البطولة	بطولة جماعية
لا يوجد	١٠٧	٧١	٥
مـــرة	٦٨	٨٢	١٣
مرتان	٢٨	٣٧	٢٤
ثلاث مرات	٥	٦	٤٧
أربع مرات	١	٣	٧٥
خمس مرات	صفر	١	٣٦
المجموع	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠

وتظهر لنا الاجابات المبينة فى الجدول رقم (١) تباين توزيع عـــدد التكرارات لكل قيمة من قيم البطولات الفردية والبطولات الجماعية والقيم التى تدعو الى الهروب من الموقف ٠

وتوضح لنا الاجابات أن ما يقرب من نصف الصبية يرفضون البطولة الفردية فى كل المواقف ٠ كما نجد ما يقرب من الثلث يكفر بمبدأ الهروب من الموقف والاعتراف بالقصور والعجز ، وتتدنى هذه النسبة الى ما يقرب من ٥ر٢٪ عند الصبية الذين ينكرون البطولة الجماعية فى كل المواقف ٠ هذا من جانب ، ومن جانب آخر نجد أن ما يقرب من خمس الصبية يتوحدون بقيم محكمات تؤكد البطولة الجماعية ٠ وتكشف الدراسة أن هؤلاء الصبية يحكم سلوكهم القيم التى تمجد البطولات الجماعية والايجابية فى كل المواقف ولا يؤمنون الا بها ٠

وتظهر لنا الاجابات الموضحة فى الجدول السابق تباين توزيع المعانى الممكنة لتقدير الأفعال الخارقة وعدم تجمعها أو تبلورها حول سلوك محدد

فى كل المواقف • فالصبية يعانون الكثير من الازدواج بين المعانى المختلفة لمفهوم التضحية من أجل الآخرين اذ يكشف هذا الجدول أن ما يقرب من أربعة أخماس الصبية يتوحدون مع معان مختلفة للقيم التى ترتبط بالافعال الخارقة والتضحية • وتظهر لنا الدراسة شدة اعجاب الصبى ببطولة الفدائى أو ما يطلق عليه البطل المنقذ ، ومعايشة الصبى لأحداث المجتمع وزيادة اهتمامه بالعالم (١) الذى يستقى منه ابطاله •

ومهما كان الدافع الى اختيار الأبطال فان الأبطال الذين اختارهم الصبى يعكسون الى حد كبير القيم المتعددة لمعانى البطولات التى أدمجت فى شخصياتهم • ويرجع هذا التعدد لمعانى البطولات فى نظرنا الى تباين المواقف الأسرية والمواقف المدرسية من تقدير الافعال والانجازات التى تتطلب التضحية •

ثانيا ـ طبيعة علاقة الصبى بالآخرين (أنانية • غيرية) :

ان الايمان بالغيرية يعنى المشاركة الايجابية مع الآخرين ، والايمان بالجماعة والتعلق بها • أما الأنانية فتعبر عن عجز الطفل عن الارتباط بالجماعة ، وهى مظهر من مظاهر الانطواء على الذات والانفصال عن الواقع الاجتماعى • ويبدو فيها الصبى كما لو كان مكتفيا بذاته منكبا عليها عاجزا عن الانطلاق الى الجماعة والاندماج فى علاقات مع الغير (٢) • ولذا واجهنا الصبية بمجموعة من المواقف ليدرك قوة توحدهم مع القيم التى تؤكد المشاركة أو القيم التى تمجد الذات وتكره الجماعة وتحض على الأنانية •

وفى الموقف الأول عرضنا على الصبية موقفا يتطلب ذهاب بعض الطلبة فى العطلة لصيفية الى الريف للمساهمة فى مشروعات الخدمة العامة ، وواجهوا مجموعة من الاتجاهات بعضها يدعو الى البقاء فى المدينة والاستمتاع بالأجازة وكراهية خدمة الجماعة ، والبعض الآخر ينادى بالذهاب الى القرية والمشاركة فى خدمتها •

وفى الموقف الثانى تعرض الصبية للحكم على سلوك زملاء لهم فى

---

1. Jersild R.J. : Ibid. P. 434.
2. Durkhiem Emile : L'éducation morale. Nouvelle édition. Paris. Librairie Félix Alcan 1938 P. 70.

مواقف اللعب كان أحدهم يبغى اللعب بمفرده والآخر يود المشاركة فى اللعب معه ٠

وفى الموقف الثالث واجه الصبية موقفا يتعلق بالحكم على سلوك زميلين لهم أحدهما يحب نفسه والآخر ربط نفسه بحب الآخرين ٠

ولقد حاولنا أن ندرس تكرار توزيع القيم التى تؤكد الغيرية أو الانانية فى المواقف الثلاثة عند الصبية كما يؤكد ذلك الجدول رقم ٢ ٠

جدول رقم (٢)

تكرار قيم الغيرية والأنانية

التكرار توجيهات القيم	أنانية	غيرية
لا يوجد	١٥٨	١
مرة واحدة	٣٢	٩
مرتان	٩	٣٢
ثلاث مرات	١	١٥٨
المجمـــــوع	٢٠٠	٢٠٠

ه والنظرة الى جدوغ (٢) تجعلنا ندرك اختلاف سلوك الصبية فى المواقف المختلفة وعدم استقطاب سلوك الصبية نحو القيم التى تؤكد حب الذات فقط أو المشاركة والغيرية ، وتكشف لنا الاجابات أن أربعة أخماس الصبية ينبذون القيم التى تمجد الأنانية فى جميع المواقف ٠ وتحكم سلوكهم فى جميع المواقف القيم التى تؤكد المشاركة والغيرية ٠ وتصدر تصرفاتهم عن القيم التى تؤكد حب الناس والتعاطف معهم ٥ وتبين لنا البيانات التى حصلنا عليها أن حوالى خمس الصبية يحكم سلوكهم مزيج من القيم التى تؤكد حب الذات وحب الآخرين ٠

وتكشف لنا الدراسة أن القيم التى تمجد الغيرية أكثر قبولا عند الصبية ، اذ أن الطفل يخاف من النبذ ، ويرغب دائما تبادل العلاقات مع

الرفاق والتعاطف معهم (١) وهذه الرغبة تتكون فى علاقاته المنزلية وتظل باقية عنده خارج البيت وتنعكس فى علاقاته مع الآخرين ·

ونرى أن حب الانتماء وكراهية العزلة هما الدافع الأساسى لتوحد الصبى مع القيم التى تؤكد المشاركة والغيرية · وهذا التعاطف نحو القيم الغيرية دليل على أن الأنانية المطلقة ظاهرة نادرة فى عالم الصبية ، لأن الأنانية تعبير عن تخلى الصبى عن طبيعته الاجتماعية · فالصبى بطبيعته مازال يميل الى الانجذاب الى الجماعة ، كما أن الأبناء الذين يدمغ سلوكهم بالأنانية المطلقة ، فهذا يعنى بلغة دور كيم عدم انجذابهم الى الجماعة (٢) ودليل على تفكك بناء الأسرة وعدم الانسجام بين العلاقات الاجتماعية ·

والآن وبعد أن اختبرنا طبيعة علاقات الصبية مع الآخرين نبحث موقف الصبى من الحقيقة واتجاهاته نحو الصدق والكذب ·

ثالثا : التوجيه نحو الحقيقة (الصدق ـ الكذب) :

يرى عالم النفس بياجيه أن الميل الى الكذب ميل طبيعى وتلقائى عند الطفل ويحتل الكذب جزءاً كبيرا من تفكيره بتصد تحريف الحقيقة (٣) ، ولكننا لا نقر بياجيه على نعت الصبى بالخيال الجامح والفشر ، فالصدق والكذب ليسا ميولا طبيعية بل هما قيمتان أخلاقيتان · فالكذب تعبير عن عدم مطابقة أقوال الصبى للواقع الاجتماعى ومحاولته اخفاء الحقيقة · ويبدو الكذب أكثر ما يبدو فى المواقف التى يبدى فيها الصبى سوء التصرف ازاء الاخرين · هذا التصرف الذى يثير الغضب عند الكبار نتيجة اهمال أو قصور عن أداء الفعل أو العصيان عن الاداء · ولكن عن طيب خاطر منه · وتؤكد أساليب التربية دائما فى كل الثقافات الصدق كقيمة عليا ، وتستهجن الكذب ، ولذا فان هدفنا من مجموعة المواقف الآتية التى تتعلق بالصدق والكذب ، بيان مدى تحكم هذه القيم فى توجيه سلوك الطفل وضبط علاقاته مع الآخرين فى مجتمع متغير ·

---

(١) Parrons, T. : Family, socialization and interaction process. By T. Parsons and Robert F. Bales. Free Press 1955 P. 261.

(٢) Durkhiem, E. : L'éducation morale. op. cit. P. 70.

(٣) بياجيه جان : الحكم الخلقى عند الاطفال · ترجمة محمد خيرى حربى · القاهرة · مكتبة مصر ١٩٥٦ ·

وفى هذا الشأن حاولنا أن نعرف فى الموقف الأول تصرف الأبناء ازاء طفل حاول اخفاء الحقيقة عن الام . وكان الموقف الثانى عن تصرف الصبى نحو طفل حاول الكذب على مدرسة .

وحكى الموقف الثالث قصة طفل حاول أن يغش أشخاصا غرباء لا سلطة لهم عليه .

ولقد حاولنا أن ندرس تكرار مواقف الصدق والكذب عند الابناء لنعرف مدى التزامهم بالصدق أو الكذب كما هو موضح فى جدول (٣) .

جدول (٣)
تكرار مواقف الصدق والكذب

التكرار توجيهات القيم	صدق	كذب
لا يوجد	٣	٨٧
مـــرة	٤٣	٦٧
مرتان	٦٧	٤٣
ثلاث مرات	٨٧	٣
المجمـــــوع	٢٠٠	٢٠٠

وتكشف الاجابات المبينة فى الجدول السابق عن وجود اتجاه قوى نحو الصدق عند الصبية ، اذ نجد حوالى خمس الصبية لا يكذبون اطلاقا فى جميع المواقف . بينما نجد ما يقرب من ١ر٥٪ من الصبية يستبعدون الصدق من جميع المواقف . وهذا يعنى أن الاقتراب من الصدق كقيمة عليا قوى جدا ، كما تكشف لنا البيانات أن ما يقرب من نصف الصبية توحدوا فى آن واحد بقيم تؤكد الصدق وقيم أخرى تؤكد الكذب .

وتكشف لنا الدراسة أن أغلبية الصبية أشد توحدا مع القيم التى تؤكد الصدق ، وأن كثيرا من الصبية يتوحدون مع مزيج من القيم التى تؤكد الصدق والكذب . كذلك كشفت لنا الدراسة تفاوت تقدير الصبيةللصدق والكذب بتغير السلطة . ويرى بارسونز أن الأطفال لديهم قابلية ملحوظة لغش وخداع الآخرين الذين ليس لديهم السلطة للحكم عليهم وعقابهم (١) .

ولقد أبانت التعليقات التى ذكرها الصبية عن أسباب اختيارهمللمواقف التى تستلزم الصدق ، عن الجذور العميقة لأساليب التنشئة الاجتماعية فى مجتمعنا ، ومفهوم التربية داخل الاسرة . وكانت التعليقات تتبلور فـــى الاتجاهات التالية .

« الكذب هو الشيطان » .

« لا أكذب خوفا من ربنا »

« يجب أن اصارح بكل شيء ولا أرتكب خطيئة »

«عقاب ربنا أقوى من عقاب المدرسة »

«لا أكذب على أمى » .

وتكشف لنا هذه التعليقات أن الاسرة قد ربطت الكذب بصفته سلوكا خاطئا بالعقاب الالهى باعتباره شيئا من المحرمات الالهية . وهذا يوضح لنا أن التربية الاخلاقية فى مجتمعنا تستمد جذورها من الدين كعامل للرهبة والنهى عن الفعل ، كذلك يظهر لنا أن أخلاقنا تقوم على العاطفة والتجربة لا على الايمان العقلى ، فالطفل فى مجتمعنا لا يحترم القانون الاخلاقى فى ذاته (٢) ولا يمارس الواجب لذاته بل يعتنق الصدق وينفر من الكذب خوفا من العقاب الالهى . كذلك يظهر لنا أن الأسرة لم تهتم أبدا بنتيجة الكذب والعمل المصاحب له بقدر ما اهتمت بنهى الابن عن الكذب على أشخاصها والأشخاص المماثلين لها فى السلطة . وهذا يجعلنا نصف الاخلاق فىمجتمعنا ازاء الصدق والكذب فى هذا الطور بأنها أخلاق الرهبة والخوف وليست أخلاقا تعتمد على دعامة العقل .

---

1. Parsons T. : Family, Socializa tion and interaction process, op.cit. p. 251.

(٢) السيد محمد بدوى : الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع . الاسكندرية ، دار المعارف ١٩٦٧ ، ص ٨٧ ـ ١٠١ .

والآن بعد أن تعرضنا لتوجيهات الصبية نحو الحقيقة ندرس توجيهات الصبية نحو الارتباط بالآخرين ٠

رابعا ـ مثال الارتباط بالغير (تعاون ـ لا تعاون) :

يعنى الايمان بالتعاون تعود الصبى على الأخذ والعطاء والبعد عن العزلة والايذاء ٠ والقيم التعاونية تضغط بكل قوتها على الفرد لكى يوجه سلوكه الى خدمة الجماعة ٠ والتعاون كقيمة اجتماعية ضرورية فى المجتمع تعنى تبادل الخدمات والاستفادة من تجارب الآخرين وتضافر الجهود وترابطها من أجل عمل مشترك أيا كان هذا العمل سواء أكان عملا رياضيا أو اقتصاديا أم سياسيا أم عسكريا ٠ وقيم التعاون باعتبارها عنصرا أساسيا من عناصر الشخصية ليست عناصر وراثية لدى الصبية لكنها تتكون نتيجة الممارسة لفترة طويلة يتعود عليها الطفل قبل أن تظهر نتائجها فى سلوكه ٠ والسلوك التعاونى من الشخص طفلا كان أم صبيا أم راشدا يعنى ادراك الطفل لذاته والجماعة وبداية الحياة الجمعية عند الشخص وايمانه بأن التعاون فى كافة المجالات يعنى زيادة الجهد والطاقة ٠

وازاء ذلك واجهنا الصبية بمجموعة من المواقف التى تكشف لنا قوة ادماج القيم التى تؤكد التعاون لدى الصبية أو النفور منه ٠

وكان الهدف من الموقف الأول بيان مدى الايمان بالتعاون فى مجال الاقتصاد والايمان بالتعاونيات الاستهلاكية التى تبيع البضائع بأسعار رخيصة أقل من أصحاب المتاجر الخاصة التى تسعى وراء الربح لمحاربة الجشع ومعرفة مدى توحد الصبية مع القيم التى تؤكد أن النظام التعاونى يقدم لنا مزايا معينة أو توحده مع القيم التى تؤكد عدم التعاون والبيع الحر ٠

أما عن الموقف الثانى الذى يحكى قصة حريق فى القرية فيهدف الى بيان مدى توحد الصبية مع القيم التى تقصد التعاون فى العمل والتساند جنبا الى جنب أو القيم التى تدعو الى اللامبالاة وعدم التعاون عند مواجهة المشكلات ٠

ويحكى الموقف الثالث قصة تدعو الى الايمان بالتعاون بين الشعوب كقيمة عليا لمواجهة الخطر باستخدام المميزات المتوافرة عند كل شعب من أجل تحقيق امكانية التعاون والتساند ٠ وحاول هذا الموقف أن يعرف مدى توحد الصبية مع القيم التى تؤكد الترابط بين الجماعات أو عدم الايمان بين الجماعات والاتجاه الى السلوك الفردى اللاتعاونى ٠

وقد حاولنا أن نعرف مدى قوة توحد الابناء مع القيم التعاونيـــة أو اللاتعاونية ومدى تكرار القيم التى تؤكد التعاون أو اللاتعاون فى المواقف المختلفة · كما يظهر لنا ذلك جدول (٤) ·

جدول (٤)

تكرار المواقف التى تؤكد التعاون أو اللاتعاون

التكرار توجيه القيم	تعـــاون	لا تعاون
لا يوجد	٢	١٥٨
مـــرة	١٣	٢٧
مرتان	٢٧	١٣
ثلاث مرات	١٥٨	٢
المجموع	٢٠٠	٢٠٠

ويظهر لنا الجدول أن حوالى خمس الصبية يعانون من ازدواج القيـــم التعاونية واللاتعاونية المدمجة فى شخصياتهم · ولا نجد آلا صبيين ينفران من التعاون فى كل المواقف ، ونجد ما يقرب من أربعة أخماس الصبية يحكم سلوكهم فى كل المواقف القيم التعاونية ·

ومن هذه الدراسة لتوجيهات الأبناء نحو قيم التعاون نقرر أن الطفل يميل الى التعاون أكثر من ميله الى الفردية والانفصال · ومن ثم فالسلوك التعاونى كظاهرة شائعة عند الصبية يرفض الاتجاه الذى يتضمن تأكيد الذات على حساب الآخرين ، ولا شك أن ادماج قيم التعاون فى المجـــالات المختلفة ينمى لديهم القدرة على الارتباط بالجماعة ويربطهم بالعالم الاجتماعى ارتباطا وثيقا ، فالطفل الذى يتوحد بالقيم التى تؤكد التعاون يعنى بشخصيته كوحدة منفصلة ، وفى الوقت نفسه يعنى أنه مازال جزءا من عالم كبير عليه أن يرتبط به ويعتمد عليه ويساهم فى خدمته ·

والآن وبعد أن عرفنا اتجاهات الصبية نحو التعاون والبذل من أجل

الآخرين ، نحاول أن نختبر اتجاهات الصبية نحو الواجب فى مجتمع متغير ٠

خامسا : التوجيه الى أداء الواجب (مسئولية جماعية - مسئولية فردية - هروب من المسئولية) :

ان قبول المسئولية يعنى احترام النظام والخضوع للقواعد الاجتماعية التى يفرضها المجتمع ٠ بينما رفض المسئولية يعنى عدم الالتزام بسلوك معين والخروج عن الالتزامات المألوفة التى تفرض نوعا من السلوك انما هو اعتراف ضمنى بعدم القدرة على الاداء والاندماج فى الجماعة ، وتعبير عن الخوف من الفشل ، وعدم الارتباط بالجماعة ٠ أما المسئولية فتعنى القدرة على تحمل نتائج الافعال ، وفى الوقت نفسه تعنى شعور الشخص بالطمأنينة من الجماعة أثناء مواجهته للسلطة أكثر من شعوره بالخوف والتهديد ٠

وفى مجتمع يبغى تحقيق السلوك الجماعى فى كافة أوجه النشاط حاولنا أن ندرك من تحليل مجموعة من المواقف مدى توحد الصبية مع القيم التى تؤكد المسئولية الجماعية أو المسئولية الفردية أو الهروب من المسئولية ٠

ويكشف لنا الموقف الأول عن توجيهات القيم المفضلة عند الصبى والتى تعكس أفكاره عن تحمل نتائج السلوك المرغوب عنده ، اذا طلب منه اصدار رأيه على اخوة ثلاثة حطموا بعض الاوانى أثناء غياب الأم ٠ أحدهم اعترف بمسئوليتهم جميعا فى أداء الفعل ، والثانى أعلن مسئوليته وحده عن ارتكاب ما حدث ٠ أما الثالث فانكر وأعلن عدم اشتراكه فى الفعل والقى التبعة على اخوته ٠

ويحكى الموقف الثانى قصة طفل كان يلعب بطائرة مصنوعة من الورق على شاطىء البحر مع بعض رفاقه ، ولكن الطائرة أمسكت بأسلاك الكهرباء وقطعت التيار الكهربائى عن الحى ٠ فما هو الحكم على تصرف الصبية ٠ هل يؤيد المسئولية الجماعية فى تحمل العقاب ، أم أن صاحب الطائرة هو المسئول وعليه أن يتحمل العقاب ، أم كان عليهم جميعا أن يهربوا قبل أن يمسك بهم ٠

ويسرد الموقف الثالث حوارا بين مجموعة من الناس امتلأ الشارع الذى يقطنونه بالقاذورات ٠ وغلب على الحوار ثلاثة اتجاهات : الاتجاه الاول يرى ضرورة اشتراك شبان الحى فى كنس الطريق ، واتجاه يرى أن تترك مهمة

التخلص من القاذورات الى السكان أنفسهم وكل شخص مسئول عن النظافة أمام منزله ، واتجاه ثالث يرفض مسئولية المواطنين فى تنظيف الشوارع ٠

وقد حاولنا أن نعرف هل يتوحد الصبية مع توجيه واحد من القيم التى تتعلق بأداء الواجب أم يتوحدون مع توجيهات متعددة ازاء القيم ألتى تحكم أداء الواجب ٠

جدول (٥)

تكرار توزيع القيم المرتبطة بأداء الواجب عند الصبية

التوجيه / التكرار	مسئولية جماعية	مسئولية فردية	الهروب من المسئولية
لا يوجد	١٤	٨١	١٢٧
مرة	٥٢	٦٤	٥٨
مرتان	٩٢	٢٣	١٢
ثلاث مرات	٤٢	٢	٣
المجموع	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠

وتوضح الاجابات التى حصلنا عليها والموضحة فى الجدول السابق ، أن ما يقرب من ٧٪ من الصبية ينفرون من القيم التى تؤكد المسئولية الجماعية فى كل المواقف ٠ كما يكشف لنا البحث أن ما يقرب من ثلثى الصبية يرفضون الهروب من المسئولية فى كل المواقف ، كما نجد ما يقرب من خمسى الصبية يستبعدون القيم التى تؤكد المسئولية الفردية ، ولكننا فى الوقت ذاته نجد أن ما يقرب من خمس الصبية يتوحدون بقيم محكمات تؤكد المسئولية الجماعية فى كل المواقف ٠ كما أن ما يقرب من ثلاثة أرباع الصبية يتوحدون مع قيم متشابهات ازاء أداء الواجب ٠ فهم يتوحدون مع قيم تؤكد المسئوليةالجماعية والمسئولية الفردية والهروب من المسئولية فى آن واحد ٠

ويمكن أن نخلص من دراسة المواقف المرتبطة الواجب الى أن الصبى يتجه أتجاها قويا نحو التوحد مع القيم المرتبطة بالمسئولية الجماعية • فتقبل مسئولية العمل الجماعى وتوحد الأبناء مع هذا النوع من القيم وسيلة الى تحقيق تكامل النسق والمحافظة على هذا التكامل • ويؤدى تكامل النسق الى أداء الفعل واستمرار العمليات داخل النسق (١) » واذا كان الصبية يتوحدون مع القيم الوليدة التى تؤكد المسئولية الجماعية والبطولة الايجابية والتعاون فما قوة توحدهم مع القيم التى تؤكد المحافظة على الملكية العامة أو الخاصة •

سادسا ـ تقدير الصبية للملكية (الممتلكات العامة ـ الممتلكات الخاصة) :

واذا كان الاشتراكيون يرون أن القيم التى تمجد الممتلكات العامة أو المحافظة عليها ضرورية لتنظيم العلاقـــات الاجتماعية ، فان عالم ا لنفس الامريكى جوردن ألبورت يرى أن الشعور بالملكية الخاصة يبدأ بمرحلة انطلاق الذات (٢) وهى مرحلة تبدأ فى الطفولة المبكرة • وقد ربط البورت الملكية الخاصة بحب الذات وتوكيدها فقط دون اهتمام بعلاقات المرء بالجماعة • وهذه النظرة تعكس ظروف المجتمع الرأسمالى • ولكننا لا نقر البورت فيما ذهب اليه ونقرر أن الشعور بالذات هو شعور بالجماعة وايمان بأن الشخص لا ينفصل عن البناء • وأن الشعور بالملكية العامة واحترامها يرتبط بالشعور بقوة الارتباط بالجماعة • كما أننا نرى أن الملكية والشخصية ترتبطان معا • فالملكية تحدد جانبا كبيرا من الارتباطات الاجتماعية ، كما أن الشخصية هى مجموعة العلاقات الاجتماعية المميزة لطريقة معينة من طرق الانتاج •

وفى فترة التحول الاشتراكى حاولنا أن نعرف مدى الايمان بالقيم التى تمجد المحافظة على الممتلكات العامة واحترامها ، هذه القيم التى يلعب المنهج المدرسى دورا كبيرا فى تأكيدها • والقيم التى تمجد المحافظة على الممتلكات العامة تعنى أن الكل مرتبط بالمجتمع ويحافظ عليه • كما يصبح الشعور السائد هو الشعور بأن المجتمع يكفل الرعاية لافراده • فالايمان بالملكية العامة والمحافظة عليها ايمان بأن ثمرة العائد من العمل يعود على الجميع، وليست هذه

---

1. Allport Gordon : The Functional Imperative. In Black Max (ed) The social theories of T. Parsons. New Jersey. Englewood. Prentice Hall. 1961. P. 118.
2 Allport Gordon : Pattern and growth in personality. N.Y. Holt Rinehart & Winston 1961. P. 122.

القيم وراثية بل مكتسبة ، وتدمج فى الشخصية أثناء نموها ٠

ولقد حاولنا أن نعرف مدى توحد الصبية بالقيم التى تؤكد احترام المتلكات العامة أو احترام المتلكات الخاصة فى مرحلة التحول الاشتراكى ٠ ولذا واجهنا الصبية بمجموعة من المواقف التى تكشف عن مدى ايمانهم بالقيم التى تؤكد المحافظة على الممتلكات العامة أو القيم التى تؤكد المحافظة على الممتلكات الخاصة ٠

وسرد الموقف الأول تصرفات بعض الصبية أثناء زيارتهم لحديقة الحيوانات فحاول بعضهم العبث بزهور الحديقة وخلع الأشجار الصغيرة بينما رفض الآخرون هذا التصر فوطالبوا بضرورة المحافظة على جمال الحديقة ونظافتها لأنها ملك للجميع ٠

وعبر الموقف الثانى عن سلوك مجموعة الصبية عندما قذف أحدهم أحد المصابيح الموجودة فى الطريق بالحجارة فحطمه ، وانقسامهم الى فريقين ، فريق استنكر هذا السلوك لأن فائدة المصابيح تعود على الجميع وينبغى المحافظة عليها ، وفريق وقف موقف اللامبالاة وكأن شيئا لم يحدث ٠

وعرض الموقف الثالث لقصة تحكى الاستغلال السىء لمرافق المياه وانقسام المستمعين ازاء هذا التصرف الى فريقين : فريق يؤكد الضرر الواقع على المجتمع نتيجة عدم الاهتمام باستهلاك المياه ٠ وفريق يتندر على هذه المشكلة ويقف منها موقف اللامبالاة ٠

ولقد حاولنا أن نعرف مدى تبلور وتماسك القيم التى تؤكد الملكية العامة أو الخاصة باعتبار أن هذه القيم عناصر أساسية لتوجيه سلوك الشخصية ٠ وأن نعرف مدى تكرار القيم التى تؤكد احترام الممتلكات العامة أو التى تؤكد احترام الممتلكات الخاصة فى المواقف المختلفة كما يعبر فى ذلك جدول رقم (٦) ٠

جدول (٦)

تكرار تقدير الصبية للمتلكات العامة أو الخاصة

التكرار / التوجيه	ممتلكات عامة	ممتلكات خاصة
لا يوجد	٥٦	٤٧
مرة	٤٤	٥٣
مرتان	٤٤	٥٣
ثلاث مرات	٥٦	٤٧
المجموع	٢٠٠	٢٠٠

وتكشف لنا الدراسة أن ما يقرب من ربع الصبية يتوحدون بقيم تؤكد المحافظة على المتلكات العامة وحدها ، وأن الربع الثانى من الصبية يتوحد بقيم تؤكد المحافظة على المتلكات الخاصة دون غيرها • كما تبين لنا اجابات الصبية أن ما يقرب من نصفهم يتوحدون بقيم متشابهات تؤكد المحافظة على المتلكات العامة والمتلكات الخاصة معا • هذا الازدواج فى القيم التى تؤكد الملكية العامة والخاصة يؤكد لنا أن الجذب الاشتراكى ما زال ضئيلا وأن أساليب التربية لا تهتم بتلقين الأبناء أهمية رعاية ممتلكات الاخرين والمحافظة عليها •

ونخلص من هذه الدراسة لتوجيهات قيم الملكية ، أن القيم التى تؤكد المحافظة على المتلكات العامة لازالت واهية ، ولم تصبح بعد قيما راسخة فى بناء شخصية الصبية • كما أن القيم التى تؤكد المحافظة على المتلكات الخاصة دون غيرها بدأت تهتز •

والآن وبعد أن تكشف لنا تقدير الصبية للقيم التى تحكم الملكية تحاول أن نختبر مفهوم الزمان المفضل عندهم •

سابعا : التوجيه نحو الزمان (الماضي ـ الحاضر ـ المستقبل) :

تصنف علاقات الانسان مع الزمان الى أزمنة ثلاثة : الماضى : الحاضر : المستقبل • وهناك تفسيرات متباينة بشأن علاقة الانسان بهذه الازمنة • وقد قال الانثربولوجيون أن أفراد المجتمع البدائى لا شعور لديهم بأهمية الزمان ، وقال بعض الاجتماعيين أن الزمان له قيمة هامة فى المجتمع الحضرى ويكون بعدا هاما من أبعاد البناء الاجتماعى • كذلك تتباين نظرة الاجتماعيين فـى تفسيرات اتجاهات الانسان الى زمان معين والارتباط به • فهناك من يرى أن الانسان يتجه الى زمان محدد معين ويغفل الاتجاهين الآخرين • وهناك من يرى رأى شبنجلر أن الانسان يرتبط بالأزمنة الثلاثة • بيد أن هذا الارتباط الوثيق بزمان معين من هذه الأزمنة هو ما يحدد ثقافة ما ويميزها عن الثقافات الأخرى • ويرى جرو فيتش أن مفهوم الزمان يتغير فى المجتمع الاقطاعى عن المجتمعات القديمة والرأسمالية والاشتراكية النامية والصناعية والزراعية (١)، ولذا يتباين معنى الزمان من مكان لآخر • ومن زمان لزمان •

ولقد حاولنا أن نعرف الزمان المفضل عند الصبية فى مجتمع متغير • وهل يتوحدون مع مفهوم واحد للزمان أم مع أزمنة متعددة لأثر ذلك على سلوكهم وانجازاتهم •

وحاولنا فى الموقف الأول أن نعرف تقدير الصبى لثلاثة من رفاقه أحدهم يمجد الماضى ويفخر بالتراث ويعتز به ويرى ضرورة الرجوع اليه ، والثانى يقدر الحاضر ويرى أنه أفضل من المستقبل ويخشى من عواقب التقـــــدم التكنولوجى ، أما الثالث فيثيره المستقبل ويرى ضرورة السعى الى تغيير الحاضر وبناء مجتمع تحكمه الآلة •

أما الموقف الثانى فيكشف عن اتجاه الصبى من تغيير القرية والحلول المرتبطة بأحوال القرية على لسان ثلاثة أشخاص • أولهم يرى ضرورة عودة عجلة الزمان الى الوراء لاستغلال الفلاح ووضع القرية فى خدمة سكان المدينة، والثانى يرى أن حال القرية الحاضرة لا بأس بها وعليه فلا ضرورة للانفاق على القرية أكثر من ذلك ، أما الثالث فيرى ضرورة الاهتمام بتحسين القرية وادخال الآلات الصناعية اليها •

---

1. Gruvitch George : social structure and Multiplicity of time In Tiryakian Edward (ed) Sociological Theory, values and sociocultural change. N.Y. Free Press 1963. PP. 174-184.

ويحكى الموقف الثالث حوارا بين الجدة التى تترحم على الماضى وسهولة المعيشة فيه ، وبين حفيدة تفضل الحاضر وتفتخر بانجازاته ، وبين حفيد يتطلع الى المستقبل ويطمع فى تغيير المجتمع ليلحق بالامم الناهضة ٠

جدول رقم (٧)

تكرار الأزمنة عند الصبية

التكرار/التوجيه	الماضى	الحاضر	المستقبل
لا يوجد	١٧٠	٣٤	٤٧
مـــرة	٢٤	٤٨	٨٥
مرتان	٥	٨٨	٤٠
ثلاث مرات	١	٣٠	٢٨
المجموع	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠

وتكشف لنا الاجابات المدونة فى جدول (٧) أن ما يقرب من أربعة أخماس الصبية ينفرون كلية من الارتباط بالماضى ، ولم يؤمن آلا صبى واحد بالماضى واعتز به اعتزازا شديدا أدى به الى الانفصال عن الحاضر وحجب المستقبل ، وتظهر لنا الاجابات أن ما يقرب من خمس ا لصبية لا يرتبطون بالحاضر بتاتا فى كل مواقفهم ولكنهم يترددون بين الماضى والمستقبل ٠ كما نلاحظ أن ربع الابناء لديهم نظرة تشاؤمية الى المستقبل فهم يرفضونه ، ولا يستطيعون عبور أحداث الواقع الى مستقبل أفضل ٠ وتظهر لنا الاجابات أن أقل من خمس الصبية يندمجون مع الحاضر اندماجا كبيرا وتستغرقهم أحداثه ولا تجذبهم توقعات المستقبل وبريقها ويديرون ظهورهم للماضى ٠ كما نجد ما يقارب هذه النسبة يأملون فى المستقبـــل ايمانا كليا ولا يرتبطـــون بالماضى وينفصلون عن الحاضر وهؤلا يؤمنون بالاستمرار والممكن والاقدام والتطلعات الى الأفضل والاختراعات وتنظيم الوقت بدلا من ضياعه ٠

ويكشف لنا التحليل أن الأزمنة الثلاثة تتداخل فى تكوين شخصية أغلب الصبية ٠ ويبين لنا أن الماضىعنصر يدخل ضمنالازمنة لعناصر الشخصية

ولكن الحاضر والمستقبل يتداخلان بقوة فى تكوين الاتجاهات الزمانية فى شخصية الصبى ، فالصبى يعرف فى البداية الحاضر ثم المستقبل وأخيرا الماضى (١) • وهذا التعدد فى الاتجاهات الزمانية يؤكد لنا أن كل اتجـــاه يرتبط بجانب معين من جوانب حياة الصبى وليست توجيهات الزمان المفضلة والمدمجة فى شخصية الصبى عناصر ثابتة جامدة ، بل هى عناصر متغيرة تتغير بتغير العمر والوظيفة والظروف الاخرى (٢) •

ثامنا ـ علاقة الانسان بالكون (الخضوع ـ السيطرة ـ الانسجام) :

تتباين علاقة الأشخاص مع الكون • فهناك أشخاص يؤمنون بالسيطرة الكاملة للكون على مقدرات الأفراد ، ويؤمن هؤلاء بالتواكل والاعتقاد بسيطرة القوى الخارجية على الشخص والشعور بالعجز المطلق أمام الظروف الغيبية ، وأن الانسان تحكم ظروفه وأحواله ظروف فوق ارادته ومشيئته ، كذلك يشعر بعض الأشخاص بالتوافق والاحساس بالتقارب بين القيم الدينية والقيم العلمية وأن الانسان والعالم يكمل كل منهما الآخر • وأن الانسان يكون مع العالم كلا متجانسا ، وأن كلا منهما امتداد للآخر ، كما أن كليهما محتاج للآخر يعتمد عليه كلية ، وهناك اتجاه ثالث فى علاقة الانسان والكون ، يؤكد ارادة الانسان المطلقةوايجابيته وقدرة الانسانعلى قهر الظروفالخارجية والسيطرة عليها بقدر ما يبذل من جهد وطاقة • وترى فلورنسى كلاكهون أن الخضوع يعنى ايمان الانسان بأنه مخلوق خاضع فى هذا العالم عبد فى هذا الكون لا يستطيع حتى أن يحمى نفســـــه من العواصف والكـــوارث ، ولا يستطيع أن يقهر مشكلات المجتمع ، وما عليه الا الاستسلام • كما تعنى السيطرة على حركة هذا العالم أنالانسان مخلوق قادر على صنع مستقبله ومواجهة الصعاب التى تواجهه والتغلب عليها ، وثالث هذه الحلول التكامل والانسجام مع أحوال العالم يكشف أن الانسان جزء متكامل مع العالم ، يعيش مستغرقا فيه ولا ينفصلعن الكون • وترى فلورنسى كلاكهون أن المجتمعات التى يغلب عليها الشعور بالخضوع هى المجتمعات البدائية التى يسودها الشعور الدينى ، أما المجتمعات التى يسودها الشعور بالسيطرة فتبرز فيها

---

1. Hurlock, B. Elizabeth : Child development 3th. N.Y. Magraw Hill. 1956. P. 383.
2. Walter Fiery : Conditions for the realization of values remote in Time : In Teryakian Edward (ed) : Sociological Theory, values and sociocultural change. op. cit. 147-150.

قيمة التقدم العلمي والايمان بالتكنولوجيا ، أما المجتمعات التي يسودها الشعور بالتكامل فهي مجتمعات تنتقل من البدائية الى عصر العلم (١) ٠

وقد حاولنا في دراستنا الميدانية أن نعرف توحدات الصبية مع القيم التي تؤكد التواكل أو القيم التي تؤكد الايجابية والسيطرة أو القيم التي تؤكد أن العلاقة بين الانسان والكون علاقة علية ٠ وهل يتوحد الصبية مع نوع واحد من القيم التي تكشف علاقة الانسان بالكون أم يتوحدون مع قيم متعددة متنافرة ٠

ولذا سردنا على الصبية بعض المشكلات التي تتضمن التوجيهات الثلاثة بعلاقة الانسان بالكون لنعرف الحلول المفضلة عندهم ٠

ويعبر الموقف الأول عن الحلول المفضلة عند الصبية اذا ضلت جماعة من الناس الطريق الى الصحراء ، فهل يصبرون حتى يجيء الفرج من السماء أم لا بد من التفكير والعمل السريع لكي يحافظوا على حياتهم ، أم يبحثون عن بئر ماء قبل أن يأتي الليل ليبقوا بجوارها لكي لا يموتوا ، حتى يجيء من ينقذهم ٠

وفي الموقف الثاني واجه الصبية موقفا يبرر فيه مجموعة من المزارعين الخير الذي عم عليهم وقد أرجعه بعضهم الى كرم السماء التي أعطتهم ما يريدون بينما أرجعه البعض الآخر الى تعبهم وكدهم ، أما الفئة الثالثة فردت هذا الخير الى العمل والتوفيق الالهي معا ٠

وسرد الموقف الثالث قصة جماعة من الصيادين تناقش ظروف الصيد ، وانقسموا فيما بينهم الى مجموعات ثلاث : مجموعة تؤمن بأن الظروف الخارجية أقوى من ارادة الصيادين وأنه لا قدرة للانسان عليها ، وفئة ثانية تؤمن بقدرة الانسان على قهر الطبيعة والتغلب عليها والسيطرة على ظروف البحر باستعمال وسائل الصيد الحديثة ، أما الفئة الثالثة فتؤمن بأن الانسان في حاجة الى القوى الخارجية لتحقيق نجاحه والحصول على ثمار جهده وأنه بدون التوفيق الالهي لن يحقق الانسان شيئا ٠

أما الموقف الرابع فعرض مناقشة بين التلاميذ عن أهمية الامطار لبعث

---

1 Kluckhoom Florence : Variation in value orientation op. cit.

الحياة فى الصحراء وعرض آراء جماعة ترى أن أهل الصحراء يخضعون تماما للظروف الجوية ، وأنه لا قدرة للانسان على التغلب على هذه الظـــروف وبدون الامطار تصير الصحراء جرداء كما كشف رأى جماعة ثانية تؤمن بقدرة الانسان الكاملة على قهر الظروف الطبيعية فى الصحراء واستغلال الطاقة الانسانية لتعميرها كما بين رأى ثالث يؤمن بقدرة الانسان المحدودة وضرورة التوفيق الالهى للنجاح ٠

أما الموقف الخامس فتجسم فى سؤال عن تفسير أسباب النجاح فى الدراسة فهل يرجع النجاح أو الفشل الى الظروف الالهية أم أن الانسان قادر على تحقيق أهدافه بقدر ما يبذل من جهد أم يرجع النجاح الى ما يبذل من جهد والتوفيق الالهى فى الوقت نفسه ٠

جدول رقم (٨)

تكرار القيم المفضلة ازاء علاقة الصبى بالكون

التكرار/التوجيه	خضوع	سيطرة	انسجام
لا يوجـــــد	٨٣	٩٢	١٠
مــــرة	٥٠	٥٢	١٣
مرتان	٣٦	٣٤	٥٧
ثلاث مرات	٢١	٢٧	٤٧
أربـــع مرات	٨	٣	٥٣
خمس مـــرات	٢	٢	٢٠
المجمـــــــوع	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠

وتكشف لنا البيانات الموضحة فى الجدول السابق أن معظم الصبية يتوحدون مع قيم متعددة تحكم علاقات الانسان بالكون ، اذ يتضح لنا أن حوالى ثمن الصبية فقط يتوحدون بنوع واحد من القيم التى تؤكد علاقـــة الانسان بالكون ٠ كما وضح تنافر القيم المدمجة فى شخصيات الصبية والتى تحدد علاقاتهم بالكون فنجد ما يقرب من خمس الصبية يستبعدون القيـــم التى تؤكد الخضوع المطلق للطبيعة من كل المواقف ، وان توحدوا مع القيم

التى تؤكد السيطرة على الكون أو تحقيق حالة من الانسجام بين الانسان والطبيعة أو الاتجاهين معا • بينما نجد صبيين فقط من اعضاء العينة يخضعان تماما فى كل المواقف للظروف الخارجية ولا يؤمنان بقدرة الانسان على التغيير والسيطرة أو حتى الانسجام والتكامل مع العالم - أما عن القيم التى تؤكد علاقة السيطرة على الطبيعة فنجد أن ما يقرب من نصف الصبية لا يعتقدون فى ذلك بتاتا • ولا يؤمن بهذا الاتجاه فى كل المواقف الا صبيان يحكم تفكيرهما ايمان كامل بقدرة الانسان على السيطرة على الكون واستغلاله لصالحه •

أما عن التكامل مع العالم الخارجى فتظهر لنا الاجابات أن ٥٪ من الصبية لا يؤمنون بامكانية تحقيق هذا التكامل ، بينما نجد عشر الصبية يؤمنون بالتكامل فى جميع المواقف بين الانسان والعالم •

وتثبت لنا النظرة الفاحصة الى الجدول السابق أن علاقة الصبية بالعالم لا تحددها قيم واضحة محددة متبلورة • فالصبية يتوحدون مع مجموعة متباينة من القيم المتشابهات تحدد علاقاتهم مع العالم الخارجى •

خاتمة :

وهكذا يتبين لنا من دراسة توجيهات القيم المفضلة ازاء بعض المشكلات عند الصبية فى مرحلة الانتقال من مجتمع تقليدى بطىء التغير الى مجتمع سريع التغير وجود ظاهرة الازدواج فى القيم عند كثير من الأبناء وتعدد الحلول المفضلة ازاء مشكلات من نوع واحد • ويعكس هذا الازدواج مرحلة التغيير السائدة والتى تتميز بالتغيير السريع والتى تهدف الى احلال قيم جديدة مكان القيم التقليدية • ويتجلى الازدواج عندما توجد مجموعة من القيم والمعتقدات المتشابهات وانتشار أنماط السلوك المتعارضة • وتنشأ ظاهرة الازدواج عندما يسود التشابه والخلط بين المعايير والقيم ، وتعجز الشخصيات عن الرؤية الواضحة للتوجيه المحكم للقيمة فى المواقف المختلفة ، والاحساس بالابهام والغموض ازاء التوقعات الاجتماعية ويرى ميرتون أن هذا الازدواج يعبر عن ظاهرة اجتماعية طبيعية فى المجتمعات المتغيرة والمعقدة (١) ويعكس التناقضات الموجودة فى البناء الاجتماعى • فالقيم الجديدة لم تنظم بعد تنظيما كاملا فى

---

1. Merton, Robert : Sociological ambivalence. In Edward Teryakian sociological theory, values, and sociocultural change. N.Y. Free Press 1963. P. 117.

شخصيات الافراد ، كما أن البناء لم يمنع القيم القديمة عن أداء وظائفها ، ويعكس هذا الازدواج الظروف الاجتماعية والاقتصادية القلقة التى تعيش فيها الامهات والمسئولون عن تربية الاولاد وعدم استقرارهم على أساليب محددة لتربية الاولاد • اذ أن هذه الظروف المتغيرة تلعب دورا حاسما فى نوع القيم التى تدمج فى شخصيات الأبناء فيتوحد الصبية مع مجموعة من القيم المتشابهات تحدد سلوكهم فى المواقف المختلفة • ومن ثم يصبح تحديد السلوك متعذرا فى المواقف المختلفة ويؤدى هذا الى عجز الصبية عن مواجهة المواقف، ويصعب عليهم تحديد التوقعات المطلوبة منهم فى الموقف ، ويعانون دوما من الصراعات بين التوقعات المختلفة كذلك تتعدد الاهتمامات وتتشتت حول موضوع واحد •

ونقرر أن توحد الصبية مع قيم متشابهات ، ومعاناتهم لازدواج القيم يولد شخصيات قلقة تتميز بعدم الاستقرار ويتذبذب سلوكهم ويخضعون لقوى الاغراء (١) ، ويتعذر علينا تحديد ما نطلق عليه ثقافة الصبية فى مجتمعنا لأن الصبية يتشتتون بين كافة الحلول الممكنة التقدمية منها والرجعية • وبين القيم التقليدية السائدة والقيم الجديدة المتغيرة ، ولا يمكننا أن ننعت قيم المرحلة الحاضرة بأنها اشتراكية أو قيما رأسمالية لأن مجتمع الصبية فى الآونة الحاضرة يحتوى كافة الحلول الممكنة الجديدة والقديمة •

واذا كان الازدواج فى القيم ظاهرة اجتماعية لمجتمع الصبية تعكس الظروف البنائية القلقة فان هذا الازدواج يخلق مشكلات التوتر النفسى والاحساس بالتنافر بين العناصر الاجتماعية فى الموقف ، ومن ثم فان فترة الصبا لم تعد فترة الكمون والهدوء النفسى كما وصفها فرويد وبايسونز •

---

1. Neiman Lionel : The influence of peer groups upon attitudes towards the Foeminine role : In Smelser Niel, and W. Smelser personality and social system : N.Y. John, Wiley 1963 P. 248.

اتجاهات السياسة الانمائية فى دول العالم الثالث

دكتور أمين عباس عبد البديع (*)

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، أخذ الاهتمام بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية يتزايد تزايدا على كل من المستوى القومي والعالمي ، كما اتجهت كثير من الدراسات فى علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة وغيرها من العلوم الانسانية الى تناول موضوع التنمية والمسائل المتصلة به بالبحث والدراسة بغية وضع الحلول الملائمة للمشاكل التى تعثر فى سبيلها • وقد ضاعف من أهمية ظاهرة التنمية انها أصبحت حقيقة اجتماعية وسياسية واقتصادية نتيجة لظهور مجموعة الأمم التى يطلق عليها الاقتصاديون الدول النامية ، ويشير اليها علماءالسياسة والاجتماع باصطلاح دول العالم الثالث •

ولعل أهم ما يجمع بين هذه الدول على صعيد واحد رابطة نفسية تدور حول قيمة اجتماعية أساسية ، وهى أساسها بالحاجة الى تحرير اقتصادياتها ورغبتها فى تحقيق أكبر قدر من التصنيع والتحضر بأقصى ما يمكن من جهد تعويضا لها عما تعرضت له من تخلف طوال سنوات عديدة من الزمان • وقد أصبحت الفرصة مواتية لها لبلوغ هذه الغاية نظرا لما أحرزته من نجاح فى مضمار التحرر السياسي بعد أن أخذت موجة الاستعمار العالمى فى الانحسار فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وبفضل التطور الهائل الذى بلغته الانسانية فى مجال التقدم العلمى والفنى وفى وسائل التنمية الاقتصادية • ومن ثم فقد بدأت شعوب هذه الدول وقياداتها السياسية تسعى الى تحقيق التقدم الاقتصادى كسبيل للارتقاء الى المكانة التى تليق بها بين دول العالم •

المقصود بدول العالم الثالث :

وينسب اصطلاح العالم الثالث Le Tiers Monde للكاتب الجزائرى فرانتز فانون Frantz Fanon الذى استخدمه لأول مرة فى كتابه عن الجزائر ،

(*) مدرس العلوم السياسية ، المعهد العالى للخدمة الاجتماعية •

للدلالة على مجموعة الأمم التى ظهرت حديثا (١) ، وذلك فى مقابل كل من العالم الأول الذى يطلق على مجموعة الأمم التى تحولت تحولا طبيعيا وتلقائيا من النظام الاقطاعى الى النظام الرأسمالى • والعالم الثانى الذى يضم مجموعة دول الكتلة الشيوعية التى تحولت الى دول متقدمة نتيجة للأخذ بالتخطيط الاقتصادى الشامل •

ويعتبر ظهور دول العالم الثالث فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية وما لها من تطلعات نحو تحقيق التنمية من أبرز معالم القرن العشرين ، اذ أن التنمية الاقتصادية التى أصبحت القضية الأساسية لهذه الدول قد خلقت على المستوى الدولى أنماطا جديدة من النظم السياسية والاجتماعية ، كما أنها أمدت العالم بأنواع مختلفة من السياسة الانمائية • فهذه المجموعة من الدول تتميز بأنها تميل الى الاستقلال عن كل من مركزى القوة الكبيرين ، وذلك لان أغلبها كان خاضعا للاستعمار حتى الحرب العالمية الثانية • ومن ثم فانها تسعى الى ايجاد نظام سياسى يمزج بين الديموقراطية الغربية والنظم الشمولية والى اقامة نظام اقتصادى مختلط لا يؤمن بالاشتراكية الخالصة أو الرأسمالية المطلقة • وهذا يعنى أن دول العالم الثالث قد أضافت أسلوبا جديدا ، ان لم يكن بنيانا متكاملا ، فى كل من المجالين السياسى والاقتصادى •

ان دول العالم الثالث لا ترتبط فيما بينها ارتباطا جغرافيا ، نظرا لعدم وقوعها داخل اطار جغرافى واحد ، الا أن معظمها يقع خارج الحدود الجغرافية لكل من العالمين الرأسمالى والشيوعى ، مما يجعلها تقف ككتلة محايدة فى الحرب الباردة التى تدور رحاها بين الدول الغربية من ناحية ، والاتحاد السوفييتى من ناحية أخرى ، أنها تقع فى نفس الوقت فى النصف الجنوبى من الكرة الارضية ـ أى أنها تمتد الى قارات مختلفة ، وتشمل مساحات كبيرة من العالم •

ومن الخصائص الهامة التى تتميز بها دول العالم الثالث ، أنها كانت مسرحا لحركتين ثوريتين : احداهما ثورة الشعوب الخاضعة للاستعمار ، والأخرى ثورة الشعوب المتخلفة ضد المستوى المنخفض للمعيشة بمالها من تصميم على بلوغ مستويات الثروة والرخاء عن طريق احداث ثورة صناعية (٢) •

---

1. Horowitz (Irving Louis) : Three Worlds of Development p. 5. Oxford University Press. New York, 1966.
2. Hill (Norman) : International Politics. p. 222. Harper & Row. New York, 1963.

وهذا يرجع الى أن هذه الدول كانت أساسا مناطق أو أقاليم خاضعة للاستعمار. وما ان تحقق لها هدف التحرر والاستقلال تحت ضغط نضال شعوبها، حتى أخذت تسعى نحو تحسين مركزها المادي والاجتماعى، وبلوغ الاستقلال الاقتصادى الذى تشعر بأنها تستحقه كأمم مستقلة. وبناء على ذلك، فقد صمم زعماء هذه البلاد على الشروع فى ثورة صناعية تنتشل شعوبها من ربقة الفقر والبؤس والتخلف. وفى هذا الصدد، عبر الرئيس سوكارنو عن الآمال التى تجيش فى نفوس الملايين العديدة من شعوب هذه البلاد عندما أعلن فى مؤتمر الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٥٦ أن: « القومية ... بالنسبة للآسيويين والافريقيين ... هى حب بلادهم والتصميم على تحسينها (١) ». وهذا يعنى وعى هؤلاء الزعماء بحاجة بلادهم الى التعليم والتدريب وتحقيق أهداف التحضر والتنمية الاقتصادية.

واذا كانت التنمية الاقتصادية — كما قدمنا — هدفا أساسيا من أهداف هذه الشعوب، فما هو السبيل الى تحقيقها؟ هل يمكن الاعتماد فى بلوغها على سياسة الحرية الاقتصادية والمشروع الفردى الحر؟ أم أن ذلك يتطلب قيام السلطة السياسية بالتدخل فى الحياة الاقتصادية؟ وهل ينبغى أن تقوم السلطة السياسية بدور رئيسى فى التنمية، أم أن دورها يجب أن يقتصر على العمل فى مجالات معينة دون أخرى؟

ولكى نستطيع الاجابة على هذه التساؤلات، لابد لنا بادىء الأمر من التعرف على طبيعة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة فى هذه الدول، ومدى ملاءمتها لهذا الاتجاه أو ذاك من اتجاهات السياسة الاقتصادية.

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لدول العالم الثالث :

تشير الدراسات الاجتماعية والاقتصادية الى أن شعوب هذه الدول لديها امكانيات تحقيق التنمية الاقتصادية ورفع الدخل القومى الى مستوى أعلى، غير أن الناس لم يتوفروا بعد على استغلال هذه الامكانيات استغلالا كاملا أو أنهم يحجبون عن استغلالها بسبب ما يسود بينهم من أوضاع اقتصادية واجتماعية تعرقل التقدم نحو هدف التنمية، اذ أن هذه الاوضاع، فى مجموعها تكشف عن سوء أحوال شعوب هذه البلاد اقتصاديا وتأخرهم حضاريا.

1. Ibid : p. 223.

فمن الناحية الاقتصادية ، تعانى هذه الدول من نقص فى رءوس الاموال، باعتبارها احدى المطالب الأساسية للتنمية • ويرجع هذا النقص الى عدم قدرة الأفراد على الادخار نظرا لانخفاض دخولهم • كما أن الحافز على الادخار قد لا يكون موجودا بسبب العادات والتقاليد الاجتماعية • ففى كثير من هذه البلدان يلاحظ أن التقدير الشخصى للفرد أو مركزه داخل الجماعة يعتمد على عوامل أخرىَ غير حيازة المال • كما أن مدخرات الاغنياء غالبا ما تكون فى صورة اكتناز المعادن النفسية والحلى ، مما يعوق استثمارها فى المشاريع الصناعية (١) • فمن المألوف فى كثير من بلدان آسيا وأفريقيا أن يكتنز أفراد الطبقة الغنية الذهب والمجوهرات بمقادير قد تبلغ فى بعض الاحوال ما يعادل ٢٠٪من الدخل القومى (٢) •

بل انه فى حالة القدرة على تجميع المدخرات فى صورة رءوسأموال ، قد لا توجد الرغبة او الحافز فى توجيه هذه المدخرات نحو الاستثمار ، أما بسبب ميل أفراد الطبقة الغنية الى محاكاة مستويات الاستهلاك فى الدول المتقدمة أو نتيجة لعدم توافر المعرفة بالموارد المتاحة وأساليب استغلالها وطرق الافادة منها •

ويرتبط نقص رءوس الاموال فى هذه الدول بالعجز الواضح فى السلع الاجتماعية والخدمات • فهى تفتقر الى وسائل النقل كالسكك الحديدية والطرقات وغير ذلك من المرافق العامة التى تعتمد عليها المشروعات الصناعية، كما تنقصها كثير من الخدمات الاجتماعية كبرامج الصحة العامة والتعليم والاسكان • وهى جميعا لازمة لاعداد وتهيئة الطاقة البشرية للاسهام فى عملية التنمية •

أما بالنسبة للموارد الطبيعية ، كمطلب آخر من مطالب التنمية ، فان كثيرا من هذه الدول توصف بأنها تعانى من نقص شديد فى موارد الثروة الطبيعية ، وأن ظروفها الطبيعية والجوية غير الملائمة تعوق كل تطور نحو التنمية • على أن كثيرا من الاقتصاديين لا يعتدون بهذه المشكلة ، فهم لا

---

1. Bye (Raymond T.) & Hewett (William W.) : Applied Economics. pp. 494-495. George Allen & Unwin Ltd. London, 1960.
2. Lewis (W. Arthur) : The Theory Of Economic Gorwth p. 246. George Allen & Unwin Ltd. London, 1957.

ينظرون الى قلة الموارد الطبيعية أو سوء الأحوال الجوية على أنها عقبات تقف بالضرورة في سبيل النمو الاقتصادى ، وحجتهم فى ذلك ما تؤكده التجربة من أن بعض المناطق الحارة أثبتت شعوبها ا لقدرة على التنمية الاقتصادية المستمرة ، وذلك مثل منطقة كوينزلاند في استراليا ، كما أنه توجد مناطق يتمتع سكانها بجو معتدل ووفرة في الموارد الطبيعية ، وكانت ولا تزال رغم ذلك في عداد البلاد المتخلفة (١) .

على أنه من الجدير بالذكر أن الاعتبارات الاقتصادية الخالصة ليست كافية وحدها لتعليل عدم امكان حدوث التنمية الاقتصادية فى هذه البلاد ، بل ان العامل الاساسى في التنمية يتوقف الى حد كبير على طبيعة البنيان الاجتماعى ، وعلى مدى ما تسمح به التقاليد والقيم الاجتماعية للافراد من الاستفادة من فرص التطور واستعداد السكان لتغيير أنماطهم الحضارية .

ففي بعض الأنظمة الاجتماعية ، حيث تنتشر ظاهرة الأسرة الممتدة Extended family أو الأسرة الكبيرة التى تضم عددا كبيرا من الاقارب البعيدين ، مما يجعلها أشبه بالعشيرة يجد الفرد العادى نفسه مسئولا عن اعالة عشرات ممن تشملهم أسرته . ومثل هذا النظام يؤدى بطبيعة الحال الى عرقلة النمو الاقتصادى ، اذ تقل قدرة الانسان واستعداده على الارتفاع بمستوى دخله والادخار والاستثمار عندما يدرك أن نجاحه في تحسين مركزه يضطره الى اعالة عدد كبير من الاقارب البعيدى النسب . كما أنه فى نفس الوقت يقضى على الحافز لدى الآخرين على تحسين مستواهم ، لأنهم يدركون أن فى استطاعتهم الاعتماد فى الحصول على وسائل معيشتهم على أكثر أفراد أسرتهم نشاطا ومقدرة على العمل (٢) .

كما وجد الأنثروبولوجيون أن الناس فى بعض المجتمعات البدائية يرفضون أدوات أو آلات على درجة كبيرة من الكفاية ، تصلح لتنمية وسائل

---

(٢) ب . ت . بواور و س . يسى : اقتصاديات الدول النامية ، مترجم (اخترنا لك ١٠٦)، ص ٨٧ — ٨٩ .

1. Heilbroner (Robert L.) : The Marking Of Economic Society p. 200. Prentice-Hall Inc. U.S.A. 1962.

السيطرة على الطبيعة ،لمجرد أنها لا تنسجم مع الثقافة التقليدية التى يأخذون بها فى حياتهم (١) ٠

وفى بعض الحضارات ، تسيطر المعتقدات الدينية على كافة الشئون الدنيوية الى حد أن الرفاهية المادية تصبح مرتبطة ارتباطا وثيقا بأهداف أو غايات غير دنيوية ٠ فمن وجهة نظر الهندوكيين والبوذيين تعتبر الرغبة فى حد ذاتها شرا من الشرور ، بينما يعتبر التقشف والزهد من المثل العليا التى تعمل على تحسين حال فى الحياة الدنيا وعند البعث ٠ كما أن من الحضارات ما يسود فيها الاعتقاد بأن الانسان ليس فى مقدوره أن يعمل على تحسين حياته المستقبلة ،لأن هذا من الله وحده ٠ فهناك ميل لدى كثير من الجماعات الى تقبل وجود ما يحدث دون محاولة لتغييره (٢) ٠

ويتضح أثر الأوضاع الاجتماعية كعقبة فى سبيل التنمية مما لاحظه أحد أعضاء البعثة الاقتصادية الى كوبا فى عام ١٩٥٠ ، اذ أشار الى أن كوبا تمتلك امكانيات هائلة للنمو من حيث الموارد الطبيعية والقوة البشرية المدربة وقدرا كافيا من رءوس الاموال ٠ومع ذلك كان المعدل الفعلى للتنمية منخفضا انخفاضا شديدا ، والسبب فى هذا يرجع الى العقبات والعوائق التى تقيمها النظم الاجتماعية (٣) ٠

على أن ما يسود فى هذه الدول من أوضاع اقتصادية واجتماعية لا ينبغى اعتباره العامل الوحيد الذى فرض عليها الجمود والتخلف ٠ فهناك كثير من الأمثلة التى تدل على أن الاستعمار والتبعية الاقتصادية كانا من أهم الأسباب فى عرقلة النمو الاقتصادى فى الغالبية العظمى من هذه البلدان ٠ فلقد ألحق الاستعمار بها خسائر فادحة عن طريق السيطرة على كافة العمليات

---

(١) دكتور محمد عاطف غيث ، التغير الاجتماعى والتخطيط ، ص ١٧٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢ ٠

2. Meier (Gerald M.) & Baldwin (Robert E.) : Economic Development: Theory, History, Policy pp. 298-299. A Wiley International Edition. New York, 1966.

3 Mc Connel : Elementary Economics : Principles & Policies. p. 697. Mac Graw-Hill Book Company. New York, 1960.

المتعلقة بالتجارة الخارجية وفرض النمط الزراعى عليها باعتباره النشاط الاقتصادى الوحيد (١) ٠

دور السلطة السياسية فى تحقيق التنمية :

وازاء هذه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تعوق التقدم نحو التنمية ، فان المفكرين والكتاب يجمعون على ضرورة العمل الحكومى الفعال للخروج بها من حالة التخلف الى حالة التقدم وتمكينها من بلوغ هدف التنمية ٠ وهذا يرجع الى أن هذه البلاد ظلت مدة طويلة من الركود الاقتصادى الذى فرضته عليها الظروف والأوضاع المختلفة ٠ ولذلك فانها لا تستطيع أن تبلغ ما بلغته الدول المتقدمة صناعيا من النمو الاقتصادى اعتمادا على سياسة الحرية الاقتصادية التى تنبذ مبدأ تدخل الدولة ، فهذه الدول اليوم فى موقف مخالف تماما للدول المتقدمة التى حققت النمو الاقتصادى خلال القرن الماضى عندما انطلقت نحو التنمية ، فقد استطاعت أن تحقق تقدمها عن طريق الاستعمار الاقتصادى والسياسى ٠ وهذا يعنى أن التنمية فى العصر الحاضر وفى ظل ظروف دول العالم الثالث لا يمكن أن تكون تلقائية كما كانت فى ظروف القرن التاسع عشر ٠ ولذلك فان العمل الحكومى وحده هو الذى له القدرة على تخطى كثير من العقبات التى قيدت التنمية فى هذه الدول (٢) ومقتضى ذلك أنه لا يمكن اعتماد هذه الشعوب على قوى السوق والنظام الاقتصادى الحر للخروج من حالة الفقر والتخلف ٠

وان الأسباب التى تدعو الحكومة الى القيام بهذا الدور انما تنشأ كذلك من طبيعة العقبات التى تواجه هذه الشعوب ، ومن أهمها عدم وجود طبقة من المنظمين entrepreneurs تكون قادرة وراغبة فى تجميع رءوس الاموال والبدء فى عمليات الانتاج ، فضلا عما تعانيه هذه الدول من نقص فى السلع

---

(١) انظر فى مظاهر التبعية الاقتصادية وأثرها على الدول المتخلفة ، دكتور محمد زكى شافعى ، التنمية الاقتصادية ، ص ٢٩ وما بعدها ، الناشر : معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ٠

2. Meier & Baldwin : Op. Cit. p. 361. & Horowitz: Op. cit. p. 209.

الانتاجية والخدمات التى لا يمكن توفيرها وانتاجها بواسطة المشروع الخاص(١) وبالاضافة الى ذلك ، فان التنمية الاقتصادية تتطلب قيام الحكومة بـــدور أساسى فيها بسبب ما تتطلبه من استخدام الموارد الطبيعية وتجميع رءوس الاموال بواسطة فرض الضرائب أو الزام الناس بالادخار لتمويل المشروعات المختلفة وتقييده استيراد السلع الاستهلاكية وخفض معدلات الاستهـــلاك وفرض الحماية الجمركية لمعونة الصناعات الناشئة •

ومع أن هذه المطالب ذات صبغة اقتصادية ، الا أنها تتداخل مع الانساق الاجتماعية وتؤثر فى الانماط الحضارية ، كما أن لها أصداءها فى القيـــم السياسية ، وهذا يعنى أن بعض التغييرات التى ليست لها صبغة اقتصادية خالصة ينبغى أن تصاحب مجهودات التنمية • وهذه التغييرات تشمل تهيئة المناخ الملائم بالنسبة للتنمية ، والتحكم فيما قد تفضى اليه من مظاهـــر الاضطراب والقلق واختلال التوازن الاجتماعى ، اذ أن كل عمل بوجه نحو نتيجة متوقعة أو هدف معين ، لابد أن تكون له آثار ونتائج قد يكون بعضها مقبولا ، بينما يكون البعض الأخر غير مقبول ، بل ومضادا للهدف المقصود (٢) •

واذا كانت السلطة السياسية أو الحكومة هى الأداة الوحيدة التى يمكن أن تعمل على تحقيق التنمية الاقتصادية ، فما هو الدور الذى تقوم به فى هذا المجال ؟

ليس من شك فى أن دور الحكومة فى التنمية من حيث تحديد أهدافها والطريقة التى تعالج بها جوانبها المختلفة يتوقف على طبيعة النظام السياسى، ومدى استيعابه للتغيرات التى تنجم عن التنمية •

النظم السياسية وموقفها من التنمية :

فى دراسة أجراها دافيد ابتر David E. Apter الاستاذ بجامعة كاليفورنيا ميز بين ثلاثة أنواع من النظم السياسية الانمائية فى دول العالم الثالث ، وذلك وفقا للأهـــداف التى تختـــارها السلـــطة السياسية وتسعى الى تحقيقها •

---

(١) دكتور احمد عباس عبد البديع ، تدخل الدولة ومدى اتساع مجالات السلطة العامة ، ص ١٧٨ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ •

2. Ponsioen (J.A.) & others: Social Welfare Policy pp. 37-38. Mouton & Co. Publishers. The Netherland, 1962.

فبعض البلاد مثل مالي وغينيا وغانا قد اختارت تعبئة طاقاتها السياسية ومواردها للتصدى لمشاكل الفقر والجهل والتخلف ، واتجه البعض الآخر مثل نيجيريا الى تحقيق نوع من الاتحاد بين الأجزاء التأسيسية المكونــــة للدولة ، بينما استهدفت دول أخرى مثل الحبشة وأوغندا المحافظة على النظم التقليدية ، على أن يوضع التغير داخل اطار من هذه النظم ويكون متفقا معها. وقد أطلق أبتر على النوع الأول نظام التعبئة Mobilization System والنوع الثانى التوفيق Reconciliation System ، والنوع الثالث النظام الفردى التجديدى Modernizing Autocracy (١) .

فما هى خصائص كل نظام من هذه النظم ؟ وما مدى ملاءمة استراتيجيته لتحقيق التنمية ؟

أولا : نظام التعبئة :

يوصف نظام التعبئة بأنه أداة تنظيمية ، لأنه يعمل على اعادة تنظيم البنيان الاجتماعى ، وذلك بتعديل أجهزة الحكم والقيم المرتبطة بالتغير تعديلا ملحوظا .. فالدول التى تأخذ بهذا النظام تميل الى الاعتقاد بأن جميــــع السوابق البنائية للمجتمع يجب تغييرها كما لابد من خلق أنساق جديدة من الولاءات والأفكار ، بحيث تتمركز حول حقيقة أساسية وهى اعتبار التقدم الاقتصادى أساسا للمجتمع الجديد .

ومن أهم خصائص هذا النظام ، أنه يأخذ بمبدأ تدرج السلطة وضمان الخضوع أو الولاء الكامل وتحقيق الوحدة الوطنية والمرونة فيما يتعلق باتخاذ القرارات .

وفى هذا النظام ، تعتبر أهداف التنمية الاقتصادية بالغة الأهمية ، ولذلك فانها تميل الى أن تكون طموحة وغير واقعية لدرجة أن الكثير منها تتجاوز نطاق القدرة العادية للتكنولوجيا والموارد المتاحة ، وبالتالى ، فان مجهودات تحقيقها تتطلب قدرا كبيرا من النظام الدقيق الصارم ، وخلق نظم جديدة بهدف القضاء على كافــــة الانساق الاجتماعية التى تقيد عمليات

---

1. Jason L. Finkle & Richard W. Gable : Political Development and Social Change. p. 434. John Wiley & Sons, Inc. New York, 1968.

التنمية الاقتصادية • ويأخذ هذا النظام بالأيديولوجية الاشتراكية التى تؤكد أهمية العمل وبذل الجهد كوسيلة لتحقيق أهداف التنمية ، كما تؤكد بأن التنمية لا يمكن تحقيقها الا باعادة بناء المجتمع ، بحيث يصبح الدور الرئيسى للحكومة هو اقامة نظام اقتصادى حديث • ومن هنا فان نظم التعبئة تعلق أهمية عظيمة على كل من التنظيم العسكرى والتنظيم الحزبى ، ويصبح المشروع الاقتصادى الحكومى هو القوة الرئيسية الدافعة للتنمية الاقتصادية، واذا كانت الحكومة تخصص استثمارات مرتفعة فى مجال التعليم والرفاهية الاجتماعية ، فان ذلك استنادا الى مبدأ أن كفاية القوة العاملة ضرورة لا بديل لها لتحقيق التنمية • ومثل هذه الاجراءات تحتاج بطبيعة الحال الى تنظيم مركزى قوى يقوم بتحمل المسئولية الأولى فى تحديد الأهداف وتحقيقها •

ولكى يتمكن نظام التعبئة من تحويل المجتمع فى اتجاه بلوغ الأهداف الاقتصادية ، فانه يدفع بالمعارضة بعيدا عن المجال السياسى ، كما يعمل على تحطيم الاتجاهات الانفصالية المحلية • فالولاء للزعماء السياسيين وللدولة يجب أن يكون له الأفضلية على كل ولاء آخر ، وذلك يرجع الى أن الزعماء السياسيين يجدون أنهم هم الذين يديرون أمور المجتمع فى مرحلة الانتقال ، ومن ثم ، فانه يتعين عليهم أن يتخذوا كل الاحتياطات التى تكفل حماية مركزهم • ولذلك فان نظام التعبئة يحرص عادة على وجود ممثل للحكومة أو الحزب فى كل مشروع من مشروعات التنمية المحلية ، وليس ا لهدف من وجوده فى هذا الموقع مجرد تنشيط المبادرة المحلية للمشروعات ، وانما ضمانا لسيطرة الحزبية والحكومية على مختلف التجمعات المحلية حتى لا تكون مصدرا للمعارضة •

والحكومة فى نظام التعبئة ، تقوم بالتدخل بصورة ايجابية فى التغير التكنولوجى والتنمية الاقتصادية ، وتصبح الخصيصة التنظيمية للحكومة هى المظهر الرئيسى لانشطها • والتنظيم بوصفه تنظيما ، لابد أن يكون أوتوقراطيا (أى فرديا مطلقا) ومن ثم ، فان النشاط التنظيمى الذى تقوم به الحكومة يصبح شاملا وممتدا الى كل أبعاد الحياة الاقتصاديةوالاجتماعية للأمة الجديدة • وبذلك فان ا لناس يدفعون الى التنمية بواسطة قوة خارجية عنهم ، وهى الحكومة • وهذا بدوره يؤدى الى تدعيم المظاهر الايديولوجية والتدريجية للسيطرة على المجتمع ككل ، وتميل القيادةوالدولة الى أن تكونا شيئا واحدا •

ومما لا شك فيه ، أن السيطرة التنظيمية المتزايدة لأغراض التعبئة وتحقيق الأهداف ، لابد أن تنتهى بالتحفظ من قبل الجماهير • ومن مظاهر

السيطرة ، الاعتماد على الالزام لبلوغ الأهداف التى أقامها هذا النظام ، غير أن الالزام يتطلب تبريرا أيديولوجيا ، ومن ثم يصبح التغيير التكنولوجى والتنمية الاقتصادية لهما أهمية كرمز يؤكد قيمة المنافع الاجتماعية المستقبلة. ومن الطبيعى أنه مع تزايد درجة الالزام ، فان ما تحصل عليه الحكومة من معلومات عن المصالح الجماهيرية تكون غير صحيحة وبعيدة عن الواقع ، لأن الجمهور فى هذه الحالة يميل الى مد الحكومة بالمعلومات التى ترتضيها . وهذا يقلل من درجة الاعتماد على المعلومات التى يقوم على أساسها العمل الحكومى . وبالتالى فان الحكومة تعمل فى جو من عدم الثقة . ولتعويض ذلك ، فان الزعماء الحكوميين يلجأون الى قدر أكبر من الالزام لضمان الخضوع والطاعة ، مما يؤدى الى ردود فعل جديدة ، وهكذا .

وهذا النوع من الحكومات له آثار عديدة على التنمية الاقتصادية ، منها أن الحكومة تتورط فى كثير من الاستثمارات وفى البحث عن وسائل التحكم فى النتائج الجانبية لهذه الاستثمارات . ومنها أيضا أن سياسة الالزام ينجم عنها تحويل الدخل — الذى كان مخصصا للاستثمار — الى الأنشطة البوليسية وغير ذلك من النظم الجزائية . ومن هنا ، فان نفقات الحكومة تزداد باطراد وتوجه الدخول العامة الى مشاريع غير انتاجية كالمحافظة على النظام السياسى دون التنمية (١) .

ثانيا — نظام التوفيق :

يتميز هذا النظام بما يعلقه من أهمية كبرى على الوصول الى صيغة للتوفيق بين الجماعات التى تعبر عن الأهداف والافكار السياسية السائدة، لأن هذا النظام بطبيعته يسعى الى تكوين وحدة سياسية بسيطة من الوحدات السياسية المكونة له والتى لا تفقد شخصيتها السياسية عند التوحيد ، وهذا يعنى من الناحية العملية أن نظام التوفيق يشتمل على أقاليم أو اتحادات مفككة نسبيا Confederations ولكل فئة منها بنيان معترف به أو نظام نيابى خاص .

ومن أهم خصائص هذا النظام أنه يأخذ بمبدأ السلطة الهرمية وتعدد الولاءات وكذا تعدد السلطة pluralism وتنوع الايديولوجية .

---

1. Hoselitz & Moore (Ed.) : Industrialization and Society. pp. 140, 142-146. UNESCO, Mouton, 1970.

وبناء على ذلك ، فان النمو الاقتصادى فى نظام التوفيق يتسم بالتشتت، ونظرا لأن السلطة السياسية موزعة على نطاق واسع ، فلابد من أن يكون هناك قدر كبير من الاعتماد على المنظم الخاص Private entrepreneur فضلا عن أن عملية اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية تكون موزعة أو متفرقة فى جميع أرجاء المجتمع .

ومن الناحية السياسية، فان نظام التوفيق يقيم وزنا كبيرا للفوارق الحضارية والمصالح المحلية القائمة على أسس دينية أو اجتماعية أو ايديولوجية . ونظرا لأن هذا النظام مقيد فى عمليات اتخاذ القرارات بالحاجة الى ايجاد حد أدنى من الأساس المشترك الذى يرضى وحداته التأسيسية ، فانه يتقدم نحو أهداف التنمية بصورة تتسم بالاعتدال الشديد . ومن ناحية أخرى فان هذا النظام يأخذ بمبدأ التنمية التلقائية للجماعات المحلية مما يترتب عليه أن بعض الجماعات يسهم فى تحقيق الاهداف الاقتصادية بينما لا يحرز البعض الآخر أى تقدم نحو تحقيق هذه الأهداف .

وأهم ما يعنى به نظام التوفيق ، اقامة أولويات اقتصادية نافعة ومقبولة وتوفير الوسائل اللازمة لتحقيقه ، بما يتفق مع الممارسات السياسية القائمة — أى أن المشكلة التى يواجهها هذا النظام هى جعل الأهداف التى تحددها الحكومة متفقة مع الرغبات التى تقبلها الجماعات المختلفة ، وتلقى تأييد الأجزاء والمؤسسات المكونة للمجتمع القومى . ولعل هذا من أحد الأسباب فى أن هذا النظام يلجأ الى الاعتماد بدرجة كبيرة على المصادر الخارجية للمساعدة فى تحقيق التنمية .(مثل القروض والمساعدات من الدول الأخرى) .

وتأخذ دول نظام التوفيق بالاشتراكية المعتدلة ، وبالتالى فان أجهزة التخطيط تكون جزءا من الجهاز الحكومى ، كما أن التخطيط يكون أساسا من النوع الذى يهيء الفرصة للمشروع الخاص ويقدم المساعدة فى نفس الوقت للمناطق المحلية بتزويدها بطاقات استراتيجية .

وتبعا لنظام التوفيق كما أشرنا فان الزعماء السياسيين يعنون بتحقيق مطابقة الاهداف للمطالب الجماهيرية وكسب موافقة الوحدات المكونة للدولة عند تحديد الأهداف . ولذلك ، فان الاهداف تكون قائمة على المعلومات دون أن تكون مجرد تصور للمستقبل ، كما توجد أيضا نظم للحصول على هذه المعلومات التى تصبح متاحة القرارات ، وذلك من خلال جماعات المصالح

interest groups والهيئات الادارية والاحزاب السياسية التى تعبر عن مطالبها للحكومة . كما أن هذا النظام لا يأخذ الا بقدر يسير من الالزام ، فالأهداف وثيقة الصلة بالموارد من ناحية وبالرغبات الجماهيرية من ناحية أخرى ، ومن ثم فليست الحكومة فى حاجة الى الاعتماد على أسلوب الالزام .

ونظرا لأن الحكومة تستطيع الحصول على المعلومات الصحيحة ، وتعمل بناء على ذلك دون الالتجاء إلى الالزام ، فان التنمية تعتمد على خطط مرنة . وبذلك فان نسبة عالية من الموارد المتاحة يمكن استغلالها فى التنمية الاقتصادية ، ومع ذلك فان هناك قيدا عمليا كامنا فى هذا الموقف ، وهو أن الحصول على المدخرات بصورة الزامية أمر مستحيل . ولذلك فان معدل استثمار رأس المال يكون أكثر انخفاضا منه فى نظام التعبئة . ومن ثم فان مجهودات الحكومة لا تأخذ الا شكل تنشيط التنمية غير الحكومية وتنشيط المشروعات المحلية وذلك عن طريق توفير وسائل الائتمان للمنظمين الخاصين وتوسيع نطاق المشروعات المشتركة (أى التى تشترك فيها الحكومة ورأس المال الخاص) وتشجيع الاستثمار الخارجي .

وهكذا فان دور الحكومة ليس دورا تنظيميا ، اذ أن ما تستهدفه الحكومة هو التوفيق بين المصالح المختلفة ، أى أنها تقوم بدور التوسط والتنسيق واحداث التكامل دون التنظيم والتعبئة . ومن هنا يمكن القول بأن نظام التعبئة يحارب المجتمع بينما يكون نظام التوفيق سجينا للمجتمع . ولما كانت درجة التنمية الاقتصادية فى نظام التوفيق يعتمد على الحوافز من قبل الزعماء السياسيين ، ورغبة الجمهور فى تنفيذ النظام الذى يفرضه بنفسه والمشاركة المحلية فى المشروع الإقتصادي ، فان تحقيق التقدم نحو التنمية يكون بطيئا بدرجة ملحوظة (١) .

ثالثا ـ النظام الفردى التجديدى :

يتميز النظام الفردى التجديدى بقدرته على استيعاب أو امتصاص ما يحدث فى البلاد من تغير ، فلابد أن يوضع التجديد فى اطار تقليدى ، ويصبح متفقا مع النظم التقليدية ، ومن الممكن تقبل كل تغير طالما أنه لا يؤثر فى نظام الحكم المطلق ، ومن أمثلة ذلك ، استحداث مهارات جديدة وتعديل

---

(١) المرجع السابق : ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٨ .

نظم التعليم وتوسيع نطاق الرفاهية الاجتماعية وادخال غير ذلك من نظم الحياة العصرية • فهذا النظام يتميز بمافيه من تضامن داخلى عميق يرتكز على أساس من السلالة أو الدين ، وبمقتضى هذا التضامن بتدعم مركز الزعماء السياسيين أو الملك الذى له حق السيطرة على مختلف أفراد هذا النظام •

ومن خصائص النظام الفردى التجديدى ، انه يأخذ بمبدأ تـــدرج السلطة واستبعاد كل ما من شأنه أن يقلل من الولاء المطلق للحاكم والاخذ بما يعرف بالتقليدية المحدثة Neo-traditionalism •

ويكشف هذا النظام عن تشابه بنائى لنظام التعبئة ، ولكنه يتميز بالثبات والاستقرار داخل اطار النمو الاقتصادى • فالأهداف الاقتصادية أكثر تقيدا منها فى نظام التعبئة اذ أنها لا ينبغى أن تنال من درجة المحافظة على النظم التقليدية • ومثال ذلك أنه من الممكن تغيير النظام القبلى الذى يقوم عليه الحكم الفردى المطلق الى نظام مدنى يتأسس عليه الحكم ذاته ، غير أنه يكون من العسير استيعاب أو امتصاص نظام كالسياسة الحزبية اذا كان تغييره سوف يؤدى الى تغيير أنماط بلوغ مركز السلطة السياسية ولذلك فان هذا النظام يضع موانع قوية على التغييرات التى تشمل السياسة الحزبية والنظام الفردى التجديدى قد يمنع بعض أنشطة التنمية الاقتصادية اذا كانت تبدو أنها تهدد المبدأ الفردى المطلق للحكم • وهذا يعنى أن الاهداف الاقتصادية لكى تكون مقبولة ، لابد أن تكون متجاوبة مع نظام السلطة القائمة • ومن هنا يمكن القول بأن هذا النظام يسمح باحداث قدر كبير من التنمية وتحقيق المعاصرة على أن يكون ذلك فى الحدود التى تبقى على نظام الحكم الفردى المطلق •

وفى هذا النظام يوجد استقرار سياسى خلال عملية التغير ، فمن الطبيعى أن هنـــاك اعتمادا على السيطرة والاكراه كوسيلة لتحقيق الاهداف ، كما أن القيم التقليدية لا يقضى عليها تماما ، بل يمكن تعديلها •

ويتميز هذا النظام بالقدرة على تعديل الاهداف بسهولة • فالسلطة السياسية وان كانت تمتلك بعض وسائل الالزام — نتيجة للنظم التقليدية — الا أن هذا لا يشكل قيودا على تدفق المعلومات ، فوسائل التغيير الجماهيرية تظل مستمرة ، لأنها أصلا موضوعة فى اطار تقليدى بحيث لا تبدو للحكومة أنها تشكل صورة من صور المعارضة الخطيرة داخل المجتمع •

والمشكلة التى تواجهها الاوتقراطية التجدية هى احتمال أن ما يحدث من تغيير فى المجال الاقتصادى قد يؤثر فى مبدأ تدرج السلطة ، مما يترتب عليه المطالبة باحداث تعديل جوهرى فى النظام نفسه • فعندما تستمر التنمية ، فان التدرج التقليدى يستوعب اعدادا كبيرة من المثقفين والموظفين المدربين تدريبا فنيا • وتتمثل المشكلة الكبرى فى أنه قد يوجد من بينهم من يعبرون عن رغبتهم فى المشاركة بقدر أكبر فى اتخاذ القرارات • وهذا يعنى أن النتائج السياسية للتغير التكنولوجى والتنمية - دون النتـــائج الاقتصادية - هى التى تخلق أخطر صعوبة للاوتقراطية التجديدية • ومن ذلك فان هذا النظام يمكن أن يتقدم بطفرات نحو العصرية ، الا أن فترات التقدم السريع لابد أن تليها فترات من الركود نظرا لعدم قدرة هذا النظام على امتصاص الطبقة الجديدة داقل اطار التدرج التقليدى ، فهذه الطبقة سرعان ما تصبح رأس حربة للاصلاح السياسى (١) •

تقدير النظم السياسية الانمائية :

وفى مجال المقارنة بين النظم السياسية الانمائية التى عرضنا لها ، فاننا نورد الملاحظات الآتية :

أولا : اعادة تنظيم البيان الاجتماعى - **كما يأخذ به نظام التعبئـــة** - غالبا ما يقضى الى نتائج غير مرغوب فيها من الناحية الاجتماعية مما يجعل التنمية قاصرة عن تحقيق أغراضها فى زيادة الثروة واقامة مجتمع الرفاهية • ففى خلال عملية التنمية تتفكك الوحدات الاجتماعية التقليدية (الاسرة أو العشيرة أو القرية) نتيجة لاتجاه الحياة الاقتصادية نحو التخصيص وتزايد حرية الفرد بسبب ما ينشأ فى المجتمع من الحراك الاجتماع • وهذا التغير نظرا لأنه لا يكون كاملا - من شأنه أن يفضى الى القضاء على بعض المعتقدات والعادات والقيم ، بينما يستمر الاعتقاد فى بعضها الآخر قائما • وبذلك تختلط القيم القديمة والحديثة اختلاطا غير منطقى (٢) وينشـــأ نوع من المتناقضات وصراع القيم والخروج عن مجال الضبط الاجتماعى ، مما يؤدى الى أنواع من السلوك المناهض لنواميس الحياة الاجتماعية •

والواقع أن تحقيق التنمية لا يتطلب بالضرورة القضاء على الاتجاهات الحضارية السائدة والنظم التقليدية بدعوى أنها تشكل عقبات فى طريق

---

(١) المرجع السابق : ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٠ •

(٢) انظر فى هذا بالتفصيل Lewis : Op. Cit. pp. 144-145. وكذلك Ponsioen : Op. Cit. ص ٣٥ وما بعدها عن أثر التنمية على البنيان الاجتماعى •

التقدم ، فكثير من هذه الاتجاهات والنظم يمكن الاستعانة بها لكى تسهم فى التنمية • وهذا يتضح من تقرير لبعثة البنك الدولى الى نيجيريا حيث ورد فيه : « مع أنه توجد اتجاهات كثيرة فى نيجيريا قد تعوق النمو الاقتصادى ، الا أن هناك قدرا كبيرا من التنظيم الاجتماعي يمكن أن يسهم فى تحقيقه • فسكان نيجيريا يدينون بولاءات محلية قوية ، ويرتبطون ارتباطا وثيقـا بأنسابهم أو بطونهم المباشرة ويميلون الى تدعيم الوحدات المحلية والتفاخر بانجازاتهم • وان تجمع العائلات والبطون ومجتمعات القرى على هيئـة جمعيات تعاونية انتاجية وهيئات للادخار ••• وجمعيات للتوفير ••• نموذج عملى للاعتماد على النفس • ونعتقد بضرورة تدعيم الحركة التعاونية تدعيما قويا كدافع لعجلة التنمية الاقتصادية لانها صورة من صور التنظيم الاقتصادى الذى يتفق تمام الاتفاق مع التقاليد النيجيرية والاحساس الاجتماعى (١) » •

ثانيا : أن نظام التعبئة فى مقدوره أن يحقق قدرا كبيرا من النجـاح فى مجال التنمية ، نتيجة لحشد كافة الامكانيات الاقتصادية ومحاولة بلوغ معدل سريع للتنمية والاخذ بأهداف انمائية طموحة • ولكن ذلك النجاح لن يكون الا فى المدى القصير ، فلا يكون تقدم المجتمع نحو هدف التنمية بصورة مطردة •

ومن الممكن عن طريق التدرج أو الاتجاه التدريجى gradualist approach تجنب هذه النتيجة التى ينتهى اليها نظام التعبئة • فتحقيق التنميـة على نحو تدريجى لا يؤدى الى التحضر السريع بما ينجم عنه من مشاكل اجتماعية • وعلى فرض أن هذا الاتجاه قد لا يحقق هدفه النهائى ، الا أن ثمن الفشل الذى يترتب عليه ، لن يشكل عبئا جسيما كما هو الحال عندما تفشل الحكومة فى تحقيق معدل سريع أو أهداف طموحة • ومن ناحيـة أخرى ، فان الاتجاه التدريجى يتضمن تدخلا حكوميا معتدلا لا يجنب الأمة كثيرا من المشاكل الادارية والسيطرات غير الديموقراطية التى ترتبط عادة بالتصنيع (٢) ، فوفقا لهذا الاتجاه لا تقوم الدولة بدور السيطرة الشاملة على الحياة الاقتصادية بما فى ذلك تشغيل كافة الصناعات ، بل يكون نشاطها معينا يتولى القيام بالاعمال والمشروعات التى ينتجعنها أفضل استخدام للموارد الطبيعية والبشرية ، وأعلى مستوى ممكن من الانتاج ، فضلا عن تهيئة الجو المناسب للمشروع الخاص بوضع كافة الفرص الجديدة فى خدمة المجتمع

---

1. Meier & Baldarin : Op. Cit. pp. 356-357.
2. Norowitz : Op. Cit. p. 213.

مثل توفير مياه الرى والبذور للقطاع الزراعى ، وادخال العوامل التى من شأنها تنمية القطاعات الاقتصادية الأخرى والتى يتوقع منها أن تغير الانماط الحضارية مثل اقامة الطرقات وادخال نظام التعليم الاجبارى وانشاءالمصانع فى المناطق واعداد الناس وتوجيههم لان يطلبوا هذه الفرص بقصد الاستفادة منها واستغلال العوامل الجديدة للتنمية .

ثالثا : أن السياسة الانمائية التى يأخذ بها كل عن نظام التوفيــــق الفردى التجديدى قد تجنب المجتمع كثيرا من المشاكل التى تنجم عن القضاء على النظم والقيم الحضارية السائدة ، باعتبار أن هذين النظامين لا يتجهان كلية الى تغيير الأنماط الاجتماعية التقليدية تحقيقا للتنمية الاقتصادية ، بل يقيمان وزنا للمصالح السياسية والمحلية ..

غير أن هذه السياسة منشأنها أن تؤدى الى نمو اقتصادى متعثر وغير متكافىء بين المناطق المختلفة للمجتمع القــومى ، نظرا لأن من الجماعــات مالا يستجيب لحافز التنمية .

فالنظرية الاقتصــــادية تؤكدأنالتقــدم فى اتجــاه التنمية يتوقف الى حد كبير على رغبة الناس فى تحسين مركزهم الاقتصادى وما لديهـــم من حافز على الارتفاع بمستوى معيشتهم . ولذلك يجب على الشعوب المتخلفة أن تدرك بداءة أن الناس يستطيعون السيطرة على الطبيعة ، وأنه يجب عليهم أن يجعلوا هدف التنمية جزءا من قيم المجتمع . وهنا لابد للسياسة الانمائية من أن تعمل على نشر الوعى بين الناس بما يفيد بأن بلدهم تجتاز مرحلة من التغير الذى يستهدف تحقيق التنمية ، وأن هذا التغير لا بد أن يصاحبه تغيرات فى حياتهم الاجتماعيةوسلوكهم وعلاقاتهم الانسانية وأنماطهم الأسرية ، أى أن السياسة يجب أن تهيىء الجماهير الى ادراك ضرورة اعادة تشكيل حياتهم الاجتماعية وادراك مسئولياتهم المشتركة ازاء تحقيق التنمية .

والواقع أن الثورات السياسية التى تفجرت فى كثير من بلدان العالم الثالث قد أسهمت اسهاما كبيرا فى حفز كثير من شعوبها على تقبل التغير الاجتماعى وعلى ادراك الحاجة الى التنمية وذلك لأن هذه الثورات ـ كما يقول نهرو ـ قد جلبت الحرية والاستقلال والوعى السياسى والمــــطالب السياسية . وبذلك فانها خلقت فورانا متدفقا يجعل الناس يتطلعون دائما

الى تغيير أحوالهم (١) •

وقد أدركت دول العالم الثالث أهمية مسئولية الناس — الى جانب الحكومة عن تحقيق التنمية الاقتصادية •• ففى كثير من هذه البلدان ، يلاحظ أن السلطة التشريعية أصبحت جبهة تضم مختلف المصالح الشعبية • وهكذا ظهر فى غانا وا لجزائر وتونس وكينيا ومصر وغينيا أسلوب المشاركة الشعبية أو الجماهيرية ، وأصبحت البرلمانات فى هذه البلاد تشمل كافة القطاعات والفئات الشعبية •

رابعا : أن الاعتماد على المشروع الخاص فى تحقيق الجانب الاكبر من التنمية قول يؤدى الى النتائج المرجوة ، نظرا لأن المشروع الخاص قد يفشل فى تحقيق معدل مرتفع للتنمية بسبب عزوفه عن تغيير الانماط التقليدية للانتاج أو التجائه الى استثمار الموارد المتاحة فى مشروعات مربحة تدر عائدا فى المدى القصير أو افتقاره الى الوسائل أو الارادة اللازمة للاهتمام بالصناعات التى تتطلب استثمارا ضخما مع توقع لعائد منخفض بالنسبة للمستقبل العاجل •

ولذلك ، فان السماح للمشروع الخاص بالمشاركة فى التنمية لابد أن يعتمد على درجة من الالزام تفرضها السلطة العامة ، وخاصة من أجل ترشيد الانتاجية ، وتجنب الانفاق المفرط على السلع الاستهلاكية والالزام بهذا المعنى يكون نقيضا للسلطة القهرية ، اذ أنه يتضمن استخدام الوسائل الاغرائية أو الاقناعية (٢) •

خامسا : لا ينبغى التفكير فى التنمية من حيث أنها مشكلة اقتصادية فحسب — كما هو الشأن فى النظام الفردى التجديدى — بل هى مشكلة اجتماعية وسياسية فى نفس الوقت ، لأن التنمية عبارة عن تحول فى المجتمع بأكمله • كما أن الطبقات الاجتماعية القديمة القوية التى ظلت أجيالا طويلة تحصل على ثرواتها من حيازة الاقطاعيات ، يجب أن تحرم من هذهالحقوق حتى توجه الى المشروعات الصناعية التى كانت هذه الطبقات تنظر اليها نظرة

---

1. Rao (A.V. Raman) : Industrial Social Services In A Developing Economy. p. 435. Allied Publishers Private Ltd. India, 1966.
2. Horowitz : Op. Cit. pp. 342-343.

ازدراء ، كما أن أجيال المستقبل يجب اعدادها لتكون وريثة لحياة مستقبلة افضل (١) . فلكى تستطيع البلدان المتخلفة - كما يقول بول باران .

« أن تبدأ مسيرتها فى طريق النمو الاقتصادى والتقدم الاجتماعى ، ينبغى عليها أن تغير الاطار السياسى لوجودها ذاته تغييرا جذريا ، وذلك بتحطيم الاتحاد بين الملاك الاقطاعيين والطبقات المتوسطة الرأسمالية ... وعلى العناصر التقدمية والصناعية التى توجد فى المجتمعات المتخلفة أن تحصل على امكانية قيادة بلدانهافى اتجاه النمو الاقتصادى والاجتماعى (٢)» .

1. Heilbroner : Op. Cit. p. 215.
2. Horowitz : Op. Cit. p. 201.

المشاركة الشعبية والتنمية الاجتماعية

دكتور عبد الهادى الجوهرى (★)

يعتبر موضوع المشاركة الشعبية والتنمية من أهم الموضوعات وأكثرها التى تشغل بال علماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد والادارة كما تشغل بال السياسيين والتنفيذيين سواء أكان ذلك فى الدول النامية أو الدول المتقدمة .. ولقد أخذت لفظة « المشاركة الشعبية People's Participation » فى الانتشار بكثرة بين المخططين ورجال الادارة خلال العقد الماضى وذلك على المستويين القومى والعالمى .. (١) .

والمشاركة فى تصورى هدف ووسيلة ، انها هدف لأن الحياة الديمقراطية السليمة ترتكز على اشتراك المواطنين فى مسئوليات التفكير وا لعمل من أجل مجتمعهم ، وهى وسيلة لأنه عن طريق مجالات المشاركة يتذوق النـــاس أهميتها ويمارسون طرقها وأساليبها وتتأصل فيهم عاداتها ومسالكهاوتصبح جزءا من ثقافتهم وسلوكهم .

وللموضوع أهميته الاكاديمية وكذا القومية وتزداد الأهمية القومية اذا ماعرفنا الظروف الموضوعية اجتماعية وسياسية واقتصادية التى يمر بها المجتمع المصرى ومن هذه الظروف العملية الانتقالية التى من خلالهاتحاول الدولة تأكيد دعائم الحكم المحلى والاتجاه الواسع النطاق نحو اللامركزية واتخاذ خطوات على طريق الثـورة الادارية وذلـــك كله فى نطاق دعـــم الديمقراطية .

كما أن المجتمع يتجه بجانب التحرير الى التعمير ويصمم على قطع مسافة التخلف التى شاركت عوامـــل عديدة فى خلقها ليلحق بركب التقدم وذلك لا يتأتى الا من خلال التنمية الشاملة المتكاملة .

وفى هذه الورقة التى تعالج هذا الموضوع الحيوى لابد من التعرض لبعض الأمور مثل ماهية المشاركة ودوافعها ودرجاتها ومعوقاتها ثم ماهية

(★) استاذ علم الاجتماع المساعد — جامعة المنيا .

التنمية ومعوقاتها ولابد من عرض لدورالمشاركة الشعبية فى عمليـــات التنمية ..

أولا : ماهية المشاركة :

يقصد بالمشاركة الشعبية « العملية التى من خلالها يلعب الفرد دورا فى الحياة السياسية والاجتماعية لمجتمعه وتكون لديه الفرصة لان يشارك فى وضع الاهداف العامة لذلك المجتمع وكذلك أفضل الوسائل لتحقيق وانجاز هذه الأهداف »(٢) .

والحديث هنا عن المشاركة الشعبية يعنى المشاركة سواء فى النواحى السياسية أو الاجتماعية ويتمثل تعريف دائرة معارف العلوم الاجتماعية للمشاركة السياسية فى أنها « تلك الانشطة الادارية التى يشارك بمقتضاها أفراد مجتمع فى اختيار حكامه وفى صياغه السياسة العامة بشكل مباشرة أو غير مباشر أى أنها تعنى اشتراك الفرد فى مختلف مستويات النظـــام السياسى (٣) ..

فالمشاركة **السياسية** الشعبية تشمل النشاطات السياسية المباشرة (الاولية) والنشاطات غير المباشرة (الثانوية) ومن أمثلة المشاركـــة فى النشاطات السياسية المباشرة ـ تقلد منصب سياسى عضوية الحزب ـ الترشيح فى الانتخابات ـ التصويت ـ مناقشة الامور العامة .

أما أمثلة النشاطات غير المباشرة فهى تمثل المعرفة والوقـــوف على المسائل العامة ـ العضوية فى هيئات التطوع وبعض أشكال العمل فـــى الجماعات الأولية .

وتقوم عملية المشاركة حديثا على أربعة مبادىء (٤) :

١ ـ لا تعنى المشاركة مشاركة أفقية فقط أى بين أناس من طبيعةواحدة وانما مشاركة أفقية ورأسية بين مختلف المستويات والهيئات .

١ ـ اتخاذ القرار من أجل التخطيط وأولوياته لا يجب أن تزاولـــه مجموعة فقط تعتبر نفسها صفوة المجتمع وهى الجديرة والاحق بتحديـــد الاولويات واتخاذ القرارات وانما لابد أن تكون المشاركة شعبية واسعـــة النطاق لا مشاركة الصفوة فقط .

٣ ـ يجب أن يعكس التخطيط احتياجات الناس بصفة عامة والفقراء بصفة خاصة كما أن نماذج خطط التنمية لا يجب أن تضعها الصفوة فقط وانما تشارك فى وضعها الجماهير ·

٤ ـ يجب أن تتضمن عملية المشاركة عملية الضبط والرقابة والمشاركة فى اتخاذ القرار بجانب تبادل الآراء بين القاعدة والقمة والعكس ·

والسؤال الذى يطرح نفسه هو مدى المشاركة
What is the extent of participation ?

من الذين يشاركون ؟ Who participate ?

لماذا يشاركون ؟ Why do they participate ?

ويرى بعض علماء الاجتماع **السياسي** (٥) ان درجات المشاركة الشعبية السياسية تتعدد على النحو التالى :

١ ـ تقلد منصب سياسى أو ادارى ·

٢ ـ السعى نحو منصب سياسى أو ادارى ·

٣ ـ العضوية النشطة فى التنظيم السياسى (الحزب مثلا) ·

٤ ـ العضوية العادية فى التنظيم السياسى ·

٥ ـ العضوية النشطة فى التنظيم شبه السياسى ·

٦ ـ العضوية العادية فى التنظيم شبة السياسى ·

٧ ـ المشاركة فى الاجتماعات السياسية العامة ·

٨ ـ المشاركة فى المناقشات السياسية غير الرسمية ·

٩ ـ الاهتمام العام بالسياسة ·

١٠ ـ التصويت ·

ويلاحظ أن تقلد منصب سياسى أو ادارى يقع على رأس الهرم بمعنى أنه يمثل أقصى درجات المشاركة ويأخذ مستوى المشاركة فى الهبوط والتناقص الى أن يصل الى أسفل القاعدة وهو التصويت باعتباره أدنى مستوى من صور وأشكال التعبير عن المشاركة السياسية ·

وتتمثل السلبية السياسية فى اللامبالاة Apathy ويتمثل هذا فى عدم الاهتمام بالأفراد أو الظواهر أو المواقف فى المجتمع بصفة عامة أو خاصة .

٢ — الاسلوب التهكمى أو الساخر Cynicism ويتمثل ذلك فى الشك فى أحوال وأقوال الآخرين فى المجتمع خاصة قياداته والنظروالشعور بأن العمل السياسى عمل ردىء ، وأن الثقة فى رجال الحركة السياسية أمر مستحيل ...

٣ — الاغتراب Alienation ويعنى ذلك شعور الفرد بالغربة عن العمل السياسى والحكومة وما يدور فى المجتمع .

٤ — اللامعيارية Anomie ويقصد بذلك شعور الفرد بأن المجتمع والسلطة فيه لا يحسان به ولا يعنيهما أمره وبأنه لا قيمة له فى هذا المجتمع ويؤدى ذلك الى تقليل الفرد من أهدافه وفقدانه الحماس والدافع والباعث على المشاركة الفعالة فى عالم السياسة ..

ثانيا — اسباب العزوف عن المشاركة :

أما أسباب عزوف البعض عن المشاركة السياسية الشعبية واتخاذه موقفاً سلبياً واحساسه باللامبالاة أو الشك أو الغربة أو الاغتراب السياسى فان ذلك يتمثل فيما يلى :

١ — ما يتوقعه البعض من نتائج المشاركة وذلك له عدة صور منها :

(أ) قد يشعر الفرد أن اشتراكه فى السياسة أو أعمال مجتمعه بصفة عامة فيه لحياته الخاصة وحقيقة الأمر لا يكون ذلك الا فى المجتمعات التى تغيب فيها سيادة القانون ولا تمارس فيها ديموقراطية حقيقية وتسودها الاعتبارات الشخصية فى الحكم على الأشياء والاشخاص ولذا فى مثل تلك المجتمعات لا يحس كثيرون من أفراد المجتمع حتى بأنتمائهم انتماء حقيقيا لمجتمعهماذ يحسون أنهم غرباء وتسود بينهم «الاناملية» و « المعلشية » بل «والأبعتية». فقد يرى الخطأ يقع أمامه ويهدد مجتمعه ولكنه يقول « أنا مالى » وحين يخطىء البعض وعليهم تحمل نتيجة أخطائهم تجد من يقول لا تعاقبوهم « معلهش » بل قد يصل بالبعض أن

يقول حتى بعد خطئه « وأيه يعنى » ذلك السلوك ومظاهره الهدامة فى المجتمع انما يكون فى مجتمع تأخذ فيه الديموقراطية أجازة كما أن القانون يكون فى غيبة عما يحدث فى ذلك المجتمع ٠

(ب) قد يرى البعض أن المشاركة فى العمل السياسى تؤثر علاقاته بالاصدقاء والجيران وقد يؤثر ذلك على وضعه الاجتماعى ومكانته الاجتماعية والجدير بالذكر أن بعض علماء الاجتماع يرون أن مكانة الفرد فى المجتمعات المتخلفة تكون على أساس انتمائه لعصبة أو قبلية معينة ، وفى المجتمعات النامية وأقل تخلفا تكون مكانته على أساس الوظيفة أو المنصب (الكرسى) الذى يشغله ، أما فى المجتمعات المتقدمة فان مكانة الفرد تتحدد على أساس الدور الذى يلعبه لخدمة المواطنين ومدى مشاركته فى أعمال مجتمعه والنهوض به ٠ واذا كان المجتمع قد عقد العزم على قطع مسافة التخلف وبناء مجتمع متقدم ، مجتمع العلم لا مجتمع **الفهلوة** ومجتمع **الايمان لا مجتمع الزندقة** فانه من المأمول أن يتحقق ذلك ، ويومها لا يخشى فرد من المشاركة فى العمل **السياسى** لأن مكانته لن تكون مرتبطة بمدى ارتباطه أو انتمائه لقبيلة أو عائلة معينة ولا بالمنصب الذى يشغله ٠

وانما سيكون التقييم لدوره موضوعيا وقائما على مدى مساهمته فى بناء مجتمعه ومدى عطائه ٠ عطاء بلا من بل وبلا مقابل سوى التقدير الاجتماعى من بنى وطنه ومجتمعه ٠

(ج) قد يرى البعض أن اشتراكه فى العمل **السياسى** قد يهدد مركزه المهنى لأن انتماءه لحزب من الاحزاب قد يدفع القائمين على الاحزاب الأخرى بمحاولة ضرره واعتقد أنه اذا ما كانت الديموقراطية تمارس والقانون يسود والوعى يزداد فى مجتمع من المجتمعات فان مثل تلك المخاوف والشكوك تتضاءل بل **يجب** أن تزول ٠

٢ ــ قد يرى البعض أن نتائج العمل السياسى غير مؤكده أو مفيدة ولا طائل منها وأن هناك فجوة بين القول والفعل فى المجتمع وذلك يدفع بالبعض الى الابتعاد عن المشاركة ٠

٣ ــ غياب عوامل الاستثارة والمنبهات السياسية ويرتبط ذلك بطبيعة

الحال بوسائل الاعلام ودورها فى المجتمع والحياة السياسية وبطبيعة التنشئة السياسية فى المجتمع .

٤ ـ المناخ السياسى العام :

من عوامل عزوف البعض عن المشاركة المناخ السياسى العام فى مجتمع من المجتمعات ويرتبط ذلك بالتنظيمات والمؤسسات القائمة فى المجتمع وبالدستور وطبيعة النظام الحزبى فى ذلك المجتمع .. نتيجة نظم سياسية واجتماعية تعمل على تشجيع المشاركة خاصة اذا ما تضمنت دساتيرها وقوانينها ذلك واذا ما حاولت القيادة السياسية فى تلك المجتمعات التأكيد على ضرورة تطبيق ما نصت عليه هذه الدساتير والقوانين (٦) ..

كما ترتبط بعملية المشاركة ومداها عوامل مختلفة منها التعليم اذ أنه من المتوقع مشاركة المتعلمين بنسبة أكبر من الاميين ، والسن والنوع والوظيفة الاجتماعية والاقتصادية للافراد ومدى سماح المجتمع وتشجيعه على عمليات التدرج الاجتماعى المطبقى والحراك الاجتماعى أفقيا ورأسيا فى المجتمع ، ويرى بعض العلماء (٧) أن الرجال فى العادة أكثر مشاركة من النساء وأن الأكثر وعيا سياسيا أكثر اشتراكا وأن انتخابات معينة أو مرشحا معينا قد يزيد من اشتراك بعض الناس سياسيا وأنه فى العادة يكون أولئك الذين يحدرون من أسر نشيطة سياسيا أكثر نشاطا ومشاركة من غيرهم وأن الذين يظنون أن السياسة هامة فى الواقع يكونون أنشطة من غيرهم كما أن الذين لديهم احساس وثقة فى أنفسهم سياسيا يكونون أنشط من غيرهم وأعضاء الاحزاب يكونون أنشط ممن لم يحددوا هويتهم السياسية .

ويرى بعض علماء الاجتماع **السياسى** (٨) أن مراحل معينة من التنمية القومية تمر بها الدول يكون الناس فيها أكثر نشاطا وأكثر اشتراكا وأنه يزداد حجم وعدد المشاركين كلما زادت درجة نمو البلدان اقتصاديا وكلما زاد دخلهم وأن للتصنيع علاقة بذلك .. وأن ظهور منظمات اقتصادية واجتماعية مع مرحلة التصنيع وحدوث حراك اجتماعى تتبعه بالضرورة زيادة فى عمليات المشاركة الشعبية ..

ثالثا ـ دوافع المشاركة الشعبية :

هناك مجموعة من الدوافع تدفع المواطن للمشاركة سياسيا أو اجتماعيا من بينها :

١ ــ العمل من أجل الصالح العام ٠
٢ ــ حب العمل مع الآخرين ٠
٣ ــ الرغبة فى كسب شعبية بين المواطنين ٠
٤ ــ الحصول على مركز فى الهيئات والجمعيات أو الحزب ٠
٥ ــ كسب تقدير واحترام المواطنين ٠
٦ ــ مزاملة الأصدقاء ٠
٧ ــ مصلحة مادية ٠
٨ ــ الدافع الذاتى للمشاركة والعمل ويتمثل ذلك فى وجود حاجات للانسان من بينها :

حاجات اجتماعية تتمثل فى الانتماء Belonging needs
وحاجات المركز Status needs
وحاجات التقدير Esteem needs
وحاجات تحقيق الذات Self-assertion needs

٩ ــ وجود حوافز مادية ومعنوية للمشاركة ٠٠

واذا كان قد سبق القول أن **المشاركة الشعبية** تعنى مشاركة جموع الشعب **وليس الصفوة منه** فقط فان ذلك يمكن أن يتحقق اذا ما وجدت الظروف التى يعطى فيها المحظوظون ، والبائسون ، الاغنياء والفقراء فرصة لايقاظ ضمائرهم الداخلية تمشيا مع مبادىء عامة معينة يقبلها المجتمع ، وثمة مبادىء أربعة لايقاظ هذه الضمائر ودفعها للمشاركة ألا وهى :

١ ــ احترام لحياة وآدمية الانسان كل انسان فى المجتمع وصدق الله العظيم القائل « ولقد كرمنا بنى آدم » كرمه بجانب العقل بأمور كثيرة ، فالانسان الجائع لا يحس بالكرامة مثل غير الجائع فتوفير لقمة العيش لكل مواطن من مقومات تحقيق آدمية وكرامة الانسان ، والانسان العاطل لا يحس بالكرامة مثل من يعمل فوجود فرص عمل للقادر وطالب العمل من مقومات الكرامة ، والانسان المريض لا يحس بالكرامة مثل الصحيح الجسم والعقل فتوفير العلاج والدواء من مقومات تحقيق الكرامة والانسان الجاهل لا يحس بالكرامة مثل المتعلم فتوفير فرص التعليم والتعليم من مقومات تحقيق الكرامة والانسان الذى لا يجد مسكنا مناسبا لا يحس بالكرامة مثل من لديه مسكن مناسب فتوفير المسكن المناسب من مقومات الكرامة والانسان المكبوت الذليل الذى لا يستطيع التعبير عن رأيه لا يحس بالكرامة مثل الانسان الحر

فالديموقراطية وضمانات حرية التعبير من مقومات الكرامة وأدمية الانسان وقس على ذلك الكثير والكثير من مقومات تحقيق الكرامة والأدمية للانسان ، على أن هذه الامور عبارة عن خدمات وهذه الخدمات يحتاج تحقيقها الىدخل (موارد) ولا يتأتى **ذلك الا بالانتاج** ومن عوامل الانتاج الرئيسية العمل ولا يتأتى العمل الا من خلال المشاركة والحماس لزيادة الانتاج فهى معادلة صعبة اذ لا خدمات بدون انتاج فى نفس الوقت يجب أن يلازم الانتاج خدمات مع وجود عدالة اجتماعية ومعايير موضوعية لتوزيعها بحيث يحس الاغنياء والفقراء أنهم أبناء وطن واحد ينتمون اليه وأن الوطن وقيادته ساهرة على توفير المقومات الأساسية لحياة وآدمية الانسان مادية ومعنوية ..

« خدمات ـــ موارد ـــ انتاج ـــ عمل ومشاركة »

٢ ــ اتخاذ اجراءات عملية لمواجهة مشاكل المواطنين ويتمثل ذلك فى تحقيق وتطبيق الثورة الادارية على أن تلك الثورة لا تعنى ثورة القوانين والاجراءات بقدر ما تعنى ثورة فى السلوك والنواحى الاجتماعية والأخلاقية وضرب المثل بحيث تكون القدوة الحسنة فى كل موقع من مواقع العمل مثلا يحتذى فى القول والفعل ..

٣ ــ تعليم كيف يستمتع ويشعر الانسان بالسعادة من خلال العمل والخدمة العامة وذلك يرتبط بعمليات التنشئة الاجتماعية من ناحية ويحتاج الى عمليات تدريب من ناحية أخرى ووجود حوافز مادية ومعنوية وتطبيق مبدأ الثواب والعقاب ووضع الرجل المناسب فى المكان المناسب وأن يرى كل عامل أن معيار الترقى معيار موضوعى وأن المجتمع يرعاه بقدر ما يعطى للمجتمع ..

٤ ــ تحقيق الاستقرار والأمن النفسى للمواطنين .. ويتأتى ذلك من خلال ضمانات قانونية وتطبيق لتلك الضمانات فى ظل سيادة للقانون وتحقيق للديموقراطية ومد مظلة التامينات الاجتماعية لتشمل كل مواطن فى المجتمع واحساس المواطنين بأن القانون أكبر من كل كبير وأعظم من كل عظيم والعدالة عدالة سريعة فى اعلانها فى اجراءات تنفيذها كما يتأتى ذلك بازالة الفوارق بين الطبقات من خلال سيادة القانون غير أن القانون وحده لا يكفى اذ لابد من تغيير نسق القيم فى المجتمع ومن هنا نجد أن المجالس المنتخبة يمكن أن تلعب دورا هاما فى مثل هذه الامور ولابد من ادخال وسائل وطرق حديثة للتغيير وبداية العمل تكون مع ومن خلال المجالس المحلية وخاصة فى المناطق الريفية ويكفى أن نعرف أن ٨٥٪ من سكان العالم يعيشون فى

الريف فى ٢ مليون قرية وأن ٦٠٪ من سكان مصر يعيشــون فى الريف وكما يقول بعض علماء الاجتماع أن مستقبل العالم كله يكمن فى الريف (٩) . **لذا ومن العوامل المجتمعية التى تشجع على المشاركة ما يلى :**

١ ــ خلق قنوات من خلالها تكون المشاركة الايجابية وليست المشاركة الشكلية وتعتبر المجالس المحلية المنتخبة بل والجمعيات الاهلية قنــوات شرعية يمكن تشجيع الاهالى على الاشتراك من خلالها بعد دراسة معوقات العمل بها .

٢ ــ وضع التشريعات اللازمة التى تضمن وتؤكد وتحمى المشاركة .

٣ ــ وضع استراتيجية اجتماعية تعمل على ازالة معوقات المشاركة الشعبية ..

٤ ــ العمل على تأكيد القيم المجتمعية التى تعمل على تحقيق الانسجام فى المجتمع وتساعد على خلق المجتمع المتكامل المشارك وذلك فى خلال أجهزة الحكم المحلى والتعليم والاعلام ..

على أن أفضل وسيلة لتشجيع المشاركة هى من خلال المشاركة نفسها.

The best way to encourage participation is through participation itself.

٥ ــ مساعدة الناس على المشاركة من خلال التدريب والتعلــيم ولتشمل مناهج التعليم على الاتجاهات والقيم المشجعة على ذلك ..

والمشاركة كما سبق أن نوهنا هدف ووسيلة ولا يمكن أن تكون المشاركة لمجرد المشاركة ولا ينازع أحد فى حق المواطنين كل المواطنين فى أن يشاركوا فى تحديد الاحتياجات وتشكيل القرارات والمساهمة فى صنعها والمساهمة فى تنفيذها ومتابعتها وتقييمها أملا فى الوصول الى حياة أفضل ومجتمع أكثر تقدما وتحقيقاً لتنمية شاملة متكاملة .. **والسؤال المطروح هو ما هو دور المشاركة الشعبية فى التنمية القومية ؟** وللاجابة على هذا السؤال يلزم تحديد ماهية التنمية وما معوقاتها ومدى اسهامات المواطنين فى تحقيقها ..

رابعا ــ ما هية التنمية :

يعتبر موضوع التنمية من أكثر الموضوعات شيوعا فى الكتــابات الاجتماعية والاقتصادية بل والسياسية المعاصرة وبخاصة تلك الكتابات التى

تهدف الى وضع خطط محددة للارتقاء بالمجتمع الانسانى فى عمومه أو بعض المجتمعات المتخلفة .. ومما لا شك فيه أن موضوع التنمية أصبح يمثل مكان الصدارة والاهتمام فى العلوم الاجتماعية وتزداد أهمية هذا الموضوع بالنسبة للمجتمعات النامية التى أصبحت تعتمد على التنمية كأساس لدفع مجتمعاتها نحو الأخذ بأساليب التقدم والتحديث .

والتنمية مفهوم لا ينتمى الى علم واحد بل لابد من تعاون العلوم المختلفة والتخصصات المتباينة سواء كانت عامة أو جزئية خوفا من الانطواء فى حيز ضيق من النظريات الاجتماعية أو الاقتصادية ويقع الباحثون أسرى للتمييز الاكاديمى الضيق ..

ولقد اختلف المفكرون الاجتماعيون فيما بينهم فى تحديدهم لمفهوم التنمية وأبعادها ومعوقاتها فركز البعض على الجوانب الاقتصادية وأنصب معنى التنمية عندهم على العمليات التى يمكن عن طريقها الوصول بمتوسط هؤلاء الباحثين مقارنة أية دولة من الوجهة الاقتصادية بدول معينة اصطلح على أنها تمثل المستوى المتقدم فى هذه الناحية وبذلك تمثلت التنمية دخل الفرد فى دولة ما الى مستوى معين كما تضمن معنى التخلف عند عندهم فى قدرة الانسان والدولة على استخدام الأساليب التكنولوجية للسيطرة على موارد الطبيعة بهدف رفع متوسط دخل الفرد .

أما المهتمون بالتربية فيرون أن الجهل هو العامل الرئيسى فى التخلف وأن الكثير من أسباب أمراض المجتمع وتخلفة مرجعة الى الجهل .

وكانت نظرة المهتمين بالصحة الى التنمية من زاوية اهتمامهم واعتبروا برامج الصحة العامة أول منطلق نحو التنمية (١٠) .

ويرجع كثير من الديموجرافيين صعوبات المجتمع وما يواجهه من تحديات الى عدم التناسب بين الزيادة السكانية والزيادة فى الموارد .

ولقد ثبت عقم تفسير الظواهر بالعامل الواحد وأصبح اتجاه الدراسات المعاصرة يقوم على مبدأ التكامل فاتجه المفكرون الى اتخاذ معايير متعددة الابعاد للتمييز بين الدول المتخلفة والمتقدمة .

هذا ويهتم مفهوم « التنمية الاجتماعية » بتنمية العلاقات والروابط الاجتماعية القائمة فى المجتمع ورفع مستوى الخدمات التى تحقق تأمين الفرد

على يومة ورفع مستوياته الاجتماعية والثقافية والصحية وزيادة قدراته على تفهم مشاكله وحثه على التعاون مع أعضاء المجتمع للوصول الى حيـــاة أفضل ..

بينما يهتم مفهوم « التنمية الاقتصادية » بزيادة دخل الفرد وتنظيم استهلاكه حتى يتمكن من اشباع احتياجاته فى المجتمع أى أن التنميـــة الاقتصادية تهتم بكل ماله قيمة مادية فى بيئة الانسان كالزراعة والصناعة والتجارة وغيرها .

ويعنى هذا أن التنمية الاقتصادية لا يمكن فصلها عن التنمية الاجتماعية لارتباط كل منهما بالاخرى ارتباطا عضويا ومن ثم يجب أن تعمل التنمية الاجتماعية على خدمة الانتاج من ناحية وخدمة الانسان من ناحية أخرى كما يجب أن تهدف التنمية الاقتصادية الى رفع مستوى الدخل من ناحية والى توفير فرص متكافئة من الخدمات لاعضاء المجتمع من ناحية أخرى حيث أن الانسان كهدف رئيسى للتنمية الاجتماعية من أقوى العوامل المؤثرة فى التنمية الاقتصادية فهو الوسيلة التى تساعد على تحقيقها وهو الهدف الذى توجه هذه التنمية من أجله ، والمواطن باعتباره وسيلة وهدف التنمية يجب أن يعطى الفرصة فى المشاركة فى صنع قراراتها وتنفيذها وتقييمها والا يستعمل كوسيلة لتحقيق التنمية دون المشاركة فى التخطيط لها ومتابعتها والأهم من ذلك المشاركة فى جنى ثمارها فيحس بعائد منها والا أدى ذلك الى مصائب ومشاكل كثيرة ..

'To use people as a tool for development and not as decision-makers may quite create disasters". (١١) .

والتنمية بصفة عامة عبارة عن « النمو المدروس على أسس علمية والذى قيست أبعاده بمقاييس علمية سواء كان تنمية شاملة ومتكاملة أو تنمية فى أحد الميادين الرئيسية مثل الميدان الاقتصادى أو الاجتماعى أو السياسى أو الميادين الفرعية كالتنمية الصناعية أو التنمية الزراعية الخ (١٢) .

وهناك اصطلاح آخر يسمى « تنمية المجتمع "community Development" وقد عرفته هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٦ على أنه « العملية التى بمقتضاها توجه الجهود لكل من الاهالى والحكومة لتحسين الظروف الاجتماعـــية والاقتصادية فى المجتمعات المحلية لمساعدتها على الاندماج فى حياة الامة والاسهام فى تقدمها بأقصى ما يمكن » (١٣) .

وهذا التعريف يبين بوضوح الأركان الاساسية لتنمية المجتمع ومنه يمكن التمييز بين مبادىء ثلاثة أساسية يجب أن تتوفر بقدر الامكان حتى يعتبر المشروع مشروعا لتنمية المجتمع ..

المبدأ الأول :

هو أن المشروعات يجب أن تكون جزءا من سياسة الدولة التى تتمثل فى خطة قومية شاملة للارتقاء بالمجتمع القومى فأحد أهداف التنمية ربط المجتمع المحلى بالمجتمع القومى والاندماج فى حياة الأمة ككل ..

المبدأ الثانى :

هو أن التنمية عملية تغيير مستمرة وشاملة أى أنها عملية مجتمعية وليست مجرد عملية اقتصادية مما يعنى ضرورة الربط بين التخطيط الاقتصادى والاجتماعى ..

المبدأ الثالث :

هو ضرورة تعاون المواطنين والحكومة فى تنفيذ المشروعات والعنصر المهم هنا هو موقف الاهالى الايجابى من المشروع ومدى اقتناعهم بأهميته وتقديرهم لنتائجه ويرى بعض العلماء أنه فى الحالات التى لا يتوفر فيها مثل هذا الشعور فلابد من العمل على خلقه وايجاده وايقاظ احساس الناس بكل الطرق الممكنة فكأن تنمية المجتمع تنطوى بذلك على جانب تربوى يقوم على اذكاءروح المبادأة والتعاون ومادامت التنمية عملية تكاملية مشتركة فان ذلك يفترض اشراك الاهالى بقدر الامكان فى كل خطوات المشروع أو التنفيذ الى جانب الاستفادة بطبيعة الحال من عائد المشروع ذاته واشتراك الاهالى سوف يقتضى وضع المشروع ذاته فى ضوء مشكلاتهم وبذا يرتبط المشروع باحتياجات المجتمع والامكانيات المتاحة ..

كما أن ذلك كفيل بأن يجنب المشروع كثيرا من العوائق التى قد تؤدى الى فشله اذ أن المشروع لابد وأن يتفق مع تصور المواطنين للحياة التى يرغبونها وأن يستجيب لاحتياجاتهم المباشرة والملحة وتتمثل العناصر الأساسية لتنمية المجتمع فيما يلى :

١ — ضرورة اتساق النشاط مع الحاجات والرغبات الاساسية للمجتمع .

٢ - توفير الجهود المتناسقة واعتبار البرامج متعددة الاغراض أساسا لتحقيق التنمية الشاملة المتوازنة ..

٣ - توفير المساعدات الحكومية والتوسع فيها كما ونوعا فالحكومة سند وشريك .

٤ - اتساق وتكامل البرامج المحلية مع البرامج القومية .

٥ - تحقيق المشاركة الشعبية الايجابية حجما ونوعا بما فى ذلك مشاركة المرأة والشباب .

٦ - اكتشاف القيادات المحلية وتشجيعها وتدريبها من الاهـــداف الأساسية لتنمية المجتمع .

٧ - تغيير اتجاهات أفراد المجتمع له نفس أهمية الاهداف المادية(١٤) .

معوقات التنمية

تواجه عمليات التنمية بعض المعوقات بعضها ثقافى وبعضها اجتماعى وسياسى بجانب بعض المعوقات الاقتصادية والادارية من هذه المعوقات :

١ - عدم التكامل فى التنمية :

والتكامل يعنى أن تسير التنمية فى مختلف القطاعات بطريقة متوازنة ولذا فمن الصعب أن لم يكن من المستحيل تنمية الصناعة مثلا بدون تنمية التعليم أو حل مشاكل المدينة اهتمام مماثل بمشاكل الريف كما يعنى التكامل فى التنمية وجود مفهوم شامل يوجه خطة التنمية كلها ، ولا يهدف التكامل فى التنمية التنسيق بين الجهود المبذولة فحسب وانما يهدف الى صهر تلك المجهودات فى بوتقة واحدة وفى اطار فلسفة موحدة ارتضاهـــا المجتمع .

٢ - القيم الاجتماعية السائدة :

من المعروف أن القيم الاجتماعية تلعب دورا هاما فى تكوين البـــناء الاقتصادى وكذلك الاجتماعى والثقافى والسياسى للمجتمعات فهى الاطـــار المرجعى للسلوك الفردى وهى الدافعة للسلوك الجمعى وتحتاج عمليات التنمية الى انماط سلوكية جديدة وبالتالى تحتاج الى قيم جديدة تدفع الى أهـــداف التنمية وتقودها الى الطريق الصحيح ولذا فانه اذا كانت القيم الاجتماعية

جامدة ومتخلفة واجهت برامج التنمية عقبات شتى فى التنفيذ ومن القيم والمعايير التى تعوق التنمية ما يلى على سبيل المثال :

— الانعزالية والتوكل على الغير ·

— عدم الايمان بالعمل اليدوى واحترامه ·

— عدم تقديس العمل كقيمة ·

— عدم الايمان بالجديد والتخوف من المستحدثات ·

— عدم الاعتراف بأهمية المرأة ودورها فى المجتمع مما ينتج عنه تعطيل لطاقات نصف المجتمع تقريبا ·

— عدم تقدير الوقت ·

٣ — المعوقات الثقافية :

تعتبرالمعوقات الثقافية فى سبيل التنمية فى المجتمعات النامية من أهم التحديات التى تواجهها هذه المجتمعات بما فيها من متناقضات ثقافية وخيرشاهد على ذلك وجود أمثلة عامية كثيرة بعضها يحض على شىء والبعض الآخر يحض على نقيضه وذلك بطبيعة الحال يؤثر على أنماط السلوك وبالتالى على مدى تقبل المواطنين للمشروعات ومدى مشاركتهم فيها ·

ويمكن التخفيف من حدة هذا التناقض أو القضاء عليه عن طريق :

— وجود سياسة اجتماعية واضحة المعالم والاغراض والاهداف ·

— اجراء دراسات وبحوث علمية عديدة فى محيط المعوقات الثقافية وبخاصة ما يتعلق من هذه الدراسات بأهداف التنمية ·

— تعاون المخططين الاجتماعيين والثقافيين والباحثين العلميين فى ميدان التنمية والعاملين فى هذا الميدان على اختلاف تخصصاتهم والجماهير ، وبدون تعاون الجماهير لا يمكن تحقيق برامج القضاء على العناصر الثقافية التى تقف فى سبيل التنمية ·

ويمكن تشجيع الجماهيرعلى المساهمة بدور فعال عن طريق :

— أن تجعل الجماهير تعيش فى ظروف اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية تيسر لها الشعور بالانتماء الى المجتمع الذى نعيش فيه ·

— اذا أمكن جعل الجماهير تعتبران هذا المجتمع هو جماعتها المرجعية التى تسعد لسعادتها وتشقى لشقائها وتحميها وتدافع عنها .

٤ — معوقات ادارية :

(أ) تخلف الاجهزة الادارية القائمة :

ويتمثل ذلك فى بعض السمات أهمها :

— تعقد فى الاجراءات واغراق فى الروتين .
— البطء الشديد فى اصدار القرارات وتناقض بعضها للبعض .
— عدم الالتزام بتنفيذ الشعارات المعلنة .
— انتشار اللامبالاة والسلبية وسياسة الانامالية والمعلشية .
— عدم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب فى بعض الاحيان .
— سيطرة العوامل الشخصية على علاقات العمل الرسمية وانجازاته .

(ب) صعوبة التنسيق بين الوحدات الادارية الجديدة من ناحية وبينها وبين الاجهزة التقليدية القائمة من ناحية أخرى .

(ج) العجز فى الكفايات الادارية المؤهلة والمدربة والقادرة على تحمل مسئوليات التنمية .

(د) عدم تطوير التشريعات :

قد تكون التشريعات والقوانين عقبة فى سبيل التغيير ولذا وجب تطويع القوانين وتغييرها لخدمة التنمية وحتى لا تصبح قيدا عليها .

٥ — بعض المصالح الخاصة والأغراض الشخصية :

اذا تعارضت التغييرات التنموية مع مصالح بعض الافراد والجماعات فى المجتمع فلا شك أنها ستواجه بمقاومة شديدة من هذه الفئات التى ستسعى الى نشر روح المقاومة للتغيرات الجديدة فى أكبر نطاق ممكن من الاشاعات الكاذبة والمغرضة حول التغييرات الجديدة بل قد يصل الامر الى مقاومة بعض المشروعات بايقاف تنفيذها اذا كان لبعض أصحاب المصالح الخاصة نفوذ كبير فى المجتمع .

٦ ـ الخوف من الجديد :

يخشى كثير من الأفراد بل والمسئولين أن يتحملوا عبء تجربة جديدة لا يعرفون نتائجها وتساهم خبراتهم السابقة فى تشجيعهم على الاقدام على عدم قبول التجربة الجديدة أو المشروع الجديد (١٥) ٠

٧ ـ القيادات :

من أهم سمات القائد الناجح قدرته على تحريك الجماهير واثارة الهمم نحو تحقيق هدف مشترك باستخدام الموارد المتاحة وتوافر مثل هذا النوع من القيادات ليس أمرا سهلا ٠

واختيار القيادات أمر شاق وتكوينها ورعايتها ضرورة من ضرورات التنمية وتواجه بعض القيادات بعض المضايقات أحيانا فتقل معنوياتهـــا وآمالها وتنقلب من قيادات متحمسة الى قيادات متحفظة بل وأحيانا ناقمة كما أنه أحيانا ما تقاوم القيادات بعض مشروعات التنمية ولذا فان من معوقات التنمية وجود هذا النوع من القيادات فى المجتمع ٠٠

٨ ـ نقص الموارد :

أن النقص فى الموارد يعتبر عائقا هاما من معوقات عمليات التنمية وتتمثل الموارد فى :

أ ـ الموارد البشرية :

وهناك عوامل متعددة تحدد حجم الموارد البشرية ونوعيتها وأهم هذه العوامل السكانية المواليد والوفيات وفئات العمر والنوع والهجرة الداخلية أو الخارجية الخ ٠٠٠

ب ـ الموارد المادية :

ويقصد بذلك الموارد الطبيعية التى تمتلكـــــها الدولة والتى يمكن استيرادها الخ ٠٠٠

ج ـ الموارد التنظيمية :

ويقصد بها توزيع السلطة فى المجتمع وكذلك درجة الحرية الفردية المتاحة داخل هذا المجتمع ٠

د ـ الموارد التكنولوجية :

وهى كل الاساليب التى يممكن استخدامها لاحداث تغيير فى قيــم المادة أو السلوك من حالة حاضرة الى حالة مستقبلة ٠

وحجم الموارد ونوعيتها بشرية أم غير بشرية يحدد ما اذا كانت الموارد عائقا أم لا ومدى ما تمثله من عبء على مشروعات التنمية ٠

٩ ـ سوء التخطيط كمعوق للتنمية :

ويتمثل ذلك فى :

- عدم وضوح الهدف من التخطيط عند العاملين فيه أو التأثر به ٠
- عدم الدقة فى اختيار الوسيلة المحققة للهدف ٠
- عدم القدرة على التحكم فى الموقف الذى يخطط له ٠
- عدم التنسيق بين الجهات العاملة فى مجالات التخطيط المختلفة٠
- عدم توفر الاجهزة المسئولة عن الدراسات والبحوث والاحصاءات وخاصة على المستوى القومى أو حتى الاقليمى ٠

١٠ ـ عدم تحديد الحجم الأمثل لوحدة التنمية :

من الأهمية بمكان محاولة الوصول الى الحجم الأمثل لوحدة التنمية جغرافيا واقتصاديا واجتماعيا وديموجرافيا ٠ وعدم الوصول لذلك يعتبر معوقا أساسيا من معوقات التنمية ٠

١١ ـ عدم التحديد القاطع لدور وعلاقة كل من المركزيات والمحليات فى التخطيط للتنمية ويعتبر هذا الامر بمكانة فى الاهمية ومعوقا لعمليات التنمية اذ لابد من تجنب الآثار الضارة لتعقد العلاقات وتداخلها بين الاجهزة ومستوياتها وضرورة تحقيق التعاون بينها ٠

١٢ ـ نقص الوعى التخطيطى والتنموى :

يعتبر التخطيط للتنمية عملية فنية وعملية فى نفس الوقتويستلزم ذلك أن يكون القائمون عليها على درجة كبيرة من الوعى بأهميتها كما يجب أن يكون المواطنون المخطط لتنميتهم على درجة من الوعى لتقبل المنميات الجديدة فى المجتمع ـ ويعتبر نقص هذا الوعى معوقا أساسيا للتنميــة الاجتماعية ٠

ولقد توصل عالم الاجتماع الامريكى مور الى مجموعة من العوامل التى تيسر قبول المنميات الجديدة وتتلخص هذه العوامل فيما يلى :

(أ) زيادة روافد السياسة الانمائية بما يؤدى الى انمائها •

(ب) الاحساس الدائم والمستمر بمنابع السياسة الانمائية وتأثيراتها الجديدة •

(ج) وجود قيادات مستنيرة لها من قوة الاقناع ما يساعدها على تغيير المفهوم الثقافى التقليدى لدى صاحبه •

(د) ملاءمة عناصر السياسة الانمائية الجديدة لحاجات معينة تستلزمها وضعيات الأفراد فى تدرجاتها الطبيعية •

(هـ) زيادة المكانة الاجتماعية للمهيمنين على السياسة الانمائية •

(و) مدى ما تثيره السياسة الانمائية فى نفوس الافراد من عوامل القبول أو الرفض بالنسبة لثقافتهم المتقبلة لهذه المنميات •

وهذا القصور الذى ذهب اليه « مور » انما يتطلب مرونة فى طريقة العناصر الجديدة للمنميات اذ يتوقف على هذه الطريقة رفض أو قبول كثير منها ولابد من المواءمة بينها وبين البيئة المنقولة اليها •

ويرى آخرون ان عملية قبول السياسة الانمائية تتوقف على فكرة الدافع أو الباعث للتغيير بمعنى أن نجاح قبول منميات جديدة فى مواجهة ثقافة جامدة انما يتطلب خلق دوافع وحوافز للافراد تدفعهم الى تقبل هذه المنميات الجديدة وثمة رأى آخر يرى عملية قبول المنميات الجديدة انما تتوقف على وسائل الاتصال الجماهيرى •

١٣ ـ تجاهل المشاركة الشعبية :

وهذا هو بيت القصد اذ أن التنمية تقوم على ساقين احداهماالحكومة والاخرى الاهالى ومن الخطورة بمكان أن تسير التنمية على ساق واحدة وكما يقول المثل العامى « يد واحدة لا تصفق » فالحكومة وحدها لا يمكن أنتقوم بكل متطلبات التنمية وعملياتها ومن الضرورى المشاركة الشعبية فى وضع وتنفيذ الخطة والمعروف أن التغيير المنشود لا ينجح الا اذا تم عن رغبة واقتناع وارادة من الذين يحدثونه أو يتأثرون به بالاضافة الى أن المشاركة الشعبية فى وضع الخطة وتنفيذها تعتبر قمة الممارسة الديموقراطية للحرية

بجناحيها السياسى والاجتماعى وهذا هو جوهر العملية التنموية ٠٠

سادسا : أهمية المشاركة فى عمليات التنمية :

سبق أن ألمحنا لأهمية المشاركة ويمكن توضيحها أكثر فيما يلى :

١ ـ المشاركة مبدأ أساسى من مبادىء تنمية المجتمع فالتنمية الحقيقية الناجحة لا تتم بدون مشاركة شعبية ٠٠

٢ ـ من خلال المشاركة يتعلم المواطنون كيف يحلون مشاكلهم ٠

٣ ـ يؤدى اشتراك المواطنين فى عمليات التنمية الى مساندتهم لتلك العمليات والاهتمام بها ومؤازراتها مما يجعلها أكثر ثباتا وأعم فائدة ٠٠

٤ ـ يعتبر المواطنون المحليون فى العادة أكثر حساسية من غيرهم لما يصلح لمجتمعهم ٠٠

٥ ـ أصبحت المشاكل المجتمعية نفسها كثيرة مما يصعب اكتشافها والعمل على حلها عن طريق العاملين المهنيين فقط ٠

٦ ـ توفير الجهد الحكومى لما هو أهم من المسئوليات الكبرى على المستوى القومى ٠

٧ ـ مساهمة الجهود التطوعية من خلال المشاركة الشعبية يعمل على تحقيق مبدأ ديموقراطية الخدمات التى تؤدى عن طريق الشعب لصالح الشعب نفسه ٠

٨ ـ فى المشاركة الشعبية مساندة حقيقية للانفاق الحكومى ٠

٩ ـ الحكومة لا تستطيع أن تقوم بجميع الاعمال والخدمات ودور المشاركة الشعبية دور تدعيمى وتكميلى لدور الحكومة وهو ضرورى وأساسى لتحقيق الخطة ٠

١٠ ـ يمكن للمشاركة الشعبية من خلال الهيئات غير الحكومية أن تؤدى دورا رائدا قد تعجز بعض المؤسسات الحكومية فى بعض المستويات أن تؤديه نظرا لما بالهيئات غير الحكومية من مرونة تجعلها تستجيب بيسر وسرعة لرغبات الجماهير ٠

١١ ـ المشاركة الشعبية من خلال الهيئات الاهلية تفتح فى بعض الاحيان ميادين جديدة للخدمات والنشاط وهى بذلك بجانب مساهمتها المادية والمعنوية توجه انظار الحكومة الى ميادين جديدة ٠٠

١٢ ـ تزيد عمليات المشاركة الشعبية من الوعى الاجتماعى للشعب لاضطرار القائمين عليها الى شرح الخدمات والمشروعات باستمرار بفرض جمع المال وحث بقية المواطنين على الاشتراك والمساهمة ٠٠

١٣ ـ المشاركة الشعبية من خلال الهيئات والمجالس المحلية يمكن أن تقوم بدور الرقابة والضبط وهذا أمر ضرورى يساعد الحكومة على اكتشاف نقاط الضعف ويقلل بل يمنع أحيانا من وقوع أخطاء من المسئولين التنفيذيين اذ أن ذلك يكون بمثابة صمام أمن أمام أية احتمالات للانحراف والقيادة فى أى بلد نام لابد أن تكون حريصة كل الحرص على منع الانحرافات وتطبيق سياسة الثواب والعقاب وضرورة تيسير حل مشاكل الجماهير وتحقيق مجتمع يكون فيه المواطنون مشاركين لا متفرجين أو مهرجين (١٦)٠

المراجع

1. See Batten, t. R., Communities and their Development (New York: Oxford University press, 1957).

2. Eakin, Terry Clay, students and politics: A comparative study, Bombay 1972, p. 96.

3. Mc Closky Herbert, political participation, International Encyclopedia of the social sciences, vol. 12, P. 253.

4. See Dasgupta, sugata, participation in Development published by Columbia University press 1975, pp. 48-50.

5. Ruch, Micheal and Altheff Phillip, An introduction to political sociology, London, Nelson & Sons Ltd., 1971, pp. 76-96.

6. Ibid, P. 111.

7. Eakin, Terry Clay, op. cit. P. 106.

8. Ibid, P. 107.

9. Dasgupta, Sugata, op. cit.

١٠ ـ أنظر ـ د. أحمد الخشاب سيسيولوجية التخلف والتنمية حلقة بحث ضمن برنامج دراسات الدكتوراه فى التخطيط الاجتماعى ـ المعهد العالى للخدمة الاجتماعية ـ القاهرة ـ يناير ١٩٧٣ ـ غير منشور .

ـ د. أمام سليم « النمية الاجتماعية » معهد الادارة المحلية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ ـ غير منشور .

ـ صلاح العبد « التنمية الاجتماعية » المجتمعات المستحدثة بالاراضى المستصلحة الحلقة الدراسية « علم الاجتماع والتنمية فى مصر » مايو ١٩٧٣ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ القاهرة غير منشور .

11. Dasgupta, Sugata, op. cit. P. 47.

١٢ ـ أنظر : د . أمام سليم ـ مرجع سابق .

ـ د . أحمد أبو زيد : التنمية عن طريق المجتمعات المستحدثة ، بحث ضمن أعمال حلقة علم الاجتماع والتنمية فى مصر ـ «مايو ١٩٧٣ » المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية القاهرة ـ غـــير منشور .

- د ٠ عبد المنعم شوقى : « مفهوم التنمية : صياغة محدودة » بحث ضمن أعمال حلقة « علم الاجتماع والتنمية فى مصر » مايو ١٩٧٣ ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة - غير منشور ٠

- د ٠ عاطف غيث : « علم الاجتماع وقضايا التنمية » بحث ضمن أعمال حلقة « علم الاجتماع والتنمية فى مصر » مايو ١٩٧٣ المركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية - القاهرة - غير منشور ٠

١٣- د ٠ عبد المنعم شوقى « تنمية المجتمع وتنظيمه » القاهرة الحديثة ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٤١ ٠

- د ٠ جمال ذكى وعلى فؤاد : مبادىء النهوض بالمجتمع - ترجمة تقرير للأمم المتحدة ، وزارة الشئون الاجتماعية - القاهرة - بدون تاريخ ٠

١٤ - د ٠ عبد المنعم شوقى (نفس المرجع السابق) ٠

١٥ - أنظر - د ٠ سيد عويس « المعوقات الثقافية للتنمية » بحث ضمن أعمال حلقة » علم الاجتماع والتنمية فى مصر « مايو ١٩٧٣ » المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة - غير منشور ٠

- د ٠ وفيق أشرف حسونة « معوقات التنمية الاجتماعية فى الريف المصرى » الحلقة الدراسية لعلم الاجتماع الريفى فى ج ٠ع٠م٠ ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ١٩٧١ ٠

- د٠ محمد على محمد / القيم الثقافية والتنمية ، بحث غير منشور، ضمن حلقة « علم الاجتماع والتنمية فى مصر » ماو ١٩٧٢ ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة ٠

١٦ - د ٠ عبد المنعم شوقى : مناهج الرعاية الاجتماعية فى المجتمع الاشتراكى وزارة الشئون الاجتماعية - القاهرة - بدون تاريخ ص ١٢٦ ٠

(I)

People's participation, and social development.

By

Dr. A. Hadi El Gohary

Associate professor of sociology.

Menia University, Egypt.

People's participation, and social development are of the most important issues, which social scientists deal with. It has its academic as well as national importance.

Development has been defined as an over-all process of transforming men, and societies in such away that every human being can achieve material, and moral well-being. It is a process which calls for the provision of opportunities for a better life, including facilities for education, health, nutrition, housing, employment, an equixable distribution of income, the promotion of justice, and cultural well-being, and social acceptance of every individual.

Development should aim at increasing people's capacity to benefit from the resources of their community, to eliminate class distinctions, and exploitation.

It is a process that enhances the long-term capacity of a society to function for the well-being of all members as understood, and perceived by them, and that provides safeguards for the rights of the individual to an equitable share in the goods, and services produced by the society.

Social development is a relatively new Concept which, integrated with economic development, provides a more balanced process for improving the human Condition by emphasizing Community welfare, self-sufficiency, and self-fulfillment

Scial scientists broadly define people's participation as:

being the process through which the individual plays a role in his society, and has the opportunity to take part in deciding what the Common goals of that society are, and the best ways of achieving these goals.

Participation, as a process that provides for the participant a role in decision-making and in the implementation of programs, was seen as an essential element of development, as an end as well as a means and as an important way of heightening consciousness and increasing knowledge of issues, and available choices.

Participation, as a mean ensures involvement of people, and approval for government policy, and actions.

As an end, participation becomes a condition for social development in the sense that "good government is no substitute for self1government", that people's right to express their consent for actions taken on their behalf is a continuing process, not a periodic exercise to determine who should rule, or misrule them.

Participation is necessary not only to discover resources, and to create assets but to maintain them as well.

The new Concept of participation is based on four basic principles of development :

1. Planning should reflect the need of people in general, and of those in the back-waters in particular.

2. Participation should mean control of the decision-making process.

3. Participation should not mean horizontal participation by members of the same class, but by all people.

4. Decision-making for planning, and its priorities is to be determined not by a political vanguard or elite sitting in a far-away place but by the local people everywhere.

تصنيع البلدان النامية

تأليف

فيكتور نياجو ننكو وآخرين (*)

عرض وتحليل

دكتور عبد الباسط عبد المعطى (**)

أتيح للقائم بعرض الكتاب الراهن أن يتناول بالعرض والتحليل أكثر من مؤلف سوفيتى فى علم الاجتماع ـ فى اعداد سابقة من المجلة الاجتماعية القومية ـ وكان القصد من ذلك محاولة القاء نظرة تحليلية على عينة من الانتاج السوسيولوجى فى الاتحاد السوفيتى ، بهدف التعرف على بعض ملامح واحد من تيارات علم الاجتماع المعاصر ، تلمس ركائزه النظريــة وأسانيده المنهجية فى البحث ، بجانب الاطلاع على موضوعات البحــث السوسيولوجى هناك • وهذا من شأنه أن يتيح امكانات المقارنة بين التيارات السوسيولوجية المعاصرة ، بعد أن ظل اطلاعنا قاصرا ـ غالبا ـ عـــلى الاتجاهات الانجلو أمريكية •

ولمكنة المتتبع للانتاج السوفيتى ملاحظة أن هذا الانتاج وزع عبــر العقود القليلة الماضية ، بين دراسات محلية حول المجتمع السوفيتى ، وبين نقد علم الاجتماع البورجوازى المعاصر ، وبخاصة ما يتعلق منه بالنظريات والدراسات الامريكية • على أن هناك اتجاها ناميا يتمثل فى الاهتمــــام

(*) V.L. Tyagunenko, al., Industrialisation of Developing countries, Progress Publishers, Moscow, 1973.

(**) مدرس علم الاجتماع بكلية البنات جامعة عين شمس •

ظهرت ترجمة عربية للكتاب الداهن عن دار التقدم بموسكو ، ١٩٧٤ بعنوان « مشــكلات التصنيع فى البلدان النامية » وقد أفاد منها القائم بعرض الكتاب مع ملاحظة أن الترجمــة العربية قد اختصرت بعض البيانات والاحصاءات التى تفيــد الباحثين فى اجراء مقارنات بين البلدان النامية فضلا عن وجود ترجمات غير دقيقة لبعض المصطلحات السيسيولوجية خاصــة ما يتعلق منها بالتنظيم الاجتماعى وسوسيولوجيا التصنيع •

بقضايا التنمية ومشكلات التحديث فى العالم الثالث • ويتضح هذا الاتجاه من خلال عدد غير قليل من الدراسات والبحوث ، من بينها على سبيل المثال ، كتاب اسكندروف A. Iskenderov الذى حمل عنوانه « أفريقيا — السياسة والاقتصاد والايديولوجية » • والدراسة التى نشرها بافلوف V. Pavlov وآخرين حول : « التغيرات الاساسية فى آسيا وأفريقيا » • ومجموعة البحوث التى نشرها « فيكتور تياجو ننكو » وآخرين فى مجلد بعنوان « التركيب الطبقى للبلدان النامية » •

وكمحاولة لاثراء هذا الاتجاه الأخير ، يأتى الكتاب الراهن ليركز على موضوع على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للبلدان النامية ، لأن خص موضوع التصنيع ومشكلاته بالدراسة والتحليل ، بل والتقويم أحيانا •

ولعل من بين أبرز ملامح هذا الكتاب ، أنه لم يغرق نفسه فى تفصيلات نظرية وعقائدية ، ولم يفرض على القارىء التجربة السوفيتية فى التصنيع باعتبارها أنموذجا يجب أن يحتذى ، كما تفعل كثير من المؤلفات السوفيتية • وذلك لأن الكتاب حاول أن يقدم تحليلا علميا لمشكلات التصنيع فى العالم الثالث ، ارتكز فيه على الشواهد الكمية والمعالجات الكيفية ، مع استخدام المقارنة بين المجتمعات التى أخذت بالتصنيع فى العالم الثالث ، بقصد توضيح أنماط التصنيع ، ومعدلاته ، ومشكلاته وعلاقته بقضايا التنمية والتحديث فى هذه المجتمعات • واذا كان التحليل قد استخدم المقارنة ، وجمع بين الأبعاد الكمية والكيفية للتصنيع ومصاحباته ومشكلاته ، فقد نهج أيضا فى معالجته أسلوبا جمع مستويين لوصف وتحليل البيانات ، والقضايا ركز الأول على الملامح العامة ، والمشكلات المشتركة للتصنيع على مستوى العالم الثالث ، واهتم الثانى بابراز الملامح النوعية والمشكلات الخاصة بكل مجتمع ، فى ضوء أيديولوجيته فى التنمية ، وحالة بنائه الاجتماعى ، والمرحلة التاريخية التى يعايشها •

واذا كانت الملامح السابقة تقيم مبررا لعرض الكتاب الراهن وتحليله ، فان اهتمامه بمشكلات التصنيع فى مصر ، وتناوله لبعض قضاياه ، خاصة قضية القطاع العام ودوره فى التنمية ومعوقات هذا الدور ، تلح على المشتغلين بعلم الاجتماع والمهتمين بالتصنيع ، فى بلدنا ، بأن يقرءوا هذا الكتاب قراءة تفصيلية متأنية •

ونظرا لان أى مؤلف لكتاب يسير فى خط يعرض من خلاله مضامين عمله ، فليس بالضرورى أن يسير القائم بعرض هذا الكتاب ، على نهج مؤلفه، والا عد العرض والتحليل قراءة مفصلة لفهرس الكتاب ومحتوياته لأن العرض والتحليل يتأثر فى طريقته بتخصيص القائم بالعرض وخلفيته ، وظروف مجتمعه ، خاصة عندما يكون الكتاب متعلقا بقضايا تهم مجتمع الباحث ، وظروف مجتمعة ، على أن هذا لا يحول دون الاشارة السريعة الى أهم مضامين الكتاب بصفة عامة ٠

وبصدد أهم مضامين الكتاب ، فهى تشير الى منظورات التنمية الصناعية، ودور الزراعة فى بلدان العالم الثالث فى تقديم أرضية تتحرك عليها التنمية الصناعية ، وسياسة الدولة واتجاهاتها الايديولوجية وتأثير ذلك فى تحديد مسارات التصنيع وآفاقه ، بجانب الوقوف الى بعض المشكلات : مثل مشكلات السوق المحلية والخارجية ، وموارد التنمية الصناعية ، ومشكلة تحويلها ، ودور رأس المال الأجنبى فيها ، ودور القطاع العام ومعوقات هذا الدور التى تقلل من كفاءته فى التنمية ، ومشكلات الادارة والتنظيم الصناعى ، وتدريب الكوادر العاملة ، وما الى ذلك من مشكلات ٠

ولكى تتضح أهمية الكتاب ، وطريقة تناوله لمشكلات التصنيع ، سوف يتم التركيز على موضوعين : أولهما : علمى أكاديمى يركز على مفهوم التصنيع ومقوماته باعتباره من المفهومات المتداولة فى علم الاجتماع ٠ وثانيهما : مجتمعى يتعلق بقضية القطاع العام ، باعتبار أن هذا الموضوع من بين الموضوعات التى أثير حولها كثير من النقاش والجدل ، وشغلت بعض قطاعات الرأى العام فى مجتمعنا فى الآونة الأخيرة ٠

أولا : مفهوم التصنيع وبعض القضايا السوسيولوجية المرتبطة به :

بدأ الكتاب فى تناوله لمفهوم التصنيع بالاشارة الى التعريف الذى قدمته لجنة التنمية الصناعية التابعة للامم المتحدة ، فى دور انعقادها الثالث فى عام ١٩٦٣ ، والذى ذهب الى اعتبار « التصنيع عملية تنمية اقتصادية يستغل من خلالها الجانب الاكبر من المصادر القوميةويوجه نحو تنمية بناء اقتصادى يقوم على التكنولوجيا العصرية ، ويتميز بقطاع صناعى دينامى قادر على توفير وسائل الانتاج والاستهلاك وتحقيق معدل عال من النمو الاقتصادى ، لانجاز التقدم الاقتصادى والاجتماعى (ص٧) » ٠وقد أشار الكتاب فى هذا الصدد ـ كما أوضحت اللجنة التى وضعت التعريف السابق ـ

الى أن هذا التعريف ليس نهائيا ، لأنه لا يعدو أن يكون تعريفا اجرائيا مؤقتا . وهذا يعني لأول وهلة أن مفهوم التصنيع بالرغم من كثرة تداوله ، ما زال غير واضح ، بل ان هناك جوانب كثيرة ، غالبا ما تهمل عند تحديده . وهنا يركز الكتاب على أنه عند تحليل جوهر التصنيع وهويته ، غالبا ما يحجب المظهر التكنولوجي والاقتصادى ، رؤية الجانب الاجتماعى ، ومن ثم وجب أن يوضع فى الاعتبار أنه مهما كانت الصعوبات التكنولوجية والعقبات الاقتصادية التى تقف أمام التصنيع ، فان امكانات التغلب عليها وبدائل مواجهتها يعتمد على العوامل الاجتماعية الاقتصادية . لان التصنيع اذا كان يؤدى الى انهاء حالة التخلف التكنولوجى ، فهو يرتبط فى نفس الوقت بالقضاء على التخلف الاجتماعى الاقتصادى واعادة صوغ كل العلاقات الاجتماعية . هذا فضلا عن أنه لو كانت عملية التصنيع ، عملية تكنولوجية واقتصادية ، لحدثت بنفس الطريقة فى كل البلدان ، ولحققت أيضا نفس المصاحبات (ص‌ص ١٦ - ١٧) . ولكى يزيد الكتاب من وضوح المضمون الاجتماعى لعملية التصنيع ، أكد على أنه عملية مستمرة ومكثفة تقتضى اعادة بناء كل قطاعات الاقتصاد القومى ، بجانب أن حدوثه مشروط باحداث تحولات فى كل البناء الاجتماعى للمجتمع ، تلك التحولات التى تؤثر فى تغيير موضوع البلدان النامية ودورها فى الاقتصاد العالمى ، والسوق العالمية . وبالرغم من أن عملية التصنيع عملية مستمرة الا أنها ترتبط بالظروف والمحددات التاريخية ، سواء المتعلقة ببناء المجتمع المعين وما يحويه من مكونات وغلافات انتاجية وطبقات اجتماعية ، أو المتعلقة بالظروف العالمية التى تحيط بالمجتمع ، وتحدد مسارات علاقاته مع بناءات اجتماعية أخرى .

وبهذا يبرز الكتاب المضمون الاجتماعى التاريخى للتصنيع ، ويشير الى أنه لكى يتسنى لنا فهم مشكلات التنمية الصناعية فى مجتمع من المجتمعات ، وبالتالى الاختيار من بين بدائل حلول هذه المشكلات ، علينا أن نضع فى الحسبان ثلاثة محاور تقريبا :

١ - حالة البناء الاجتماعى الاقتصادى للمجتمع وظروفه التاريخية .

٢ - ايديولوجية التنمية بصفة عامة وانعكاساتها على التنمية الصناعية . خاصة ما يتعلق من هذه الايديولوجية بنمط التنمية ، وطريقها ، سواء كان ثوريا أو اصلاحيا ، اشتراكيا أو رأسماليا ، أو قائما على الاقتصاد المختلط .

٣ - علاقة المجتمع بالمجتمعات الأخرى ، والتى تتحدد بايديولوجيته ،

وسياسته العامة ، ونظام الحكم فيه ، فهذه العلاقات من شأنها أن تيسر التنمية الصناعية ، أو تعوقها ، خاصة ما يتعلق من هذه التنمية الصناعية بالتمويل والاستثمار الخارجى ، والسوق الخارجية .

وفى ضوء هذه المحاور يشير الكتاب الى أن هناك مجموعة من المشكلات التى ترتبط بالتصنيع فى العالم الثالث والتى من بينها :

(أ) مشكلة تحديد دور الزراعة فى تمويل التصنيع ، واقامة فائض اقتصادى يسهم فى التنمية الصناعية .

(ب) مشكلة التناسب بين الانتاج الكبير والصغير ، أو الصناعات الثقيلة والخفيفة .

(ج) مشكلة تحديد العلاقة بين القطاع العام والخاص والدور المحدد لكل منهما فى التنمية الصناعية .

(د) المشكلة الخاصة باحداث التحولات المساعدة لتحقيق التصنيع ، والتى تتراوح بين التحولات الجزئية ، والاصلاحية ، وبين التحولات الثورية الجذرية .

(هـ) مشكلة تمويل التنمية الصناعية ، محليا ، ودوليا ، خاصة ما يتعلق منها بحجم ودور الاستثمارات الاجنبية ومجالات توصيفها .

(و) مشكلة تسويق المنتجات المحلية ، للسوق المحلى ، أو العالمى ، وما يرتبط بذلك من سياسات للاجور والاسعار محليا .

واذا كانت هذه المشكلات قائمة وموجودة فى معظم مجتمعات العالم الثالث فهى فى كل مجتمع على حدة تتأثر بالمحاور النظرية المشار اليها . فلو أخذنا دور الزراعة فى التنمية الصناعية ، مثلا نجد أن الذى يحدد حجمه هذا الدور وفعاليته ، نوع الاصلاح الزراعى القائم ، أن وجد ، ونمطه ، وخطه، والايديولوجية التى توجهه ، وجود قطاع عام أو عدم وجوده فى الزراعة ، وما الى ذلك من أمور تتحدد بعلاقات الانتاج السائدة ، وبالتركيب الطبقى ، وبايديولوجية التنمية .

ففى مصر مثلا نجد أن القطاع العام فى الصناعة المصرية يزيد حجم استثمار رأس المال فيه عن ٨٠٪ ، فى حين نجد العكس فى الزراعة المصرية

حيث لا يزيد دور القطاع العام فيها عن صفر ٪ تقريبا • واذا كانت هذه البيانات توضح وضع كل من القطاع العام والخاص فى ضوء بيانات (١٩٧٠-١٩٧١) (ص٨٣) فهى بيانات تعكس لنا الظروف التى أثرت فى التحولات الاجتماعية فى الصناعة والزراعة المصريتين منذ ١٩٥٢ وحتى التـــاريخ المذكور •

واذا أخذنا مشكلة الاستثمار الاجنبى واجتذاب رأس المال الاجنبى ، فنجد أنها تختلف من بلد الى آخر باختلاف المحاور المشار اليها سلفا • فهناك من البلدان ما يعتمد على الاستثمار الاجنبى تماما ومنها من يأخذ منه موقفا حذرا ، ومنها ما يطالب بسياسة الباب المفتوح أو ما يسمى أحيانا بالانفتاح الاقتصادى ، وهنا يشير الكتاب الى أن عملية جذب رأس المال الاجنبى ليست الا حلا وسطا توفيقيا ، وكشأن كل محاولة توفيقية ، فهى غالبا ما تكون مؤقتة لان استمرارها ليس مضمونا ، حيث يرتبط هذا الاستمرار بنوع الحكم السائد وسياسته وايديولوجيته ، هذا فضلا عن وجود صراع كامن أحياناً وواضح حينا بين الطرفين - الخارجى والمحلى - حول مبدأ من الذى سوف يحصد ويفيد Who will win وهنا أما أن تستطيع البلد النامية أن يفيد من هذا الاستثمار وتوظفه ، أو تظل تابعة اقتصاديا للبلدان التابعة (ص ١٩) • على أن الاساس الرصين للتنمية الصناعية ، هو فى النهاية محصلة للتمويل والفائض الحقيقى المحلى الذى يوظف فى التنمية ، وحتى هذا الفائض يرتبط بحالة علاقات الانتاج والطبقات وانماط استهلاكها أو تبديدها لهذا الفائض •

ثانيا - دور القطاع العام فى التنمية الصناعية :

يبرز الكتاب وبشكل جلى من خلال أمثلة تاريخية ومعاصرة ان القطاع العام أساس هام فى تحقيق تنمية صناعية قوية ، وهادفة • ثم يعود ويناقش دور هذا القطاع فى ضوء نفس الابعاد المحورية الثلاثة المذكورة • وهنـــا يوضح الكتاب أن نطاق القطاع العام ودوره ونتائجه التى حققها فى التنمية الصناعية ليس واحدا فى كل البلدان النامية لانه يتحدد بأمور عـــدة منهـــا :

(أ) الظروف الاجتماعية الاقتصادية للمجتمع والسياسة الاقتصادية التى تنتهجها الحكومة والتى من شأنها ان تؤثر فى دور القطاع العام • ففى بعض البلدان نشأ القطاع العام مع نشأة المشروعات الجديدة فقط كما هو الحال فى الباكستان وتركيا • فى حين أن

نشأته فى بلدان أخرى كمصر وبورما وسوريا والجزائر كانت مرتبطة بالتأميم ٠

(ب) الظروف الطبقية السائدة وتأثير الطبقات وضغطها المباشر أو غير المباشر على سياسة الدولة واستخدامها كقوة فى تنفيذ نوع أو آخر من أنواع التصنيع ، كالصناعات الثقيلة والخفيفة ، أو الانتاجية والاستهلاكية وما الى ذلك ٠ وهذه الاوضاع الطبقية تؤثر وبصفة أساسية فى مكان ودور القطاع العام فى البلدان النامية ، والعلاقة بينه وبين القطاع الخاص وتوزيع المـوارد والاستثمارات على كليهما (ص ٨٨) ٠

(ج) يثير الكتاب قضية على جانب كبير من الاهمية تتعلق ببيـع أسهم القطاع العام ونقل ملكيته الى القطاع الخاص ٠ واذا كان هذا يرتبط بنمط التنمية وايديولوجيتها ، فمنها كانت فوائـد فهو لا شك يضيق نسبيا من حجم ودور القطاع العام ،ويخفض من امكانات تمويله ذاتيا ، ويحرم الدولة فى النهاية من الوسائل اللازمة لتنظيم الاقتصاد ، خاصة ما يتعلق بسياسة الانتـاج والتوزيع والاسعار والرقابة ، وما الى ذلك (صص ٨٧ ـ ٨٨)

(د) من بين أبرز القضايا التى يثيرها الكتاب حول القطاع العام فى الدول النامية ، وجود خسائر فى هذا القطاع فى معظم البلدان فمن بين٤٤مشروعا صناعياوتجاريا فىالهند كان منها ١٤مشروعا خاسرا خسارة كبيرة (٩٥) وترجع خسائر القطاع العام فى العالم الثالث ـ مع وضع الظروف المتباينة فى الاعتبار ـ الى عوامل عدة منها : التكاليف الباهظة فى الانشاءات ، وقصور التخطيـط وعشوائيته ، وعدم كفاءة الموارد والكوادر ، وتحميل القطـاع العام بعمالة زائدة عما هو محدد له ٠ ففى مصر مثلا كان من المقدر أن يعمل بمصنع الكوك بحلوان فى سنة ١٩٦٥ ، ٥٨٥ شخصا ، وصل عددهم الى ٩٦٧ ، وكانت العمالة المحددة لهذا المصنع فى سنة ١٩٧٠ (٧٠٠ شخصا) وصلت الى ١٧٥٠شخصا، وهذا من شأنه أن يرفع من تكلفة الانتاج ٠ ومن بينأسباب خسائر القطاع العام أيضا الاستعانة بأصحاب القطاع الخاص فىادارة القطاع العام ، وهذا من شأنه أن يضع بعض المعوقات التىتعوق حركة الادارة فى القطاع العام ، وتحقيق سياسته ٠

وهناك أسباب أخرى يتعرض لها الكتاب ، لكن العرض الحالى يكتفى منها بأمثلة توضح طريقة الكتاب فى معالجته لموضوع التصنيع ٠

وبعد ٠ هذا عرض موجز لكتاب يحتاج الى قراءة متأنية ، لانه لا يحوى قضايا نظرية تسهم فى دراسة مشكلات التصنيع دراسة علمية وحسب ، وانما أيضا يضع تجربة العالم الثالث ـ تقريبا ـ أمام القارىء لكى يستطيع أن يقارن ويحلل ويستخلص نتائج تفيد فى توجيه بحوث التصنيع من جانب ، وفهم أنماط مشكلاته من جانب آخر وطرق وأساليب معالجة هذه المشكلات من جانب ثالث ٠

وثمة ملاحظة على الكتاب فى جملته تتعلق بترتيب مادته وعنوانه ٠ فالقضايا النظرية المستخلصة كانت موزعة بين صفحات الكتاب ومن ثم فابرازها لم يكن واضحا تماما ، ولهذا كان لابد من مقدمة نظرية أساسية توضح رؤية الكتاب ونهجه فى معالجة مشكلات التصنيع ، حتى يستطيع القارىء أن يفيد ويناقش مادة الكتاب ويحللها تحليلا علميا ، نظريا وواقعيا ٠ وأما عن عنوان الكتاب فكان من الادق أن يركز على التنمية الصناعية فى العالم الثالث ، وآفاقها ، ومشكلاتها ٠

نظريات الاجماع المحافظة وبديلها الراديكالى (*)
دراسة فى النظرية السوسيولوجية

تاليف

ديك اتكنسون

عرض وتحليل

أحمد عبد الله زايد (**)

يثير الموقف الراهن لعلم الاجتماع الكثير من الجدول والمناقشات ، الى درجة أصبح فيها هذا العلم مجالا للنقد واعادة النظر من جانب علماء الاجتماع أنفسهم · ويمكن أن تقسم علماء الاجتماع المعاصرين ـ اذا لم يكن هذا التقسيم تعسفيا ـ الى ثلاثة فئات رئيسية : فئة ما زالت تتمسك بنظريات تعود الى دور كايم وماكس فيبر وماركس ، ويعد بارسونز وزملاؤه من أشهر ممثليها · وفئة أخرى تحاول تناول التراث السوسيولوجي بالنقد ، وتوضح الظروف والملابسات التى تحبط بموقف علم الاجتماع الراهن ، ويعتبر جولدنر Gouldner ونيسبت Nisbet من أشهر ممثليها · أما الفئة الثالثة فانها لا تكفى بالنقد ، بل تحاول تقديم بدائل لهذا التراث ·· وبالرغم من عدم اكتمال هذه البدائل ، الا أنها لا تزال تمثل أكثر المحاولات جدية نحو تحرير علم الاجتماع ·

ومؤلف هذا الكتاب ـ ديك اتكنسون ـ يعد واحدا من هذه الفئة الأخيرة · انه يؤمن ايمانا راسخا بأهمية المناقشات والنقد فى مجال العلم · فهو يقول فى مطلع كتابه « ان هذه المناقشة توضح لنا العلاقة بين النظرية الاجتماعية والنشاط الانسانى ، كما أنها تميط اللثام عن الآراء الجامدة فى النظرية السوسيولوجية » ·

(*) Disk Atkinson, Orthodox Consensus and a Radical Alternative, Heinemann Educational Books LTD, London, 1971, pp. 307.

(**) معيد علم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ·

لا يطمئن المؤلف لتلك الشهرة الواسعة التى يحظى بها علم الاجتماع من جراء ارتباطه بالدولة وخدمته للصناعة ، ولا يكتفى بهذا الحد ، بل يعتبر تلك الشهرة جزءا من المأزق الذى يمر به علم الاجتماع فى هذا العصر ، والذى يجعله مجالا لشكوك عديدة ، ينبع بعضها من علمائه أنفسهم ، وينبع بعضها الآخر من تلك الاعداد المتزايدة من الدارسين المقبلين على العلم والذين يأملون أن يساعدهم على فهم فوضى الحياة الاجتماعية المعاصرة ، وأن يقدم حلا لمشاكلها . غير أنهم ما يلبثوا أن يكتشفوا أن هذا العلم لا يزال يتعثر فى تحقيق كلا الهدفين . والى جانب هذين النوعين من الشك ، هناك موقف رجل الشارع غير المتخصص ، الذى لا يستطيع أن يتعرف على ذاته من خلال التفسيرات السوسيولوجية ، بل انه يعتقد أنه أقدر على فهم ذاته من علماء الاجتماع أنفسهم .

من خلال هذه النظرة الى علم الاجتماع ، يكتب ديك اتكنسون هذا الكتاب . وهذه الأزمة التى يمر بها علم الاجتماع ناشئة من عـــدم قـــدرة النظريات والمفاهيم السوسيولوجية على تفسير الحياة الاجتماعية المعاصرة . ولذلك فلابد من البحث عن بديل جديد لهذه النظريات ، بديل قادر على فهم واستيعاب هذه الحياة . ولقد حاول المؤلف أن يقدم فى كتاب هذا البديل الذى يراه مناسبا .

ولكى يكون هذا البديل مستندا الى أساس موضوعى ، فلا بد من عرض النظريات القديمة التى سيحل هذا البديل محلها . ولا غرابة اذا رأيناه يقرر أن هذه النظريات القديمة هى نظريات بارسونز وماركس وماكس فيبر . ولذلك فانه يعرض فى الجزء الأول من كتابه (يتضمن أربعة فصول) لآراء هؤلاء العلماء عرضا نقديا ، موضحا الموضوعات الأساسية التى ناقشوها . ولا يكتفى بعرض نظرياتهم فقط ، بل يعرض لبعض من تأثروا بهم . فبعد أن ينتهى من عرض ماركس ، يتناول آراء هربرت ماركيوز Marcuse الذى يعتبره وريثا لماركس . ان نظريات ماركيوز ما هى الا امتداد لنظريات ماركس ، غير أن ماركيوز قد أولى اهتماما خاصا للظروف المتغيرة فى القرن العشرين ، محاولا القاء الضوء على طبيعة البناء الاجتماعى للمجتمعات الغربية التكنولوجية ، مبينا أن هذه المجتمعات قادرة على احتواء التغير الى مالا نهاية فى نفس الوقت الذى توجد فيه داخلها قوى قادرة على وضع حد لهذا الاحتواء وتفجير الثورة .

كما أنه بعد أن ينتهى من عرض آراء ماكس فيبر ، يتعرض لآراء جون

ركس Rex ورالف دارندورف Dahrendorf حيث يذهب الى أنهم قد تأثروا بنفس القدر بكل من ماكس فيبر وماركس ، ذلك أنهما ساهما فى نقد الاتجاه الوظيفى ، وسايرا ماركيوز ورايت ميلز فى القول بأن ادعاء كينجزلى دايفز Davis : « أن الوظيفية هى علم الاجتماع » ، ادعاء ليس له أساس من الصحة • ومن ثم فقد سعيا الى التوفيق بين الماركسية ونظريات كل من فيبر وبارسونز •• ان كل هذه النظريات التى ناقشها المؤلف فى الباب الأول يعتبرها نظريات متزمتة Orthodox ويطلق عليها « الاجماع الحديث » Modern consensus.

ولكن لماذا قال أنه « اجماع حديث » ؟ يجيب المؤلف على هـــــذا السؤال فى الفصل الرابع من الباب الأول بعنوان « التقاء المفاهيم والنماذج » لقد كانت الثورة الفرنسية فى عام ١٧٨٩ وثورة عام ١٨٤٨ من أهم الظواهر التى أثرت فى ماركس وماكس فيبر ودوركايم أيضا ، الى جانب تأثير الثورة الصناعية عليهم • فلقد خلقت كل هذه الاحداث ظروفا اجتماعية متشابهة فسرها كل بطريقته الخاصة • أما بارسونز فقد ربط بين كل هذه الاتجاهات جميعا ، وحاول - أولا - وقبل كل شيء - المساهمة فى البناء النظرى لعلم الاجتماع ، الذى اعتبره علم دراسة الفعل الاجتماعى • وأيا كانت التفسيرات التى قدمها كل هؤلاء العلماء للاحداث التى واجهتهم ، فانهم جميعا قد ووجهوا بمشكلة رئيسية ، هى تفسير طبيعة الحياة الاجتماعية • والاختلاف الوحيد بينهم هو الطريقة التى عالج بها كل منهم هذه الحياة الاجتماعية ، ونوع المفاهيم التىاستخدمها فى معالجته هذه • وينعكس التشابه بينهم فىنظرتهم الى الفرد • فالفرد فى نظرهم غير حر ، محكوم بشبكة من العلاقاتالاجتماعية• انه لا يملك أى اختيار فى توجيه حياته ، وعليه أما أن يعيش فى نظام (كما يذهب فيبر ومارسونز) أو فى صراع (كما يذهب ماركس) ان هذين النموذجين - رغم ما بينهما من خلاف - يكشفان عن أوجه شبه عديدة على أساس أن كليهما ما هو الا صورة مجردة عن كيفية ظهور المجتمع ، ويكفيه سلوك الافراد داخله • ان القضية الاساسية التى تعالجها هذه النماذج هى : الفعل الاجتماعى وعلاقته بالمعنى • وهكذا يخلص المؤلف الى أن الالتقاء فى النظرية السوسيولوجية هى بالفعل أكثر مما يتصور بعض الافراد • ان نظرية الصراع لم تفشل فى أن تربط فكرة التغير بمشكلة تكامل النسق ، كما أن الوظيفيين لم يتجاهلوا دراسةالصراعوالتغير • ولا يرجع هذا التشابه الى طريق التفسير الطوعى ا لتى قدمها بارسونز بقدر ما يرجع الى تشابه أفكار ومشاكل العصر الذى كتبوا عنه • لذلك فلا غرابة فى أن يطلق على كل هذه النظريات « الاجماع الحديث » •

وفى الجزء الثانى من الكتاب ، ينتقل المؤلف الى موضوع البديل الذى يقترحه ، فيحاول فى الفصل الأول من هذا الجزء ــ بعنوان : « مشاكــل وامكانيات » ــ أن يقدم الأسس التى سيقيم عليها بديله • ويسلم بادىء ذى بدء أنه بالرغم من أن العلماء السابقين مازالوا عمالقة ، الا أن الظروف التى كتبوا فيها لم تعد قائمة • ولهذا فان الحلول التى قدموها لم تعد لازمة لفهم الاحداث أو المجتمع الحالى • ولذلك فانه يرى أننا فى أشد الحاجة الى بديل نظرى لتفسير هذه الظروف الجديدة •

ولكى يضع الأسسالتى يستند اليها هذاالبديل ، نجده يعود مرة أخرى الى التراث القديم ، محاولا اخضاع الموضوع الأساسى الذى دار حوله هــذا التراث للمناقشة • أن هذا الموضوع الأساسى يهتم بتفسير الفعل الاجتماعىفى ضوء المعنى الذى يعطيه الناس للفعل الذى يكون موجها دائما نحو تحقيق هدف ما • ويناقش هذا الموضوع وما ارتبط به من مفاهيم ، مثل مفهومالفاعل ومفهوم الدور ــ ليس على المستوى النظرى فقط ، بل أيضا على المستوى الامبريقى من خلال بعض أعمال الامبريقيين من أمثال جروس Gross وجوفمان Goffman ولانج Lang. • والهدف من ذلك ، هو توضيح كيف أن الموضوع الاساسى قد استمر أيضا حتى فى أعمال الأمبريقيين الذى لم تخرج معالجتهم أو فهمهم لهذا الموضوع الاساسى عن فهم سابقيهم •ويعــرض المؤلف هنا لهذه المفاهيم لكى ينطلق منها نحو تكوين البديل الذى يريده ، لأنه لا يريد لهذا البديل أن يقوم من فراغ •

والبديل الذى يقدمه المؤلف فى الفصل الثانى من الجزء الثانى من الكتاب ، هو بديل للتحليلات القديمة فى نظرية الفعل الاجتماعى ، حيث يبدأ المؤلف بالتسليم بحقيقة أساسية هى العلاقة بين الذات والواقع الاجتماعى• فالواقع لا يظهر أمامنا فى صورته الاجتماعية ، الا اذا نظرنا اليهنظرة ذاتية ، فهذه النظرة تلغى عملية الفصل بين ما هو اجتماعى وما ليس كذلك • فكل شىء مهما كان هو اجتماعى من ناحية معينة ، لأنه ليس هناك جانبا منالمعرفة الانسانية لا يختلط بوجودنا الاجتماعى • هذه حقيقة أساسية يبدأ بهــا المؤلف حديثه عن البديل •

من خلال هذه النظرة الذاتية الى الواقع ، يمكن أن نقسم عناصر الفعل الاجتماعى الى العناصر الآتية :

١ — المنطق الموقفى ٠٠
٢ — الفاعل ٠٠
٣ — الغايات — القيم ٠
٤ — العوامل السيكولوجية ٠
٥ — الأشياء المادية ٠
٦ — الآخرون ٠

اذا كانت هذه هى عناصر الفعل الاجتماعى ، فان المؤلف يركز على العنصر الأول منها (المنطق الموقفى) ويتخذه مدخلا أساسيا لتحليل الفعل والتفاعل الاجتماعى ، لأن هذا المدخل يتغلب على الكثير من المشاكل التى تثيرها نظرية الدور ٠ فهو يمكن أن يستوعب كل الافعال الاجتماعية الموجودة فى الواقع الاجتماعى ٠ فهذا الواقع واقع ذاتى يفهم فقط من خلال ذات الفرد ومنطقة عن الموقف الذى يواجهه ٠ ويؤمن المؤلف ايمانا راسخا بأن تحليل الموقف لا يجب أن يقوم على التجريد ، فنحن لا نستطيع أن نحلل الموقف الاجتماعى خاصة اذا ما نظرنا اليه من خلال منطق الفاعل — الا بالرجوع الى الواقع الاجتماعى ٠ ومن ثم نجده يقترح كلمه شخص Person لتحل محل كلمة فاعل actor لأن الكلمة الأولى واقعية وأبعد من التجريد ٠

وهكذا يظهر لنا الواقع فى صورة مختلفة عن التفسيرات القديمة له ٠ انه واقع يحوى عددا لا نهائيا من المواقف ، وأنواعا كثيرة من الناس ، وهو فى حاجة الى نموذج مرن لكى يفسره ٠ والنموذج الذى يقدمه المؤلف هنا قادر على توضيح كيفية تغير الموقف وظهور أنساق جديدة وضروب جديدة من الصراع ، فضلا عن تحليل مواقف عديدة وجماعات مختلفة ٠ وهكذا تنقلب مشكلة النظام رأسا على عقب وتصبح المشكلة : كيف يشكل الافراد الظروف التى تحيط بهم وكيف يحافظون عليها أو يغيرونها ؟

ولقد أوضح المؤلف فى هذا الفصل العناصر الضرورية لتحليل أى موقف٠ ولكن المواقف قلما تظهر منفصلة ٠ وهنا نجده يحرز شيئا من التقدم فى توضيح كيف ترتبط كل هذه المواقف فى المجتمعات المختلفة ٠ غير أنه يقرر أننا ما زلنا فى حاجة الى الكثير من المفهومات لنحلل الموقف الواحد الى مواقف عديدة ٠ بمعنى آخر نحن فى حاجة لى أن نربط التحليل الموقعى بالبناء الاجتماعى ، وهذا هو موضوع الجزء الأخير من كتابه ٠

وفى هذا الجزء يحلل المؤلف العلاقة بين الفرد والبناء الاجتماعى محاولا فهم مفهوم البناء الاجتماعى نفسه ، ومقدما لبديل جديد ينطلق فيه من نفس فكرته عن التحليل الموقفى • فاذا كان الفرد فى هذا التحليل الموقفى فردا يحتوى العالم فى ذاته ، فاننا لا نستطيع أن نربط هذا الشخص بأى نوع من البناء • وليس معنى هذا أنه لا يوجد بناء على الاطلاق ، بل معناه أن البناء يمكن أن يأخذ أى صورةممكنة • أما ما هى هذه الصورة ؟ فتلك مسألة يعتبر البحث الامبيريقى كفيلا بالكشف عنها وتوضيحها • فالبناء الاجتماعى يتحدد من خلال الأفراد كما يعيشون حياتهم الخاصة عامة ومستقلة فى نفس الوقت• هذا هو المنطق الأساسى الذى ينطلق منه المؤلف فى فكرته عن البناء الاجتماعى• ومن خلال هذا المنطلق نجده يعيد صياغة مفاهيم كثيرة مثل مفاهيم : الطبقة، والصراع ، والتغير ، والضبط الاجتماعى •

ان المشكلات السوسيولوجية المعاصرة لا تدور حول مفهوم المعقولية Rationality أو النظام order أو الصراع ، ولكنها مشكلات تتعلق بالوسائل التى يستخدمها الأفراد ليتحكموا فى مصيرهم الخاص عند مواجهة الآخرين • ومن ثم فان الأفراد لا يشكلون أنساقا ثابتة ، بل يشكلون انساقا مرنة Kaleidoscopes ومن الجدير بالذكر ، أن المؤلف يفضل استعمال هذا المصطلح الاخير ليعبر عن النسق بدلا من كلمة system انه يقول :

« ان الحياة الاجتماعية المعاصرة يمكن أن تفهم على أنها مجموعة متمايزة من الألوان والأشكال الجميلة ، فأفعال الأفراد والجماعات تخلق من الحياة قطعة فنية ، ونحن لا نقدم هذا البديل لندرك عناصر الفاعل الاجتماعى ،ولكن لنحاول أن نشكل ونلون مستقبل حياتنا بصورة أكثر حيوية » ••

بسم الله الرحمن الرحيم

الصناعات البيئية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية مع التطبيق على مصر (*)

أميرة عبد اللطيف مشهور

أدت الثورة الصناعية فى أواخر القرن الثامن عشر الى الانتقال من النظام التقليدى الحرفى الى نظام المصنع الحديث ، الا أن هذا التطور لم يقض على الصناعات الصغيرة بأنواعها التى مازالت تحتل مكانة هامة فى العديد من الدول المتقدمة والنامية معا حتى أن نسبة منشآت الصناعات الصغيرة تبلغ نحو ٨٠٪ الى ٩٠٪ من مجموع المنشآت الصناعية فى العالم .

وتتكون الصناعات الصغيرة من صناعات صغيرة حديثة وصناعات صغيرة تقليدية أو يدوية والتى تشمل الصناعات الحرفية الخدمية والصناعات البيئية .

والصناعات البيئية هى مجموعة من الحرف تقوم أساسا على الجهد البشرى والمهارات الفردية المتوارثة ، ويتم فيها تحويل بعض الخامات المحلية المتوفرة فى البيئة أو فضلات التصنيع أو الفضلات الزراعية الى سلع صالحة لاشباع متطلبات الحياة اليومية ، وقد تكون هذه السلع ذات لمسة فنية أو جمالية ، وتمارس الصناعات البيئية فى مصانع صغيرة أو فى المنازل ويعمل بها عدد محدود من العمال ولا تحتاج لقيامها لرأس المال الا بقدر ضئيل ، وتنتشر الصناعات البيئية فى المناطق الحضرية والريفية والصحراوية والساحلية وفى الغالب تحمل منتجاتها طابع البيئة المحلية .

وتضم الصناعات البيئية ثلاثة أنواع من الصناعات الفرعية هى الصناعات الحرفية الفنية التى ترتبط أساسا بالمناطق الحضرية وتعتمد على المهارات

(*) ملخص الرسالة المقدمة لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة للحصول على درجة الماجستير فى الاقتصاد ، تم مناقشة الرسالة يوم ٧٧/١/٢ وحصلت على درجة جيد جدا .

الفردية والخبرة الفنية ، والصناعات الريفية التى تقوم لاستغلال مـوارد البيئة الريفية من مواد خام وأيد عاملة ، والصناعات المنزلية وهى تلك الصناعات اليدوية التى يقوم بها أعضاء العائلة فى منازلهم وهى فى الغالب وظيفة ثانوية لهم ٠

ويمكن أن تحتل الصناعات البيئية مكانة اقتصادية هامة فى الدول المتخلفة حيث تستطيع أن تشترك فى عملية التنمية الاقتصادية فى هـذه الدول ، ذلك أن مقومات الصناعات البيئية تتلائم الى حد كبير مع خصائص الدول المتخلفة ٠

وهناك ثلاث خصائص رئيسية للتخلف ، أولها التضخم السكانى حيث توجد أعلى نسبة لزيادة السكان فى المناطق الفقيرة ، ويترتب على ذلك انتشار البطالة وهى السمة الثانية للتخلف ، وتنتشر البطالة فى الدول النامية فى القطاع الزراعى بصفة رئيسية ومن أهم أنواعها البطالة الموسمية التى ترتبط بطبيعة العمل فى الزراعة حيث يتم تشغيل جزء من الايدى العاملة فى فترات معينة دون حاجة اليه فى فترات أخرى ، كذلك تنتشر البطالة المقنعة فىالدول المتخلفة حيث يفوق حجم الايدى العاملة الاحتياجات الفعلية للقطـاعات الانتاجية وبصفة خاصة القطاع الزراعى وذلك بسبب عدم تزايد الامكانيات الانتاجية من أرض زراعية ورأس مال وطرق انتاج بنفس نسبة تزايد حجم السكان ٠

أما السمة الثالثة للتخلف فهى ثنائية أو ازدواجية الاقتصاد القومى أى انقسام اقتصاديات الدول المتخلفة الى قطاعين ، قطاع متقدم وحديث يرتفع فيه متوسط دخل الفرد وقطاع متخلف تسود فيه طرق انتاج بدائية وهو فى الغالب القطاع الزراعى ٠

وتهدف عملية التنمية الاقتصادية الى تخفيف حدة التخلف ، ويعتبر التصنيع هو المدخل الأفضل الجديد لتحقيق النمو المنشود ، الا أن التصنيع بصورته المتبعة فى الدول المتقدمة لا يتلاءم مع الاوضاع السائدة فى الدول المتخلفة حيث يعترضه عقبات عدة مثل عدم توافر رءوس الاموال والخبرات الفنية اللازمة كذلك فمن الصعب تكيف المجتمعات المتخلفة – وبصفة خاصة المجتمعات الزراعية – مع نمط التصنيع الحديث ، ومن هنا يمكن للصناعات الصغيرة والصناعات البيئية خاصة أن تقوم بدور هام فى هذا المجال ، فهى لا تحتاج لرءوس أموال ضخمة لقيامها كما تؤدى الى تقليل الفجـوة

التكنولوجية بين القطاع الحديث والقطاع التقليدى في الدول النامية ، كذلك فان الصناعات البيئية تعتمد أساسا على الايدى العاملة لقيامها وبالتالى يمكنها امتصاص جزء هام من البطالة المقنعة والبطالة الموسمية بل أنها تمثل حقلا لتدريب الافراد ، لاكتساب العقلية والخبرة الصناعية فى المجتمعات الريفية ، وهناك عدة مميزات أخرى للصناعات البيئية والتى تتلاءم مع ظروف الدول المتخلفة مثل عدم احتياجها لنقد أجنبى لاستيراد الآلات والمواد الخام ، كذلك فهى تعمل على الحد من ظاهرة هجرة الايدى العاملة من الريف الى المدن وتمثل مصدرا جديدا للدخل بالنسبة للعاملين فى المناطق الريفية مما يؤدى الى انتعاش المحيط الاقتصادى فى تلك المناطق ، ومن ناحية أخرى تقضى الصناعات البيئيية على مشكلة عدم الرغبة فى الانتقال لدى الأفـــراد فى المجتمعات المتخلفة ، وتمثل المرحلة الانتقالية لتكيف هذه المجتمعات مع المناخ الصناعى المتقدم .

وقد عرف الانسان منذ القدم الصناعات اليدوية مثل صناعة الغـــزل والنسيج ، ومازالت هذه الصناعات تحتل مكانة هامة فى العديد من الدول حيث توجد أجهزة متخصصة للاشراف عليها وتنميتها ، وتعتبر الهند من أهم الدول من حيث مكانة الصناعات البيئية فى اقتصادها القومى باعتبارها عاملا أساسيا لتحقيق توازن الاقتصاد فى الريف ، ويوجد فى الهند جهـــازان يشرفان على هذا القطاع أحدهما يختص بالصناعات البيئية ذات القيمة الفنية العالية والآخر يشرف على الصناعات الريفية وبصفة خاصة صناعة النسيج اليدوى ، وتتركز النسبة الكبرى من منشآت الصناعات البيئية فى الهند بالمناطق الريفية .

أما اليابان فقد استخدمت قطاع الصناعات البيئية كأساس لقيـــام الصناعة الحديثة بها ، فقد كان نظام الانتاج بالمنزل راسخا فيها منذ القدم فاستغلت هذا الوضع عن طريق ادخال سلع جديدة فى نظام الصناعات البيئية أى حولت بعض الصناعات البيئية تدريجيا الى صناعات صغيرة حديثة بحيث انخفضت منشآت الصناعات البيئية الى مجموع المنشآت الصناعية فى الفترة الأخيرة بالمقارنة بالسنوات الأولى من القرن الحالى .

ويتركز الجزء الاساسى من دراستنا فى الفصل الرابع وهو الخـــاص بالصناعات البيئية فى مصر ، وتعتبر مصر من الدول النامية حيث تتوفر بها الخصائص الرئيسية للتخلف وبالتالى يمكن للصاعات البيئية أن تلعب دورا هاما فيها ، وقد عرفت مصر الصناعات البيئية منذ القدم ، ومرت هـــذه

الصناعات على مر الزمان بمراحل نمو وازدهار ومراحل أخرى من الكساد ، ومنذ سنة ١٩٣٩ بدأ تنظيم هذا القطاع وذلك بانشاء مراكز اجتماعية وأجهزة متخصصة للاشراف عليه وتنميته ، وينقسم قطاع الصناعات البيئية في مصر الى جزءين هما قطاع المشروعات الخاصة وقطاع المنشآت التعاونية ، ويعتبر قطاع المشروعات الخاصة القطاع الرئيسى للصناعات البيئية والجدير بالذكر أن البيانات الخاصة بهذا القطاع تكاد تنعدم فيما عدا بعض الاحصاءات القليلة ، وفى سنة ١٩٧٤ قام جهاز الحرفيين التابع لوزارة الادارة المحلية بعمل حصر عام للحرفيين على مستوى الجمهورية ، ويشمل الحصر كل المنشآت الصناعية التى يعمل بها ٩ مشتغلين فأقل والتى لا يزيد رأسمالها عن ٥ آلاف جنيه ، وقد استخلصنا من هذا الحصر الصناعات البيئية تبعا للتعريف الذى وضعناه مستبعدين الحرف الخدمية والصناعات الصغيرة الحديثة ، وانتهينا الى تجميع ٥٥ صناعة بيئية موزعة على سبعة قطاعات صناعية ، ثم تناولنا هذه الصناعات بالتحليل والدراسة لاستبيان مركز الصناعات البيئية التابعة لقطاع المشروعات الخاصة فى الاقتصاد المصرى ، وتمثل الصناعات البيئية حوالى ربع منشآت الصناعات الصغيرة ، ويعمل بها ما يزيد عن ثلث اجمالى العاملين فى الصناعات الصغيرة ، وقد توصلنا الى عدة نتائج فى هذا الجزء من الدراسة من أهمها :

١ ـ ضآلة رأس المال المستخدم فى الصناعات البيئية واعتمادها أساسا على الايدى العاملة .

٢ ـ انخفاض الأجور فى هذه الصناعات وذلك لارتفاع نسبة أصحاب العمل الى اجمالى العاملين فيها .

٣ ـ انخفاض انتاجية العامل فى الريف عنها فى الحضر وذلك لموسمية العمل فى هذه الصناعات بالريف وبدائية العملية الانتاجية فيه .

٤ ـ ارتفاع انتاجية رأس المال فى الصناعات البيئية عنها فى الصناعات الصغيرة أى ارتفاع كفاءة رأس المال المستثمر فى هذه الصناعات عنها فى الصناعات الصغيرة بصفة عامة وذلك بالاعتماد على عدة مؤشرات هى معامل الانتاج/ رأس المال ومتوسط القيمة المضافة للجنيه المدفوع ونسبة عوائد عوامل التملك الى رأس المال الثابت .

٥ ـ عدم الفصل بين عنصرى العمل ورأس المال حيث تصل نسبة أصحاب العمل الى العاملين فى الصناعات البيئية الى ٧٤٫٤٪ .

أما عن تركز الصناعات البيئية فى مختلف محافظات الجمهورية فنجد أن الصناعات التى تعتمد على المهارات الفنية والخبرة تتركز أساسا فى المناطق ا لحضرية أما الصناعات التى تعتمد على المواد الخام المحلية فتتركز فى الريف بجانب مصادر هذه المواد .

ويمثل قطاع المنشآت التعاونية الجزء الثانى من الصناعات البيئية فى مصر وهو القطاع العام أو القطاع الحكومى ، ويحتل مكانة ثانوية من الناحية الاقتصادية بمقارنته بالقطاع الخاص ذلك أنه يهدف أساسا الى تدريب الافراد على الصناعات البيئية بحيث يتحولون الى منتجين مستقلين بعد اتمامهم التدريب .

ويمكن القول اعتماداً على دراستنا أن الصناعات البيئية يمكنها أن تمثل قطاعاً مصاحبا لنمو قطاع الصناعات الحديثة ذلك أن هذه الصناعات لا تتعارض مع عملية التنمية الاقتصادية فى الدول المتخلفة ، وبتطبيق دالة الانتاج التى وضعها كوب - دوجلاس على قطاع الصناعات البيئية فى كل من الهند ومصر نجد أن :

١ - مرونة الانتاج للمدخلات من العمل ورأس المال فى البلدين موجبة وبالتالى فان الانتاجية الحدية لعنصرى العمل ورأس المال موجبة أى أنه يمكن الاستمرار فى الانتاج مع زيادة المدخلات من العنصرين .

٢ - بمقارنة قطاع الصناعات البيئية فى كل من مصر والهند نجد أن هذا القطاع فى الهند يخضع لقانون الغلة المتزايدة بينما يخضع القطاع فى مصر الى قانون الغلة المتناقصة مما يستلزم تطويره وتنميته للحصول على انتاجية أفضل .

وبصفة عامة فهناك نتائج رئيسية لهذه الدراسة وهى :

١ - ان الصناعات البيئية بخصائصها التى ذكرناها تتلائم معسمات الدول النامية بحيث يمكن أن تلعب دورا مساعدا فى التنمية الاقتصاديةوذلك لاستيعابها جزءا من البطالة وتوفيرها للسلع الاستهلاكية ، بل يمكن أنيكون قطاع الصناعات البيئية موردا للعملات الاجنبية ، كذلك يعتبر هذا القطاع مجالا لاستثمار المدخرات الصغيرة وتنميتها ، وتتلاءم الصناعات البيئية مع لا مركزية التصنيع وتحقق أكبر قدر من الشروط التى يجب توافرها لاختيار موقع المنشأة الصناعية .

٢ - ان الصناعات البيئية فى مصر لها مكانة خاصة الا أنه يجب تنميتها وتنظيمها فى ظل أجهزة متخصصة كما هو الوضع فى الهند حتى تؤدى دورها فى التنمية بفعالية أكبر .

٣ - مازالت الصناعات البيئية تحتل مركزا هاما فى دول العالم سواء الدول المتخلفة كالهند أو الدول المتقدمة.

٤ - ان التقدم الصناعى لن يقضى على الصناعات البيئية حيث أنها وسيلة لاستغلال قدرات الدول النامية واستثمارها فى مرحلة انتقالية وتهيئتها لاستيعاب مظاهر المجتمع الصناعى الحديث .

٥ - هناك صناعات بيئية ستظل قائمة مهما تطورت الصناعة وهى الصناعات الحرفية الفنية ، أما بعض الصناعات البيئية فتتجه نحو الزوال ويحل محلها صناعات صغيرة حديثة ، كذلك هناك مجموعة أخيرة من الصناعات البيئية يتحتم ادخال بعض التحسينات على عمليات الانتاج بها حتى يمكنها البقاء .

٦ - ان الانماط المستوردة لتنمية الدول المتخلفة قد لا تلائم ظروفها وبالتالى يجب على هذه الدول أن تتبع الاساليب التى تتمشى مع امكانياتها .

٧ - ان هذه الدراسة تأخذ بمفهوم أن التنمية يجب أن تتم من القاعدة للقمة حتى وأن كان هناك اتجاه آخر مصاحب لها من القمة للقاعدة .

ديناميات الاختبار السوسيومترى (*)

دراسة فى الجماعات الصغيرة

محمد محسن العرقان

أهمية الدراسة :

فى العديد من البحوث والدراسات التى أجريت فى المجال السوسيومترى، ما يشير الى الاهتمام بدراسة العلاقة بين المكانة السوسيومترية لافرادالجماعة وبعض المتغيرات الهامة ، كالاتجاهات ، واصابات العمل ، والكفاية الانتاجية ومشكلات الشخصية ، والقيم ، والمستوى الاقتصادى والاجتماعى ... الخ .

والباحث يرى أن هذه البحوث كانت تقف عند حد التعرف على نوع العلاقة بين المكانة السوسيومترية والمتغيرات المشار اليها ، الأمر الذى دعا الى محاولة التعرف على الأسباب التى تكمن وراء عملية الاختيار والنبذ فى المواقف السوسيومترية وذلك من خلال العوامل التى تدعو الشخص لان يقدم على اختيار فرد بعينه ويحجم عن اختيار شخص آخر فى نفس الموقف ، وما دور سمات الشخصية ، وكذلك دور التوافق النفسى فى عملية الاختيار والنبذ .. بمعنى هل سمات الفرد الشخصية ، وكذلك توافقه النفسى يؤدى الى تعدد اختيارات الآخرين له ، وبالتالى ترتفع مكانته السوسيومترية .. وبمعنى آخر ، هل يتمتع أصحاب المكانة السوسيومترية المرتفعة بسمات شخصية تختلف عن سمات شخصية أصحاب المكانة السوسيومترية المنخفضة؟ وهل يختلف أصحاب المكانة المرتفعة والمنخفضة فى درجة توافقهم النفسى ؟

هدف الدراسة :

وتأسيسا على التساؤلات المطروحة توا ، تهدف هذه الدراسة الى محاولة القاء الضوء على بعض خصائص الجماعات ، ونمط العلاقة السائدة فيها ، ومحاولة استطلاع الأسباب التى تكمن وراء عملية الاختيار والنبذ بين الافراد

(*) ملخص لرسالة ماجستير تحت اشراف الأستاذ الدكتور سيد غنيم ، والدكتور محمود أبو النيل ، وقدمت الى قسم علم النفس ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٧ .

فى الجماعات ، كل ذلك بهدف الارتقاء بهذه الجماعات ، والتى تقوم بين أفرادها على أسس ، أن تحققت سلامتها ، أدت للنمو الاجتماعى السليم لافرادها ، والى تكيفهم النفسى ، واشباع حاجاتهم النفسية والمجتمعية . كل ذلك ابتغاء الوصول الى وحدة الجماعة وتماسكها ، ورفع كفاءتها لتحقيق أهدافها من جانب ، والتخفيف من حدة الصراعات والانقسامات بداخلها من جانب آخر ، مما يخفف من الخسارة المادية والمعنوية للفرد والمجتمع ، أى اسعاد الوطن والمواطن وهو مطلب قوى ملح .

وبناء على ما تقدم ، فقد تم تحديد مشكلة البحث وحصرها فى الأسئلة الآتية والتى يحاول هذا البحث الاجابة عليها :

١ ـ هل هناك علاقة بين مكانة الافراد السوسيومترية وسمات شخصياتهم وتوافقهم النفسى ؟

٢ ـ هل يتمتع أصحاب المكانة السوسيومترية المرتفعة بسمات شخصية وتوافق نفسى يختلف عن أصحاب المكانة السوسيومترية المنخفضة ؟

٣ ـ هل يختلف نجم الجماعة عن المنبوذ فى نفس الجماعة فى سمات الشخصية والتوافق ؟

٤ ـ هل يتميز نجم الجماعة بسمات شخصية ، وتوافق نفسى يختلف عن باقى أعضاء الجماعة ؟

٥ ـ هل يتميز المنبوذ فى الجماعة بسمات شخصية ، وتوافق نفسى يختلف عن باقى أعضاء الجماعة ؟

فروض البحث :

للاجابة على هذه الأسئلة ، وضعت الفروض الآتية :

١ ـ هناك علاقة ذات دلالة احصائية بين المكانة السوسيومترية لأفراد الجماعة ومتغيرات الشخصية كما يقيسها اختبار عوامل الشخصية للراشدين ، والتوافق النفسى كما يقيسه اختبار دوتر لتكملة الجمل الناقصة .

٢ ـ هناك فرق ذو دلالة احصائية بين أصحاب المكانة السوسيومترية المرتفعة ، وأصحاب المكانة السسيومترية المنخفضة فى :

(أ) سمات الشخصية ، كما يقيسها اختبار عوامل الشخصية للراشدين .

(ب) التوافق ، كما يقيسه اختبار دوتر لتكملة الجمل الناقصة .

٣ ـ هناك فرق ذو دلالة احصائية بين نجم الجماعة ، والمنبوذ فى نفس الجماعة فى :

(أ) سمات الشخصية ، كما يقيسها اختبار عوامل الشخصية للراشدين .

(ب) التوافق ، كما يقيسه اختبار دوتر لتكملة الجمل الناقصة .

٤ ـ هناك فرق ذو دلالة احصائية بين المنبوذ والجماعة التى ينتمى اليها فى :

(أ) سمات الشخصية ، كما يقيسها اختبار عوامل الشخصية للراشدين .

(ب) التوافق ، كما يقيسه اختبار دوتر لتكملة الجمل الناقصة .

مفاهيم البحث :

تعرض البحث للمفاهيم التالية :

١ ـ مفهوم الجماعة الصغيرة :

بعد استعراض كثير من تعريفات الجماعة الصغيرة ، وجدنا أن الباحثين لم يختلفوا على الحد الادنى للجماعة الصغيرة ، ولكنهم اختلفوا على الحد الأقصى لها وأكدوا جميعا شرط التفاعل الذى لابد من توافره بين أعضاء الجماعة لكى يطلقوا عليها جماعة .. فالجماعة الصغيرة فى بحثنا هى : التى تتكون من فردين كحد أدنى ، وثلاثين فردا كحد أقصى ، ويدخلون فى تفاعل مع بعضهم البعض .

٢ ـ نجم الجماعة :

ويقصد بنجم الجماعة فى هذا البحث ، هو ذلك الفرد الذى يحصل على أكثر درجات الاختيار وأقل درجات النبذ ، سواء كان هذا الاختيار من النوع

الأول أو الثاني أو الثالث ، أى أنه الشخص الذى يحصل على أكثر الدرجات الموجبة واقل الدرجات السالبة •

٣ ــ المنبوذ :

أما المنبوذ ، فهو الشخص الذى يحصل على أكثر درجات النبذ وأقل درجات الاختيار ، أى ذلك الشخص الذى يحصل على أكثر الدرجات السالبة واقل الدرجات الموجبة •

٤ ــ المكانة السوسيومترية :

هى الفرق الناتج بين الاختبارات الموجبة والاختيارات السالبة الحاصل عليها كل عضو من أعضاء الجماعة التى ينتمى اليها هذا الفرد •

٥ ــ سمات الشخصية :

ونعنى بها ، السمات المصدرية Surface traits التى يقيسها اختبار عوامل الشخصية للراشدين 16. P.F. ، وهى تلك السمات التى تتفرع عنها السمات السطحية Source traits • وتعتبر السمة المصدرية كما يحددها « كاتل » بمثابة بعد من أبعاد الشخصية الاساسية ، والتى يفسر على أساسها الاختلافات الموجودة بين الافراد •

٦ ــ التوافق :

وهو من المفاهيم التى شغلت أذهان علماء النفس ، واستحوذت على كثير من اهتماماتهم ، والتى ثار حولها جدل طويل ، ولهذا لم يصلوا الى تعريف موحد بشأنه على أننا نستطيع أن نستنتج بصفة عامة أن التوافق يفيد التعود ، وكذا الانطباق مع الآخرين ، وأيضا التعديل والقدرة على ممارسة الحلول الوسط •

ادوات الدراسة :

أعدت ثلاثة مقاييس لاستخدامها فى التحقيق من صحة فروض البحث ، الأول : المقياس السوسيومترى ، والثانى : مقياس عوامل الشخصيــــة

للراشدين ، والمقياس الثالث هو مقياس تكملة الجمل الناقصة لدوتر ٠٠وقد قام الباحث بالتأكد من خضوع هذه المقاييس للشروط العلمية من صدق وثبات ٠٠ وقد طبقت هذه المقاييس على جميع أفراد العينة ٠

عينة الدراسة :

ولقد وجدنا العينات فى الدراسات السوسيومترية لا تخضع للطرق ٠ المعروفة فى اختيار العينات ، مثل العينة العشوائية أو الطبقية ٠٠٠ الخ ، بل يجب دراسة الجماعة برمتها ، وان اختلف عدد أفراد الجماعة من دراسة لأخرى ، ولكن يجب ألا تكون كبيرة الحجم حتى يتحقق ا لتفاعل المطلــــوب بين أعضاء الجماعة ، وكذلك حتى يسهل من مهمة التحليل الاحصائى ٠

وقد تم اختيار خمس جماعات بناء على التعريف الذى أخذنا بهللجماعة الصغيرة أربعة منهم من كلية التربية بجامعة الازهر ، والجماعة الخامسة من كلية الآداب جامعة عين شمس ، ويتراوح حجمالعينة فى الجماعات آل خمس بين احدى عشر فردا كما فى الجماعة الأولى ، وستة وعشرين فردا كما فى الجماعة الخامسة ٠

المعالجات الاحصائية المستخدمة :

وللتحقيق من صحة فروض الدراسة ، قمنا باستخدام الاساليـــــب الاحصائية المناسبة لطبيعة البيانات ، وتبعا للفروض المختلفة ٠٠فاستخدمنا معاملات الارتباط والمتوسطات والانحرافات المعيارية ، واختبـــار (ت) ، والنسب المئوية ، والنسبة الحرجة ٠

نتائج الدراسة :

تشير نتائج الدراسة الى ما يأتى :

١ ــ لم يتحقق الفرض الاول القائل بوجـــود علاقة بين المكانــــة السوسيومترية وسمات الشخصية ، وأسفرت النتائج عن عدم وجــــود ارتباط دال بينهما ، كذلك عن عدم وجود علاقة بين المكانة السوسيومترية والتوافق وذلك فى كافة جماعات الدراسة ٠

٢ – تحقق الفرض الثانى ، وهو الفرض القائل بوجود فرق بين الربعين الادنى والاعلى من حيث المكانة السوسيومترية ، وذلك فى المتغيرات التالية ، والتى يقيسها اختبار عوامل الشخصية للراشدين : جـ ، ح ، ب ، ط ، ك ، ل ، ز ، ى، م١ ، م٢ ، م٣ ، م٤ · أما بالنسبة للتوافق ، فقد تحقق هذا الغرض فى جماعتين فقط من الجماعات الخمس ·

٣ – تحقق الغرض الثالث فى كافة جماعات الدراسة ، فقد وجد فرق ذو دلالة احصائية فى سمات الشخصية بين نجم الجماعة والمنبوذ فى نفس الجماعة ·· أما بالنسبة للتوافق ، فقد تحقق هذا الفرض فى أربع جماعات فقط من جماعات الدراسة الخمس ·

٤ – لم يتحقق الفرض الرابع فى كافة جماعات الدراسة ، فلم يظهر فرق ذو دلالة احصائية بين نجم الجماعة والجماعة ككل فى سمات الشخصية، وأيضا فى التوافق فيما عدا جماعة واحدة ·

٥ – لم يتحقق الفرض الخامس القائل بوجود فرق بين المنبوذ فى الجماعة ، والجماعة التى ينتمى اليها فى جماعتين فقط من جماعات الدراسة، ووجد لبعض المتغيرات دلالة احصائية فى الجماعات الثلاث الباقية ، ولكن ليس بالحد الذى يعتد به نظرا لقلة عددها · فقد بلغت خمس عوامل ·· فهناك متغير واحد فى الجماعة الأولى ، واثنان فى كل من الجماعة الثانية والخامسة · أما بالنسبة للتوافق ، فلم يتحقق هذا الفرض فى أربع جماعات ، وتحقق فى الجماعة الخامسة فقط ·

أما عن الاسباب التى بينها المبحوثون كأسباب للاختيار والنبذ فى المواقف التى يقيسها الاختبار السوسيومترى ، فتشير النتائج أن أهم هذه الاسباب هى :

١ – فى موقف العلاقات داخل الجامعة :

أولا : أسباب الاختيار : الدقة والنظام والاجتهاد فى الآداء ، التعاون

الجدية ، والتفاهم فى العمل ، الحب والود والصداقة ، الكفاءة والمقدرة العلمية ...

ثانيا : أسباب النبذ : الانانية ، عدم الراحة النفسية ، عدم الكفاءة عدم التعاون ، الاستهتار ، وعدم تحمل المسئولية .

٢ - فى موقف العلاقات خارج الجامعة :

أولا : أسباب الاختيار : الصداقة والمرح ، والاخلاق الحميدة ،والراحة النفسية .

ثانيا : أسباب النبذ : عيوب شخصية ، عدم الراحة النفسية ، الغرور، والتكبر ، والأنانية ..

٣ - فى موقف القيادة :

أولا : أسباب الاختيار : صواب الرأى ، والحكمة ، الأمانة والاخلاص ، العقل والاتزان ، والتعبير عن رأى الجماعة ..

ثانيا : أسباب النبذ : عدم الكفاءة والخبرة ، الأنانيه ، عدم الراحة النفسية ، سوء الخلق ، عدم الحرص على راحة الزملاء ..

مناقشة النتائج :

لقد بينت هذه الدراسة طبيعة العلاقة بين المكانة السوسيومتريةوسمات الشخصية والتوافق .. فالنتائج التى توصل اليها الباحث تشير الى احتمال عدم ظهور علاقة بينهما عند دراسة الجماعة كلها ، نظرا لوجود عدة متغيرات تؤثر فى عملية الاختبار السوسيومترى احداها سمات الشخصية والتوافق .

ولكن عند دراسة طبيعة العلاقة بين المكانة السوسيومترية وسمات الشخصية والتوافق ، وذلك عند دراسة الربعين الأدنى والأعلى من حيث المكانة ، ظهرت بعض الفروق القليلة والتى وان لم تصل الى المستوى الذى يمكن الاعتماد عليه ، الا أنها تشير الى البعد الفردى فى دراسة هذه العلاقة ، حيث أننا فى هذا المستوى من التحليل الاحصائى ، اقتربنا من طرفىالتوزيع، وقل تأثير العوامل المتداخلة فى عملية الاختبار السوسيومترى .

ويزيد من احتمال هذا التفسير ، أنه عند مقارنة النجم والمنبوذ فى سمات الشخصية والتوافق ، وجد عدد كبير من السمات قد فرقت بينهما ، مما يشير

الى أنه كلما اقتربنا من طرفى التوزيع لدرجة أقصى الطرفين ، تظهر الفروق أكثر وضوحا ، كما تظهر بعض الظواهر النفسية التى تختفى عند دراسة الجماعة كلها ، وقد اتضح هذا عند مناقشة الفرض الثالث ..

ولتوضيح هذه الفكرة ، فاننا لو تصورنا المكانة السوسيومترية على متصل طرفاه النجم والمنبوذ ، ويقع متوسطى المكانة فى المنتصف .. واننا اذا قمنا بدراسة عينة الافراد التى تقع على هذا المتصل فى علاقاتها بسمات الشخصية والتوافق ، لاختفت العلاقة ولم نجد ارتباطا يعتد به ، ولكن عند دراسة من يحتلون الربع الأدنى والأعلى من حيث المكانة السوسيومترية ، فقد اتضح ازدياد الارتباطات الى حد ما ، أما عند دراسة طرفى المتصل ، أى النجم والمنبوذ ، فقد زادت الارتباطات ، وأصبحت أكثر وضوحا ، وظهر أثر الفروق الفردية التى قد تختفى عند دراسة الجماعة كلها . ويرجع هذا التفسير عند دراسة العلاقة بين النجم والجماعة ، والمنبوذ والجماعة فى سمات الشخصية والتوافق . فقد عادت الفروق مرة أخرى لتنخفض ، نظرا لقرب سمات النجم من المتوسط ، وتدخلت العوامل التى تؤثر فى عملية الاختيار والنبذ لتخفى السمات آلتى تميز النجم والمنبوذ ..

ces is a product of the twentieth century radical political movements in the West and of the national liberation movements in the world.

5. C.W. Mills, *Sociological Imagination;* A. Gouldner, *The Coming Crisis of Western Sociology;* Horwitz, "New Sociology", in T. Asad, *op. cit;* I. Taylor and J. Young, *Critical Criminology;* Robin Blackburn *Ideology in Social Sciences.*

6. Arnold Green, *Sociology*, New York, 1952, p. 8.

7. Alvin Gouldner, *op. cit.;* and Eric Davis "Political Development or Political Economy", *Review of Middle East,* London, 1975, pp. 41 - 62.

8. Ahmed Abbas Saleh, *El Yamin wa el Yasar* **Fi** *Islam* (Right and Left in Islam) Beirut, 1973.

9. Refaat el Saïd, *Tarikh el Haarka el eshtrakia Fi Misr* (History of the Socialist Movement in Egypt 1900 - 1925), Cairo, 1975.

10. Gamal Magdy Hasanin, *El Khasaes el Ama leltarkib el Tabaky fi Misr* (General characteristics of class structure in Egypt), *El Taliaa,* Vol. VII, no. 4, April 1971, pp. 51 - 69.

11. Abd el Azim Ramadan, "El Haraak el dialectikia lel bourgoisia el Masria" (Dialectical movement of Egyptian Bourgeoisie), *El Kateb,* Vol. XI, No. 124, July, 1971.

12. Fouad Moursi, *Haza el infitah el ectesady* (This economic liberalibation), Cairo, 1976.

1) the contradiction between the bourgeoisie and the foreign monopoly forces;

2) its contradiction with the masses (labourers and peasants); and

3) its internal contradictions, particularly between its agricultural and industrial wings.

Foad Moursy, in a recent book *This Economic Infitah* (liberalization) (1976), analyses production forces-production relations and the political process in Egypt in the period 1952 - 1976. Moursy's analysis shows that the political process in Egypt during this period has been governed by socio-economic structural factors.

If we turn to Springborg's analysis of the political elite in Egypt we find that his study is nothing more than a psychological study of interpersonal relationships among a few men of authority. He relies heavily on laymen's anecdotes heard in Egyptian cafés or saloons. The study lacks the historical socio-economic and political perspective.

NOTES AND REFERENCES

1. Patai's adopted definition of the term "Arab".

2. e.g. Daniel Lerner, *The Passing of Traditional Society;* Nadav Safran, *Egypt in Seach of Political Community"* Vatikiotis, *The Modern History of Egypt.*

3. Pandelis Glavanis, "Historical Interpretation or Political Apologia?", *Review of Middle East Studies,* No. 1 p. 76.

4. e.g. Talal Asad, *Anthropology and the Colonial Encounter,* London, 1975; *Review of Middle East Studies,* 1, 1975; Sayed el Hausini, *Derasat Fi el Tanmiah el egtemaeia* (Studies in Social Devlopment) Cairo, 1974; Samir Naim, "Sociology, Capitalism and Socialism", *El Taliaa,* vol. 7, no. 2, February 1971. The emergence of this radical branch of social scien-

failed to explain the role of that political elite in the larger social process.

Refaat el-Saiid in his book *The History of the Socialist Movement in Egypt* (1975) anlyases the class structure and political organizations in Egypt during the period 1900 - 1925.[9] He shows how the feudalists allied themselves with the British colonialistes against the revolution of the fellahin led by Oraby, and how Lord Kromer depended mainly in his policy in Egypt on the support of big land owners and in turn gave them his unlimited support. El-Said explains the contradictions between the Egyptian bourgeoisie and colonialism and the rise of organized political movements in Egypt. He also describes the manifestations of class conflict in Egypt and the rise of the peasants and their revolutionary movements against both the British and the feudalists. In the city the working class was living under very severe conditions and was highly exploited by foreign and Egyptian investors. Since the beginning of the twentieth century many labour unions have been formed. These unions played a great role in the working-class struggle for gaining their rights. Afterwards socialist "cells" emerged and a socialist party was formed (it became the communist party).

There has always been a dialectical relationship between the political process and the infrastructure of Egyptian society.

Gamal Magdy Hasanin, in a statistical documented article, analysed the class structure of Egypt (rural and urban) on the "eve of the 1952 revolution"[10] and on this basis explains the behaviour of the political organizations in Egypt and the state in particular. He points to the organic relationship between the feudalists, capitalists, foreign monopoly and the state.

Abd El Azim[11] also analyses the class structure of Egypt and relates it to the political, ideological and judicial processes. He explains the political and constitutional institutions of the Egyptian bourgeoisie in the light of its dialectical movement. He describes three main contradictions which governed the growth of the bourgeoisie and its political behaviour :

erned by the basic economic structure of the society. The ruling classes all over this history have been well organized, have their formal and informal institutions and ideologies. There has been a permanent struggle between conservative and radical elements in the Arab world.

Ahmed Abbas Saleh (an Egyptian writer) in his book *Right and Left in Islam* (1973) analyses the class structure and class conflict in the Arab community of Mecca and other Arabian Peninsula communities before the emergence of Islam and showed that Islam was also a social revolution supported by the exploited and resisted by the exploiters.

Saleh showed by evidence that political authority in Mecca was not based on tribalism, as is usually alleged, but was based on capital ownership. Contrary to what Springborg and Patai dogmatically assume, the Arabs of Mecca had their organized political groups.[8] Social stratification had not been based on a tribal basis but on economic and political power of the individual (his class). The prevailing traditions or laws at that time protected private ownership. There had been an acute political conflict which reflected the antagonistic class strucsture of that society.

The opposition to Islam shows the fallacy of the tribal basis of social organization myth. The wealthy people formed a united front against Mohammed and the Muslims, irrespective of their or the Muslims' trial membership. What united them was the economic interest (class membership).

Saleh shows how class conflict continued among the Muslims after the death of the Prophet and traces it till the fall of the Omayed state.

Several other Eyptian authors have examined the socio-economic structure of Egyptian society during different periods of its history and related it to the political process. Unlike Springborg they have not uprooted the governing group, or the political elites, from their socio-economic class nor have they

tuals and policy makers in the Third World countries from embracing a Marxist approach to development.

Springborg states in a dogmatic way that ecoonmic power has been subordinate to political power over centuries of Egyptian history. He falls to see a stable class structure in Egyptian society before now (1975). Industrialization which is conductive to the rise of a unified and egalitarian working class has been hindered neither by colonialism nor by feudalism but by the Egyptians' individualistic orientation toward economic activity which is a result of the legacy of entrepreneurship which lives on in Egypt as it does elsewhere in the Arab world.

His inability, or maybe his unwillingness to understand the historical materialist conditions of Egypt in particular and the Arab world in general, led him to an atomistic and abstracted image of the political process in Egypt. He does this process as mainly governed by the behaviour of the elite which is carried through informal devices and groupings : clientelism, the family, the dufaa (the graduating class in any institution of higher or secondary learning), and the shilla (a small group of friends who work together to obtain individual goals and particularly career advancement)

Springborg presents numerous detailed anecdotes of the relationships between members of the elite and uses them as evidence for his conclusion that the political process in Egypt is governed by personal factors rather than by principles and that this is the chief cause of Egypt's underdevelopment (or the major obstacle to the achievement of the stated goals of the revolution). The Egyptian political elite is abstracted in the analysis from the whole social structure in which it exists and pictured as if it operating in a vacuum exactly as Islam is abstracted from its socio-economic context.

A realistic and scientific examination of the Arab history in general and Egyptian history in particular proves Springborg's assumptions and approach to be invalid and irrelevant. The political process since the emergence of Islam has been gov-

the entire Arab social life, Springborg adopts the "elite theory" in his analysis of the political process in Egypt.

It is well known that the early Italian exponents of the elite theory (Pareto and Mosca) were the faithful ideological defenders not only of capitalism but also of fascism. The theory was formulated as a defence against Marxism. It is no wonder then that the contemporary exponents of this theory take the same stand and make the attack on Marxism their prime concern. In the opening article of *Political Elites in the Middle East*, Lenczoswki (the editor) introduces the studies contained in the book by a defence of capitalism and the early exponents of the elite theory and by condemning Marxism :

> "Suffice it to say that, in the perspective of more than a century, Marxism appears as a grossly oversimplified and inaccurate view of history and society, whose fallacies have been amply exposed by subsequent democratic and revisionist writers alike. Marx's monocausal view of social change, his historical determinism, his dogmatism about the necessity of class conflict, and his narrow concept of the alienation of the masses as stemming from the control of the means of production by capitalists have been challenged and refuted — on many occasions." (p. 2)

The elite theory of Pareto and Mosca are then offered as a counter Marxist comprehensive theory of society.

> "If we devote some space to Pareto and Mosca, it is not only to acknowledge their pioneering role in the study of elites but also to point out that such a study may have two different objectives. One — to which they obviously aspired —, owuld be to construct a comprehensive theory of society. The other, more modest, would be to describe and analyse ruling groups as one of many approaches to understanding political reality." (p. 3)

The real intention of the elite theory has been uncovered by Gouldner and Eric Davis.[7] It is intended to thwart intellec-

The second objective is to affect people's consciousness (whether within or without the capitalist world in the direction useful to the interests of the patron. The former objective could be realised by submitting information, as valid as possible, to the capitalist agencies and the latter is realised by the manipulation of this information by theoreticians and producing tailored theories and generalizations aimed at the minds of the peoples concerned. Those theories (which are presented as scientific) are to be made as widespread as possible by all means.

Patai's book *The Arab Mind* is directed to Arabs and Westerners alike. It is interesting to read the "High praise for Raphael Patai's *The Arab Mind*" on the back cover of his later book *The Myth of the Jewish Race* to see how much this work is publicized by mass media in the U.S.A. (the *New Yorker, Publishers Weekly, America, Perspective)*. The book has been named one of the Notable Books of 1973 by the American Library Association.

Springborg's article, "Patterns of Asociation in the Egyptian Political Elite" is based on the same idealist general theoretical assumptions about social life upon which Patai's book is based. Furthermore it enforces the stereotyped image of Arab mentality and culture reproduced by Patai and uses it as the general background against which the Egyptian political elite behaviour is analysed. Egypt is pictured from the beginning of the article as a "traditional Islamic state" and Egyptians are referred to as the "native Muslim Egyptians". Economic, social and political activities are analysed as functions of 'Egypt's close proximity to its medieval past". The patterns of Egyptian thinking which are inherited from the past, govern all their activities. Those patterns of thinking are of course rigid and static because they are derived from a religion which is dogmatic (according to Patai and Springborg) and from the medieval past.

At the same time Springborg uncritically adopts the postulates of another version of idealist-psychologism. While Patai adopted the concept of "modal personality", in his analysis of

on an anecdotes or personal impresisons. Results of intelligence and personality traits studies using standardized tests and carried on carefully chosen samples of Jews are used as evidence for his favourable conclusions. So the question arises : Why does Patai reinforce a negative stereotyped image of the Arabs and challenge the negative stereotyped image of the Jews ?

This question leads us to the third point of any critique : the political and ideological implications of psychologism in political studies.

Several social scientists have adequately shown by evidence the correctness of the Marxist view on the inseparable relationship between social sciences theories and studies on the one hand and ideological commitments on the parts of social scientists on the other (e.g. Mills, Goudlner, Horwitz, Bernal, Asad, Davis, Owen, J. Taylor, P. Young, etc.).[5] Establishment social sciences in the capitalist world are partisan. They are put in the services of their patrons (capitalist governmental, economic and political organizations). My argument is that the works of social scientists are intended to achieve two interelated objectives : the first is to assist policy makers in taking their decisions on the basis of factual information collected by social scientists.

> "If the United States government seeks to establish close economic, political and military affiliations with countries and peoples all over the globe, then we must know more than we do about those countries and their peoples. What are their cultures ? What are the prevailing attitudes toward the United States, toward technological development? What beliefs and prejudices of theirs can be enlisted to draw them into our power orbit and what one will have to be modified or accepted before this can be done ? What are the prevailing social class structures, the focal points of leadership ? Whose cooperation is most crucial before social programmes are launched ? After such programmes have been started, continuing answers to all these questions must be carefully gathered and checked."[6]

He also used what Gouldner called the strategy of Great Omission. In this volume there is nothing about colonial and neo-imperialism exploitaion of the Arab world. Nothing, of course, is mentioned about the rôle of Israel and its permanent threats in wasting Arab resources and retardation of development. There are no analyses of the class structure of Arab societies. The word "change" does not appear in the book's index. What appears instead is "opposition to change". So Patai has been intentionally completely blind to any evidence of change in the Arab mind or in the Arab world at large.

He also used the technique of "weaving myths into the total view of social reality, deeply but invisibly, by the entire structure of language and conceptualization".

One striking characteristic of Patai's work is his heavy reliance on anecdotes (such as those of T.E. Lawrence (1940), and Gouthier (1923) for every conclusion he wants to draw. In every chapter he starts with a certain conclusion then continues to collect every kind of evidence he could without stopping for a moment to examine its validity. Most of the evidence he cites is stereotyped generalization based on personal impressions and supplemented by the author's own views and misinterpretations of observed facts.

The few empirical studies which he introduces in the midst of personal impresisons and conclusions do not qualify his generalizations. It is true that some Arabs (the Western aristocracy) are unwilling to dirty their hands or to engage in manual labour as their counterparts everywhere in capitalist societies. However this trait is generalized to all the Arabs and considered a modal personality trait which is unfavourable for industrialization. Millions of Arabs are engaged in agricultural and industrial manual labour. The contradiction between manual and intellectual labour is a capitalist feature.

Patai's methodological competence is beyond doubt. It is well proved in his later work *The Myth of the Jewish Race* (1975). In the chapter on the Jewish mind he has been very careful to base his conclusions on empirical studies rather than

17. Conflict proneness.

18. Inferiority complex and unjustified hatred of the West.

Now the question arises ; if these are the dominant traits of the modal personality of over 121 million Arabs, how could they live without being permanently cared for by other people ? They would be almost schiszophrenic ! They would not be able even to feed themselves.

Any objective observer can easily witness that the conclusions based on this evidence are untrue. Arabs have permanently struggled against colonialism (not modernization), and due to their efforts and to the changing international scene they succeeded in gaining their political independence. Most parts of the Arab world witnessed significant economic devlopment and social change. Arab actions before, during and after the October war affected the whole capitalist world. Progressive and national Arab forces are everywhere in the Arab world struggling against the influenc of imperialism and the exploitation of etheir Arab local allies.

Now let us examine Patai's evidence in his conclusions. A thorough scrutiny shows that he has been very selective in the evidence he uses to support his intended falsified picture of Arab reality. In this he resorted to several techniques, among them those used by Talcott Parsons in his edited book (*American Sociology*, 1968. According to Gouldner, Parsons used three techniques to falsify American reality : the techniques of calling a partly filled glass of water half filled rather than half empty, the technique of great omission and of weaving myth into social reality.

Patai reversed the first technique. All the facts of Arab life are pictured in a negative way, and any positive facts are either ignored or termed irrelevant. For example, what is highlighted is not the Arabs' permanent striving for education but the Arab feudalists' resistance to mass education. In fact Patai's book contains no statistics at all on any aspect of activity in the Arab world except population estimates.

etc., Patai found that the eternal Arab modal personality which is responsible for their absolute inability to modernise, irrespective of the constant efforts of the West to help them, contain the following traits :

1. The tendency to rely on the past.
2. The tendency to rely on establishment precedent and time-honoured custom.
3. The disinclination to make efforts with a view to changing existing situations.
4. The unwillingness to persevere for the purpose of deferred achievement.
5. The proclivity to resort to oral threats as an expression of displeasure without following them up by action.
6. An inclination to rhetoricism, exaggeration, over-assertion, and repetition.
7. A tendency to substitute words for action.
8. Disregard of time element and a lack of time sense.
9. Inadequate language for the expression of many thoughts and things.
10. Split personality.
11. Ambivalence.
12. Fatalism and aversion to any efort directed to seeking betterment.
13. Flare up of temper, flashes of anger, aggression and violence.
14. Disjoined type of behaviour and the relative lack of correlation among the three functional planes of human existence : thoughts, words and actions.
15. Thought processes more independent of reality.
16. Inclination to adhere to ideal constructs and a concomitant neglect or disregard of, even disdain for visible reality.

So in order to understand certain people we should start with an objective analysis of their social reality, that is to say the state of their productive forces and their production relations and the historical process of their transformation and development, we should also analyse the nature of their economic and political relations with the outer world.

If we do that, we can also scientifically understand their culture. Contrary to the idealist conception of culture in conventional anthropology (as found in the works of Taylor, Linton, Brown, Kluckhohn, Malinowski, etc.), we should view culture as a historical phenomenon inseparable from productive activities in society and from production relations.

Patai's assumptions proclaim priority of spiritual over material values and ignore the decisive role of historical economic and political conditions and relations in the origin and development of values.

Patai's statement of his idealist theoretical assumptions in the beginning of his book is nothing more than an intelligent device intended to make the reader accept another disguised and dogmatic postulate and adopt it as his own. This assumption is "Arabs are backward by their very nature and they should accept this "scientific fact" and subordinate themselves to the West and to Israel". But instead of starting his book with it he makes it his conclusion and endeavours throughout his book to show that this conclusion is based on scientific assumptions (not his own) and on evidence.

2. *The invalidity of Patai's evidence*

I will show this invalidity by exposing the non-reasonable and non-logical conclusions based on them on the one hand, and by analysing the methods used in securing them and showing that they are non-scientific, on the other.

After a very exhaustive and extensive review of literature and all kinds of material derived from observations, anecdotes proverbs, analysis of language, literature and art; documents,

Not only that, but the Arabs' international relations, particularly with the West are not governed by political or economic world power structure and local class structure but by their psychology. What characterizes the Arabs in their relations with the West is their incomparable hatred of the West and their cultural inferiority complex. The cause of Arab hatred of the West "evidently does not lie in the colonial and past colonial experiences of the Arabs, but in their specific modal personality".

This elaborate psychological-cultural interpretation of the totality of Arab social life and history results in an inevitable recommendation for them. Patai formulates this recommendation in the last sentence of his book as follows :

> "The next challenge the Arab mind must meet is to cease measuring Arab achievements with Western yardsticks and to work for a regeneration of the Arab world by building on its own, by no means negligible, capabilities."

Since the Arab world as pictured by Patai is by nature (or culture) stagnant, the Arabs should work for a regeneration of that stagnation.

Patai's idealist theoretical assumption, which he shares with several prominent social scientists in the West and in the Arab world alike, are naive, false and a-historical. They are naive because they are very simplistic and reductionist. All human activities and social organizations are reduced to one single factor - personality. They are false because they do not reflect the reality which they are claimed to deal with. They are a-historical because they are static. They defy the basic postulats of scince in a dogmatic way. This makes them unscientific.

The scientific cause - effect relationship is unscientifically reversed in Patai's assumptions. Man's personal traits do not determine his actual material being, but on the contrary the material conditions or society shape man's personality in a dialectical process of interaction between the two.

specific Arab form of the general Mediterranean inclination of taking it easy... the combination of these traits creates a mental climate which is not favorable for industrialization." (p. 276)

The political implications of these unwarranted statements is, of course, manifest. I will discuss it later when I come to the third point in my analysis. But I want to show here the cultural determinism which could not be understood except on the basis of another implied kind of determinism, i.e., biological or racial (Arabs were born Bedouin and they have no other choice but to remain Bedouin).

Not only the economic systems of the Arabs but all their other social systems are predetermined by their inherited national character :

"The extension of the principle of familism in another direction results in the participation of the individual in all larger social groupings, not on an individual basis but through his family ... political parties, wherever they have developed are similarly the outgrowths of families and of the family-based relationship between the Zaim (strongman) and his clients." (p. 278)

Even extremist political movements are seen as a result of special Arab national character traits, i.e., personalization of problems.

Not only the present of the Arabs is determinde by their national character inherited from the past, but also their future:

"Infancy is also the time in which other component features of the Arab modal personality are formed. Important among them are the tendency to rely on the past, on established precedent and time honored custom, the disinclination to make efforts with a view to changing existing situations; the unwillingness to preserve for the purpose of deferred achievement." (p. 307).

to psychological factors. Therefore Ralph Linton and Abraham Kardiner (from whom Patai borrows his assumptions) postulate that the culturally patterned child rearing practices are the basis of the modal personality because they are responsible for the similarities in early experiences of the members of a society which would in turn produce similar personality configurations. Folloiwng this idealist view Patai states :

> "The basis of modal personality or national character studies is the observation that human beings who grow in a common environment exhibit beyond their individual differences, a strong common factor in their personality. It is inevitable that this should be the case. Any socio-cultural environment impresses the individuals who grow up within it with its own stamp : its values, its behaviour patterns, its accepted and approved varieties of actions and its reactions, as well as its culturally channelled needs and goals". (p. 18).

This dogmatic view is the kernel around which all Patai's work revolves. It is not examined critically and its validity is not checked or questioned. All the evidence would be carefully arranged to support its applicability to the Arabs.

The crucial and paramount determining factor for Patai is the socio-cultural environment, which is absolutely spiritual. It is static and change resistant or "change proof". It does not allow for change in society, for it becomes internalized by individuals through the child rearing practices. Since individuals and small groups are pictured as the basic elements of the social structure, they would consequently shape through their psychology all the social, economic and political institutions and organizations of society. Patai writes,

> "... a more serious obstacle toward economic independence is represented by a particular set of features in the traditional Arab ethos which has already been discussed (the Bedouin substratum of the Arab personality). The unwillingness of the Arabs to "dirty their hands", to engage in manual labor, is a trait not easily overcome. To it is added the

discussing the huge bulk of details contained in them. To discuss every detail in Patai's encyclopedic work would need a large team of specialized historians, sociologists, psychologists, theologists, linguists, artists, etc.

The book has been written after the 1967 Arab-Israeli war in June and published before the 1973 October war. This period had witnessed the most condensed Israeli and American propaganda against the Arabs. The main theme of this propaganda was the inability of the Arabs to wage a successful war against Israel, their cultural inferiority and their hatred to the west and resistance to modernization. A careful examination of the different chapters of the book and the conclusions the writer reaches and the evidence he selects shows that this is also the dominant theme upon which the whole work is built.

Social science comes to the aid of ideology and political manoeuvres of imperialism. Everybody respects science and is more ready to believe its conclusions, particularly if they are presented in a systematic way. It is sufficient to have a look at the "high praise for Raphael Patai's The Arab Mind" on the back cover of *The Myth of the Jewish Race* (1975) to form an idea about the bond between different techniques of persuasion (the capitalist press and the capitalist social science.*

1. *The fallacy of the theoretical postulates*

Patai has adopted and developed the postulates underlying the orthodox psychological-anthropological concept of the "modal personality" and "national character".

Those postulates stem from an idealist view of man-society relationship (as manifest in Freudian, psychological and anthropological theories). According to this view ideas or states of mind are the determinates of social being. A special form of ideas is explained by another form of ideas (e.g. values are explained by cultural patterning).

The objective historical material reality is either ignored in the analysis of man-society relationship or made subordinate

aims of such writing on the Arab world. This paper is a modest attempt to contribute to such exposure. Establishment social sciences are continually flooding both the Arab and the Western minds with fallacies and myths aimed at the distortion of people's consciousness. The same ideas are presented again and again under new lables. This mass reproduction of false ideas must always be met with permanent critiques and exposures by objective anti-exploitation social scientists. The emergence and devlopment of enlightened critical branches of social sciences in Europe and the U.S.A. is a very important landmark and a turning point in the history of social sciences in the West.[4]

II

I chose for this critical exposure of the fallacies and myths contained in writings on the Arabs two seemingly different works. One is by the famous anthropologist Raphael Patai : *The Arab Mind* (1973); the other by the political scientist Robert Springborg : "Patterns of Association in the Egyptian Political Elite", published in George Lenczoswki (ed.), *Political Elites in the Middle East* (1975). The two works belong to different disciplines (anthropology and political science). They also differ in that the first deals with the whole Arab world while the second concentrates on a particular aspect of Egyptian society. However the two works are similar in three basic respects. First they are similar in their basic assumption on man-society relationship in general and Arab society in particular (assumptions which are meant to be popularized by all means). Second, in the empirical invalidity of the conclusions they reach and in their atomistic nature. Thirdly, in their ideological and political implications. Patai's work is representative of the general theoretical background against which such more limited empirical studies as that of Springborg is based. I will concentrate my analysis on these three aspects without indulging in

---

This contains excerpts from the *New Yorker, Publishers Weekly, America,* and *Perspective.* The book has been named one of the Notable Books of 1973 by the American Library Association.

mon economic and political interest. Rather it is based on a common self-image, common personal traits, common language, common religion and even a common pre-Islamic cultural heritage. All those "commons" are in the last analysis aspects of an "unchanging tradition".[3]

It seems that there is a surprising consensus among most western social scientists in different disciplines on this idea. However some of them express it explicitly while others base their work on it as if it has been already a proven fact. There is a division of labour in regard to this image of Arab unity. Some authors build grand theories about the Arabs with that image as a kernel of their work, while others collect every kind of empirical material on every aspect of Arab social life using this image as a guideline in their laborious endeavour.

Several Arab authors adopt that image of Arab unity. Western authors usually refer to their works as evidences on their views and vice versa.

I believe that this is a reversal of the emphasis in writings on the Arabs. Instead of the previous emphasis on the dissimilarities between the Arabs (in language, religious beliefs, ethnic origins, customs, traditions, etc.), the emphasis is laid now on their similarities. They are all similar in that they have an unchanging tradition. I believe that this change in the point of emphasis in studies on the Arabs is nothing more than a change in political tactics from "divide and rule" during the military occupation period to "unite and control" during the neo-imperialism era (and in the face of the rising Arab nationalism). The meant unity is nothing more than a unity in submission to imperialist monopoly exploitation under the guise of modernization, westernization, and development of traditionally underdevloped people.

Social sciences are cleverly used as techniques for the realization of this objective.

Several social scientists in the West and the Arab[4] world alike (usually young and radical) have exposed the ideological

"TOWARDS A DEMYSTIFICATION OF ARAB SOCIAL REALITY : A CRITIQUE OF ANTHROPOLOGICAL AND POLITICAL WRITINGS ON ARAB SOCIETIES"*

BY

Dr. SAMIR NAIM

It does not matter whether one is educated or illiterate; a feudalist or an agricultural labourer; a capitalist or a proletarian; Kuitian, Algerian, Egyptian or American; a president, a king, an elite member or an anonymous individual; young or old; reactionary or revolutionary; a member of a suicidal guerilla squad or of a sufi clique. It does not even matter whether one is still alive or has not yet been born. What only matters is that he "speaks Arabic as his own language and consequently feels as an Arab".[1]

If this sole criterion applies to anyone he is qualified to be attributed several carefully synchronized personal traits which would eternally govern all his activities and all his social, economic and political organizations. Those traits would even govern his society's international relations.

This is the main idea the unsophisticated reader would get from reading most of the contemporary Western social science literature on the Arab world as a whole or on any individual Arab country.[2]

This idea implies that there is a unity among the Arabs. But this unity is not based on any material or concrete facts, such as a common struggle against foreign exploitation and colonialism, a common state of historical development, or a com-

* This paper has been presented at the Middle East Studies Seminar, University of Hull, England, December 1976.

4. Deutsch, H., Selected problems of adolescence. International Universities Press, New York, 1967, p. 98.

5. Crow, L., Crow, A. : Adolescent development and adjustment. McGraw-Hill Book Company, New York, 1965, p. 369.

6. Rado, S., Psychoanalysis of behaviour. Grune and Strathon, New York, 1956, p. 318.

7. Schofield, M., Sociological aspects of homosexuality, Longmans, London, 1965, p. 68.

8. Schofield, M. The sexual behaviour of young people. Harmondsworth : Penguin Books, 1968, p. 340.
Reevy, W.H. Adolescent sexuality. From the Encyclopaedia of sexual behaviour. Hawthorne Books, New York, 1961, p. 868.

Table II : The attitude to the sexual intercourse experience

Attitude	Males	Females
	%	%
Approval	45	15
Disapproval	50	75
Indifferent or do not know	5	10

Table III : Sexual deviations

Deviation	Male	Female
Homosexuality	10	2
Obscenity	2	—
Trans-sexualism	1	1
Voyeurism	3	—
Incest	1	1
Fetishism	3	—
Total	20	4

* Masturbation and petting are not included.

REFERENCES

1. Schofield, M. Normal sexuality in adolescent. In Modern Perspective in Adolescent Psychiatry. Oliver and Boyed Edinburgh, 1971 p. 81.

2. Offer, D., Marcus, D., and Offer, L. (1970) American Journal of psychiatry. 126; 917.

3. Freud. A., Adolescence as developmental disturbance in Adolescence. Eds. G. Caplan and S. Lebovic, Basic Books, New York, 1969, p. 188.

less, no matter how permissive a particular society may be with regard to sexual behaviour, certain universal attitudes towards sexuality remain unchanged. Also contrary to the popular belief, the extent to which sexual behaviour is tolerated is not the measure of a "healthy environment". Rather it is the extent to which the youth of a particular society are given an opportunity to develop in all areas, to mature emotionally and prepared for a mature and responsible engagement in genital union with members of the opposite sex.

The subject of sex education is outwith the scope of this paper, but we agree with many people who are coming to believe that there is an urgent need to provide adequate sex education for children and adolescents, and this should start early in the home, and this continues throughout the school and college periods. A developing adolescent needs to gain an adequate and accurate understanding of the psychology and physiology of sex. He should be helped to know and appreciate the biological aspects of sex, the hygiene of sex in his culture as well as societal attitude toward sex-stimulated behaviour.

Table 1 : Students with experience of sexual intercourse

Age group	Males		Females	
	No.	%	No.	%
17 - 19	12	2.4	2	0.4
20 - 22	28	5.6	6	1.2
23 - 25	60	12.0	18	3.2
Total	100	20	26	5.2

finding enjoyment and gratification in the obscene writing on lavatory walls, what is called "graffiti". 3 males were obtaining their sexual gratification by looking at sexual organs or others engaged in sexual activity including animals (voyeurism).

We were also be able to detect elements of fetihism in 3 male students. There were 2 cases of transexualism, one from each sex. Both experienced long standing sex-identity opposite to their physical sex. Both experienced long standing sex-identity opposite to their physical one; there was also a persistent desire to have their sex reversed by surgical or hormonal means The syndrome was well-established in both before the age of 14 years, and the sexual fantasies were entirely homosexual, but homosexual tendencies were denied by both.

Presence of 2 cases of incest was an unexpected finding among University students as it is known that incest is usually present in lower social classes with little or no educational background. One of them was father-daughter incest and the other was brother-sister type. Both showed feelings of depression, anxiety, shame and guilt, and both did not reveal their problem except after the third interview.

CONCLUSION

As most of the results obtained from this survey were a surpise to us and our colleagues, it seems that psychiatrists and doctors in general have to be blamed for not having much insight or understanding of sexual practices, attitudes and problems of young people, and perhaps this criticism should be accepted. It seems that psychiatrists are misled by making generalisation about sexual behaviour which are based on knowledge acquired from clinical work i.e. from patients. To gain more insight and more understanding about behaviours and attitudes we should study non-psychiatric population (Schofield 1968)[8].

In our present Egyptian society and perhaps in other societies as well there are a diverse cultural attitudes and perhaps contradictory social codes toward sexual activities. Neverthe-

ated. It is interesting here to quote Reevy (1961)[5] observations about masturbation in college girls "Girls from the lower social levels and educational backgrounds turn to coitus and away from masturbation as a type of sexual response. Those who will go to college, consider masturbation more desirable than coitus. Consequently for them masturbation becomes a major source of sexual stimulation". Some of the students we met had profound feelings of guilt associated with the practice of masturbation and believed they are practising a horrible perversion and a physically harmful habit.

SEXUAL DEVIATIONS

Homosexuality : Our findings indicated that homosexuality was more common than we expected. 10 males and 2 females were homosexuals. The percentage would have increased if we included also those whom we suspected as latent homosexuals. For the actual homosexual we used the definition put by Rado (1956)[6] : "The clinical homosexual is one who is motivated in adult life by a definite preferential erotic attraction to members of the same sex and who usually (but not necessarily) engages in overt sexual relations with them). Some of the heterosexual students reported one of the following symptoms : fantases of homosexual activity : impulses to perform homosexual acts : compulsions to look at men's genital areas and dreams with homosexual content.

What surprised us was that the homosexuals whom we interviewed were free of any shame or guilt and with no determination to combat these inclinations. The attitudes to homosexuality hav changed so much in the last few years. The new generation of young people take a far less serious view of this problem and they cannot see what all the unnecessary worry is about. To Schofield (1965)[7] this new attitude may mean that casual homosexual acts are more frequent.

Other sexual deviations :

In our sample we were able to find the following sexual deviations (table 111) : — 2 male cases of obscenity: both were

(2) Tacitily accepted, though openly disapproved participation by "respectable" girls in premarital experimentation.

(3) Knowledge that the broken hymen does not necessarily represent loss of virginity and could be easily restored by a simple operation.

(4) Sex-pointed novels and motion pictures; sexually arousing music, representative art and dancing, and similar exciting mediums of entertainment.

(5) Decrease of religious influence in the home.

(6) Examples of lack of sexual control among older adults (although Crow and Crow drew their coclusions from their research in an American culture, we felt that the same factors are operative and influential in the modern Egyptian society).

Other sexual practices :

Anothar sexual activity experienced by University students other than sexual intercourse is petting; that is to obtain sexual excitation and gratification through genital stimulation and genital opposition. We found that about 11 percent of our sample from both sexes had petting experience but did not have experience of sexual intercourse. Some preferred it becaues it removed anxiety about pregnancy. 50 percent of Schofield sample had petting experience. They agreed to genital opposition but disallowed sexual intercourse for moral reasons. According to their way of thinking intercourse troubled the conscience whereas genital opposition did not.

In most textbooks masturbation is not classified under sexual perversions. The interesting observation in our work was that the frequency of masturbation in our sample was less than we expected especially in males. Surprisingly enough it was relatively high in females. We found that by 23 years of age 88 percent of the males and 38 percent of females had masturb-

Disapproval involved feelings of disappointment, guilt and shame.

In Schofield study 48 percent of males and 30 percent of females liked the experience, while the rest disliked it and most of them were disappointed, ashamed or showed no raction.

The disapproval of some, and the confusion of others showed that premarital sexuality in our society, and in other societies as well still constituted an emotional taboo.

The information or misinformation that young people acquire may result in the development of attitudes of fear or disgust, or may stimulate the urge of experiment in sexual behaviour with the danger of proceeding toward hetero sexuality when biological readiness is not matched by emotional readiness.

Offer et al (1970)[2] suggested the value of delayed sexual activities. Anna Freud (1969)[3] expressed her opposition to those who insist that sexual activity should begin as soon as biological readiness manifested. (Deutsch (1967)[4] warns of the disadvantages of early sexual gratification. In a discussion on female college age she states: "I consider those girls who are involved prematurely in free love is not the victors but the victims of the rebellious adolescent society."

80 percent of males and 94.8 percent of females have had no sexual intercourse. Some of them tried to offer reasons for postponing intercourse. The new cultural moves spreading through press, broadcasting, advertising, classroom discussions and theoretical dissertations on the freedom of today's youth, may accentuate the abstaining student's belief that he or she is abnormal or at least inferior to his peers.

Crow and Crow (1965)[5] quote some of the significant factors which influence the sexual behaviour and attitudes of University students :

(1) Increased freedom of opportunities for the two sexes to participate in social activities.

sexual intercourse. So premarital intercourse among students is not uncommon (table 1).

More and more students go on to experience sexual intercourse as they get older. In the age group 17 - 19 the percentage for males was 2.4 percent and for females 0.4 percent. At the age group 23 - 25 there was a sharp and sudden rise in both sexes. At that age 12 percent of males and 3.2 of females had experienced sexual intercourse.

Our results coincide with date obtained from a similar British study by Schofield (1971)[1]. In this study more than 21 percent boys and 11 percent girls (aged fifteen to nineteen) that he interviewed had experienced sexual intrcourse.

Cultural influences are bringing about changes in most of today's world. Increasing media of communication and transportation are tending to level traditional differences among people. Egypt like most of the East is rapidly adopting some western cultoms.

Have new cultural more revolutionised today's sexual practices ? Our study as well as other recent empirical studies on adolescents and young adults support claims of increased sexual experiences for today young people as compared to past generations.

To see the picture clearer we have to study the attitudes and reactions of these young people towards their sexual experiences.

From (Table 11) 45 percent of male students and 15 per cent of female students approved of premarital sexual intercourse, while 50 percent of males and 75 percent of females disapproved it. 5 percent of males and 10 percent of females were indifferent to their first experience; and when they were asked what was their reaction to the first experience, the answer of most of them was "I do not know".

derstanding of an individuals' attitudes, interests, beliefs and thought patterns. Questionnaire method in sex is unlikely to be of much value (Schofield, 1971)[1]. The number who do not answer the questions, is often large that they form a sizeable proportion of the population under consideration. Nor is this method that is likely to elicit the truth on such a personal matter.

The sample included 1000 University Students (with an equal number from each sex) from three different faculties : medicine, art and law. All from Ain-Shams University in Cairo. Nearly half of the sample was fresh students (the first and second years) and the other half older students. The students participated in our research were volunteers, and were free to discuss sexual feelings during any of the interviews. All were seen alone in conditions which encouraged them to talk freely and in complete confidence. The maintenance of an informal and relaxed atmosphere during the interview was ensured by the interviewer's display of undrstanding and sincere attitude toward the interviewee. The purpose of the interview was explained fully to each one of them. Those who were showing feelings of shame, guilt or anxiety were given more chances. Some students were seen for 3 to 4 times.

RESULTS AND DISCUSSIONS

Sex codes vary throughout the world. In early Egyptian society sex purity constituted the cultural standard according to which young people were expected to regulate their sexual behaviour. Recently, however, there are evidences of considerable deviation from this code of behaviour. Although the ideal of virginity still remains as part of our culture, some University Students may seem either to be indifferent to it or to disregard it almost completely. There are definite changes in sexual behaviour and attitudes. For a variety of reasons, sex-stimulated behaviour is becoming more active among young adults of both sexes.

To our surprise 20 per cent of male students and 5.2 per cent of female students that we interviewed had experienced full

PATTERNS OF SEXUAL BEHAVIOUR ATTITUDES AND DEVIATIONS AMONG EGYPTIAN UNIVERSITY STUDENTS

Prof. AHMED OKASHA
Dr. ADEL SADEK

Department of Neuropsychiatry, Ain Shams University

ABSTRACT

The aim of this paper was to study the sexual behavicur and attitudes in a sample of 1000 University students. Young people appear to be enjoying an increasing freedom in their sexual activities. Sexual intercourse among University students is not uncommn. There is an increasing approval of premarital sexual intercourse and homosexual practices. Considerable data have been gathered in the areas of sexual perversions. Most of the data and the students' attitudes were a surprise to us.

Psychiatrists and doctors in general have to be blamed for not having much insight or understanding of sexual problems of young people, and perhaps this criticism should be accepted.

METHOD

The research was carried out to provide factual information about the sexual behaviour and deviation in a sample of University students and to study attitudes towards their behaviour.

We preferred to use the interview method in obtaining our data. An interview is a helpful method of gaining greater un-

THE NATIONAL REVIEW
OF SOCIAL SCIENCES

No. 1 January 1978 Vol. 15

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES
The National Center for Social and Criminological Research
Gezira P.O., Cairo, Egypt

Price Per Issue	Issued Three Times Yearly	Annual Subscription
U.S. $ 4.00	January—May—September	U.S. $ 12.00

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES

- Patterns of sexual behaviour attitudes and deviations among Egyptian Universities students.
- Towards a Demystification of Arab Social Reality : A critique of anthropological and political writings on Arab societies.

In Arabic

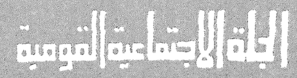
- Proportion of mentally retarded in greater Cairo.
- Public opinion survey : Attitudes towards work in Arab countries.
- Dualism of Value Orientations among boys : a field study.
- Directions of Developmental politics in the third world.
- Popular participation and Social Development.

Books Review
Summary Thesis



Issued by :
The National Center For
Social and Criminological
Research, Egypt

No. 1 January 1978 Vol. 15





يصدرها

المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

جمهورية مصر العربية

العدد الثانى ـ الثالث   مايو ـ سبتمبر ١٩٧٨   المجلد الخامس عشر

المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية

رئيس مجلس الادارة
الأستاذ الدكتور أحمد محمد خليفة

المجلة الاجتماعية القومية

المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية
بريد الجزيرة ـ القاهرة

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور أحمد محمد خليفة

نائب رئيس التحرير
الدكتورة هدى مجاهد

سكرتير التحرير
محمد هويدى

ثمن العدد	تصدر ثلاث مرات فى العام	الاشتراك عن السنة
ثلاثون قرشا	يناير ، مايو ، سبتمبر	تسعون قرشا

المجلة الاجتماعية القومية

المجلد الخامس عشر　　مايو ـ سبتمبر ١٩٧٨　　العدد الثانى ـ الثالث

محتويات العدد

صفحة

بحوث ومقالات :

رسائل جامعية :

كتب جديدة :

مقالات باللغة الانجليزية :

تصميم عينة دائمة لبحوث الرأى العام

دكتورة ناهد صالح

لسنا بحاجة الى تأكيد الأهمية التى تمثلها بحـوث وقياسات الرأى العام فى العالم اليوم ، سواء كان ذلك فى نطاق الدول المتقـدمة أو الدول النامية ، الدول الرأسمالية أو الدول الاشتراكية ، أو حتى فى نطاق الدول التى لم تحدد أيديولوجيتها بصورة واضحة بعد • اذ يكفى للتدليل على ذلك أن نستعرض توزيع مراكز ومعاهد الرأى العام على خريطة العـالم ، أو أن نحصى المعدل السنوى ، بل الشهرى ، لقياسات واستطلاعات الرأى العام التى تصدر عن أغلب مراكز ومعاهد الرأى العـام هذه(*) ، حيث أصبحت عملية استطلاع الرأى العام فى الكثير منها عملية « روتينية » تتم أسبوعيا ، وبصفة منتظمة ، يبدأ جمع بياناتها ببداية الاسبوع وتعلن نتائجها بنهايته •

كذلك لسنا بحاجة الى تأكيد التقدم المنهجى الذى أحرزته اليوم قياسات الرأى العام ، اذ يكفى أن درجة الدقة فى التنبؤ ركونا الى بعضها وصلت الى ٩٩٫٥٪ وقد انعكست هذه الدقة التى أصبحت تتميز بها قياسات الرأى العام على الأهمية التى تعطى لها كقاعدة يستند اليها فى اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بحيث أصبح الكثـير من الدول ـ الديمقراطية بخاصة ـ ينظر الى قياسات الرأى العام باعتبارها عملية أساسية وجـوهرية لاتخاذ القرار ، أيا كانت طبيعته ، ما دام يمس مصالح الجماهير بعـامة أو أو قطاعات منها بخاصة •

هذا ، واذا كان البعض يرجع باستطلاعات الرأى العام الى القرن التاسع عشر ، أو يذهب حتى الى أن استطلاعات الرأى العـام كانت تتم بصورة أو بأخرى عبر التاريخ حينما وجد قادة ، أو غيرهم ، من المهتمين بالتعرف على

(*) علما بأن نسبة كبيرة من استطلاعات الرأى العام لا يتم نشر نتائجها أما لاسباب سياسية ـ قد لا تسمح بنشر النتائج الا بعد مضى فترة من الزمن ـ أو لأنها تجرى لحساب هيئات عامة أو خاصة لا ترى أن من المصلحة نشرها •

آراء الجمهور(١) الا أننا يمكن أن نؤرخ للبداية العملية لاستطلاعات الرأى العام بعام ١٩٣٥ حيث بدأت تلك الاستطلاعات تتم وفقا للأسس المنهجية ، وحيث تعدت موضوعاتها مجـال بحـوث التسويق Market Research الى المجالات السياسية والاجتماعية فضلا عن المجالات الاقتصادية ٠

وقد كان من الطبيعى أن تواكب بدء استطلاعات وقياسات الرأى العام المناقشات والدراسات والبحوث المنهجية التى تتناول هذا المجال من البحث ، الا ان النصف الثانى من الأربعينات شاهد دفعة منهجية قوية فى هذا المجال ، اذ طرح فشـل جالوب Gallup فى سنة ١٩٤٨ فى التنبؤ بانتخابات الرئاسة فى الولايات المتحدة الأمريكية استطلاعات الرأى العام بكافة أبعادها المنهجية للنقاش من جهة ، كما أن تأسيس الرابطة الأمريكية لبحوث الرأى العام The American Association of Public Opinion Research سنة ١٩٤٧ والتى حددت أهم هدف لها بدراسة المسائل المنهجية الخاصة ببحوث الرأى العام وبمجالات البحوث الأخرى المرتبطة بها ـ كالقياس النفسى وبحوث المستمعين والمشاهدين وبحوث التسويق(٢) ـ أدى الى التعمق فى مناقشة المسـائل المنهجية المرتبطة بقياسات الرأى العام وبحوثه من جهة أخرى ٠

وعموما فانه مما يلفت نظر المطلع على التراث العلمى فى مجال الرأى العام أن المسائل المنهجية تمثل النصيب الأكبر من هذا التراث ـ مقـارنة بمجالات المعرفة العلمية الأخرى ـ مثل علم الاجتماع مثلا ـ وهذا قد يرجع من جهة الى أن الرأى العام وهو فى جوهره موضوع منهجى ، كما قد يرجع من جهة أخرى الى الحساسية الفائقة التى أصبحت لبحوث الرأى العام اليوم ، حيث أصبح اتخاذ الكثير من القرارات الحيوية يتم استنادا اليها مما استلزم بدوره ضرورة الدقة العالية فى نتائجها ، كما وضع هذه النتائج موضـع التقويم دائما ٠

وقد أدى أيضا الى اثراء المناقشات(*) والبحوث المنهجية فى مجال

---

(1) Albig, W.: Modern Public Opinion, McGraw-Hill Book Company, INC. New York, 1956, p. 176.

(2) Ibid., p. 201.

(*) من ذلك ما آثاره بلومر Blumer ١٩٤٩ من قضايا سوسيولوجية لها اهميتها فى قياس الرأى العام .

Blumer, H.: "Public Opinion and Public Opinion Polling" in "Public Opinion and Propaganda", Katz (ed.): Holt Kinber, New York, 1965, pp. 70-84.

الرأى العام وقياساته ، أنه يمثل نقطة التقـاء لأفـروع عديدة من العلوم الاجتماعية كعلوم الاقتصاد والسياسة والاجتماع والنفس والانثروبولوجيا فضلا عن الاحصاء والرياضيات بصفة عامة ، مما دفع كل علم من هذه العلوم بخبراته المنهجية ، الى الاسهام فى تدعيم قيـاسات وبحوث الرأى العـام وبالتالى الى تدعيم أساليبهـا المنهجية ، بحيث أصبحت المحصلة النهـائية لأساليب البحث فى مجال الرأى العام تجمع بين القياسات الكمية المبنية على الأسلوب الأحصائى والمعالجات الرياضية البحتة من جهة ، وبين الأساليب الكيفية متمثلة فى الملاحظة الجماهيرية[١] Mass Observation — التى يمكن تتبع أصولها الى الانتروبولوجيا الاجتماعية ومناهجها — من جهة أخرى • وأصبحت البحوث المتكاملة للرأى العام لا تقتصر على أسلوب دون الآخر ، بل تحاول المزج بين أكثر من أسلوب طالما أن هذا يؤدى الى امتزاج الدقة بالعمق بالشمول فى قياسات الرأى العام وبحوثه •

العينات وقياسات الرأى العام

من أولى المسائل المنهجية التى كانت موضع اهتمامات ودراسات وبحوث العلماء فى مجال الرأى العام هو موضوع المعاينة Sampling أو تصميم أفضل العينات ملاءمة لقياسات الرأى العام •

وقد فرضت هذه الخطوة المنهجية أولويتها على الخطوات المنهجية الأخرى التى تتضمنها قياسات الرأى العام لعدة اعتبارات يمكن اجمالها فى الآتى :

١ — نظرا لأن الكثير من القرارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية أصبح يتخذ فى ضوء ما تسفر عنه قياسات الرأى العام ، فان هذه القياسات لابد أن تكون ممثلة فعلا للرأى العام وأن تكون على درجـة عالية من الدقة فى تمثيله •

٢ — نظرا لأهمية الزمن فى اجراء قياسات الرأى العام ، تصبح عملية الحصر الشامل لا محل لها ، وتصبح عملية اختيار العينات هى العملية البديلة التى لا غنى عنها •

---

(1) Willcock, D.: Mass Observation, American Journal of Sociology, 1943, Vol. 48, pp. 445-456.

٣ ــ نظرا للصفة الدورية التي أصبحت لقياسات الرأى العام واستطلاعاته فانه لابد أن يراعى عنصر التكاليف وهو أمر له أهميته بالذات فى قياسات الرأى العام التى تجرى على المستوى القومى ٠

هذا الوضع المميز لقياسات الرأى العام والذى يتمثل فى الأهمية العلمية أو التطبيقية لنتائجها ، ومن ثم أهمية تمثيلها للرأى العام ودقة هذا التمثيل ، كما يتمثل أيضا فى أن أغلبها يتم على المستوى القومى وارتباط قيمة نتائجها بالسرعة فى الوصول اليها ، مع أهمية الحد من تكلفتها فى الوقت ذاته ، جعل مسألة الوصول الى التصميم الأمثل Optimum design لعينات الرأى العام تحظى بأهمية قد لا تحظى بها عملية المعاينة فى كثير من مجالات البحث الأخرى ، ودفع بالتالى بموضوع العينات الى احتلال المكانة الأولى فى المناقشات المنهجية المتعلقة بقياسات واستطلاعات الرأى العام ٠

وقد أثمر هذا الاهتمام نوعا من العينات أصبح مميزا لبحوث الرأى العام هو ما يمكننا تسميته بالعينات الدائمة The panels والذى كان للازرسفلد Lazarsfeld فضل توجيه الاهتمام اليه كأداة جديدة لقياس الرأى العام(١) ٠

وقبل أن نتناول هذا النوع من العينات ومحاولة تطبيقه فى مصر ، نعرض عرضا تقويميا لأنواع العينات المستخدمة حاليا فى قياسات الرأى العام ٠

بدأت استطلاعات الرأى العام على يد فريق من المشتغلين ببحوث التسويق وعلى رأسهم جالوب وروبير وكروسلى وغيرهم من الذين أطلق عليهم اسم The Pellers ٠ بدأ هؤلاء منذ سنة ١٩٣٥ اجراء استطلاعات للرأى العام تتناول مسائل سياسية واقتصادية واجتماعية مسترشدين فى ذلك بخبراتهم السابقة على مدى ربع قرن من الزمان فى مجال بحوث التسويق ، بحيث نجحوا الى حد كبير منذ البداية ، فى اختيار عينات ممثلة للرأى العام وعلى درجة عاليه من الدقة ، كان أغلبها يختار على المستوى القومى ، وكان يراعى فى اختيارها التباينات العريضة بين الجماهير (بحيث أن أخطاءهم فى

---

(1) Lazarsfeld, P., Fisk, M.: The "Panel" as a New Tool for Measuring Opinion, P.O.Q., October 1938, pp. 596-612.

التنبؤ بنتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٢ لم تكن أخطاء تتعلق بالمعاينة أساسا)(١) ·

وقد اجتهد هؤلاء في ادخال التحسينات على أساليب المعـــاينة بحيث تتلاءم مع طبيعة قياسات الرأى العام ، التى تتناول جماهير عريضــــة فى المجتمع وجماهير متباينة فيه ، عنه فى حالة بحوث التسويق ، ومن ذلك احلالهم عينة المســـاحة Area Sample محل أسلوب العينة الحصصية Quta Sample ــ الذى كان مميزا لبحوث التسويق وبالتالى ظل فترة ما مسيطرا فى مجال بحوث الرأى العام ·

ويمكننا أن نعرض بشيء من التفصـــيل لكل من هـــذين الأسلوبين باعتبارهما أسلوبى المعاينة الأساسيين اللذين يستخدمان حتى اليـــوم فى مسوح الرأى العام وقياساته ، وان كان الأسلوب الأول هو السائد فى هذه المسوح والقياسات(٢) ·

العينة الحصصية Quta Sample :

ظل أسلوب المعاينة السائد ــ لفترة طويلة نسبيا ــ فى مسوح الرأى العام هو أسلوب المعاينة الحصصية ، وقد أسهم فى تدعيمه فى المجال كل من شيرجتون ودروبير وكروسلى وجالوب الذين اكتسبت استطلاعاتهم ومسوحهم للرأى العام شهرة واسعة بعد انتخابات الرئاسة الأمريكية سنة ١٩٣٦ · وقد أدى الى انتشار هذا النوع من العينات فى قياسات الرأى العام أنه كان هو أسلوب المعاينة الذى تمرس عليه القائمون بمسوح الرأى العـام اذ ذاك فى مسوحهم فى مجال التسويق من قبل ذلك من جهـــة ، وقلة التكاليف المترتبة على استخدامه فضلا عن سهولة وسرعة اجرائه من جهة أخرى · واذا كانت العينات الاحتمالية Probability Samples قـــد فرضت وجودها اليوم على استطلاعات الرأىالعام وقياساته الا أن العينة الحصصية لا تزال رغم ذلك تستخدم فى هذا المجال ، وان كان ذلك فى الحالات التى لا تتطلب درجة عالية من الدقة أو لا تستلزم تعميم النتائج على المجتمع الأصلى ·

---

(1) Albig, W.: Op. cit., p. 175.

(2) Gallup, G. Questions and Answers on Selected Aspects of Polling in, Voice of the people, Christenson (ed.) McGraw-Hill Book Company, New York, 1962, p. 505.

وتصميم العينة الحصصية يتضمن ثلاثة خطوط رئيسية تبـدأ بتحديد خصائص معينة يصنف أفراد المجتمع وفقا لها ، وتستخدم هذه الخصائص كضوابط للاختيار ، ثم تحدد نسبة أفراد المجتمع الذين لهم هذه الخصائص. ويعتمد في هاتين الخطوتين عادة على بيانات التعداد وغيرها من البيـانات الرسمية ، وتكون الخطوة الأخيرة بتقسيم العينة الى حصص ، بحيث يكون لهذه الحصص نفس التوزيع النسبي الذي لها في المجتمع ، ثم يحدد لكل فرد من جامعي البيانات عدد الأفراد الذين ينبغي له أن يستطلع آراءهم داخـل كل حصة من هذه الحصص. وفي هذا الاطار تعطى له حرية اختيار الأفراد الذين سيقومون باستبارهم(١) .

ومن كل خطوة من هذه الخطوات تنبع أوجه عدة للنقد تجعلنا نحذر من استخدام هذا النوع من العينات في قياسات الرأى العام ـ اذا كنا حريصين في النهاية على أن تصبح نتائجنا ممثلة فعلا للرأى العام ـ تلتقى أوجه النقد هذه أساسا في سيطرة عامل الذاتية في الاختيار .

فالعامل الذاتي يلعب دورا كبيرا في اختيار العينة الحصصية منذ الخطوة الأولى في تصميمها ، فالعينة الحصصية التي تقوم في أساسها عـلى تقسيم المجتمع الى طبقات تسمح بالتحكم في العينة بتضمينها الطبقات أو الجماعات التي يرى الباحث أن لها دورها في صياغة الرأى العام ، أو التعبير عنه ، واذا كانت هذه تعد ميزة كبرى ـ شريطة أن يكون تحديد هذه الطبقات بناء على بحوث ودراسات سابقة أثبتت فعلا فاعليتها في صياغة الرأى العام أو التعبير عنه ـ الا أن ما يحدث في غيبة هذه الدراسات أن العامل الذاتي هو الذى يتحكم في تحديد أساس التقسيم الطبقي ، وفي تحديد أهمية الطبقة ، اذا أضفنا الى ذلك أن البيانات اللازمة لتقسيم المجتمع الى هذه الطبقات وبالتالى معرفة التوزيع النسبي للأفراد في كل منها حتى يمكن بناء عليها تحديد عدد الأفراد المتدرجين في داخل كل حصة من العينة الحصصية ، نادرا ما تتوافر ، واذا توافرت فهى عادة لا تتوافر فيها الدقة ، تبين لنا أن عملية تقسيم المجتمع الى طبقات في مثل تلك الظروف تصبح عملية ذاتية تنقصها الدقة والكفاءة معـا(٢) .

---

(1) Hansen, M., Hauser, P.: Area Sampling — Some Principles of Sample Design, in "Katz", (ed.) Public Opinion and Propaganda, Op. cit., p. 652.

(2) Albig, W. : Op. cit., pp. 204-205.

كذلك فان عدم وجود ضوابط على اختيـــار مفردات العينة الحصصية يعتبر أيضا احدى نقاط الضعف التى يسلم بهـــا كل المؤيدين والمعارضين لاستخدام هذا النوع من العينات . وقد حاول البعض ادخال بعض التعديلات التى تحد من حرية جامع البيانات فى اختيار مفردات عينته ، وبالتالى تحد من العامل الذاتى فى الاختيار مثل تضييق مجال الجماعة التى عليه أن يختار مفرداته منها ، أو تحديد أكثر للاجراءات التى عليه أن يتبعها للوصول الى هذه المفردات ، ومع كل ذلك يظل هناك مجال لتحيز جامع البيانات فى اختياره فردا دون الآخر - ما دام يتدرج فى احدى حصصه ، ومجال لأخطائه غـــير المقصودة بالنسبة لادراج الأفراد داخل كل حصة . كل هذا يوضح لنا مدى التحيز التى تتعرض له العينة الحصصية سـواء فى مرحلة التصميم أو فى مرحلة التنفيذ مما يبعدها بالتالى عن التمثيل الصحيح للمجتمع أو بقول أدق للرأى العام به . هنا لابد أن نتساءل : أليس من الأفضل حيث لم تتضح بصورة قاطعة أهمية العوامل المختلفة فى صياغة الرأى العام - وحتى متى اتضحت واجهتنا صعوبة توافر البيانات عنها على المستوى القومى التى تمكننا من التقسيم الطبقى وبالتالى تحديد حصص العينة - أن تأخـذ فى استطلاعات الرأى العام وقياساته بأساليب العينات الاحتمالية التى تحقق لنـــا تمثيل المجتمع الأصلى وبالتالى تجعلنا ننحاز لعامل دون الآخر ؟

الواقع أن هذا التساؤل هو الذى دفع القائمين باستطلاعات الرأى العام الى التحول عن العينة الحصصية الى نوع آخر من العينات هو ما يسمى بعينات المساحة .

عينة المساحة Area Sample :

اذا كانت أهم ميزتين للعينة الحصصية فى مجال الرأى العام همـــا السرعة التى تتم بها قياسات الرأى العام التى تعتمد عليها ، مع قلة النفقات المترتبة على استخدامها سواء فى مرحلة تصميم العينة أو فى مرحلة جمـــع البيانات عن مفرداتها(١) ، فان هاتين الميزتين لا تتوافران فى عينة المساحة .

ففى الوقت الذى لا نحتاج فيـــه فى تصميم العينـــة الحصصية الا الى بيانات التعداد التى تبين توزيع السكان وفقا لخصائص معينة ، فاننا نحتاج فى حالة عينة المساحة عادة الى استخدام عدد كبير من الخرائط التفصيلية التى

---

(1) Gallup, G.: Op. cit., p. 507.

يحتاج اعدادها الى الكثير من الوقت والنفقات ، واذا أضفنا الى ذلك أنه عادة فى حالة العينة الحصصية يستخدم نفس تصميم العينة ونفس التعليمات فى أكثر من استطلاع للرأى نجد الوضع يختلف عادة بالنسبة لعينة المساحة حيث يكون لكل استطلاع للرأى عينته وتعليماته ، مما تصبح معه عملية تصميم عينة المساحة عملية مكلفة ماديا وزمنيا .

فاذا انتقلنا الى مرحلة التنفيذ تكرر نفس الوضع ، فمن الواضح أن أى نظام لاختيار العينات يحدد مفردات بعينها لابد من جمع بيانات عنها ويستبعد امكانية احلالها بأخرى ، لا شك أنه يصبح مكلفا ماديا فضلا عن استغراقه لفترة زمنية أطول بكثير منه فى حالة العينات التى تسمح بالاحلال أو تعطى جامع البيانات بعض الحرية فى الاختيار كما هو فى حالة العينة الحصصية .

وبناء على ذلك فى نطاق قياسات واستطلاعات الرأى العام تفضل العينة الحصصية عينة المساحة اذا نظرنا فقط الى عامل السرعة وعامل الجهد من النفقات ، بينما اذا نظرنا الى عامل الدقة فى النتائج فان عينة المساحة تفضل العينة الحصصية ـ حيث لا يمكن تحديد درجة الدقة فى حالة العينة الحصصية اعتمادا على الصيغ الرياضية نظرا لكونها عينة غـيـر احتمالية لا تخضـع للعشوائية فى الاختيار ، بينما صممت عينة المساحة بحيث تتحقق فيها تلك العشوائية(١) .

ويتم عادة تصميم عينة المساحة على أساس تقسيم المنطقة الكلية التى سيشملها استطلاع الرأى الى مناطق ، وتختار عينة من هذه المناطق اختيارا عشوائيا ، ومن كل منطقة مختارة تختار عينة من المساكن اختيارا عشوائيا أيضا . واذا كانت مفردة البحث هى الوحدة السكنية فان هذه تختار كذلك اختيارا عشوائيا . وفى حالة ما اذا كان الفرد هو مفردة البحث فان اختيار الأفراد من كل وحدة يجب أن يخضع أيضا لعامل الصدفة . وعلى أساس هذا الاختيار الذى يتميز بالعشوائية فى كافة مراحله يمكن التعميم من عينة المساحة على المجتمع ، كما يمكن قياس تمثيل النتـــائج ودقتها فضلا عن اخضاعها للضبط(٢) .

---

(1) Gallup, G.: Op. cit., p. 507.
(2) Hansén, M., Hauser, P.: Op. cit., pp. 653-656.

وقد حاول بعض القائمين باستطلاعات الرأى العام اختيـار نوع من العينات يمثل توفيقا بين عينة المسـاحة والعينة الحصصية ، بحيث تصمم العينة على أساس المساحة ، لكى يعطى لجامع البيانات حرية اختيار الفرد من داخل الوحدة السكنية ــ ما دام يقع فى احدى حصصه ــ وهذه الحرية فى الاختيار تجعلنا نواجه مشكلة تحديد الخطأ الناجم عنها وبالتالى نواجه مشكلة التعميم منها على المجتمع ٠

اذا أردنا اذن أن نقوم كل من هذين النوعين من العينات باعتبار أنهما المستخدمان فى مسوح الرأى العام وقياساته فانه لابد لنا أن نأخذ متطلبات هذه المسوح والقياسات أساسا لتقويمها ٠

هذا ويمكننا أن نحدد متطلبات ثلاثة لابد من توافرها فى قياسات الرأى العام وهى :

١ ــ امكانية تعميم نتائجها على المجتمع وحساب درجة الدقة فى ذلك ٠
٢ ــ أهمية عامل السرعة فى الحصول على نتائجها ٠
٣ ــ أهمية الحد من نفقات اجرائها(١) ٠

وفى ضوء هذه العناصر الثلاثة نجد أن العنصر الأول لا يتحقق فى حالة استخدام العينة الحصصية ، بينما يحقق استخدامها العنصرين الأخيرين ٠ ويتحقق العنصر الأول فى حالة عينة المساحة ، بينما يكون ذلك على حساب العنصرين الأخيرين ٠

نخلص من ذلك الى أن عينة المساحة نظرا لكونها عينة احتمالية فانه يمكن تكبير نتائجها على المجتمع ويمكن حساب حدود الخطأ فى تقديراتها ، لذلك فهى من الناحية العلمية تعد أكثر العينات ملاءمة لمسوح الرأى العـام وقياساته ، الا أنها من النـاحية العملية ، التى تتطلب بجانب الحـد من النفقات ــ حيث تجرى دوريا وعادة على المستوى القومى ــ السرعة فى الحصول على النتائج فانها لا تمثل أفضل صورة للمعاينة ، بينما العينة الحصصية وان كانت تسد تلك المتطلبات العملية الا أنها لا تحقق المتطلبات العلمية لمسوح الرأى العام وقياساته ٠

---

(1) Maccoby, E., Holt, R.: How Surveys are Hade, Voice of the People; Christenson, (ed.) McGraw-Hill Book Company, New York, 1962, p. 491.

وقد دفع هذا الموقف بعض العلماء من المهتمين بمسوح الرأى العـــام وقياساته ، وخاصة بجوانبها المنهجية ، الى البحث عن نوع العينات الذى يحقق المتطلبات الثلاثة لمسوح الرأى العام سواء العلمية أو العملية منها ، وقد أثمر هذا الاهتمام نوعا من العينات يطلق عليه العينات الدائمة •

العينات الدائمة The Panels :

يقوم هذا النوع من العينات فى جوهره على أساس أنه بدلا من اختيار عينة لكل استطلاع للرأى العام فانه يمكن استخدام نفس العينة لعدة استطلاعات للرأى ، ويعرف هذا الأسلوب باسم The Panel Technique (١) •

ولهذا الأسلوب ميزته العملية بالنسبة لمسوح الرأى العام بالذات ، الا أنه لا يخلو فى الوقت ذاته من أوجه للنقد • لهذا سنعرض لكل من جوانبه الايجابية والسلبية قبل أن ننتقل الى الكيفية التى صممت بها العينة الدائمة لمسوح الرأى العام فى مصر متـــلافية فى تصميمها بعض الجوانب السلبية المرتبطة باستخدام العينات الدائمة •

فاستخدام العينات الدائمة يحقق المتطلبات الثلاثة لمسوح الرأى العام وقياساته ، فبمقتضاها يمكن اختيار عينة احتمالية لتمثيل الرأى العام وبهذا يتحقق المتطلب العلمى الذى يستلزم تعميم النتائج على المجتمع وحساب درجة الدقة فى ذلك • كذلك فانه نظرا لأن نفس العينة يستفاد منها فى استطلاعات عدة للرأى العام فانها تحد من النفقات والوقت اللذين كانا سيستهلكهما اختيار عينة جديدة لكل استطلاع للرأى والتعرف على مفرداتها فى البيئة ، وكسب ثقة أفرادها •

وهذه النقطة الأخيرة تعد من أهم ميزات العينات الدائمة التى يصعب تحقيقها فى حالة استخدام العينات غير الدائمـــة فى مسوح الرأى العــام وقياساته(٢) •

فنظرا لأن استطلاعات الرأى العام أصبحت اليوم لا تكتفى فى أغلب

(1) Lazarafeld, P., Fiske, M.: Op. cit., p. 596.
(2) Powell, N.: Anatomy of Public Opinion, Pretice-Hall, INC., Englewood Cliffs, 1959, pp. 62-63.

الأحيان بمجرد الاجابة « بلا » أو « بنعم » على أمثلة الرأى بل تحتـــاج من المبحوث الى ابداء رأيه بصورة مسهبة ، فان هذا يستلزم الكثير من الوقت ، أولا لكسب ثقة المبحوث وتعاونه ، وثانيـــا لتنمية قدرته عـــلى التعبير عن رأيه(١)، وهو أمر له أهميته بالذات فى الكثير من الدول النامية التى لم تأخذ بعد طريقها الى الديمقراطية وبالتالى يكون هناك خشية دائما من ابداء الرأى وخاصة بالنسبة للمسائل التى تمس النظم والمعتقدات الأساسية فى المجتمع فضلا عن انتشار الأمية بها وافتقار بعضها الى أسلوب التنشئة الاجتماعية الذى من شأنه خلق الفرد القادر على التعبير عن آرائه بصدق والقـــادر على بلورتها . فاستخدام أسلوب العينة الدائمة الذى يتيح استبار الفرد أكثر من مرة من شأنه أن يحقق الثقة بين الباحث والمبحوث ويدرب الأخـــير على عملية التعبير الدقيق عن الرأى(٢) .

وفى الوقت ذاته فانه نظرا لأن استطلاعات وقياسات الرأى العام تهتم اليوم باكتشاف العلاقات الارتباطية بين آراء الشخص وخصائصه وسماته الشخصية والاجتماعية فان استخدام العينات الدائمة وما يتيحه ذلك من فرص الاستبارات المتكررة لنفس الأفراد يتيح بدوره الفرص لتراكم المعلومات عن المستبرين وعلى حد قول لازرسفيلد انه من الاستحالة بمكان أن نسأل الفرد فى استبار واحد عن رأيه ونطبق عليه اختبارات للشخصية ونجمع منه بيانات عن تاريخ حياته ... الخ ، ولكنه من الممكن أن نحصل على جزء من هذه البيانات فى كل مرة تطبق فيهـــا عملية استطلاع للرأى . وبهذا يصبح لدينا عن كل فرد من أفراد العينة الدائمة ما يشبه السجل الكامل الذى يمكننا بسهولة من ايجاد العلاقة بين آراء الأفراد والجماعات وما تتضمنه سجلاتهم من بيانات قد يكون لهـــا أهميتها فى صياغة الرأى العـــام أو تشكيله أو توجيهه .

بالاضافة الى ذلك فان العينة الدائمة تكاد تكون هى الأداة ذات الكفاءة الوحيدة التى تمكننا من دراسة التغـــير فى الآراء بالنسبة للأحـــداث أو الموضوعات ذات الامتداد الزمنى ، بحيث يذهب البعض الى أنه يمكن التعميم

---

(1) Lasarefeld, P., Fiske, M. : Op. cit., p. 596.

(2) Saleh, Nahed : Survey Research in Developing Countries, "Egypt", 28th ESOMAR-Wapo R. Congress, Montreaux, 1975, New York, pp. 313-314.

بالقول بأنه عندما يكون لعامل الوقت أهميته فى دراسة الآراء فان العينات الدائمة هى فقط التى يمكن استخدامها فى هذه الحالة(١) .

والواقع أننا اذا أردنا التوصل الى العمليات السيكولوجية والسوسيولوجية التى بمقتضاها يتم تغيير الأفراد والجماعات لآرائها على امتداد فترة زمنية معينة فان العينة الدائمة هى التى سوف تساعدنا على ذلك : ففى الوقت الذى قد يكشف فيه فعلا اجراء استطلاعين للرأى ازاء موضوع معين فى فترتين زمنتين مختلفتين أن هناك ثباتا نسبيا فى الآراء المؤيدة والآراء المعارضة لرأى معين مما يجعلنا بالتالى نسلم بأنه لم يحدث تغيير فى الآراء ، فان استخدام عينة دائمة قد يكشف لنا عن أن الثبات الظاهرى يخفى تحته تغيرا جوهريا فى الآراء ، اذ قد تكون نسبة معينة من أفراد العينة المؤيدة لهذا الرأى فى الاستطلاع الأول أصبحت معارضة له فى الاستطلاع الثانى بينما نفس النسبة من الأفراد الذين كانوا يعارضون هذا الرأى أصبحوا يؤيدونه ، وهذا فى حد ذاته يمكننا من عزل الأفراد الذين غيروا رأيهم فى تلك الفترة ، والذين تمسكوا به ـ فضلا عن الذين جددوا رأيهم بانتقالهم من الرأى المؤيد أو المعارض ـ وبالتالى التعمق فى دراسة العوامل السيكلوجية السوسيولوجية التى أدت الى تمسك الفرد برأيه أو تغييره أو تحديد موقفه .

وهذا بدوره ينقلنا من ميزة أخرى يتيحها لنا استخدام العينات الدائمة فى استطلاعات الرأى العام وقياساته ، وهى أنه يمكننا الاستعاضة فى كثير من الحالات عن المجموعة الضابطة فى بحوث الرأى العام . مثال ذلك أننا اذا أردنا قياس أثر خطاب سياسى معين على آراء الجمهور فانه من الأفضل أن نستطلع آراء أفراد عينة دائمة قبل الاستماع الى الخطاب (كجماعة ضابطة) وبعد الاستماع اليه (كجماعة تجريبية) منه لو أجرينا البحث على مجموعة ضابطة لم تستمع الى الخطاب ومجموعة تجريبية استمعت اليه ، اذ أنه فى بحوث الرأى العام يجب أن نضع فى اعتبارنا دائما أن آراء الفرد قد تكون هى السبب فى تحديد وضعه فى المجموعة التجريبية أو المجموعة الضابطة فالرأى قد يؤثر فى سلوك الفرد أصلا من حيث الاستماع أو عدم الاستماع الى الخطاب السياسى فى هذه الحالة أكثر من تأثير الاستماع على الرأى(٢) .

بالاضافة الى ذلك فان الثبات الاحصائى Statistical Reliability يكون أعلى فى حالة العينة الدائمة منه فى حالة أخذنا لسلسلة من العينات .

(1) Ibid., p. 597.
(1) Powell, N.: Op. cit., p. 63.
(2) Lazarsfeld, P., Fiske, M. : Op. cit., p. 597-599.

ومن ثم فان حجم العينة الدائمة يمكن أن يصبح أصغر من حجم العينة فى حالة العينات المتتابعة ، ومن الناحية التكتيكية أو الفنية فانه من الأسهل الحصول على تمثيل جيـــد من عينة واحـــدة عنه فى حالة عدد كبـــير من العينات(١) ٠

لكل هذه العوامل المجتمعة برزت أهمية وضرورة استخدام العينات الدائمة فى بحوث الرأى العام ، وطرحت فى الوقت ذاته أوجه القصور التى تشوب استخدامها ، والمشكلات المنهجية التى تنجم عن الاستعانة بها فى تلك البحوث ٠

فبجانب الفاقد المستمر فى حجم العينة الدائمة ـ على الأقل بسبب الوفاة ـ نجد أنه من نفس مميزات العينة الدائمة تنبع مشكلاتها ، ولعل أهم مشكلة تثار أمام استخدام هذا النوع من العينات هى أثر التعرض المستمر لأفراد العينة لاستطلاعات الرأى العام وقياساته على تمثيل آرائهم فعلا للرأى العام بمرور الوقت ٠ وهنا تثار عدة تساؤلات : ألا تصبح لهؤلاء الأفراد نظرة نقدية لا تتوافر لدى أفراد الجمهور العادى ، بالنسبة لموضوعات الرأى العام؟ ألا تأخذ عملية ادلائهم المستمر بآرائهم طابعا مهنيا وبهذا يصبحون بمرور الزمن أكثر فأكثر انفصالا عن الجمهور العام ؟ ألا يؤدى تعرض الفرد للسؤال باستمرار عن اتجاهاته وآرائه الى تمسكه بما سبق أن أدلى به من آراء أو بقول آخر تجميدا لاتجاهاته وآرائه بحيث تظهر استطلاعات الرأى التى تستخدم هذا النوع من العينات ميلا أقل فى تغيير الرأى العام عما هو حادث فى الواقـع فعلا ؟

والواقع أن جميع هذه التساؤلات التى يمكن تلخيصها فى أثر تعرض أفراد العينة الدائمة لقياسات الرأى العام على نتائج هذه القياسات(٢) لا يمكن الاجابة عنها الا من خلال اجراء بحوث منهجية تتناول هذه المشكلة ٠ والواقع أن بعض البحوث قد أجريت فعلا بهدف الاجابة عن هذه المشكلات والتساؤلات وقد أسفرت نتائجها عن أن الخشية من أن يؤدى استخدام العينات الدائمة الى عدم تمثيلها للرأى العام لا محـــل لها(٣) ، فضلا عن ذلك فانه يمكن

---

(1) Ibid., p. 597.
(2) Powell, N. : Op. cit., pp. 63-64.
Lazarsfeld, P., Riske, M.: Op. cit., pp. 599-600.
(3) Powell, N. : Op. cit., p. 63.

باستمرار قياس مدى صلاحية هذا النوع من العينات لتمثيل الرأى العام فعلا بأن نختار بعد كل عدة استطلاعات للرأى العام عينة أخرى بجانب العينة الدائمة حيث يتم استطلاع الرأى العام باستخدامهما فى نفس الوقت . وبمقارنة نتائجها احصائيا يمكن الحكم على مدى صلاحية العينة الدائمة للاستمرار فى تمثيل الرأى العام .

العينة الدائمة لبحوث الرأى العام

فى مصر*

فى ضوء المزايا العملية العلمية التى يقدمها كل نوع من أنواع العينات المستخدمة فى قياسات الرأى العام ومع مراعاة نواحى القصور فى كل منها ، تم وضع تصميم لعينة دائمة لقياسات الرأى العام روعى فى تصميمها بجانب الدقة العلمية التى يجب أن تتوافر لقياسات الرأى العام التى ستعتمد عليها ، الامكانيات المتاحة سواء من حيث البيانات الاحصائية الأساسية أو اختيار العينة أو النفقات . وفى هذه الحدود اجتهدت هيئة البحث فى الوصول إلى أفضل تصميم لعينة دائمة للرأى العام ، حاولت فيه مجابهة الاعتراضات وأوجه النقد التى تثار حول استخدام هذا النوع من العينات .

أولا : المجتمع الذى تمثله العينة :

لما كانت أغلب قياسات الرأى العـــام تتم على المستوى القومى وحيث تتناول عادة أمورا تمس حاجات الجماهير ومصالحها ، فقد روعى فى العينة أن تمثل الجمهور المصرى فى كافة أنحاء الجمهورية ، وفى الوقت نفسه فانه نظرا لأن بعض قياسات الرأى العام قد تهم فئات فى المجتمع أو قطاعات منه دون الأخرى فقد روعى فيها أيضا أن تمثل الفئات المختلفة بنـــاء على المتغيرات التالية : الجنس — السن — الديانة — الحالة التعليمية — الحـــالة الزوجية — الحالة المهنية — الريف والحضر .

---

* فى سنة ١٩٧٠ تم تشكيل هيئة بحث من الأستاذ الدكتور عبادة سرحان (مشرفا) والأستاذ الدكتور عبد المجيد فراج والدكتورة ناهد صالح لتصميم عينة دائمـة لبحوث الرأى العام فى مصر وفى سنة ١٩٧٤ أعيد تصميم العينة باشراف الدكتورة ناهد صالح وعضـــوية الأستاذين حسن الكاشف وحسن الخولى بوحدة الرأى العام والاعلام بالمركز .

ثانيا : حجم العينة :

من الأمور المسلم بها عمليا أنه متى توافرت الامكانيات فان زيادة حجم العينة المختارة عشوائيا من شأنه أن يزيد من تمثيلهـــا للمجتمع من كافة خصائصه ٠ ولكن نظرا لأن الامكانيات دائما تكون محدودة سواء من حيث الوقت أو الخبرة الفنية أو المال فان المشكلة تصبح ليست هي مسألة الوصول الى أكبر حجم للعينة يعطينا أكبر درجة من الدقة فى تمثيلها ولكن هى الوصول الى أصغر حجم للعينة من شأنه أن يعطينا درجة الدقة التى نحتاج اليها فى قياسات الرأى العام ، وبالتالى تحديد حجم العينة الذى سيعطى خطأ معاينة فى الحدود التى يسمح بها مستوى الدقة المتطلبة فى النتائج ٠

ومن بين العومل التى تحدد حجم العينة فان العوامل الثلاثة التالية هى أهمها :

١ ــ الدقة المرغوب فى تحقيقها فى نتائج استطلاع الرأى فاذا كانت درجة الدقة المتطلبة ٩٥٪ أو ٩٩٪ مثلا ٠ الا أنه يلاحظ أنه عنـــد مستوى معين لا تتناسب الزيادة فى درجة الدقة مع الزيادة فى حجم العينة(١) ٠

٢ ــ تنوع وتعداد النواحى التى سيراعى تمثيلها فى العينة ، فمثـــلا مراعاة تمثيل الدخل أو المهنة فى العينة يستلزم عينة أكبر من مراعاة تمثيل الجنس مثلا، كما أن تمثيل أكثر من خاصية ــ كما هو الوضع بالنسبة لعينتنا ــ يستلزم حجما للعينة أكبر منه فى حالة الاقتصار على خاصية واحدة ٠ اذ أنه فى الحالة الأولى يستلزم تحديد حجم العينة ، تحديد الحجم الذى يضمن تمثيل كل من الخواص ثم اختيار أكبر حجم منها ٠

٣ ــ مستوى تحليل النتائج ، وهذا يرتبط بالعامل السابق ، فاذا كانت النتائج ستحلل على المستوى القومى أى على الجمهور ككل فاننا نحتاج فى هذه الحالة الى عينة أصغر منه فى حالة ما اذا كانت النتائج ستحلل على مستوى المناطق أو على مستوى الفئات المختلفة ٠ وفى حدود هذه العوامل الثلاثة ومع مراعاة مدى توافر الامكانات المالية والخبرة الفنية حدد حجم العينة بخمسة آلاف فرد وذلك فى حدود درجة دقة ٨١٪ ٠

---

(1) Gallup, G.: Op. cit., pp. 502-503.

ثالثا : خطوات تصميم العينة :

مر تصميم العينة بعد تحديد حجمها بالخطوات التالية :

أولا : قسم المجتمع المصرى الى ثلاثة قطاعات :

١ - محافظات حضرية وتضم محافظتى القاهرة والاسكندرية* .

٢ - حضر وجه بحرى وحضر وجه قبلى ، ويضم عواصم المحافظات وعواصم المراكز .

٣ - ريف وجه بحرى وريف وجه قبلى ويضم قرى الوجهين البحرى والقبلى .

ثانيا : وزعت العينة التى حدد حجمها بخمسة آلاف فرد على هذه القطاعات توزيعا نسبيا وفقا لعدد الأسر فى كل منها فجاء توزيعها كالآتى :

المحافظات الحضرية :

القاهرة	١٨٧	
الاسكندرية	٣٣٣٢	
		١١٥٠ -
حضر وجه بحرى ووجه قبلى		
حضر وجه بحرى	٤٦٠	
حضر وجه قبلى	٤٤٠	
		٩٠٠ -
ريف وجه بحرى ووجه قبلى		
ريف وجه بحرى	١٥٥٠	
ريف وجه قبلى	١٤٠٠	
		٢٩٥٠ -
	٥٠٠٠	

الحجم الكلى للعينة

ثالثا : تم اختيار مفردات العينة داخل كل قطاع على النحو التالى :

١ - المحافظات الحضرية :

(أ) وزعت العينة على المحافظات الحضرية توزيعا نسبيا وفقا لعدد الأسر فى كل محافظة .

* استبعدت المحافظات الحضرية الأخرى لظروف الحرب مع اسرائيل .

(ب) اختيرت عينة منتظمة من شياخات كل محافظة بنسبة ٥٪ ·

(ج) تم توزيع العينة التى تخص كل محافظة على الشياخات المختارة فى العينة توزيعا نسبيا وفقا لعدد الأسر فى كل شياخة

٢ — حضر وجه بحرى ووجه قبلى :

(أ) أختيرت اختيارا منتظما عينة حجمها ٥٪ من مدن وجه بحرى ومن مدن وجه قبلى ·

(ب) تم توزيع العينة على المدن المختارة على أساس نسبة عدد الأسر فى كل منها ·

٣ — ريف وجه بحرى وريف وجه قبلى :

(أ) تم اختيار عينة منتظمة حجمها ٥٠٪ من القرى المختارة فى تعداد السكان بالعينة لسنة ١٩٦٦ وتبلغ نسبتها ٣ر١٪ من قرى الجمهورية (٥٣ قرية) ·

(ب) وزعت العينة على القرى المختارة توزيعا نسبيا وفقا لعدد الأسر فى كل قرية ·

رابعا : سحب العينة :

استعانت هيئة البحث بالجهاز المركزى للتعبئة العـــامة والاحصاء فى سحب مفردات العينة التى حددت الهيئة حجمها وتوزيعها عـــلى الشياخات والقرى وأسلوب اختيارها وهو الأسلوب المنتظم ·

وقد استعان الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء بالأطـــر التى قام باعدادها بناء على التعداد بالعينة الذى أجرى عام ١٩٦٦ وبهذا أصبح لدى هيئة البحث كشف بأسماء وعناوين خمسة آلاف رب أسرة لتكوين اطـــار العينة الأصلية وألف رب أسرة لتكوين اطـــار العينة البديلة موزعة عـــلى المحافظات الحضرية وريف الوجه القبلى والوجه البحرى ·

خامسا — اختيار مفردة العينة :

لما كان الفرد وليست الأسرة هى وحدة العينة فقد قامت هيئة البحث باعداد استمارة احصائية تشمل بيـــانات أساسية عن رب الأسرة وجميع المقيمين معه فى معيشة مشتركة من حيث الاسم ، الجنس ، الديانة ، الحالة التعليمية ، الحالة الزواجية ، المهنة ، محل الاقامة ·

وقد قام عدد من الباحثين الميدانيين المدربين بملء بياناتها وبعد مراجعتها ميدانيا ومكتبيا أعتبرت جميع الأسماء الواردة فى تلك الاستمارات والتى لا تقل أعمار أصحابها عن السادسة عشرة (**١٤٦١٨ فردا**) الاطـــار الذى سحبت منه العينة النهائية بالأسلوب المنتظم ، والبالغ حجمها **خمسة آلاف فرد** ، كما سحبت العينة البديلة والبالغ حجمها ألف فرد من الاطـــار الذى يضم أفراد الأسرة لهذه العينة بنفس الأسلوب المنتظم ٠

سادسا : اجراء بعض المعالجات الاحصائية لاختبار تمثيل العينة :

بعد تحديد مفردات العينة النهائية تم جدولة بياناتها وفقا للبيانات الأساسية : النوع ـ السن ـ الديانة ـ الحالة التعليمية ـ الحالة الزواجية ـ المهنة ، ثم بناء على هذه البيانات اختيارا عشوائيا بمقارنتها بالنتائج العامة لبيانات التعداد بالعينة سنة ١٩٦٦ وقد اتضح من الاختبارات الاحصائية التى أجريت عليها أنه ليس هناك ما يدعونا الى الشك فى عشوائية العينة وبالتالى فى تمثيلها للمجتمع الأصلى من حيث الخصائص السالفة ٠

سابعا : أسس تجديد العينة :

لما كانت العينات الدائمـــة تستلزم بالضرورة أن يتم تعديلها بصفة دورية بحيث تظل متمشية فى خصـــائصها الديموجرافية مـــع الخصائص الديموجرافية للجمهور العام تلك الخصائص التى اتخذت كمحكات لتمثيل العينة للمجتمع الأصلى وبالتالى فى تمثيل آرائها للرأى العام ، لذلك كان من أهم الأسس التى وضعت لعملية تجديد العينة ما يلى :

١ ـ أن يتم دوريا اختبار مدى تمثيل العينة للجمهور العام اعتمادا على التقديرات التى يقوم باعدادها الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء عن الخصائص الديموجرافية للسكان ٠

٢ ـ حتى يمكن التغلب على الاعتراضات التى يثيرها البعض ، من حيث أن تعرض العينة الدائمة للاستطلاعات المستمرة للرأى العام قد يؤدى الى تمييزها عن الجمهور العام وبالتالى يؤدى الى أن تصبح آراؤها غير ممثلة تماما للرأى العام ٠ هذه النقطة وردت أهميتها بالذات بالنسبة لاستطلاعات الرأى العام التى تتم اسبوعيا ـ لذلك رأينا أن يستفاد من الاطار العام للعينة الذى يضم ١٤٦١٨ فردا فى التجديد المستمر للعينة بحيث تجدد نسبة ٥٪ من العينة فى كل استطلاع للرأى العام ، وهذا الاجراء من شأنه بالاضافة إلى

عملية التجديد المستمر للعينة ، أن يتيح لنا في كل استطلاع للرأى العام امكانية التأكد من أن آراء الأفراد الذين استطلعت آراؤهم أكثر من مرة لا تختلف عن آراء الأفراد الذين تستطلع آراؤهم لأول مرة ، وهذه نقطة منهجية على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للاستفادة من العينات الدائمة في بحوث الرأى العام ، كما سبق أن رأينا ٠

٣ — حتى تستمر العينة ممثلة دائما للجمهور لابد أن يتيح كل تعداد تجريه الدولة للسكان الاستفادة من الاطار العام الذى يضم كافة السكان ومن نتائج التعداد فى سحب العينة الدائمة للرأى العام ٠

ولهذا اذا افترضنا أن التعداد العام يجرى كل عشر سنوات فانه يمكن اختيار عينة دائمة للرأى العام بعد كل تعداد مباشرة ، وأن تستمر عملية تعديلها سنويا — حيث يضاف الى اطارها الأفراد الذين تصل أعمارهم الى ١٦ سنة (وهو بيان تتضمنه الاستمارة الخاصة بالعينة) ويختار من هذا الاطار الشامل نسبة ٥٪ من حجم العينة الأصلية يتم احلالهم محل الأفراد الذين سقطوا من العينة — سواء بسبب الوفاة أو بسبب أى عامل آخر — وأيضا الحالات التى يتم استبعادها وفقا للأساس العشوائى ٠

وفى ضوء هذا الاطار العام لاختيار عينة دائمة للرأى العام بمصر ، نكون قد حققنا المتطلبات الثلاثة التى تستلزمها استطلاعات ومسوح الرأى العام أو على الأقل وضعنا الأساس الجوهرى الذى يسهل عملية تحقيقها ٠

فاختيارنا للعينة الدائمة على ذلك النحو حقق المطلب العلمى وهو كونها عينة احتمالية ممثلة للمجتمع الأصلى ، كما أن عملية تجديدها المستمر تضمن استمرار هذا التمثيل وتتيح فرصة اختياره بدقة منهجية ٠

تبقى بعد ذلك نقطة أخيرة لابد أن نشير اليها ما دمنا نتناول موضوع المعاينة فى بحوث الرأى العام ، وهى أنه لا يكفى فى استطلاعات الرأى العام التعرف على الرأى العام ومواقفه وقياس مدى التغير فيها ، بل لابد لنا أيضا من التعرف على رأى الجماعات الموجهة للرأى العام هذا ٠ وهو ما يؤكد أهمية أن تصاحب العينة الدائمة للرأى العام عينة دائمة أخرى لقادة هذا الرأى والمؤثرين فى صياغته وتوجيهه ٠

توزيع مفردات العينة الدائمة لقياس الرأي العـــام

وفقاً للخصائص الديموجرافيـــة

توزيع العينة الدائمة وفقا للجنـــس

الجنس / المحافظات	ذكـــور		إنـــاث		المجمـــوع	
	عدد	%	عــدد	%	عـــدد	%
القاهـــرة	٤٤٦	٥٠٫٧	٤٣٤	٤٩٫٣	٨٨٠	١٠٠
الأسكندريـــة	١٦٣	٤٩٫٧	١٦٥	٥٠٫٣	٣٢٨	١٠٠
حضر وجه بحـــرى	٢١١	٤٩٫٦	٢١٤	٥٠٫٤	٤٢٥	١٠٠
حضر وجه قبلـــى	٢٠٥	٤٩٫٨	٢٠٧	٥٠٫٢	٤١٢	١٠٠
ريف وجه بحـــرى	٧٨٦	٥٠٫٥	٧٦٩	٤٩٫٥	١٥٥٥	١٠٠
ريف وجه قبلـــى	٦٢٥	٤٩٫٣	٦٤٢	٥٠٫٧	١٢٦٧	١٠٠
المجمـــوع	٢٤٣٦	٥٠٫٠	٢٤٣١	٥٠٫٠	٤٨٦٧	١٠٠

توزيع العينة الدائمة وفقا للديانـــة

الديانة / المحافظات	مسلمـــون		مسيحيـــون		المجمـــوع	
	عــدد	%	عــدد	%	عــدد	%
القاهـــرة	٦٩٢	٧٨٫٦	١٨٨	٢١٫٤	٨٨٠	١٠٠
الاسكندريـــة	٣١٢	٩٥٫١	١٦	٤٫٩	٣٢٨	١٠٠
حضر وجه بحـــرى	٤١١	٩٦٫٧	١٤	٣٫٣	٤٢٥	١٠٠
ريف وجه بحـــرى	١٥١٦	٩٧٫٥	٣٩	٢٫٥	١٥٥٥	١٠٠
حضر وجه قبلـــى	٣٢٧	٧٩٫٤	٨٥	٢٠٫٦	١٤٢	١٠٠
ريف وجه قبلـــى	١١٠٢	٨٧٫٠	١٦٥	١٣٫٠	١٢٦٧	١٠٠

العينة الذاتيـــــة وفقا للحالة الزواجيـــــة

الحالة الزواجية / المحافظة	لم يتزوج		متزوج		مطلق		أرمل		المجموع		غير مبين	المجموع الكلي
القاهرة	٣٠٣	٣٤ر٧	٤٩٤	٥٦ر١	١٦	١ر٨	٦٠	٦ر٦	٨٧٣	١٠٠	٧	٨٨٠
الاسكندرية	١١٩	٣٧ر٣	١٧٦	٥٥ر٢	٣	٠ر٩	٢١	٦ر٦	٣١٩	١٠٠	٩	٣٢٨
حضر وجه بحرى	١٢١	٢٨ر٥	٢٨٢	٦٦ر٣	٣	٠ر٧	١٩	٤ر٥	٤٢٥	١٠٠	٠٠	٤٢٥
ريف وجه بحرى	٣٤٤	٢٢ر٣	١٠٤٥	٦٧ر٨	١٤	٠ر٩	١٣٩	٩ر٠	١٥٤٢	١٠٠	١٣	١٥٥٥
حضر وجه قبلى	١٠٦	٢٦ر٠	٢٦٨	٦٥ر٧	٤	١ر٠	٣٠	٧ر٣	٤٠٨	١٠٠	٤	٤١٢
ريف وجه قبلى	٢٣٨	١٩ر٠	٨١٠	٦٨ر٥	٩	٠ر٧	١٤٨	١١ر٨	١٢٥٥	١٠٠	١٢	١٢٦٧
المجموع	١٢٣١	٢٥ر٥	٣١٢٥	٦٤ر٨	٤٩	١ر٠	٤١٧	٨ر٧	٤٨٢٢	١٠٠	٤٥	٤٨٦٧

توزيع المهنة الدائمة وفقا للحالة التعليمية

المحافظات / الحالة التعليمية	أمي		يقرأ ويكتب		شهادة ابتدائية		شهادة متوسطة		شهادة عليا		المجموع		مبين	المجموع الكلي
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%		
القاهرة	٣٥٣	٤٠ر٤	٢٠٣	٢٣ر٣	٩٢	١٠ر٥	١٧٥	٢٠ر٠	٥١	٥ر٨	٨٧٤	١٠٠	٦	٨٨٠
الاسكندرية	١٥٦	٤٨ر٢	٦٨	٢١ر٠	٣٦	١١ر١	٤٨	١٤ر٨	١٦	٤ر٩	٣٢٤	١٠٠	٤	٣٢٨
حضر وجه بحري	٢٥٢	٥٩ر٤	٩٧	٢٢ر٩	١٨	٤ر٢	٤٦	١٠ر٦	١١	٢ر٦	٤٢٤	١٠٠	١	٤٢٥
ريف وجه بحري	١٢٣٧	٨٠ر٧	١٩٠	١٢ر٤	٤١	٢ر٧	٥٩	٣ر٨	٦	ر٤	١٥٣٣	١٠٠	٢٢	١٥٥٥
حضر وجه قبلي	٢٧٥	٦٧ر١	٦١	١٤ر٩	٢٦	٦ر٣	٤٣	١٠ر٥	٥	١ر٢	٤١٠	١٠٠	٢	٤١٢
ريف وجه قبلي	١٠٩٤	٨٢ر٣	٩٨	٧ر٨	٢٥	٢ر٠	٣٢	٢ر٦	٤	ر٣	١٢٥٣	١٠٠	١٤	١٢٦٧
المجموع	٣٣٦٧	٦٩ر٩	٧١٧	١٤ر٩	٢٣٨	٤ر٩	٤٠٣	٨ر٤	٩٣	١ر٩	٤٨١٨	١٠٠	٤٩	٤٨٦٧

توزيع العينة الدائمة وفقا لفئات السن

فئات السن / المحافظات	١٦ ــ ١٨		١٨ ــ ٢٠		٢٠ ــ ٢٥		٢٥ ــ ٣٠		٣٠ ــ ٣٥		٣٥ ــ ٤٠		٤٠ ــ ٤٥	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
القاهرة	٨١	٩ر٢	٧٥	٨ر٥	١٣٢	١٥ر٠	٩١	١٠ر٤	٩٠	١٠ر٢	٩٦	١٠ر٩	٧٨	٨ر٩
الاسكندرية	٢٥	٧ر٦	٣٤	١٠ر٤	٥٩	١٨ر١	٣٢	٩ر٨	٢٥	٧ر٦	٢٩	٨ر٩	٢٥	٧ر٦
حضر وجه بحرى	٤٠	٩ر٤	٣٤	٨ر٠	٥٢	١٢ر٣	٢٤	١٢ر٨	٥٢	١٢ر٣	٤١	٩ر٧	٤٠	٩ر٤
حضر وجه قبلى	٣١	٧ر٦	٢٨	٦ر٨	٥٢	١٢ر٧	٤٥	١٠ر٩	٤٢	١٠ر٢	٤٥	١٠ر٩	٣٥	٨ر٥
ريف وجه بحرى	١٢٤	٨ر٠	٩٥	٦ر١	٢٠٠	١٢ر٩	١٦٩	١٠ر٩	١٥٨	١٠ر٢	١٢٣	١٣ر٧	١١٩	٧ر٥
ريف وجه قبلى	٨٣	٦ر٦	٧٨	٦ر٢	١٠٨	٨ر٥	١٣٨	١٠ر٩	١٢٠	٩ر٥	١٦٢	١٢ر٨	١٠٥	٨ر٣
المجموع	٣٨٤	٧ر٩	٣٤٤	٧ر١	٦٠٣	١٢ر٤	٥٢٩	١٠ر٩	٤٨٧	١٠ر٠	٥٨٦	١٢ر١	٤٠٢	٨ر٣

تابع ...

فئات السن / المحافظات	٤٥ ــ ٥٠		٥٠ ــ ٥٥		٥٥ ــ ٦٠		٦٠ فأكثر		المجموع		غير مبين	المجموع الكلى
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	عدد
القاهرة	٦٨	٧ر٨	٥٥	٦ر٢	٣٦	٤ر١	٧٧	٨ر٨	٨٧٩	١٠٠	١	٨٨٠
الاسكندرية	٢٤	٧ر٣	٢٨	٨ر٦	١٢	٣ر٧	٣٤	١٠ر٤	٣٢٧	١٠٠	١	٣٢٨
حضر وجه بحرى	٢٦	٦ر١	٢٥	٥ر٩	٢٠	٤ر٧	٤٠	٩ر٤	٤٢٤	١٠٠	١	٤٢٥
حضر وجه قبلى	٣٢	٧ر٨	٣٠	٧ر٣	١٨	٤ر٤	٥٣	١٢ر٩	١٢٦٧	١٠٠	١	٤١٢
ريف وجه بحرى	١١٥	٧ر٤	١٤٤	٩ر٣	٥١	٣ر٣	١٦٥	١٠ر٦	١٥٥٣	١٠٠	٢	١٥٥٥
ريف وجه قبلى	١٠٧	٨ر٤	٩٥	٧ر٥	٦٤	٥ر٠	٢٠٧	١٦ر٣	١٢٦٧	١٠٠	—	١٢٦٧
المجموع	٣٧٢	٧ر٧	٣٧٧	٧ر٦	٢٠١	٤ر١	٥٧٦	١١ر٩	٤٨٦١	١٠٠	٦	٤٨٦٧

المهنة / المحافظات	عامل صناعي		عامل زراعي		عامل خدمات		موظف بالحكومة		موظف بالقطاع العام		موظف بالقطاع الخاص		مزارع		صاحب محل تجاري	
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
القاهرة	٥٦	٦ر٤	—	—	١٢١	١٣ر٨	٧٣	٨ر٣	٤٢	٤ر٨	٩	١ر٠	١	٠ر١	٣٤	٣ر٩
الاسكندرية	٣٨	١١ر٨	—	—	٣٣	١٠ر١	١٧	٥ر٣	٧	٢ر٢	—	—	—	—	٧	٢ر٢
حضر وجه بحري	٣٦	٨ر٥	٢١	٥ر٠	٣٢	٧ر٥	١٩	٤ر٥	٨	١ر٩	—	—	٢٢	٥ر٢	١٤	٣ر٣
حضر وجه قبلي	٢٩	٧ر١	١١	٢ر٣	٣٥	٨ر٥	٢٣	٥ر٦	٦	١ر٥	—	—	٢١	٥ر١	٢٦	٦ر٣
ريف وجه بحري	٢٢	١ر٥	٣٣١	٢١ر٤	٨٠	٥ر٢	٣٢	٢ر١	١٣	٠ر٨	١	٠ر١	٢٧٩	١٨ر٠	٢٤	١ر٦
ريف وجه قبلي	١٨	١ر٤	٢٥٨	٢٠ر٦	٦٨	٥ر٤	٢٣	١ر٨	٦	٠ر٥	—	—	١٧٠	١٣ر٦	١٢	١ر٠
المجموع	٢٠٠	٤ر١	٦٢٣	١٢ر٩	٣٦٩	٧ر٦	١٨٧	٣ر٩	٨٢	١ر٧	١٠	٠ر٢	٤٩٣	١٠ر٢	١١٧	٢ر٤

تابع

المهنة / المحافظات	عسكري ومجند أو مخبر		مهن حرة		لا يعمل وربات البيوت		بائع متجول		قومسيونجي		المجموع		غير مبين	المجموع الكلي
	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	عدد
القاهرة	٣٢	٣ر٦	١٣	١ر٥	٤٩٥	٥٦ر٢	٤	٠ر٤	—	—	٨٨٠	١٠٠	ـ	٨٨٠
الاسكندرية	١٨	٥ر٦	٥	١ر٤	١٨٧	٥٧ر٩	٩	٢ر٨	٢	٠ر٦	٣٢٣	١٠٠	٥	٣٢٨
حضر وجه بحري	٢٢	٥ر٢	٣	٠ر٧	٢٣٨	٥٦ر١	٨	١ر٩	١	٠ر٢	٤٢٤	١٠٠	١	٤٢٥
حضر وجه قبلي	٧	١ر٧	٢	٠ر٥	٢٣٩	٥٨ر١	١٠	٢ر٤	—	—	٤١١	١٠٠	١	٤١٢
ريف وجه بحري	٤٨	٣ر١	—	—	٧٠٣	٤٥ر٣	١٢	٠ر٨	١	٠ر١	١٥٤٧	١٠٠	٨	١٥٥٥
ريف وجه قبلي	٢٦	٢ر١	٢	٠ر٢	٦٦٧	٥٣ر٢	٢	٠ر٢	—	—	١٢٥٣	١٠٠	١٤	١٢٦٧
المجموع	١٥٣	٣ر٢	٢٦	٠ر٥	٢٥١٩	٥٢ر٢	٤٥	٠ر٩	٤	٠ر١	٤٨٣٨	١٠٠	٢٩	٤٨٦٧

علم الأنثروبولوجيا والعالم الثالث
دراسات استطلاعية حقلية أنثروبولوجية فى المجتمع العربى

دكتور أحمد النكلاوى *

مقـــدمة

فى اشكالية البحث الأنثروبولوجى والعالم الثالث

ما من شك أن دراسة المجتمعات البدوية والريفية ، أى المجتمعات التى تشكل الزراعة والرعى فيها العنصر المؤثر الغالب على نمط الانتـــاج ، من المطالب الحيوية وخاصة فى اتصالها باطار البنية المجتمعية العربية التى يعكس كثير من خصائصها السمات الغالبة التى تطبع بلدان العـــالم الثالث ثقافيا واجتماعيا وماديا ٠

وغنى عن البيان ان حيوية مثل هذه المطالب تبـــدو أشـد الحاحا اذا ما آزرتها خصوبة هـــذه المجتمعات من حيث حجم ونمط الظـاهرات التى تستأهل الدراسة من ناحية ، وتكسبها خصوصية ثقافية بنائية تميزها عن غيرها من الأطر القائمة ٠ وغير خاف أن تلك الخصوصية الثقافية البنائية التى تسم مجتمعاتنا العربية لم تزل حافظة لكثير من ملامحها الحضارية التقليدية رغم بلوغ تيارات التحديث التى نسجت أساسا فى مراكز حضارية بعيدة كل البعد فى تركيبها الحضارى عن الواقع الفعلى لخصوصية بلداننا ٠

ولا جدال أن البحث الأنثروبولوجى لهذه المجتمعات ، فضلا عما يمكن أن يسهم به فى اثراء البحث الأنثروبولوجى عموما والنظرية خصـــوصا ، فانه يمكن أن يسهم فى تحقيق مزيد من الفهم العلمى الحضارى لقضاياها الحيوية بل ويمكن من تقديم المادة التى تفند بها كثير من النظريات التى وضعت عن بلدان هذا العالم واعتبرت التخلف أهم طبائعه الأصيلة ٠

بالاضافة الى ما تقدم فان البحث الأنثروبولوجى لشعوب مجتمعـــات العـــالم الثالث ، وهو ينطلق اليـــه لا من المنظـور الكلاسـيكى للبحث

---

* مدرس علم الاجتماع — كلية الآداب — جامعة القاهرة ٠

الأنثروبولوجى عموما الذى انصب حول مجرد تسجيل بعض الملامح — التى رأتها ثقافة المستعمر — الغريبة أو الشاذة عن الثقافة الأصلية للباحث وبخاصة ملامح الشعوب التى نعتوها بالشعوب الهمجية أو الوحشية أو البدائية ، وفى أكثر الأحيان بالمتخلفة — قياسا بثقافاتهم — ، من شأنه أن يسلط الضوء على نمط الشخصية الثقافية القومية لشعوب هذه المجتمعات مبرزا مبلغ اكتناز نمط هذه الشخصية لكثير من ميكانيزمات البناء والتقدم ٠

فمن الحقائق المسجلة اليوم أن تخلف هذه الشعوب يعد وليد دمج العالم المحيطى (العالم الثالث) بالعالم المركزى (الاستعمارى) ، كما انه خلاصة فعل استعمارى ٠ والأمثلة التالية من شأنها أن توضح تماسك هذا الحكم ٠

١ — ان أفريقيا السوداء التى تدعوها النظريات الاستعمارية بالمتخلفة ، كانت من أقدم مستعمرات البلدان الأوروبية ، فرنسا وانجلترا وبلجيكا ٠ الخ ٠

٢ — أن ايرلندا رغم انها تقع ضمن المجموعة الأوربية المتقدمة ، فانها الدولة الوحيدة المتخلفة فى أوربا كلها ، وهذا راجع الى أنها الدولة الأوربية الوحيدة التى استعمرت من طرف الانجليز ٠

٣ — وعلى عكس المثالين السابقين ، نجد أن اليابان رغم وقوعها ضمن مجموعة متخلفة فى آسيا ، فانها تمكنت وحدها من تحقيق خطوات جبارة فى التقدم الاقتصادى ، وهذا راجع أساسا الى أنه فى اللحظة التى بدأت فيها الدول الأوربية وأمريكا شن هجومها الاستعمارى على آسيا ، عمل اليابان على اغلاق أبوابه وعدم الانفتاح على العالم الخارجى ورفض بالمرة كل تدخل اقتصادى أجنبى ٠

وتوضح هذه الأمثلة ان العلاقات العالمية والسيطرة الاقتصادية لبلد معين على آخر ، هما أصل التخلف والتقدم ، تخلف المحيط وتقدم المركز ، وبمعنى آخر يمكن أن نؤكد أن التخلف ليس حادثة قدرية ناتجة عن لاتكافؤ القدرات العقلية الطبيعية ، انما هو افراز من افرازات النظام الاقتصادى العالمى ٠ ومن ثم فان التنمية المنشودة فى نطاق العالم المحيطى غير ممكنة مع استمرار افرازات النظام الاقتصادى العالمى ٠ ومؤدى ذلك انه لابد من اختبار وبحث دقيق يضع نصب عينيه أبعاد المشكلة متجها بالنضال ضد كل العوامل المسئولة عن استمرارية هذه المشكلة ٠

واذا كان هدف الدراسة الحالية من النـــاحية النظرية يرتبط بتحقيق الأهداف التى سبق أن نبهنا اليها فانها وانطلاقا من هـــذا الهدف النظرى المحدود ترمى الى تحقيق هدف آخر أعم وأشمل هو محاولة القاء الضوء على اشكالية البحث الأنثروبولوجى وبوجه خاص فى اطار بلدان العالم الثالث . واذا كان البحث عن اجابة جديدة لدور البحث الأنثروبولوجى فى هذا النطاق من العالم يشكل نقطة تحول وانتقــــال من المفهوم الكلاســيكى لدور علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوجه عام الى مفهـــوم آخر يتخلص من الآثار الأيديولوجية التى علقت به ابان رحلته التى مر بها ، فان تحقيق هذا المطلب يعد اسهاما نظريا وقوميا لا يضاهيه أى اسهام آخر فى تقديرى .

فمن الحقائق التى توهت على دارس هذا العلم فى نطاق مجتمعاتنا أن علم الأنثروبولوجيا قد رافق ظهور الكولونيالية أى الاستعمارية وقد ارتبط مجاله أساسا بالمجال التجريبى الذى صنعه التوسع الأوروبى عبر تطـــوره التاريخى ، أى تلك المجتمعات التى أدرجت بصورة تعسفية فى الفلك المادى والثقافى للدول الغربية وأطلقت عليهـــا سلسلة من المسميات المضللة أريد اعطاؤها طابعا علميا ـ مجتمعات قديمة ، متخلفة ، تقليدية ، أمية ... الخ .

وقد قام عـــدد من الرحالة والمستكشفين والعســـكريين والاداريـين والاثنولوجيين منذ القرن الثامن عشر بتدشين الحملة الاستعمارية فى صـــورة التغلغل الأبيض للمجتمعات غير الغربية . وكانت للاثنولوجيا فى ذلك الوقت مكانة خاصة ، ومن ثم فقد أنيط بعلم الانثروبولوجيـــا القيام بوظيفـــة ايديولوجية خاصة وهى المساهمة فى بناء الايديولوجيا الاستعمارية بدلا من نقد أو كشف صور السيطرة الاســـتعمارية ، والاستقلال وتفسير مظاهر الاستقلال والتخلف وحركات التحرر الوطنى والصراعات الاجتماعية الطبقية فى المجتمعات المستقلة والخصوصيات البنائية والثقافية لكل دولة .

وغنى عن البيان أن هذه المطالب يمكن تحققهـــا اذا تجاوزنا فى نطاق العـــالم الثالث على وجـــه الخصوص ـ القطيعـــة بين الانثروبولوجيـــا والسوسيولوجيا . فوحدة العلوم لاينبغى أن تكون مجرد أسطورة ايديولوجية اذ هى ضرورة علمية .

واذا كان لابد من احداث ثورة حقيقية فى نطاق هذا العلم بحيث تشمل الممارسة النظرية والممارسة الميدانية فانه يتعين الاشارة أن موضوع الممارسة النظرية للانثروبولوجيا وموضوع المـــارسة السياسية للانسان الثـورى

يشكلان موضوعا واحـــدا • وان كان يجب التمييز بين هاتين الممارســتين وضرورة الوقوف ضد استخدام العلوم الانسانية لأغراض الثورة المضادة بل وضد انثروبولوجيا الاستعمار الجديد •

وقد أشار كل من بيلز وهويجز « ان اتجاه الانثروبولوجيا التطبيقية كان العمل الدائم من أجل تحديد أفضل السبل لاقناع الناس بالامتثـــال لأهداف الثقافة السائدة وقيمها (أى ثقافة المستعمر) • ومن ثم تحول عمل المشتغل بالانثروبولوجيا أساسا الى مجرد اقناع الناس بقبول قرارات الادارة الاستعمارية والاذعان لها من أجل مصلحتهم(١) •

ويمكن القول ان الوعى بامكان توظيف المعرفة الانثروبولوجية في حل مشكلات الانسان قد بدأ يظهر مع بدء قيام علم الانثروبولوجيا نفسه ، ومع ذلك فان التطبيقات المبكرة لهذه المعرفة قد تمت فى مجال الادارة الاستعمارية مما أساء الى سـمعة الجـــانب التطبيقى الذى يمـــارسه كثير من علمـــاء الانثروبولوجيا • فلقد ظل الهولنديون والبريطانيون ومن بعدهم الفرنسيون يعتبرون ـ لفترة طويلة ـ التدريب الانثروبولوجى للاداريين الاستعماريين وكذا المعرفة الانثروبولوجية مسألة على درجة بالغة من القيمة والأهمية(٢) •

واذا كان توظيف هذه المعرفة فى خدمة الادارة الاستعمارية يعد أحـــد أبعاد اشكالية البحث الانثروبولوجى عموما وفى العالم الثالث خصوصا ، فان هذه الاشكاليات تزداد حدة وتأزما من معاناة البحث الانثروبولوجى من التعصب العنصرى وتوجيه مراكز القوة والشعور باحتقار ثقافات الشعوب الأخرى •• الى غير ذلك مما يشل مضمون البحث المراد • ويقرر كل من بيلز وهويجز ـ فى هذا الصدد ـ أن ظهور الجمود الفكرى والتعصب قد يقضى ـ ربما لعدة قرون ـ على امكانية استخدام المفتاح الذى قدمته العلوم الاجتماعية من أجل فهم المجتمع والثقافة »(٣) •

---

(١) محمد الجوهرى ـ بعض مظاهر التغير فى مجتمع غرب أسوان ـ دراسة انثروبولوجية لأحد المجتمعات النوبية ـ مطبوعات كلية الآداب ـ مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٥ صفحة ٩ •

(٢) رالف بيلز ـ هارى هويجز ـ مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ـ الجزء الثانى ترجمة محمد الجوهرى وآخرين ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٧٧ صفحة ٨١٥ •

(٣) المصدر السابق صفحة ٩٠٥ •

فمن الثابت أنه أضحى من قبيل المسلمات أن العلوم الاجتماعية ، ومن بينها علم الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية قد أسهمت في تصديها لدراسة الظاهرة الثقافية في خلق شعور بالقرابة أو الوحدة الثقافية البشرية شأنها شأن ما أسهمت به دراسة الظاهرة البيولوجية من خلق شعور بالقرابة أو الوحدة البيولوجية التي يتصف بها أبناء النوع الانساني ، ومن شأن هذا الشعور القضاء على العزلة الثقافية والصراع الثقافي أشد مشاكل العالم أثرا وقوة(٤) .

وغير خاف اذا كان علم الانثروبولوجيا يمكنه أن يسهم في ايجاد شعور القربى بين أبناء الجنس البشري ، فان ذلك الاسهام يثريه الجهد الرامي الى الكشف عن الوقائع والاحداث الحقيقية « المقنعة » التي يواجهها الانسان في مواقف الحياة الواقعية المختلفة دون اغفال للاطار الزماني والمكاني العريض الذي يجمعه واياها(٥) .

وعليه كانت مهمة اشكالية البحث الانثروبولوجي ذات شقين :

الأول : الكشف عن الانسان والثقافة باعتبارهما أعظم نتاج للروح البشرية عموما .

الثاني : وضع اجابة على ما الذي يمكن أن يسهم به البحث الانثروبولوجي في سبيل مساعدة شعوب العالم الثالث على مقابلة تحديات نموهم واستقلالهم(٦) .

واذا ما تناولنا هذين الشقين وحاولنا أن نجمع بين مضمونيهما أمكن أن نقرر أن اشكالية البحث الانثروبولوجي في العالم الثالث تتجلى في المعادلة

---

(٤) — David Bidney: Theoretical Anthropology, Schocken Books Inc. N.Y., 1967, p. 435.

(٥) — Aidan Southall: Urban Anthropology, Cross Cultural Studies of Urbanism, Oxford University Press, London, 1973, pp. 3-4.

(٦) — Soltax : "The Uses of Anthropology" in Solt Tax (ed.) Horizons of Anthropology, Aldine Publishing Co. Chicago, 1964, p. 249.

الصعبة التى تتبلور فى صعوبة التوفيق بين نتـــائج البحث الانثروبولوجى وتحقيق التنمية والتقدم للانسان وبين ضغوط السلطة السياسية والتحيز والتوجيه الايديولوجى الاستعمارى ، أى رفع السيطرة وتحرير البحث من حالة الاختناق الفكرى التى من شأنها - كما يقرر الباحثون - أن « تؤدى الى تدهور نوعى وانحلال فى اصالة التكوين والاستعداد الذى يقوم عليه النوع وهو العقل »(٧) ٠

ويزيد من حـــدة هذه المعـــادلة - فى تقـديرى - أن الـــدراسات الانثروبولوجية التى أجريت عن شعوب مجتمعات العالم الثالث بوجه عام - قد صيغ أغلبها من خلال مداخل ومفاهيم ونظرية بعيدة عن خصوصية هذه المجتمعات من ناحية ، كما أن الباحثين من أبناء هذه الشعوب يغفلون - ولا أقول يتغافلون - أن تكون هذه الخصوصية حاضرة كاطار مرجعى يستمدون منه رؤيتهم لواقعهم ومشاكله وتحدياته ، بل يتخذونه كاطار تفسيرى فى تحريهم لواقع طابعهم القومى ٠

وليس هناك من تفسير يطرح نفسه لهذه الظاهرة سوى ما يتمخض عنه شعور الباحثين بالاغتراب فى مجتمعاتهم من ناحية ، أو ذلك الوباء الذى يصيب بعض أبناء الصفوة المتعلمة أو المثقفة التى حصلت ثقافتها فى مجتمعات غربية حيث يرتبط وعيها بطموحات وفلسفة الغرب أكثر من ارتباطه بطموحات وفلسفة أوطانهم الأم ٠ وهى نفس حالة الاستعلاء أو النظرة الفوقية التى تبعد عنهم معايشة واقعهم المتنامى المتحول ٠

كذلك يلاحظ ان البحث الانثروبولوجى الذى يهتم بتناول الطابع أو النمط الثقافى القومى للمجتمع وتسليط الأضواء عليه لم يحظ بالاهتمام الواجب ، شأنه شأن ما حظيت به دراسة ثقافات هذه الشعوب فى وضع متدن أحط ٠ ومن ثم اذا كان البحث الانثروبولوجى قد شب وهو فى مهده لمقابلة محض حاجات السياسة العامة للحكومات الاستعمارية فحرى به - فى نطاق مجتمعات العالم الثالث - وقد شب عن الطوق اليوم أن يرتبط بالسياسات والحاجات القومية الملحة كاستجابة لحاجة ابراز الاصالة الثقافية والشخصية المتمايزة لشعوب هذه المجتمعات(٨) ٠

---

(٧) أحمد محمد خليفة : فى المسألة الاجتماعية - دار المعارف القاهرة ١٩٧٠ صفحة ٨٧ ٠

(٨) أنظر فى هذا الصدد : — Peggy Reeves Sanday (ed.). Anthropology and Public Interest, Academic Press Inc. N.Y., 1976, pp. 3-14.

واذا كانت جهود البحث الانثروبولوجى فى العالم الثالث عليهـا أن ترتبط بهدف اجتياز شعوب هذا العالم حالة التخلف ، فان عليه ـ وقبل ذلك ـ أن يرتبط بهدف ابراز وتنقية الطابع القومى لهـذه الشعوب حتى تنطلق ـ وقد عاد اليها وعيها بذاتيتها القومية وقدراتها ـ تمارس بايجابية عملية اجتياز حاجز التخلف مستندة الى ذاتيتها وقدراتها فى المحل الأول . ولا غرو أن البحث الانثروبولوجى خير منهج لتحقيق هذا الهدف .

ولقد أكدت « مارجريت ميد » ان الدراسات الخاصة بالطابع القومى من الدراسات الحديثة العهد فى الظهور فى نطاق البحوث الانثروبولوجية التى تتناول مشكلات الشخصية والثقافة . وتهدف دراسات الطابع القومى الى تسليط الضوء على الطريقة التى تحافظ بها الأجناس البشرية على العناصر الثقافية التى شبت عليها أو تلك التى وفدت اليها . كذلك تحـاول تلك الدراسات بيان كيف استطاعت الموروثات (العادات والتقاليد الشعبية) التى ينفرد بها كل جنس بشرى على حدة أن تتوافق مع الأنماط العامة والفردية فى التطور البشرى(٩) .

ومن ثم فان البحث الانثروبولوجى ـ كما فهم منه فى بداية ظهوره ـ يحاول تقديم رؤية تاريخية شاملة للأجناس البشرية فى العالم الثالث، بالكشف عن أصول النظم فيها، محددا العوامل التى أسهمت فى تطورها ـ يمكن أن يكون ذا قيمة بالغة فى مجال تأصيل وبلورة الوعى والطابع القومى الخاص بشعوب هذا العالم(١٠) .

واذا كانت الرؤية التاريخية فى البحث الانثروبولوجى قد لقيت صدى فى الولايات المتحدة ، حيث ترفض بعض المدارس فيها فكرة وجود قوانين تاريخية ، فان البحث الانثروبولوجى لا يغنى تراثه الا من خـلال رؤية الأجناس البشرية رؤية عريضة(١١) .

---

(٩) — Margaret Mead: "National Character" in Soltax (ed.). Anthropology Today : Selections, The University of Chicago Press, Chicago, 1970, pp. 396-397.

(١٠) — Marvin Harris: The Rise of Anthropological Theory, Routledge and Kegan Paul, London, 1972, pp. 2-3.

(١١) — Frank Robert Vivelo : Cultural Anthropology Handbook, McGraw-Hill Book Co., N.Y., 1978, pp. 4-6.

وعليه فان الرصد الانثروبولوجي لثقافة شعوب العالم الثالث يتعين أن يضع في اعتباره ذلك لبيان موقع نماذجهم الثقافية وسط واقع النماذج الثقافية الأخرى كشفا للاسباب والعوامل الفعلية التي ساهمت في تخلف هذه النماذج أو اعاقتها عن النمو والتقدم •

انطلاقا مما تقدم تأتي دراستي الحالية محاولة أولى في سبيل تعميق الاحساس بأهمية مجابهة اشكالية البحث الانثروبولوجي في عالمنا الثالث من جهة ، وكجهد يرمى الى تحقيق بعض الأهداف أخصها ما يلي :

أولا — الربط بين الهدف العام للدراسة وهـــو هدف استطلاعي في المحل الأول وبين هدف تقديم مادة غزيرة جديدة عن مجتمعات لم تتناول فيها هذه الموضوعات بالبحث الانثروبولوجي الدقيق •

ثانيا — أن ترمى هذه الدراسات في هدفها البعيد — الى توجيه انتباه الدارسين المغاربة الى أهمية تناول أنمـــاط ثقـــافاتهم الشعبية بالدراسة العلمية •

ثالثا — المساهمة في تقديم تراث علمي يمكن أن تستفيد منه الدراسات الحضارية المقارنة التي تعمق عمليات الفهم والتفسير والتحديد(١٢) •

وقد اعتمدت الدراسة الى حد بعيد على ما قدمه مجموعة الاخباريين من الشباب الذين استعان بهم الباحث • وأخص بالذكر في هذا المقام كل من الأخ يشوتي محمد والأخ بادي أحمد • فقد كان لجهودهما معي أبلغ الأثر في الحصول على هذا القدر من المعلومات ، كما كان لهما إبلغ الأثر في تقديمي لكثير من مفاتيح هذا المجتمع مما يسر لي مهمة الحركة داخل المجتمع والوصول الى كثير من البيانات الهامة •

وجدير بالذكر أن هاتين الدراستين وهما تمثـــلان بداية اهتماماتي الحقلية بالبحث الانثروبولوجي ، فاني أرجـــو أن أكـــون قد قدمت للمكتبة الانثروبولوجية مادة عن مجتمعات بكر لم يصل اليها قبلي باحث استعان بالمنهج الانثروبولوجي في رصد بعض أنماطهم البنائية والثقافية الشعبية •

وعلى الله التوفيق ••

---

(١٢) تكاد تتطابق أهداف الدراسة الحالية مع أهداف الدراسة القيمة التي نشرتها الأستاذة الدكتورة علياء شكري في مؤلفها (بعض ملامح التغير الاجتماعي الثقافي في الوطن العربي) الطبعة الأولى — دار الجيل للطباعة ، القاهرة ١٩٧٩ ، أنظر صفحات ١٦ — ٢٠ •

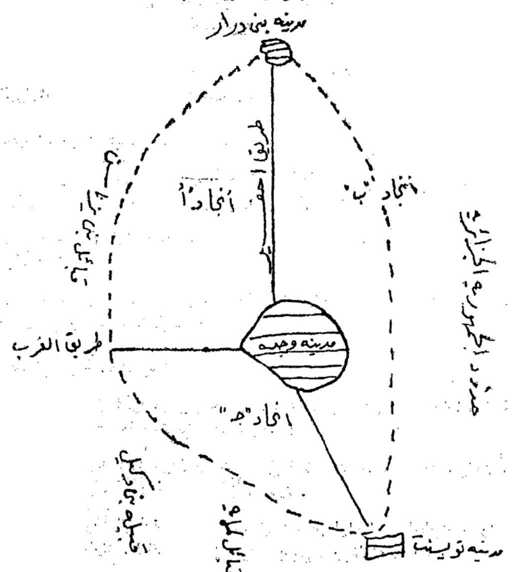
الدراسة الأولى

نمط العلاقات الزواجيـــة بدوار أسنانية : دراسة
استطلاعية انثروبولوجية لاحدى شرائح قبيلة أنجاد
فى أحـــواز مدينة وجـــده فى المجتمع المغربى ٠

أولا : التعريف بقبيلة أنجاد :

تقع قبيلة أنجاد فى الشمال الشرقى للمملكة المغربية محيطة بمدينة وجدة ومكونة حزاما طبيعيا لها ٠ يحدها شمالا مدينة بنى درار ، وقبائل بنى يزناس وجنوبا قبائل لمهاية ومدينة تويسنت ، وغربا قبيلة بنى وكيـــل وشرقا الجمهورية الجزائرية ٠ وتوضح الخريطة التالية الحـــدود الجغرافية للقبيلة ٠

الحدود الجغرافية لقبيلة أنجاد



وتنقسم قبيلة أنجاد ــ من الناحية الادارية ــ الى ثلاث مشيخات :

أولا : مشيخة أنجاد أ :

وتمثل هذه المشيخة الجزء الشمالي الغربي للقبيلة وهي تقع بين طريق أحفير وطريق الغرب وتشتمل على ثلاثة وعشرين دوارا موزعة على ثلاث فرق :

١ ــ فرقة لمزاوير وتتألف من دواوير لكيساطين وأولاد سعيد ، المهمال، أولاد شيلح ، سيدي عياد ، أولاد المسعود ، أولاد الهواري ، العالب ، أولاد الخير .

٢ ــ فرقة لمخيس وتتألف من دواوير اسناينه ، الدرافيف ، لفراريح ، أولاد السيدة ، السهيلات ، لعساكريه .

٣ ــ فرقة هوراه وهي تتألف بدورها من لكنافده ، ادواوحى ، الزعيم ، البرارشة ، أولاد عامر ــ أولاد ميمون ، ارمايلة .

ثانيا : مشيخة أنجاد ب :

وهي تمثل الجزء الشمالي الشرقي من قبيلة أنجاد وتتألف من عشرة دواوير تحت رقابة مقدم ، وشيخ ، موزعة على فرقتين :

١ ــ فرقة ابن حسان : وتتألف من أولاد ملحة ، أولاد الناصر ، أولاد عياد .

٢ ــ فرقة أولاد لعباس ، وتتألف من دواوير غمارة ، أولاد السايح ، لحواوجة ، جوادره ، لغلاليس .

ثالثا : مشيخة أنجاد ج :

وهي تمثل الجزء الجنوبي الغربي وتشتمل على اثنى عشر دوارا موزعة على فرقتين تحت رقابة مقدمين وشيخ وهي :

١ ــ فرقة أولاد عزوز وتشتمل على أولاد النحالي ، وأولاد الرزين ، أولاد السعيدي ، أولاد لحجاجي ، أولاد عميرة ،

٢ ــ فرقة اجعاونة اثماته وتشمل دواوير لمراحيل ، لمحاميد ، أولاد بوعرفه ، اجعاونه ، لفاقة ، مركز سيدي يحيى ، وجعاونة اثماته .

وتقع قبيلة أنجاد ـ من الناحية المورفولوجية ـ فى نطاق المجتمعات الريفية التى تتسم وحداتها بصغر الحجم البشرى والجغرافى مما يساعد على قيام نمط من العلاقات الأولية والشخصية • كما تتسم كذلك بطابع العزلة النسبية التى تزيد بدورها من أهمية الدور الذى تمارسه كل من العائلة والقرابة والجيرة فى تلبية الحاجات الاقتصادية والاجتماعية •

وسكان قبيلة أنجاد عرب من أصل هلالى « بنى هلال » ، نزحوا الى المغرب ابتداء من القرن السابع الميلادى ، ويحمل السكان بعض السمات من حيث لهجتهم وبشرتهم • وعاداتهم وتقاليدهم تؤكد أنهم عرب هلاليون • وقد قدر سكان القبيلة تبعا لاحصاء سنة ١٩٧٢ بما يقرب من ١٥٠٩٢ نسمة يشتغلون بالزراعة والرعى (الزراعة للعيش والماشية للتجارة) الى جانب بعض الحرف اليومية البسيطة • وتعد مهنتا الزراعة والرعى المصدر الرئيسى للحياة نظرا لما تضفيه على المشتغل بها ـ فى هذه القبيلة بل وما يستمده منها ـ من قيمة ومركز اجتماعى كبير •

وقد قدرت مساحة الأرض التى تعيش عليها القبيلة بحوالى ٤٦ر٥٠٠ هكتار يعمل فيها أربعة آلاف فلاح(*) •

ثانيا : فى أهمية موضوع الدراسة :

يرتبط الزواج فى قبيلة أنجاد بوجه عام بعدد من الاعتبارات تؤثر فيه ، منها ما هو اقتصادى وثقافى واجتماعى ، وتوضح بعض المؤشرات الاحصائية مبلغ ارتباط الزواج ونشوء العلاقات الزواجية بالوضع الاقتصادى للعائلة داخل القبيلة • ويتجلى ذلك فى تباين حجم عقود الزواج التى أبرمت فى الفترة من ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ، وفى الفترة من ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ فقد تم عام ١٩٧٤ تسجيل ٣٣١ عقد زواج ارتفع مع عام ١٩٧٥ الى ٧٣٣ عقدا • ثم انخفض هذا الحجم عام ١٩٧٦ اذ بلغ ٦٢٣ عقدا فقط ، كما شهد عام ١٩٧٧ مزيدا من الانخفاض حين بلغ حجم عقود الزواج التى أبرمت فى هذا العام داخل هذه القبيلة ٢٨٧ عقدا فقط(**) •

واذا كان هناك من تفسير لهذه الظاهرة فان المسئول عن ذلك يتجلى

(*) أخذت الأرقام السابقة من طرف قيادة أحواز وجدة مركز سيدى يحيى •

(**) الأرقام المذكورة سابقا تم الحصول عليها من نفس المصدر السابق •

وبوضوح فى ارتباط ظاهرة التزاوج فى هذا المجتمع ارتفاعا وهبوطا بالأحوال الإقتصادية العامة التى تسود القبيلة أى بمعنى أدق بمبلغ الصعود والهبوط الذى يصيب الانتاج الاقتصادى السنوى للسكان .

فقد ساوق ارتفاع حجم عقود الزواج عامى ٧٤ ، ١٩٧٥ ارتفاع وتحسن فى مستوى الانتاج الاقتصادى للقبيلة نظرا لمـا عرفته المنطقة من ظروف موسمية ساهمت فى زيادة الانتاج وتحسينه بالقيـاس بالظروف الموسمية القاسية التى عرفتها سنوات ٧٦ ـ ١٩٧٧ ، التى أدت الى انخفاض حجم ومستوى الانتاج ، الى جانب ما شهده المجتمع المغربى عموما ـ فى غضون هذه الأعوام ـ من بعض الأزمات الاقتصادية التى انعكست بدورها عـلى مستويات المعيشة وخاصة فى نطاق الطبقة الكادحة ، الأمـر الـذى أدى ـ وبشكل تلقائى ـ الى انخفاض نسبة عقود الزواج ابان السنوات الثلاث الأخيرة ٧٦ ، ٧٧ ، ١٩٧٨ .

واذا كان الزواج يتأثر فى قبيلة أنجاد بالأحوال والظروف الاقتصادية السائدة فهو يتأثر أيضا بل ويجسد بعض المعايير الاجتماعية القـائمة ـ فالزواج فى نطاق هذه القبيلة يعنى فى المقام الأول ارتباطا بين العـائلات أكثر من كونه ارتباطا بين أفراد ، ومن ثم يصبح التوافق بين عائلة الزوج والزوجة أهم من التوافق بين الزوجين أنفسهما . ومن ثم فان علاقات الحب والارتباطات العاطفية يتضاءل الاهتمام بها أمام البحث عن بناء شبكة كبيرة من العلاقات الاجتماعية العائلية . كذلك فان عملية الاقتران العـائلى بين الزوجين تكتسب شكلها الطبيعى من حيث استقلال الزوجين بحياة مستقلة ، اذ تظل علاقة الزوجين مصهورة فى نطاق العائلة التى ينتمى كل من الزوجين اليها ، والتى يصل نفوذها ـ فى بعض الأحيان ـ الى حد توجيه الحياة الخاصة للزوجين أنفسهما .

واذا كان هناك من تساؤل يطرح نفسه ـ فى هذا المقام ـ مؤداه : لماذا هذه الدراسة الحقلية وبالذات للعائلة البدوية المغربية ، فان الاجابة على هذا التساؤل يمكن أن نوجزها فى الاعتبارات التالية :

أولا : كان نتيجة لمحاولات التشويه والمسـخ المقصودة للشخصية المغربية ، ومن ثم للمجتمع المغربى والثقافة المغربية قاطبة من قبل الاستعمار الفرنسى ، أن بدأ الوعى يسيطر وبخاصة لدى جمهور المثقفين المغاربة ، وقد انتهت مرحلة السيطرة الاستعمارية بضرورة رصد التراث والمجتمع المغربى

رصدا علميا سوسيولوجيا وأنثروبولوجيا بهدف بيـــان أصـالة الشخصية المغربية والخصوصية الثقافية لهذا المجتمع • وتفنيد كل الدعاوى الاستعمارية المقصودة التي حاولت اذابة هــــذه الخصوصية ووصمها بالتخلف والتبعية دائمـا •

ثانيا : ويرتبط بالاعتبار السابق اعتبار آخر مترتب عليه وهو بروز الوعي بين الشرائح المختلفة لجمهور المثقفين المغاربة بضرورة تأسيس ثقافة مغربية معاصرة تستنبت من جذور البحث العلمي للتراث المغربي وطبيعة وشكل نسقه الاجتماعي الأصلي •

ثالثا : سيطرة الشعور بافتقاد الموضوعية والبعد عن أصول المنهج العلمي في أغلب الدراسات التي تعرضت للعائلة ، وبوجه خاص للعـــائلة البدوية ، اذ اعتمدت هذه الدراسة على محض الخبرة الشخصية كمصدر لجمع المعلومات بدلا من الارتكان على معطيات البحث العلمي ، ومن ثم جاءت هذه الدراسات غير مجسدة لواقع العائلة المغربية ونمطها •

رابعا : اصطباغ الدراسات التي تناولت العـــائلة البدوية بالصبغة الايديولوجية للدارس ، ومن ثم فقد ذهبت بعض الدراسات مذهبا انتقائيا بمعنى أنها تناولت العائلة البدوية من خلال منظور يتلاءم مع أيديولوجيتها ، الأمر الذي انعكس بالتالي على عملية البحث • وقد ذهبت دراسات أخرى مذهبا رافضا للعائلة البدوية واصفا اياها بالتخلف ، ومن ثم فان البحث عن نموذج آخر للأسرة - الأسرة بمفهومها ونمطها المغربي - هو الجهد الذي يتعين أن تتجه اليه غاية البحث العلمي بأن يبتعد عن تناول الانماط المتخلفة للعائلة ، وهذه نزعة - كمـــا هو واضح - استعمارية استعلائية تحقر من شأن كل ما هو غير مرتبط أو قـــرب من النماذج القـــائمة في المجتمعات المغربية •

الى جانب المذهبين السابقين ، وجد مذهب آخر هو المذهب الوصفي ، في دراسة الأسرة المغربية ، وهو المذهب الذي يقف عند مجرد حدود الوصف، ولا يتعداه في أي عملية من عمليات المناقشة ، ولقد دأب هذا المذهب على ابراز الأسرة كنسق بعيد بطبيعته عن المشكلات • ومؤدى ذلك أن الأسرة المغربية ليست في حاجة الى الدراسة لانها لا تعرف أي درب من دروب المشكلات ، وعليه فهو مذهب مسف في المغالطة والتمويه المرفوضين اليوم •

خامسا : الى جانب الاعتبارات السابقة فان المؤشرات الاحصائية المستقاة من تعداد سكان المغرب سنة ١٩٧٤ تبين أن عدد سكان البادية المغربية يقدر بنحو ١١ مليون نسمة أى بما يعادل ٦٥٪ من المجموع الكلى لسكان المغرب . ورغم بروز هذا الحجم ، فان هذا القطاع لم يوله الباحثون المغاربة اهتمامهم الا فيما ندر .

فقد اتسمت البادية المغربية ولأزمان عديدة بالجمود النسبى نظرا للعزلة الحضارية التى ضربت حولها . ومع بداية النصف الأخير من القرن العشرين بدأ الاهتمام يتجه اليها لتحسين أوضاعها والحد من نزيف الهجرة منها الى المدن ، بل والى خارج المغرب أيضا . واذا كانت هناك أسباب مسئولة عن هذه الظاهرة فان عدم التناسب بين معدل النمو السكانى للبادية ، ومعدل نمو الانتاج الاقتصادى هو العامل الأول المسئول عن حدوث هذه الظاهرة كسلوك مجابه لصور البطالة المقنعة والموسمية على حد سواء .

هذا على الصعيد العام ، أما على الصعيد الخاص فيمكن اضافة أن عدد أفراد العائلة البدوية يتزايد بشكل لا يتلاءم ومواردها الاقتصادية ، فضلا عن وقوعها تحت سيطرة الاستغلال الطبقى من كبار ملاك الأرض الزراعيين الاقطاعيين .

فقد أوضحت دراسات التخطيط الخماسى ٦٠ ـ ١٩٦٤، ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢، أنه فى الوقت الذى يتحصل فيه ٩٠٪ من فلاحى المغرب على مجرد نصف الانتاج الفلاحى ، فان النصف الآخر يحظى به ١٠٪ فقط نتيجة للتوزيع غير العادل لمساحات ملكية الاراضى الزراعية وهو الافراز الطبيعى لتحالف الاقطاع والبرجوازية الوطنية المغربية عقب الاستقلال ، وهو التحالف الذى خول للبرجوازية فرصة امتلاك مزيد من الأراضى الخصبة ، ومن ثم حدوث مزيد من الافقار والتشريد للفلاحين من ملاك الأرض الأصليين[1] .

من جملة الاعتبارات السابقة تتبلور أهمية الأبعاد التى استندت اليها الدراسة كاسهام فى طريق رصد المسألة الانثروبولوجية فى العالم الثالث بأبعادها المختلفة من ناحية ، ثم كاسهام فى نقل ملامح هذا المجتمع الاجتماعية والثقافية الى طائفة الباحثين الانثروبولوجيين الذين لا تمكنهم ظروفهم من متابعة ما يجرى فى المجتمعات البعيدة عنهم تدعيما لعقد الدراسات الحضارية المقارنة وهى الدراسات التى من شأنها اثراء النظرية والبحث الانثروبولوجى قاطبة .

---

(١) فيح الله ولعلو ، الاقتصاد السياسى ، الجزء الأول ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، غير مبين سنة الطبع ، صص ٤٠٩ ـ ٤١١ .

ثالثا : مجتمع الدراسة الحقلية :

مجتمع الدراسة الحقلية فى هذه الدراسة هو عائلات دوار اسناينه من فرقة لمخيس التابعة لمشيخة أنجاد أ • ويبلغ عدد عائلات هذا الدوار ستين عائلة موزعة بين العائلات الكبرى التى يتألف منها الدوار ، كما يوضح الجدول التالى* :

العائلات الكبرى للدوار

عائلات الدوار	العدد	النسبة٪
اصوالح	11	%18 , 33
أولاد اليتيم	18	%30
أولاد الحاج	7	%11 , 66
أولاد الصحراوى	10	%15 , 66
الشعابنة	14	%23 , 33
المجموع	60	%99 , 98

وقد رؤى الاقتصار على دوار اسناينة للاعتبارات المنهجية التالية :

أولا : أصبح من الأمور المسلم بها اليوم فى ميـــادين الانثروبولوجيا والفولكلور أن تجرى الدراسة الميدانية على مجتمع محلى صغير ، يحسن أن يكون محدود العدد ، فى وسع الباحث أن يغطى جميع جوانب الحياة فيه فى خلال فترة زمنية معقولة(١) • توافر عدد من المفاتيح التى هيـــأت وسهلت اختيار هذه القبيلة « انجاد » بوجه عام ودوار اسناينه بوجه خاص وقد تمثلت هذه المفاتيح فى عدد من الطلاب الذين ينتمون الىهذه القبيلة والدوار ، والذين يتلقون العلم بكلية الآداب بمدينة فاس حيث يعمل الباحث • وقد رأى الباحث أن توافر هذا العدد من المفاتيح يمكن أن يخول له التعرف على المجتمع وعلى بعض عاداته من هذه المفاتيح قبل النزول اليه وحتى يتسنى

(*) تم الحصول على هذا الجدول من قيادة أحواز وجده مركز سيدى يحيى ، فرع الشئون الاجتماعية •

(١) محمد الجوهرى ـ علم الفولكلور ـ دراسة فى الأنثروبولوجيا الثقافية ، الجزء الأول دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٣٥٨ •

بعد ذلك النزول الى المجتمع بقدر من المعرفة السابقة عنه والتى من شأنها أن تسهل قدرا من التكيف مع المجتمع ٠

ثانيا : وقوع هذه القبيلة بالقرب من مدينة وجدة عاصمة الاقليم الشرقى للمملكة ٠ وهى المدينة التى يتسنى الوصول اليها بسهولة ، وكذلك الاقامة فيها ، الأمر الذى ييسر للباحث عملية التطبيق ٠

ثالثا : تناسب حجم المجتمع - دوار اسنباينه - مع العنصر الزمنى المتاح للباحث ، ومن ثم رؤى تحديد نطاق هذا المجتمع ، تحقيقا للهدف السابق - هدف التناسب - من ناحية ، ثم ان الشرائح الثلاث المشكلة لهذه القبيلة تجمعها سمة التجانس الاجتماعى والثقافى والمادى كما بينت ذلك المفاتيح التى اعتمد عليها الباحث ، وعليه فان الدراسة الحقلية التى تجرى لأى دوار أو شريحة من شرائح القبيلة لن تكون نتائجها بعيدة أو غير متجانسة مع واقع الشرائح أو الدواوير الأخرى ٠

رابعا : تتميز الشرائح القبلية التابعة اداريا لمدينة وجدة بخصوصية اجتماعية وثقافية متميزة نظرا لوقوعها قريبة من الحدود الجزائرية ، واختلاطها واتصالها الاجتماعى والثقافى والمادى مع غيرها من الشرائح القبلية الجزائرية المتاخمة لها فى الحدود ٠ ومن ثم فان النتائج التى يمكن أن تؤدى اليها دراسة أى من هذه الشرائح تتمتع - بالضرورة - بقدر من التمايز عن النتائج التى يمكن أن تفضى اليها دراسة الجماعات القبلية المنتشرة بين ربوع جبال الأطلس المتوسط أو فى الجنوب المغربى على وجه الخصوص ٠

خامسا : لم تحظ قبيلة أنجاد - شأنها فى ذلك شأن قبائل المغرب بوجه عام - بدراسات علمية أنثروبولوجية ٠ واذا كانت هناك بعض الدراسات الضئيلة التى تناولت المنطقة الشرقية من المغرب من الناحية الجغرافية والتاريخية ، فان هذه الدراسات - بطبيعة الحال - فضلا عن أنها غير كافية لاعطاء صورة واضحة عن هذه القبيلة نظرا لاهمالها لأهم الأبعاد وهو البعد الاجتماعى الثقافى للقبيلة ، فانها لا يمكنها مقابلة الاهتمامات المتزايدة وتنمية المجتمعات البدوية كأحد مخططات عملية التنمية الشاملة ٠

وارتباطا بهدف التخصيص الدقيق فى الدراسة الحقلية رؤى الاكتفاء والتركيز على دراسة نمط العلاقات الزواجية القائمة بين عائلات هذا الدوار للاعتبارات التالية :

١ ـ تجسد العلاقات الزواجية القائمة فى نطباق شرائح المجتمعات البدوية نمط القيم والاتجاهات الاجتماعية والثقافية التى تحكمها وتعطيها نمطها الغالب ، وهو ما تهتم به الدراسة الحالية فى الكشف عنها .

٢ ـ تعد دراسة العلاقات الزواجية من أبرز الموضوعات التى سيطرت وما زالت تسيطر على اهتمام الباحثين الانثروبولوجيين الاجتماعيين والثقافيين، ومن ثم ، فان حيوية هذا الموضوع تزداد تبلورا كلما كانت الدراسة تجرى في مجتمع بكر ، لم يخضع من قبل لأى دراسة ، ولم تشمل ظواهره القائمة فيه .

وبالتالى تكون فى ذلك اسهام علمى دقيق .

٣ ـ ان دراسة نمط العلاقات الزواجية تعد من الموضوعات التى يمكن أن يكشف التصدى لها عن درجة الحراك التى شهدها أو يشهدها هذا النمط بوجه خاص ، ومن ثم درجة الحراك التي شهدها أو يشهدها البناء الاجتماعى الثقافى الهام للمجتمع ، الأمر الذى يمكن من تحقيق رؤية بانورامية متكاملة لمساحة الحراك القائم ودرجة تساوقه مع النمط الثقافى العام للمجتمع . وغير خاف أن تحقيق هذا الهدف يكسب الدراسة الحالية بعدا علميا مهما .

انطلاقا من الاعتبارات السابقة فقد وضعت الدراسة عددا من المتغيرات حاولت الكشف عنها لاعتبارها تجسد نمط العلاقات الزواجية من ناحية ، ثم لشيوعها فى التراث الانثروبولوجى الذى تعرض لدراسة العلاقات الزواجية فى المجتمعات البدوية . وقد ضمنت الدراسة هذه المتغيرات فى دليل تتم وفقا له المقابلة التى يتم فى نطاقها جمع البيانات .

وهذه المتغيرات أو عناصر دليل المقابلة هى :

١ ـ الحالة التعليمية والثقافية لأرباب عائلات الدوار .

٢ ـ بداية تشكل العلاقة ، بمعنى : هل يميل أرباب العائلات الى التبكير فى انشاء العلاقات الزواجية أم يميلون الى التأخير فيها .

٣ ـ درجة التركيب فى العلاقة ، بمعنى : هل العلاقات الزواجية مركبة أى هل يجمع رب العائلة فى عصمته بين أكثر من زوجة فى وقت واحد ؟

٤ ـ درجة ثبات العلاقة ، بمعنى حجم تعرض العلاقات الزواجية للانهيار بوقوع الطلاق .

٥ ـ جوانية العلاقة ، بمعنى : هل يميل الشباب فى انشاء العلاقة الزواجية الى الداخلية أم الخارجية • أى الزواج من نفس بنات القبيلة أو قريباته ، أم من خارج القبيلة أو غير القريبات •

وقد حرصت الدراسة على جمع بياناتها من أرباب العائلات المختلفة التى يتكون منها الدوار• وذلك من خلال دليل المقابلة ، ومن ثم دارت المقابلات دون استخدام أى أداة من أدوات تسجيل البيانات حرصا على عدم تسلل الشعور بالخوف أو عدم الثقة من جانب المبحوث ، الأمر الذى يفقد البحث كثيرا من مقومات نجاحه • وقد اعتمد الباحث فى المقابلات على ذاكرته فى حفظ البيانات ، وتحقيقا لهذا الهدف وخشية من عنصر النسيان ، فقد جرى تسجيل بيانات المقابلة أولا بأول بعد انتهائها مباشرة ، كما رأى الباحث أنه يمكن أن يدون بعض الملاحظات البسيطة للغاية والسريعة فى صورة رموز زمنية اذا ما رأى ضرورة اللجوء الىهذا التسجيل، وللرجوع الى هذه الملاحظات أثناء عملية تدوين البيانات بعد انتهاء المقابلة • كذلك فقد حرص الباحث على ألا تدور المقابلة لوقت طويل ، الأمر الذى يؤثر فى المبحوث فيدخل عليه الملل أو الضيق مثلا من ناحية ، ويساعد الباحث على تدوين بياناته فى قضيتين مثلا بما يقلل من احتمالات الخطأ أو النسيان من ناحية أخرى •

كذلك اعتمد الباحث على مهارته الذاتية فى اجراء حوار المقابلة بشكل لا يشعر فيه المبحوث أنه أمام سؤال معين ، وعليه أن يجيب اجابة معينة أى أن الباحث حرص على أن تتم المقابلة فى مناخ من الصداقة أو الجلسة الشخصية التى ساعد على انجاحها أمران أساسيان هما :

١ ـ المعلومات والملاحظات التى استقاها الباحث عن طباع وأخلاق وعادات أبناء هذه القبيلة بوجه عام •

٢ ـ اعتماد الباحث على أحد أبناء الدوار أثناء حوار المقابلة ، حتى يمكن أن يكون أداة وصل بين الباحث والمبحوث فى حالة تعذر تحقيق درجة جيدة من الاتصال ، أى أن يقوم هذا المعاون بدور الوسيط فى تفسير أو شرح مفهوم معين ـ مثلا ـ كما أنه يكسب الباحث فى نفس الوقت درجة معينة من الشرعية الاجتماعية التى تتيح له فرصة التحرك بين أرباب أسر الدوار من ناحية ، ومجالستهم من ناحية أخرى •

كما راعى الباحث أن تتم جلسات الحوار مع المبحوثين فى وقت يتناسب مع ظروفهم وعاداتهم الاجتماعية اذ قد تبين للباحث من واقع الخبرات التى

قدمها له مفاتيح المجتمع ، أن أنسب وقت هو وقت الغروب حيث تكون سائر أرباب العائلات موجودين وفى حالة تسمح لهم بالجلوس والتشاور ، ومن ثم فقد عقدت كل الجلسات فى الفترة الواقعة بين صلاة المغرب وصلاة العشاء ، وهى رغم محدوديتها الزمنية ، الا أنها كانت تكفى لعقد ثلاث جلسات على أكثر تقدير مع ثلاثة من المبحوثين ٠ وقد تمت الجلسات ، اما فى داخل منازل أرباب العائلات ، أو داخل فنائها الخاص ٠

وقد تم جمع البيانات والجلسات على مراحل ثلاث ، وهى :

١ ـ **المرحلة الأولى** : وقد حرص فيها الباحث على أن يخلق بينه وبين عائلات هذا الدوار علاقة من الألفة والاطمئنان النفسى من ناحية واعلام أسر الدوار بأهداف البحث بكل وضوح ودقة ٠

وقد اعتمد فى ذلك على مجموعة من طلابه من أبنـــاء القبيلة ، حيث صاحبهم فى ظهوره داخل المجتمع مما أكسبه قدرا معقولا من الشرعيـــة الاجتماعية التى تكفل له التواجد وسط هذه الدوائر أو مجتمع الدراسة ، كما ساعده هؤلاء الطلاب فى عقد جلسات حرة مع بعض أرباب العائلات ، الأمر الذى حقق معه تهيئة البيئة للمرحلة التالية وهى مرحلة الجلسات التى تجمع فيها البيانات ٠

٢ ـ **المرحلة الثانية** : وقد خصصت لجمع البيـــانات المتعلقة بالمتغيرات الثلاثة الأولى التى اشتمل عليها دليل المقابلة ٠

٣ ـ **المرحلة الثالثة** : وقد خصصت لعقد جلسة ثانية فى اليوم التالى مباشرة مع نفس أرباب العائلات الذين جرت معهم الجلسة الخاصة بالمرحلة الثانية ٠

وقد ساعد توزيع العمل ـ على هذا النحو ـ على جعل العمل الحقلى أقرب ما يكون الى المعايشة الاجتماعية منه الى العمل الرسمى الذى قد يثير الشك والريبة فى نفوس المبحوثين ٠ كما أن هذا التوزيع ساعد ـ كما ذكرنا آنفا ـ على أن يكون حجم البيانات المتحصل عليها ، يمكن تسجيلها وعدم نسيان بعض مفرداتها على نحو كبير من الدقة ٠

وقد استغرقت عملية جمع البيانات من مجموع عائلات الدوار ثلاثة أسابيع متتالية قضاها الباحث فى اقامة متصلة داخل مجتمع الدراسة فى

استضافة احدى عائلات ، أو قريبا منه داخل مدينة وجدة . وقد أجريت الدراسة الحقلية على قسمين: رب عائلة فقط، تحقيقا لهدف الدقة فى استخراج النسب المئوية من ناحية ، وجعل أرباب الأسر العشرة السابقين كمجتمع احتياطى للمجتمع الأصلى يتم الاستعانة به فى حالة تعذر الوصول الى أرباب العائلات الأصليين ، أو فى حالة رفض البعض منهم التعاون مع الباحث لأى اعتبار من الاعتبارات .

ولقد صادفت الدراسة بعض الصعوبات فى مرحلة التناول الحقلى يمكن اجمالها فى الأمور التالية :

١ - انتشار أرباب الأسر وتوزيعهم فى أنحاء متباعدة ، الأمر الذى جعل مهمة الباحث فى التنقل والوصول اليهم من المسائل الصعبة الى حد ما ، بيد أن ما ذلل هذه الصعوبة هو المعاون الذى اعتمد عليه الباحث من أبناء المجتمع، وكذلك مقدم المشيخة (شيخ الحارة فى مصر) الذى أسهم بدوره فى تحديد محال ومناطق اقامة أرباب عائلات الدوار .

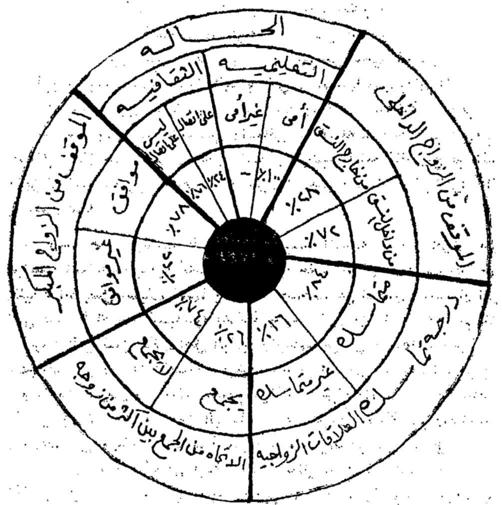
٢ - وعورة الطرق المؤدية الى منـــاطق سكناهم وعدم توفر وسائل المواصلات الداخلية ، وقد رأى الباحث ضرورة السير داخل مجتمع البحث دون الاعتماد على سيارته الخاصة واستخدام بعض الأساليب المنتشرة فى المنطقة منها ركوب الدواب تحقيقا لهدف عدم النشوز أو الظهور بمظهر يلفت الانتباه أو يثير التساؤل .

٣ - عانى الباحث معاناة شديدة من كلاب الدوار التى يعتمدون عليها اعتمادا بالغا فى أعمال الحراسة المختلفة ، وهى تكاد تتعرف على كل غريب من بين أبناء المنطقة .

٤ - عدم ادراك بعض المبحوثين للهدف من الدراسة وابداؤهم قدرا من التشكك ، اذ قال أحدهم « يابن عمى أنا خايف أن تكون تحصى أبناءنا للخدمة العسكرية » . ولقد أمكن بفضل العينة الاحتياطية مقـــابلة هذه العناصر باستبدالها ، كما قام معاون البحث ببذل مجهود طيب فى اقنـــاع بعضهم بالتعاون مع الدراسة .

رابعا : تفسير نتائج الدراسة

يوضح الرسم البيانى التالى النتائج التى توصلت اليها الدراسة الحقلية فى نطاق المتغيرات الخمسة التى أشرنا اليها فيما سبق :



تكاد تتسق النتائج التى يجسدها الرسم البيانى المتقدم مع طبيعــة المجتمع البدوى بما له من خصوصية بنائية وثقــافية تجسدها العــلاقات الزواجية القائمة فى بعديها البنائى والثقافى • فاذا كانت درجة ثبات أو استقرار العلاقة ، ثم داخليتها أو خارجيتها ، ترتبط على نحو أوضح بالبعد البنائى للعلاقات الزواجية ، فان الموقف من كل من الجمــع بين أكثر من زوجة ، ومن الزواج المبكر ، يرتبط بشكل الضيق بالبعد الثقافى ، وان كان هذان البعدان كلاهما يمثلان طرفين لمتصل واحد • اذ تظهر الطبيعة البنائية للعلاقة بشكل أوضح كلما اقتربنا من متغيرى الثبات والداخلية على حــين تتجلى الطبيعة الثقافية للعلاقة كلما اقتربنا من المتغيرين الآخرين •

ولم يكن من غير المتوقع للباحث أن يفاجأ بأن سائر أرباب أسر الدوار الذين عقدت معهم لقاءات أو جلسات العمل الحقلي أميون أو انهم غير مبالين ببعض المتغيرات الثقافية العامة التي من شأنها أن تكشف عن درجة الوعي أو المعايشة لبعض المحكات الحضارية البسيطة كالفائدة من استخدام الآلات الميكانيكية في الزراعة أو ابدال مادة البناء من الطين الى الحجر ، أو الاهتمام بمعرفة ومتابعة الأسس التي يرشح بناء عليها (المقدم)* أو مطالبته برفع مشاكلهم المحلية الى السلطات المسئولة ، أو أنهم يبالون بزيارة المدينة (وجدة) للتعرف على صور النشاط بداخلها ، أو أنهم من ناحية أخـــرى يكترثون بالاقلاع عن بعض عادات تبادل الهدايا التي لا تحتملها ميزانياتهم المحدودة في أغلب الأحوال • بل وتصل بهم الى المنازعات والخلافات العائلية • ورغم المامهم الى حد بعيد بتاريخهم الاجتماعي والثقافي — كقبيلة — وعلاقاتهم بغيرهم من القبائل ، فان معلوماتهم عن بعض المسائل الوطنية العامة كالصراع بين المغرب والجزائر لسبب حرب الصحراء ، لا تفرز الا عصبية عمياء لواقع التراب الذي يعيشون عليه •

وتعد هذه الوضعية الثقافية والتعليمية المتدنية بمثابة افراز طبيعي لوضعية الجماعات البدوية كشرائح اجتماعية ظلت حتى وقت قريب جدا مهملة كلية ، اما بفعل أسباب أهمها بعد هذه الجماعات عن المناطق القلب أو المركز التي تشغلها الادارة السياسية الحاكمة بوجه خاص من ناحيـــة ، ثم للأنفة الطبيعية التي تميز سكان أهل البادية وتجعلهم بعيدين عن أهل الحضر لتصور منهم أنهم يعبرون عن الأصالة الحقيقية والجوهر الحقيقي للمجتمع المغربي بوجه عام ، ومن ثم يضربون حول أنفسهم طوقا من العزلة والابتعاد — بالاضافة الى ذلك يتعين ألا يبعد عن ذهن البـــاحث مقر البيئة المحيطة بهم وانتشـــارهم وتوزعهم في مساحات شاسعة متباعدة مما يفقدهم القدرة على الاحتكاك والتفاعل والاتصال الثقافي فيما بينهم كقبائل أو فيما بينهم وبين مجتمعهم الخارجي المباشر — وهو مدينة وجدة • ويؤدي ذلك أن عزلتهم المكتسبة — بحكم موقعهم الجغرافي وانتشارهم وتباعدهم في المكان — وكذا عزلتهم المفروضة بحكم غيابهم من مخططات السلطة الوطنية والاستعمارية على حد سواء — قد جعلت أميتهم ١٠٠٪ وعدم مبالاتهم الثقافية (٧٦٪ مقـــابل ٢٤٪) موصلة طبيعية لهذه الوضعية التخلفية •

(*) المقدم هو شخص يعين من قبل السلطة الادارية الحكومية ويكون مسئولا عن بعض المسائل الادارية في محيط القرية أو المنطقة وهو كثيرا ما يختار من بين أبناء الدائرة وهـــو بحكم مركزه وسلطاته يحظى باحترام وتقدير بالـــغ ، بل ويخشى أمره وبطشه في كثـــير من الأحيان •

وتتجلى نتائج الافراز الطبيعي لهذه الوضعية في مجمل المتغيرات التي تضمنتها نوتة المقابلة أى بمعنى دليل المقابلة ٠ فقد تبين أن مفردات هذا المجتمع يبدأون في اقامة علاقاتهم الزواجية في سن مبكرة ٠ ولقد حرصت الدراسة على استقراء موقف الذكر على وجه الخصوص باعتباره ـ وما زال ـ العنصر المسيطر في عملية بناء العلاقات الزواجية واقامتها من ناحيـــة ، وباعتبار العنصر الذي يتسنى للباحثين في مثل هذه المجتمعات القبلية امكانية الاتصال بهم ومقابلتهم وخاصة اذا كان الباحث ينتمي الى نفس نوعهم أي ذكرا ٠ فقد بينت الدراسة فيما يتصل بفئة العمر الذي يدخل معه الذكر البالغ في بناء علاقته الزواجية (وهذا المتغير لم يكن موضوعا في دليل المقابلة وانما أفرزه واقع الجلسات التي عقدها الباحث) ، فقد أقام ٢٨٪ علاقاتهم الزواجية وهم يقعون في فئة العمر من ١٨ الى أقل من ٢٠ سنة واذا كانت هذه النسبة تزيد عن أكثر من ربع حجم المجتمع الذي تناولته الدراسة فقد تبين كذلك أن نسبة من دخلوا في هذه العلاقة الزواجية وعمرهم من ٢٠ الى أقل من ٢٢ سنة ، فقد فاقت نصف عدد المبحوثين (٥٨٪) ٠ فاذا جمعنا بين النسبتين المتقدمتين ـ وجدنا ان ٨٦٪ من مفردات المجتمع قد أقامت علاقاتها الزواجية وعمرها لم يتجاوز ٢٢ سنة ، ويلعب العامل الديني في هذا المجتمع دورا يكاد يكون حاسما في خلق هذا الموقف كنتيجة لشخصية صاغ توحدها الديني ملامحها الأساسية ٠

واذا أضفنا الى هذا المتغير الحاسم (المتغير الديني) متغير قوانين الأحوال الشخصية أمكن تقرير أن نمط العلاقات الزواجية واتجاهه داخل المجتمعات البدوية يشكل بشكل مباشر بالنسق الديني وخصوصا أن تشريعات الأحوال الشخصية التي تحكم هذه المجتمعات تستند في الأساس الى المبادىء الدينية في المحل الأول ٠ وفي هذا الصدد فان قانون الأحوال الشخصية المغربية ينص على « تكمل أهلية النكاح في الفتى في تمام الثامنة عشرة من عمره ، فاذا أضيف فالعنف ، رفع الأمر الى القاضي ، وفي الفتـــاة بتمـــام الخامسة عشرة من عمرها » ومؤدى ذلك أن الزواج المبكر ـ من الناحية الشرعية ـ يعد من الاتجاهات التي تساندها القوانين المعمول بها في نطاق هذا المجتمع ٠

وقد تساءلت الدراسة عما اذا كانت مفردات البحث قد شكلوا علاقاتهم الزواجية في سن مبكرة بحكم الوازع الديني أساسا(*) فهل يمكن أن يكون

(*) عبر عن ذلك بوضوح أحد المبحوثين حين قال ان الزواج أمر من الله ولا يمكن التدخل في ارادة الله ٠

لهم موقف آخر من هذا الاتجاه فيما يتصل بأبنائهم ؟ أي هل يمارس المركب الثقافي لنمط شخصيتهم دورا مسيطرا في نقــل نفس العنــاصر والقيم الثقافية كاطارات يتحرك فى دائرتها أبناؤهم • أيضا بالنسبة لقضية الدخول في علاقة زواجية ، يتوقف عليها مستقبل الحياة الأسرية والتماسك العــائلى قاطبة ؟ وقد بينت الدراسة تمسكهم بنفس الاتجاه حتى فيما يتصل بأبنائهم وبخاصة فيما يتصل ببناتهم ، (٧٨٪ موافق مقابل ٢٢٪ غير موافق) • بيد أن أهم ما كشفت عنه مواقفهم فى هذا الصدد هو ظهور العامل المادى كعامل يتحكم في امكانية البدء فى الدخول في اقامة العلاقة الزواجية • ولذلك فهم يفضلون زواج أبنائهم فى سن مبكرة لاعتبارات دينية وثقــافية وبيولوجية تناسلية لكنهم فى نفس الوقت بدأوا يدركون دخول عامل جديد يتحكم فى تحديد سن الأهلية في اقامة العلاقة الزواجية وهو الأهلية المادية للانسان •

وقد بدأ الاحساس بقيمة وفاعلية هــــذا العامل نتيجة لتعرض نسقهم الاقتصادي لتأثير بعض متغيرات التحديث المادية التى مكنتهم من الاطلاع على بعض منجزات الحراك الاقتصادى • بل وربطهم على نحو لم يعهدوه من قبل بالنسق الاقتصادى العام للدولة بكل ما يعكسه من طموحات ، وما يصادفه من أزمات •

وقد عبر بعض المبحوثين عن ذلك بقولهم :

١ ـ « ان الإنســان يحتــاج ـ في الزواج ـ الى ظروف مادية ، واذا توافرت له فى سن مبكرة يكون ذلك أفضل وأحسن ، أما اذا لم تتوافر فمــا عساه أن يفعل » •

٢ ـ « ان الزواج المبكر صعب على الشباب الفقير اذ أن المهر ومراسيم الزواج تفرض عليه الانتظار » •

والى جانب وعيهم بفاعلية المتغير المــادى ، وبدء احساسهم بالتخوف والقلق منه ، نظرا لأنه يهدد احدى خصوصياتهم الثقافية المتوارثة التقليدية، وأهمها خصوصية التبكير فى اقامة العلاقة الزواجية كقيمة أخلاقية اجتماعية فى الأساس ، ظهر الخوف من الفســاد كذلك كدافع يدفعهم الى التبكير فى انشاء العلاقة • ومن الواضح أن ظهور الفساد ويقصد به الانحلال الأخلاقى والحرص على شرف الفتاة الذى يهدد شرف الرجل ممثلا فى عفتها ونقائها ، قد عرف طريقه الى الجماعات البدوية كنتيجة لبــدء ظهور الوعى والاحساس بوطأة المعاناة والأزمات الاقتصادية العــامة التى بلغته نظرا لانكسار حــدة

العزلة التي تعايشها هـــذه الجماعات بفعل أساليب التواصل والإتصال الحضـــارى المختلفة • ومؤدى ذلك أن نمط العـــلاقات الزواجيـــة ـ رغم كلاسيكيته ـ بدأت تشكلة وتؤثر فيـــه قوى ليست من طبيعة خصوصيات البناء الثقافي الاجتماعي التقليدى لهـــذه المجتمعات بفعل قوى التحـديث المختلفة •

أما فيما يتصل بالنمط التركيبى للعلاقات الزواجية داخل هذا المجتمع ، أو بمعنى آخر كثافة هذه العلاقات ، فقد كشفت المقابلات أن العـلاقات تفتقد صفة التركيب ، بمعنى أن الاتجاه الى الدخول فى بناء أكثر من علاقة زواجية واحدة ، فى وقت واحد ، من المسائل غير البارزة لديهم ، (٢٦٪ مقـــابل ٧٦٪ لا يجمعون) ، نظرا لاعتبارين أساسيين :

الاعتبار الأول :

اعتبار دينى صرف يتمثل فى الخوف من عدم العدل بين الزوجات • هنا تتضح خطورة وأهمية العامل الدينى كعنصر ثقافى مسيطر فى المركب الثقافى العام لهذه الجماعات لا يمكن اغفاله ••

الاعتبار الثاني :

وهو اعتبار مادى ظهر بوضـــوح لدى أغلب مفردات البحث حيث قرر البعض منهم ما يلي :

١ ـ « لا أقدر على اعالة زوجة واحـــدة ، فكيف أعـول اذن اثنتين أو ثلاثا » •

٢ ـ « زوجة واحدة الله يجعله البركة » •

٣ ـ « ان ظروفى المادية لا تسمح لى أن أتزوج مرة أخرى » •

٤ ـ « ان الطلاق عندنا نادر فاذا فكر أحـدنا فى طلاق زوجتـــه فان العائلة بل القبيلة كلها ، تتدخل لمنع الطلاق ، لذا فأنا مقيد بزوجة واحدة ، كذلك فان ظروفى لا تسمح لى بالعيش مع زوجتين فى آن واحد » •

بالاضافة الى هذه الاعتبارات فقد لوحظ أن هناك عاملا آخر يلعب دورا بالغا فى الحد من معدل الطلاق أو فى الدخول فى أكثر من عـــلاقة زواجية ، ويتمثل هذا العامل فى حالة الفقر المدقع التى يعيشها أفراد هذا المجتمـــع حيث ان الفرد مهما كانت علاقته الزواجية من السوء ، فانه لا يقدر على الطلاق بسبب فقره وسبب ذلك أنه **أولا** : اذا فكر فى تطليق زوجتـــه ، فانه ليس

لديه المال لدفع نفقات الزوجة ، أو حتى دفع المصاريف اللازمة لاجراء الطلاق فى حد ذاته • بالاضافة الى ذلك فان الفرد فى هـذا المجتمع يتزوج لفقره كذلك اذ يتخذ من الزوجة عنصرا وموردا مساعدا للدخل ومن ثم فاذا طلق زوجته فهو الخاسر أولا وأخيرا لأنه لن يستطيع الدخول فى علاقة زواجية جديدة ، لأنه ليس لديه المال الذى يمكنه من تحقيق ذلك* •

ولقد تبين أن العلاقات الزواجية فى نطاق هـذا الدوار متماسكة ثابتة كما بينت ذلك النتائج الخاصة بالتعرف على حجم ظاهرة الطلاق فى هـذا المجتمع (٨٤٪ مقابل ١٦٪ غير متماسك) • فالطلاق فى هـذه المجتمعات ـ كما أوضحنا سابقا ـ نادر الحدوث لا كتعبير عن سلامة عملية الزواج ونضوج العلاقات الزواجية ، وانما لوقوع هذه المجتمعات تحت تأثير سيادة مفاهيم وقيم مؤكدة بمعنى « أن أبغض الحلال الى الله الطلاق » من ناحية ، ثم لعنصر الفقر وهو أكثر العناصر فعالية فى هذا الموقف من ناحية أخرى •

فالطلاق يحتاج الى تكاليف وتترتب عليـه التزامات ليست فى مقدور الرجل ذاته • ثم ان الدخول فى علاقة زواجية جديدة أمر لا يقدر عليه للمرة الثانية فى هذه المجتمعات ، الى جانب أن داخلية علاقات الزواج تفرض ضربا من القهر والضغوط الاجتماعية التى تمـارس درجـة من الضبط تؤدى الى استمرار العلاقة مهما كانت حدة أزماتها ، ولذلك فان الطلاق لا يحدث الا لأسباب نادرة أهمها العقم ، أو المرض مثلا •

وقد أكدت الدراسة الحقلية أن العلاقات الزواجية الداخليـة هى النمط المسيطر الى حد بعيد ، (٧٢٪ مقابل ٢٨٪ من الخارج) ، على أنه يتعين ملاحظة أن نسبة ٢٨٪ لم تكن علاقاتهـا الزواجية خارجية بالمعنى الكامل لهـذه الكلمة ، أى من خارج نطاق القبيلة بمعنى أنهم فى علاقة زواجية مـع غير الأقارب من نفس القبيلة • أى أن مفهوم الداخلية فى هذا المقام له مستويان :

أ ـ مستوى الزواج من الأقارب من أبناء العائلة أو القبيلة •

ب ـ مستوى الزواج من غير الأقارب ولـكن من نفس أبنـاء القبيلة بصورة عامة •

(*) سوف يتضح أثر هذا العامل بوضوح فى الدراسة الثانية الخاصة بالعادات والتقاليد المصاحبة لدورة حفل زفاف بقرية اسنابنة •

ونستنتج من ذلك أن نمط العلاقة الزواجيـــة فى اطار هـــذا المتغير مفروض اما بحكم العلاقات والروابط العـــائلية (زواج بنت العم ، أو بنت الخال فى المقام الأول) ثم يليـــه زواج بنت العمة أو بنت الخـالة فى المقام الثانى ، أو بحكم النسب القبلى والتجاور المكانى السكنى داخل القبيلة ·

خامسا ـ تعقيب :

من الملاحظ انه رغم اتساق النتائج التى أفرزها العمل الحقلى مع طبيعة المركب الثقافى الاجتماعى للمجتمعات البدوية بوجه عام ، وخاصة الطبيعـــة الداخلية للعلاقة وما تكشف عنه من خصوصية ثقافية تطبع نمط العلاقات الزواجية ، فان هذا الاتساق أو ذلك الانغلاق النسبى قد بدأ يشهد دخول متغيرات جديدة تقلل من درجته وتعمل على ايجاد حالة من المزاوجة بين متغير الأصالة الثقافية التقليدية ومتغير العصرنة والتحديث من ناحية أخرى ·

ومن الشواهد الدالة على حالة المزاوجة هذه فى تقديرى وكما أوضحت النتائج متغيران أساسيان هما :

١ ـ المتغير المادى كعامل أصبح يكون شطرا أساسيا فى بنـــاء الوعى والتقدير الاجتماعى لأبناء هذه المجتمعات · وأهمية هذا المتغير فى هذا المقام مستمدة فى الواقع من ظهور الوعى بأهمية الحرص على تهيئة ظروف اقتصادية تسمح بقيام العلاقة الزواجية الناجحة ، ومن ثم لم تعد الرابطة الزواجيةمحض رابطة تلقائية آلية يتعين قيامها وان التساند والتضامن القبـلى هو المورد أو السند الذى تعتمد عليه تلك الرابطة فى قيامها ، بل أضحت رابطة وظيفية تستند فى قيامها الى الفرد ذاته لا الى الأخـــلاق التقليدية للجماعة ، أخلاق التضامن أو التآزر الميكانيكى الآلى · فالفردية المادية أضحت قيمة قياسية تستند اليها الرابطة والعلاقة الزواجية ·

٢ ـ متغير الفساد أو الخوف من الانحراف · والفساد فى هذا المقـــام يتجلى فى الخوف من التأثر بقوى الاغراء المادى والمؤثرات التى تضعف من أثر الوازع الأخلاقى فتسهل لهم صـــور الفساد المختلفة ممثـلا فى الانحرافات الجنسية على وجه الخصوص · ومن الواضح أن معايشة المجتمعات البدوية لهذا المتغير وبروزه كقوة تحسب فى قيام العلاقة الزواجية ـ من الملامح الثقـافية الجديدة التى بدأت تدركها المركبات الثقافية لهذه الجماعات · وما من شك أن بروز هذا المتغير يعد وليد سيطرة القيم المادية والنزوع نحو الفردية وضعف العزلة الثقافية بفعل عمليات التثقيف من الخارج التى ساعدت عليهـا قوى التحديث القريبة منهم فى مدينة وجده باعتبارها عاصمة المغرب الشرقى ·

وجدير بالاشارة ان هذين المتغيرين قد عمقا حالة المزاوجة التى يعكسها نمط العلاقات الزواجية ٠ واذا كان هناك من استخلاص عام فانه يتبلور فى أن نمط العلاقات الزواجية بدأ يعايش قيما وافدة جديدة ، أى مرحلة تحول مهما بدت مؤشرات أو متغيرات هذه المرحلة محدودة ٠ بيد أن حالة المزاوجة أو الازدواج الثقافى ينشأ عنها دائما صور من الصراع تضعف معه أنمـــاط الحياة البنائية والثقافية التقليدية ، ويحسم فى الغـــالب لصالح الأنمـــاط الجديدة الوافدة ٠ هنـــا تبرز المشكلة أو التحدى الذى تواجهه الأنمـــاط التقليدية فى مجتمعات العالم الثالث ــ وهى أنماط ليست بالضرورة ــ كلها متخلفة حيث تواجه بتيارات الاذابة والاضعاف من كيانها ٠٠٠ هنـــا يمكن القول بضرورة أن يبرز دور أبناء العالم الثالث من رجال الانثروبولوجيا حيث يجلون الصدأ عن هياكل الأبنية الثقافية والاجتماعية لمجتمعاتهم ويؤكدون خصوصيتها وقدرتها على خدمة التقدم ٠

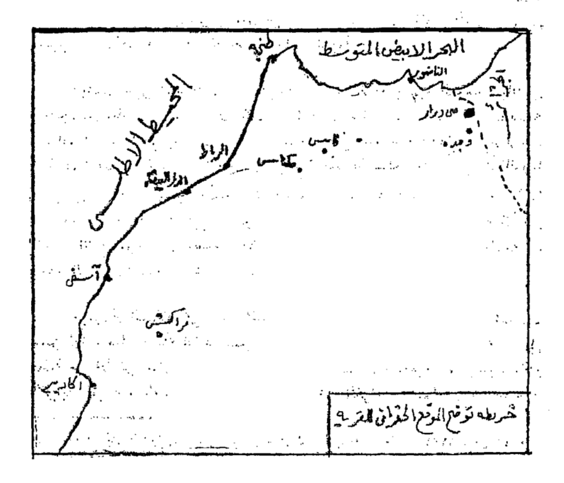
الدراســـة الثــانية

العادات والتقاليد الشعبية بمرحلة الزفاف بقرية بنى درار فى الشمال الشرقى لمدينة وجدة فى المجتمع المغربى

دراسة تسجيلية انثروبولوجية

أولا — التعريف بمجتمع الدراسة :

تقع قرية بنى درار فى الشمال الشرقى من مدينة وجدة عاصمة المغرب الشرقى ، وبالضبط على الطريق الرئيسى المؤدى الى مدينة أبركان • يحدها جنوبا سهل انجاد ، وجبل الكربوس شمالا ، وتحدها شرقا الحدود الجزائرية التى تبعد عنها بما يقرب من ميلين • وتوضح الخريطة التالية هـــذا الموقع الجغرافى للقرية •



خريطه توضح الموقع الجغرافى القريه

ويقطن بنى درار ما يقرب من ١٢ ألف نسمة موزعين على عدد ١٧٣٦ أسرة . ولقد شهد عدد سكان القرية ابتـــداء من عام ١٩٦٠ وحتى ١٩٧٠ تناقصا بسبب عودة الجزائريين الى بلادهم . ويمثل البدو ثلثى عدد السكان بوجه عام(١) .

ويعتمد البدو بوجه عام ـ فى هذه الدائرة ـ على الرعى وزراعة القمح والشعير ، وقليل من البقوليات كالحمص والعدس . ونظرا لعدم توافر مصادر المياه بالمنطقة بالقدر الـــكافى ، فانه لا غرابة اذا لاحظنا انخفاض الانتـاج الزراعى لدرجة ان البعض لا يتحصلون على ما يكفيهم لسد حاجاتهم على مدار السنة . ولذا يتجه ٩٩٪ الى رعى المواشى .

ويمارس كثير من شبان هـــــذا المجتمع ـ الى جانب بعض المسنين ـ التجارة عن طريق السوق السوداء مع الجزائر ، حيث يقومون بتصدير الأثواب مقابل استيراد بعض المواد الأساسية كالسكر والزيت والصابون والشاى . ويمكن القول ان معظم سكان هذه القرية ـ على وجه الخصوص ـ يعيشون على التجارة الداخلية وبخاصة تجارة السوق السوداء مـــع الجزائر . ويعود الى التجارة الخارجية الفضل الأكبر فيما يحصلون عليه من أرباح اذ يصـــدرون الأقمشة التى تباع بالجزائر بأثمان مرتفعة ، ويستوردون المواد التى تباع فى المغرب بثمن أقل مما تباع به نفس المواد المغربية .

ويتميز جيل الآباء والأجداد فى هـــذه القرية بميزة التمسك بالدين والحنين الى الماضى ، كمـــا ان كلهم من الأميين عدا بعض الفقهاء من حفظـــة القرآن . كما انهم يؤمنون بأعمال السحرة والشعوذة والأرواح الشريرة ، كما ان أغلب أبنائهم من الأميين ولا يصل عدد الحاصلين منهم على البكالوريا أكثر من ٤٠ وهى نسبة تساوى ٣ر٠٪ من مجموع شباب هذه القرية . كما ان عدد من هم فى التعليم الثانوى ، أقل من ٨٠ تلميذا ، وليس هناك فى القرية الا مجموعة من الفصول الابتدائية غير الكافية على الاطلاق وخاصة أن العدد الاجمالى للتلاميذ يبلغ ١٣٩٧ تلميذا .

ويتوزع السكان فى هذه المنطقة على قبائل متفرقة لكل قبيلة اســـم مميز لها ، مثال قبيلة أولاد ميمون وقبيلة بوزيان ، وتعيش كل قبيلة عــلى قطعة من الأرض تملكها ، غير ان الملكية فيها ليست جماعية كما يسود نظام القرابة كل هذه القبائل ، اذ تسيطر العلاقات القرابية عليها الى حد بعيد .

---

(١) السكان القانونيون للمغرب ، المجلد الأول ، مديرية الاحصاء ، ١٩٧١ ، ص ٦٥ .

وتتوقف قيمة الانسان ومكانته ، فى هذا المجتمع ، على ما يكسبه هذا الانسان من مال ، كما تتحدد أيضا بما له من تأثير ونفوذ فى المجتمع ، بحيث يلاحظ ان « الدركى » أعلى مكانة من أى موظف آخر لما يمارسه من نفوذ فى هذا الوسط • أما الأخلاق أو الثقافة أو غيرها فلا محل لها من الاعراب فى تحديد قيمة ومكانة الفرد فى نطاق هذه القرية •

ولا يكاد يرى أو يشاهد الانسان العنصر النسوى خارج البيت ، ولو قدر له أن يجوب كل أزقة القرية ، لأن خروج الفتيـــات ممن تجاوزن سن البلوغ ، يعد شيئا محرما وفيه اخلال بالآداب العامة المرعية •

ثانيا ـ أشكال الأسرة والزواج فى بنى درار :

أ ـ فى مستوى المحيط البدوى :

يتسم ٩٥٪ من الأسر فى المحيط البـــدوى بنمط الأسرة الـكبيرة أو المركبة ، وهى الأسرة التى تتكون من جد وأبناء وحفـــدة ، وأغلبهم يكتفون بزوجة واحدة • أما تعدد الزوجات فلا يلاحظ الا فيما ندر ، بل تكاد تكون عديمة الوجود أو نادرة • فهناك قبائل لا تعرف الأسر فيها الا زوجة واحدة فقط • ولا يعنى هذا ان الفرد لا يتزوج الا مرة واحدة فقط فى هذا المجتمع ، لكن هناك من يتزوجون أكثر من مرة وخاصة بعد طلاق المرأة الأولى أو وفاتها• ويظل الأبناء وزوجاتهم مع والديهم فى منزل واحد يكتفى كل منهم بحجرة واحدة ، ويتعاونون اقتصاديا فيما بينهم •

ب ـ فى محيط القرية :

على النقيض مما تقدم تمثل الأسرة الزواجيـــة المكونة من الأب والأم والأبناء غير المتزوجين ـ المرتبة الأولى بل تكاد تكون هى الشكل العام القائم فى القرية كلها ، ولا تعدو نسبة الأسر الكبيرة فيها أكثر من ١٥٪ فقط ، أما شكل الزواج فى محيط القرية فهو يماثل شكل الزواج فى الوسط البدوى بحيث يكتفى الفرد بزوجة واحدة ، واذا حدث أن وجدت زوجتان فى وقت واحد ، فانهما تعيشان فى منزل واحد ، ونادرا ما تعيشان منفصلتين •

ويماثل سكان القرية سكان الوسط البدوى من حيث عـــدم ايمانهم بتحديد النسل ، ويعتبرونه شيئا محرما ، عاملين بقول الله تعالى : « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها » •

ثالثا ـ دورة مرحلة الزفاف في قرية بني درار :

تمر مرحلة الزفاف بثلاث دورات أساسية تتم كل دورة منهـا في يوم خاص بها ، بحيث تكتمل دورة الزفاف على ثلاثة أيام متصلة متعاقبة ، الا ان هناك مرحلة هامة تمهد لمرحلة الزفاف بدوراتهـا الثلاث بحيث لا يتسنى الحديث عن عادات وتقاليد هـذه المرحلة الا اذا قدمنا لهـا بما يسبقها من استعدادات بحيث يمكنني تقرير ان هذه المرحلة تكمل دورات مرحلة الزفاف وترتبط بها في المحل الأول •

واذا كان الهدف من هذه الدراسة الاستطلاعية هو تسليط الضوء على العادات والتقاليد والمظاهر الثقافية المختلفة التى تؤلف في مجملها المضمون الثقافي لهذه المرحلة ، فان استعراض هذه المصاحبات الثقـافية يكون من الأفضل من الناحية المنهجية اذا استعرضناها منفصلة بعضها عن بعض بهدف التوضيح •

الاستعدادات الممهدة لمرحلة الزفاف :

تتطلب مرحلة الزفاف وجود فترة زمنية تفصل بين مرحلة الخطوبة ، وبين زفاف الفتاة الى خطيبها ، وكثيرا ما تمتد هذه الفترة الى أكثر من شهر• وهذه الفترة تعد بمثابة مهلة تعطيها كل عائلة للأخرى ، لتتمكن كل منهمـا من تهيئة الظروف الملائمة لاقامة حفل زفاف ، أى الاستعداد الكامل لها •

فاذا ما تناولنا عائلة الفتاة ، نجد ان والدها ووالدتها يذهبـان الى المدينة ، يشتريان لابنتهما بالمهر الذى أعطى لها ما يجهز غرفة نوم وتتكون محتوياتها في الغالب من مجرد فراش وغطاء ووسادة بالاضافة الى خزانة ، وكثيرا ما تكون الخزانة شرطا أوليا يتعين وجوده بين الجهاز •

على انه مهما كانت كمية ونوعية الثياب التى يشتريانها فلابد أن يوجد بينها ما يسمى « بالحائك » وهو عبارة عن رداء أبيض يتميز به سكان المنطقة الشرقية بالمغرب ، حيث ان المرأة ترتديه في خروجها وجولاتها ، كمـا ان هناك قيمة أخرى لهذا الحائك تتجلى في مرحلة الزفاف نفسها تتمثل في أن العروس في اليوم الاول الذى تذهب فيه الى بيت زوجها ، فانها تغطى به • وبالاضافة الى هذا الحائك ، لابد من شراء لباس أبيض قصير ترتبط أهميته بعملية فض البكارة ، اذ أن الدم السائل الناشىء عن فض البكارة يجب أن يسيل فوق هذا اللباس وبواسطته يعلن عن فض البكارة •

بالاضافة الى الثياب والأثاث ، فانهما يشتريان لها ما تتزين به من حلى ذهبية ، بيد إنه مهما كانت كمية ونوعية الحلى المشتراة ، فلابد أن يوجد — من بينها — خاتم كى تضعه الفتاة فى اصبع زوجها أثناء مقابلته لأول مرة فى ليلة الزفاف .

كذلك فان مرحلة الاستعداد تشمل أيضا عائلة الفتى ويتمثل فى قيام عائلة الفتى بترميم المنزل اذا كان فى حاجة الى ترميم كما يجرى له طلاء جديد حتى وان كان لا يحتاج الى طلاء . كما يتمثل هذا الاستعداد فى شراء ما يلزم من خرفان ومأكولات بالاضافة الى ما تستعيره العائلة من حصير وفراش وقدور وأوان من جيرانها وأهلها وخاصة اذا كانت ظروفها لا تمكنها من مقابلة كل شىء بمفردها . وقد يصل الأمر بها الى استعارة منزل بكامله ، وكثيرا ما يكون هذا المنزل المستعار أحد منازل الجيران .

ويجب أن نشير الى انه اذا أعطى الفتى مهرا لزوجته فان ذلك يعنى تخلصه من واجب الانفاق فيما يتصل بشراء الثياب والحلى والأثاث لزوجته بالاضافة الى الهدايا التى يتعين عليه أن يقدمها لصهره وحماته . كأن يشترى جلبابا لصهره وثوبا لحماته . وان كانت هذه الهدايا لا يقدمها هو بنفسه انما تقدمها أمه نيابة عنه .

ومن أهم العادات التى تعرفها هذه القرية ما يحدث عند دخول المشتريات الجديدة الى المنزل ، لابد من ذبح ديك أو دجاجة سواء فى منزل الفتاة أو فى منزل الفتى ، ومغزى ذلك هو أن يسيل الدم على عتبة المنزل منعا للعين الحاسدة الشريرة التى قد تصيب العائلة بسوء . ولعل أهم ما يلفت الانتباه فى مرحلة الاستعداد هو التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع جميعا ، وليس أفراد العائلة وحدهم . حيث يضع كل فرد فى هذا المجتمع نفسه فى خدمة العائلة المقدمة على اقامة الحفل ، وخاصة الشبان والأطفال .. فكل فرد يحاول تقديم شىء تكون العائلة فى حاجة اليه كالحصير والموائد والصحون وبناء الخيام . أما الأطفال فانهم بمجرد اقتراب قيام حفل الزفاف يهرعون الى اعداد الحمير والبغال لاستخدامها فى نقل ما يملأونه من مياه تكفى أيام الحفل نظرا لقلته من ناحية ، ولبعد المسكن من مصدر الماء من ناحية ثانية . بالاضافة الى أن حفلات الزفاف تقام — فى أغلبها — فى فصل الصيف ، بحيث اذا ما ذكر فصل الصيف فان الذهن يتطرق مباشرة الى حفل الزفاف الذى يعقد فى هذا الوقت ليتمكن الجميع من حضورها والاستمتاع بها ، ثم لأن فصل الصيف ليس فيه برد ولا مطر يخشاهما الحاضرون .

بعد استعداد كل عائلة على حدة تتفق العائلتان على اليوم الذى ستبدأ فيه حفل الزفاف بدوراته الثلاث وخاصة ان كل يوم من تلك الأيام يختلف عن غيره اختلافا بينا • ويطلق على اليوم الأول منه اسم « الحنة » ويطلق على اليوم الثانى اسم « العرس » ويطلق على اليوم الثالث اسم « الفراق » وهو يوم ينتهى فيه الحفل ويتفرق الجمع •

وفيما يلى هذه الدورات كل يوم على حدة :

اليوم الأول : (الحنة) :

وهو يوم بداية الحفل الرسمى ، فقبل قيام الحفل بيوم واحد يتجمع عدد من الفتيات يزيد عن ست فتيات فى بعض الأحيان فيذهبن بالعروس الى حمام عام حاملات معهن الدفوف وهن يرددن الأغانى فى الطريق تتقطعها الزغاريد من فترة الى أخرى فتستحم العروس ومن معها على نفقتها هى ولا يتوقفن عن ترديد الأغانى والضرب على الكفوف واطلاق الزغاريد وخاصة أثناء عودتهن الى المنزل •

وفى مساء هذا اليوم تذهب امرأتان من بيت العريس الى منزل العروس وغالبا ما تكون احداهما عجوزا وتحدد مهمة المرأتين فى نقل لوازم الحفل من مأكولات وسكر وشاى بالاضافة الى خروفين الى مسكن العروس حتى تتمكن أسرة العروس من اعداد وجبة الغذاء للضيوف فى اليوم التالى وللذين سوف يبيتون برفقة العروس • ذلك لأن العروس فى هذه الليلة لا تنام وحدها ، أو وسط أخوتها كعادتها ، بل عليها أن تنام مع صديقاتها ، والواقع أن العروس لا يغمض لها جفن اذ تتطوع احدى الفتيات أو تختار العروس احداهن لتكون وزيرة لها حتى تقوم بخدمتها فى كل كبيرة وصغيرة فتجلس بجانبها لتسليتها وبعث روح الشجاعة فيها وتجميلها وتزيينها بوضع الحناء فى يديها ورجليها ورشها بماء العطر وجمهور الفتيات من حولها يظهرن فرحتهن وبهجتهن بما يرددنه من أغان وما يطلقنه من زغاريد •

واذا كانت العروس تختار وزيرتها ، فان العريس يختار بدوره وزيرا له يرافقه فى كل أوقاته ويستجيب لما يأمره به ، كما انه ينوب عنه فى التشاور مع والده أو والدته لانه من سوء الأدب ، بل من العار ، أن يجتمع العريس بوالده أو بوالدته فى هذه الأيام الثلاثة لذا فهو يأخذ كل الاحتياطات اللازمة لكى لا تراه أمه أو أبوه أو يراهما هو • لذلك فهو يقضى الليلة التى تسبق

يوم الحنة فى منزل وزيره ، لا فى منزله هو ٠

ويتعين الاشارة الى أن العريس فى الفترة التى تفصـــل الخطوبة عن الزفاف ، اذا ما دخل منزلا غير منزله فانه لن يغادره الا بعد أن يترك قدرا ماليا ينقص أو يزيد عن الخمسة دراهم ٠ ويشاركه فى ذلك كل من يرافقة من عزاب ٠ فمن الاعتقادات الشائعة فى هذا الوسط ان العريس اذا دخل منزلا ثم خرج منه بدون حناء فى يده اليمنى ، فان سوءا ما سوف يصيبه ، لذا فانه كلما دخل منزلا معينا تهرع احدى الفتيات لوضع نقطة حناء فى يده اليمنى ، أما المرافقون له فتوضع فى أيديهن اليسرى ، وفى المقابل ، يضع هؤلاء بضعة دراهم فى صحن حناء ٠

ويذهب العريس ووزيره يوم الحنة ليستحما ويتجـــولا ولا يعودا الى المنزل الا بعد مغيب الشمس ، كما لا يحضران الحفل الذى يقام فى منزل العروس ، ويبدأ الحفل فى بيت العروس وليس فى بيت العريس اذ يظل بيت العريس هادئا حتى الساعة الرابعة من مساء هذا اليوم ولا يبدأ الحفل عنده الا بعد نهايته عند العروس ٠

ومع الصباح تقوم الوزيرة بازالة الحناء من يدى العروس ورجليها ثم تلبسها اللباس الأبيض والجوارب البيضاء ثم تزينها بما اشترى لها من حلى وترشها برائحة زكية ثم تجلسها فى مكان معين فى البيت وتجلس بجانبها وتداعبها وترقص الفتيات من حولها ويزغردن ويغنين ٠

وفى حارة المنزل تقف النساء صفين متواجهين يردد الصف الأول شطرا من الأغنية ويردد الصف الثانى الشطر الآخر منها وتتقطع هــــذه الأغانى بالزغاريد التى تطلقها النساء من حين الى آخر ٠ كما يتوسط الأطفال والشبان والكبار هذين الصفين وهم يرقصون ثم يضغطون على بنادقهم فى لحظة واحدة لتسمع طلقاتهم كما لو كانت طلقة واحدة ٠

ويستمر الحفل على هذا الشكل الى ما بعد منتصف النهار حيث يذهبون لتناول الغذاء ٠ ولا تقدم وجبة الغذاء الا بعد حضور أهل العريس الـــذين يحضرون الى بيت العروس مع أقربائهم ٠ وقبل منتصف النهار بقليل يتجمع الرجال والنساء والشباب والشيوخ فى بيت العريس ، وبعد ذلك يركبون السيارات التى يزينونها بالأعلام متجهين وسط جو من الحماس والتصفيق والأغانى الى بيت العروس ٠ وعند بلوغهم البيت يدخل الرجال الى بيت خاص

وتسارع الفتيات والنساء لرؤية العروس ثم يعدن الى المشاركة فى الحفل حيث تقف النساء فى صفين : صف من أهل العروس ، وصف من أهل العريس ، يردد الصف الأول شطرا من الأغنية ثم يردد الصف الثانى الشطر الآخر الى أن يحين وقت الغذاء ٠

ويقدم الطعام للرجال أولا ثم تنتقل الموائد بعد ذلك الى النساء ٠ أما عن نوع الغذاء المقدم فهو لا يخرج فى كل حفلات الزفاف وبدون استثناء عن ثلاثة صحون توضع على كل مائدة يملأ واحد بالحساء ، والثانى بالمرق ، ويقدم فى الثالث نوع من الفاكهة ، ويختتم هذا كله بكئوس الشاى ٠

وتجلس العروس بعد تناول الغذاء على كرسى وسط النساء والفتيات ، بل وحتى بعض الرجال لتتقدم لها الهدايا ، وتكون العروس فى هذه الحالة مغطاة بالحائك حيث لا يرى منها ، لا وجههـا ولا يداها ، ولا أى جزء من جسمها ٠ ويوضع فوق رأسها صحن يوضع فيه ما يقدم لها من هـدايا ٠ وتقف احدى النساء من قريبات العروس بالقرب منها وهى تقبض على الصحن باليد اليسرى وتنادى على أهل العريس أن يتقدموا بما سيتبرعون به ولا يتقدم أهل العروس الا بعد أن ينتهى أهل العريس من تقديم هداياهم ٠

وأول هدية تقدم للعروس ، هى هدية العريس ويتعين أن تكون هذه الهدية « خاتما » لا يقدمه العريس بنفسه ، بل تقدمه احدى قريباته نيـابة عنه ، لأن عليه ألا يحضر هذا الحفل هو ووزيره٠ وقد تعارف الجميع على أن هدية العريس هى التى تفتح الطريق أمام الآخرين كى يقدموا هداياهم التى اما أن تكون ذهبا أو نقدا فى أغلب الأحوال ٠ ومن الجلى أن تقديم الهدية يعد دينا لابد أن يرد الى صاحبها فى مناسبة زفافه ، أو زفاف أبنائه اذا كان متزوجا ٠

وتتعرف العروس على صاحب الهدية من وجود المرأة الواقفة بجـانبها القابضة على الصحن ٠ فالهدية تسلم لهذه المرأة وفى نفس الوقت يعطى لها اسم مقدم الهدية واسم والده ، ودرجة قرابته للعريس أو للعروس ٠ وتعلن المرأة جهرا عن نوع الهدية المقدمة وصاحبها لتتمكن العروس منمعرفته ومعرفة الجمهور الحاضر معه ٠

اذا كان ذلك يحدث فى بيت(*) العروس ، فان ما يحدث فى البيت

(*) يقصد بالبيت الغرفة ٠

الآخر حيث يجلس الرجال عبارة عن حوار يقوم بين والد العروس ، وأحـد أقرباء العريس من الشيوخ ، أو مع الفقيه الذى يصحبونه معهم ، ولا يدور هذا الحوار مع والد العريس ، ويجرى الحوار على النحو التالى :

يقوم الفقيه أو أحد الشيوخ المسنين ينادى على أبى العروس الذى يكون موجودا وراء الباب :

ـ يافلان

لا يستجيب المنادى عليه رغم سماعه لندائه فيعود الفقيه ليناديه مرة ثانية •

ـ يافلان

لا يستجيب فى هذه المرة أيضا ثم يعود الفقيه ليناديه مرة ثالثة •

ـ يافلان

هنا يجيب والد الفتاة •

ـ حاضر سيدى

حينئذ يقول الفقيه بالحرف :

ـ اننا نريد منك أن تزوج ابنتك فلانة لفلان بن فلان •

فيرد والد الفتاة :

ـ نعم لكن بشرط •

ثم يصمت دون أن يكشف النقاب عن تفاصيل هذا الشرط •

وبعد أن ينتهى هذا الحوار القصير يخرج والد الفتى قدرا ماليا يعادل أو يزيد عن الخمسين درهما ، يناوله للفقيه الذى كان يجرى الحوار مع والد العروس •

ويتبلور الشرط الذى يضعه والد العروس عندما يبوح به بأعلى صوته على مسمع من جمهور الحاضرين فى انه يلقى بالمسئولية على عاتق والد الفتى فى معاملة ابنته حيث يريد ويطالب بأن تعامل ابنته كامرأة لها حقوق وعليها واجبات ولا تهان ولا تعامل بقسوة ، مما يجعل حياتها تعيسة • فى هذا الوقت ترفع الدعوات للخطيبين بطول العمر والحياة السعيدة ، حياة الود والتفاهم •

ويختتم الحفل ـ بعد ذلك ـ باخراج العروس من منزل والدها لتركب احدى السيارات التى تكون فى انتظارها ، وتركب الى جانبها وزيرتها وتركب على الجانب الآخر احدى العجائز من قريبـــاتها ويهرع المدعوون الى مرافقة العروس لبيتها الجديد ، الا أن أمها وأباها لا يرافقانها ، ولا يحضران حفل

الزفاف الا فى اليوم الثالث فقط • وتتجه السيارات الى بيت العريس دون أن تنقطع عن اطلاق أصوات الأبواق أو غناء النساء والرجال •

وتقف عند باب المنزل أم العريس حاملة صحنا مملوءا بأنواع مختلفة من الحلويات والسكر والحناء ، بالاضافة الى اناء ملىء بالماء وبمجرد أن تصل السيارات يتطوع أحد الرجال فيحمل العروس بين ذراعيه ليدخلها الى بيت عريسها فى حين تأخذ الأم فى القاء الحلويات والحناء والماء على السيارات التى حملت العروس ، وعلى العروس ذاتها ، ومضمون ذلك أن الأم تعتقد أن القاءها لهذه الحلويات على العروس بأن حياة العروس ستكون كلهـــا حلوة كحلاوة ما ألقى عليها •

وفى حالة عدم امكان وصول السيارة الى بيت العريس بسبب وعورة الطريق أو ضيقه، فان السيارة تقف عند حدود هذه المنـــاطق حيث تجـــد العروس مهرة فى انتظارها تركبها تقطع ما تبقى من مسافة • وعند وصولها يحملها أحد الرجال بين ذراعيه ليدخلها الى البيت كما سبق أن ذكرنا •

وبمجرد دخول العروس يبدأ الحفل والصخب فى منزل العريس الذى كان هادئا طيلة فترة الصباح فتردد الأغانى بنظام معين ، وهناك بيت مشهور تستهل النساء به أغانيهن هو :

بسم الله ••• بسم الله ••• والهوى(١) وصى عليه الله

كما أن هناك أغانى أخرى يرددونها وخاصة عند دخول مدعوين جدد للترحيب بهم ، منها مثلا :

مرحبـــا بكم بالبراويا(٢) يالى جيتو مـــع خويا(٣)

ويستقل كل بيت فى الأغنية عن البيت الآخر ، بل ويمثل أغنية كاملة اذ تقف النساء اثناء ترديد الأغانى صفين يردد الصف الأول الشطر الأول من البيت ، ثم يردد الصف الثانى الشطر الأخير منه • ولا تغير أو تبدل الأغنية بأغنية أخرى الا بعد أن تردد الأغنية لمدة ثلاث دقائق على الأقل •

---

(١) يقصد بكلمة الهوى فى هذا المقطع معنى الغناء •
(٢) وتعنى الاجابة أى كل من هم من غير أهل العريس أو العروس •
(٣) تعنى أخى •

ويتوسط النساء بعض الشبان والرجال يرقصون وهم ممسكون ببنادقهم التي تسمع طلقاتها من حين الى آخر • ومن ليست لديه بندقية يعوضها بعصا •

ومن الجدير بالاشارة ان الذين يرقصون وسط النساء يتعين أن يكونوا من أقرباء العريس ولا يسمح لأي غريب عنهم بالرقص • واذا حاول بعضهم الرقص فانهم يضربون ويطردون ، ذلك لأن رقصهم وسط نساء لا يعرفوهن فيه تحد لازواجهن ولاوليائهن ، أي فيه مساس بشرف الرجال جميعا • لذا فعليهم أن يكونوا مجرد متفرجين لا مشاركين •

ولا يحضر الأجانب الحفل الا بعد مغيب الشمس حيث تمتلىء ساحة المنزل بالشباب ، وعلى وجه الخصوص غير المتزوجين منهم ، اذ تخصص الليلة الأولى للعزاب ولا يحضرها من المتزوجين الا القليل ، ولا يأتي الشباب بدعوة من العريس ، بل لا ينتظرون الدعوة اطلاقا اذ يبحثون عن الاعراس اينما كانت يحضرونها دون تلقي دعوة • فبمجرد علمهم بوجود حفل زفاف معين ، فان ذلك يعني انهم مدعوون لحضوره •

وعندما يحضر الشباب يجلسون في جانب وتجلس الفتيات والنساء في الجانب المقابل لهم حتى يتمكن العزاب من الشباب من رؤية الفتيات عن قرب وهذا هو السبب الرئيسي الذي يحضر من أجله كل الشباب غير المتزوجين • لذا ترتدي الفتيات لهذا السبب أجمل ثيابهن لتنال اعجابهم وتلفت انتباههم، أي انها ترشح نفسها للزواج • ويصل الأمر ببعض الفتيات الى تغيير ثيابهن ثلاث مرات أو أكثر في اليوم الواحد امعانا في جذب الانتباه ، وهن لذلك يستعرن ثياب جاراتهن ، وعليهن ألا يظللن جالسات في مكان واحد معين ، بل ينتقلن من مكان الى آخر ، يغنين تارة ، ويقمن بشتى أنواع السلوك لجذب انتباه الشبان تارة أخرى • أما الشباب فانهم يستمعون الى ما تردده النساء من أغان ، ويشاهدون ما يؤديه الرجال من رقص ، الى حين تقديم العشاء ، الذي يتألف من الصحون الثلاثة التي سبق أن أشرنا اليها •

وبعد تناول العشاء مباشرة يدخل وزير العريس بيت العروس ليأمر النساء باخلاء البيت وفسح المجال أمام العريس ليدخل على زوجته ، وبالفعل تغادر النساء البيت ، باستثناء وزيرة العروس واحدى العجائز من قريباتها ، حيث تقومان بتجريد العروس من كل ثيابها ولا تتركان لها سوى الثوب الأبيض الشفاف الذي أشرنا اليه في موضع سابق • وتقوم العجوز باعطاء الوصايا

للعروس عن الكيفية التى يجب أن تستقبل بها زوجها وتأمرها بالاذعان له ثم تخرجان هما أيضا وتبقى العروس بمفردها .

وتأتى أم العريس لتنام على عتبة البيت وهى تغطى نفسها بشبكة من حبال ، والمطلوب من العريس أن يتخطى أمه حتى لا يعانى من أى عجز جنسى وبالتالى حتى يفض البكارة فى أسرع وقت وبكل سهولة . ويأتى العريس ووزيره على يمينه والشبان من حولهما يصفقون والزغاريد تعلو من كـــل الجوانب الى أن يدرك الباب فيدخل ويعود المرافقون له ليأخذهم مع الحاضرين، أما الوزير فيجلس قرب باب العريس ليخدمه اذا كان فى حاجة الى ذلك .

ولا يستطيع الانسان أن يميز العريس عن باقى المرافقين كما كان يحدث من قبل حيث كان العريس يرتدى جلبابا أبيض ، اللهم الا اذا كان يعرف مسبقا انه هو صاحب الحفل . ورغم ذلك فان الزى الذى يرتديه العريس – فى أغلب الأحوال أثناء دخوله على زوجته – يكون الجلباب . ولما كان أغلب شباب هذا المجتمع ليس لديهم أى خبرة سابقة أو علاقة ماضية بفتاة ، فانهم كثيرا ما يذهبون الى المتزوجين من أقربائهم وأصدقائهم ليمدوهم بالنصائح اللازمة عن كيفية مقابلة زوجاتهم للمرة الأولى والاجتماع بهن . وأهم درس يتلقاه كل مقبل على الزواج هو أن يجامع زوجته على الحصير حتى لا يجد صعوبة فى فض البكارة ، لان خشونة الحصير تساعده على محاصرة زوجته فى مكان ثابت دون الافلات منه .

ولم تحل ظاهرة عدم التجربة السابقة ، أو عدم الخبرة الماضية مع فتيات فى مرحلة العزوبة دون أن ينجم عنها بعض النتائج فى يوم الزفاف . وتوضيحا لذلك على سبيل المثال أن أحد العرسان دخل على زوجته دون تحية ولا سلام نزع الحزام الذى كان يلبسه وانهال على عروسه ضربا حتى فاقت صرخاتها أصوات الدفوف الخارجة ، وسبب ذلك أن المرأة فى نظره كقطعة اللحم تزداد ليونة كلما انهالت عليها الضربات . ولم يكف عن الضرب حتى هجم عليه الناس فى الداخل فأشبعوه بدوره ضربا .

وفى حالة أخرى ، ذكر أحد الاخباريين من أهالى القرية أن عريسا آخر دخل على زوجته فلم يحيها ولم يسلم عليها ، بل بدأ يتجول داخل الغرفة وعيناه تحدقان فى الجدران ، يذرع الغرفة ذهابا وايابا دون أن يعير زوجته أى اهتمام ، ولما انقضى وقت طويل دون أن يلقى بالثوب الأبيض الى الخارج دخل عليه وزيره فوجده على هذه الحال فلطمه ثم جرده من ثيابه ودفع به الى عروسه .

ومن الضرورى الاشارة الى أن دخول الوزير الغرفة عـلى العروس والعريس ليس بشيء شاذ لدى أبناء هذا المجتمع ، إذ هو لا يتمكن من رؤية العروس قبل دخول العريس ، اذ يوضع حاجز فى طرفى البيت الذى توجد فيه العروس يقسمه الى قسمين فتبقى العروس وعريسها فى جزء من البيت ويبقى الجزء الباقى خاليا • فاذا ما دخل الوزير فانه يبقى فى الجزء الخالى ولا يتجرأ على رفع الحاجز •

ويلاحظ أثناء دخول العريس على زوجته أن تقوم النساء بترديد بعض الأغانى الخاصة بهذه المناسبة منها :

مولاى السلطان(*) عود النوار اللى عانقنـاه ما تشوف النار

وبعد نصف ساعة على الأكثر من دخول العريس على عروسه يخـرج الثوب الأبيض وعليه بعض قطرات من الدم يسلمه للوزير الذى يلقى به بدوره وسط النساء اللاتى كن ينتظرنه على أحر من الجمر ، واظهاره لجميع الحاضرين تتخاطفه الفتيات والنساء ويرقصن به وخاصة أهالى العروس اعلاء لمكانة العروس ومكانة أهلها لأنها برهنت بذلك على شرفها ولهذه اللحظـة أغانيها الخاصة أيضا منها على سبيل المثال :

هكـذا يكونوا بنات الرجال المحصنات(**)
شـوفوا يالعـذارى لا تقـولوا هجـالة(***)

ومحاولة من العجائز التأكد من أن الدم الموجود على الثوب ليس بدم مزور فانهن يقمن بشم رائحة الدم واذا ما ذهب بهم الظن مبلغا فانهن يقمن — فى بعض الأحيان — بتذوقه بلسانهن ، بل وأكثر من هذا كله يدخلن على العروس ، يفتشن فرجها حتى تتأكد من أن زوجها قد جامعها وبالتالى فض بكارتها فعلا •

فاذا حدث أن كانت العروس غير بكر فانها تطرد من البيت فى ليلة زفافها وقبل أن ينتهى الحفل ، وهناك من يقبل زوجته رغم انها ثيب وبخاصة لدى الأوساط الفقيرة حيث أن الفتى يجد نفسه فى موقف ليس فى مقدوره القيام بحفل آخر لفقره فيرغم على قبول زوجته فى أى الحالات •

وبعد فض البكارة والاعلان عنها أمام الحاضرين ، يحمل هـذا الثوب الى منزل والدة العروس لتراه بدورها ، ثم يرجع من جديد الى بيت العريس

(*) يقصد به العريس •
(**) المحصنات وهن المحروسات •
(***) الهجالة وهى الثيب •

ثم يعلق فوق جدران البيت حتى تراه كل من دخلت هذا البيت • وفيما يتصل بالعجز الجنسي الذي قد يعاني منه العريس أثناء دخوله على زوجته والذي قد يستمر في بعض الأحيان حتى انتهاء حفل الزفاف بدوراته الثلاث ، فانهم يرجعونه لأعمال يقوم بها السحرة أو النساء العجائز ، ومن ثم فان عليه أن يقوم ببعض الأعمال الغريبة لكي يبعد عنه هذا العجز ، منها على سبيل المثال ، أن تعطى قطعة حجر من نوع خاص يبول عليها هو وزوجته معا • أو أن يأمر بافراغ الماء على سرة العروس ثم يشربه ، أو تطلق البخور داخل البيت • وغالبا ما يذهب الوزير باحثا عن أحد الفقهاء لاحضاره فيدخل الفقيه الى بيت العروس واذا اقتضى الحال فانه يقابل العروس ذاتها فيكتب للعريس أو للعروس أو لهما معا بعض التمائم والتعاويذ في ورقة يبلانها بالماء ويشربانه أو يتوضآن به ، أو يكتب لهما على بيضة ويؤمران بأكلها ، ويكتب بعض التمائم في يد العروس الى غير ذلك من أنواع الشعوذة •

وقد لوحظ في أغلب الحالات انه بمجرد خروج الفقيه ومغادرته للبيت وبعد وقت قصير جدا يعلن عن فض البكارة مما يؤكد الأثر النفسي الذي يمارسه الفقيه لدى هذا المجتمع نظرا لصفته الدينية وعمق الايمان به في نفوس أبناء المجتمع ، عكس الحال بالنسبة للايمان بالسحرة والمشعوذين •

يغادر العريس البيت — بعض فض البكارة — برفقة وزيره فيبتعدان عن المنزل حتى لا يراه أبوه وأمه ، اذ من سوء الأدب كما بينا سابقا أن يقابل العريس والده أو والدته أيام الحفل • ويرقب النساء خروج العريس ليهرعن الى الداخل بقصد تقديم التهاني الخاصة بالشرف الى العروس ثم التهاني الخاصة بانتقالها الى مرحلة الأمومة لانها لم تعد فتاة كما كانت من قبل ، بل قد أصبحت اليوم امرأة • وفي هذه اللحظة بالذات تعلو الزغاريد والأغاني ويكثر الراقصون والراقصات ويشارك في ذلك حتى الحاضرون سواء كانوا أهلا للعريس أم غرباء عنهم • ويستمر ذلك الى منتصف الليل وحتى يعود العريس لينام مع زوجته •

ومع دخول العريس يختتم حفل اليوم الأول أي يوم الحنة حيث يعود كل واحد الى بيته بعد أن تجدد لهما الدعوة لحضور حفل الغد الا أن الوزير يجب أن ينام في منزل قريب من منزل العريس أو في بيت من بيوته أو في خيمة من الخيام المعدة لايواء الضيوف لأن هناك مهمة تنتظره في الصباح اذ عليه أن يكون أول من يستيقظ ليوقظ العريس حتى لا يراه أبوه أو أمه •

اليوم الثانى (العرس) :

فى صباح اليوم الثانى ينهض الوزير باكرا فيوقظ العريس ثم يذهبان معا الى خيمة من الخيام المقامة ليتناولا هناك فطور الصباح ثم يغادران المكان كلية ، أو قد يجلسان هناك ، ولا يتميز هذا اليوم عن اليوم السابق (الحنة) من حيث الغناء أو الرقص ، فما يشاهد أو يسمع فى هذا اليوم مماثل لما حدث فى اليوم السابق الا أنه رغم ذلك ليس بنسخة طبق الأصل من يوم الحنة • فهناك عادات تجري فى يوم العرس لا تمارس فى يوم الحنة وهى العادات التي تضفي عليه صفته المميزة •

ويلاحظ أن وجبة الغذاء فى هذا اليوم تكون من نوع خاص فالى جانب الصحون الثلاثة التقليدية ، يضاف صحن رابع ملىء بالشواء حيث لا يمر عرس دون أن تكون الموائد حافلة بهذا النوع من المأكولات كذلك فان هذا اليوم هو اليوم الذى يؤتى فيه بالهدايا مما يميزه عن يوم الحنة ، اذ أنه ـ رغم حضور المدعوين يوم الحنة فانهم لا يحضرون معهم هـداياهم ، بل يؤجلون ذلك ليوم العرس •

وتختلف الهدايا التى تقدم فى يوم العرس عن تلك التى تقدم للعروس فى بيت والدها ، كما أن هذه الهدايا لا تقدم للعروس فحسب ، بل تقـــدم للعريس أيضا • وكذلك تقدم الى جميع العائلة صاحبة الحفل • وتتمثل فى غالب الأمر فى مساعدة مادية • فلا تدخل أى امرأة الا وهى تحمل أربعة كيلو جرامات من السكر على الأقل وقدرا من الخبز ، أما الرجال فمنهم من يأتى بخروف ، ومنهم من يأتى بدقيق ومنهم من يأتى بالسكر والشاى ،الى غير ذلك من المواد التى تقلل من نفقات أصحاب الحفل ، وليس من العادات أن يدخل الانسان دون هدية فى يده ، مهما كانت قيمتها •

وتتمثل أهم سمة تميز ليلة العرس عن ليلة الحنـــة فى السهرة التى يحييها الجوق المحلى بحيث إذا سمع الانسان أنغام هذا الجوق أثناء مروره بأحد المنازل ، فانه يستطيع أن يعرف ان اليوم يوم عرس وليس حنة ويسمى هذا الجوق بالشيوخ •

ويتكون هذا الجوق من ستة أفراد وفى بعض الأحيان يتعداه الى ثمانية من بينهم راقصة أو راقصتان ، أما الآلات التى يعزفون عليها فهى بسيطة بحيث لا تتعدى مزمارا ، فمنهم من هـــو متخصص فى نفخ هذا المـــزمار ، ومنهم من تخصص فى الضرب على الدف والغناء ، لان المفروض على من يضرب

بالدف أن يكون فى نفس الوقت يتقن الغناء • وهناك شخص لا يضرب على الدف ولا ينفخ فى المزمار بل مهمته تقتصر على استلام النقود أو التحية ، وتكون فى الغالب من الأوراق النقدية ، والتعريف بأصحابها بواسطة مكبر صوت حتى يسمع الجميع اسمه • ويسمى القائم بهذا العمل « البراح » •

وتسير السهرة فى الغالب بشكل محدد اذ يجلس الشيوخ فى زاوية معينة يحيط بهم مجموع الحاضرين يكونون دائرة واسعة يبقى وسطها مجال للرقص • وبعد أن يأخذ الجميع أماكنهم يبدأ الشيوخ فى العزف • أما العريس ووزيره ، فيجلسان بجانب الجوقة ، وبعد أقل من خمس دقائق يخرج العريس ورقة نقدية لا تقل عن خمسة دراهم يناولها للبراح وعندئذ يعطى البراح اشارة التوقف للعازفين ويبدأ بالتعريف بصاحب الورقة النقدية والمدح فى شخصه وأقربائه ملوحا بالورقة النقدية ويقول بالحرف : « باركات(١) ، هذه التبريحة(٢) من عند الناس الملاح(٣) اللى يستاهلوا التبراح : « هـــذا مولاى السلطان(٤) ، سلطان سبعيام(٥) الله يزيدنا ويزيد من الأيام ، رآه يقولك فى خاطر أهله وجميع الناس اللى حضروا معه هذه عشرة دراهم ، الله يخلف »•

ولا يضع البراح ما يعطى من دراهم فى جيبه ، بل يضعها فى الصحن الذى يكون موجودا فوق مائدة توضع أمام الجوق ولا يهم اذا كان العريس هو أول من يفتتح عملية التبراح أو وزيره ، أو أحد أقربائه ، ويستمر العزف تتقطعه كل خمس دقائق بتبريحة ، وعندما يلاحظ البراح نقصان أو تضاؤل عدد التبريحات يأمر احدى الراقصتين أو هما معا بالنهوض وبالفعل عندما تنهض الراقصة وتشرع فى الرقص يزداد عدد التبريحات خاصة أن كل واحد يريد أن يجلب الراقصة عنده مقابل ورقة مالية وبذلك يحدث تنافس بالمال يعود بالنفع على الجوق ، وأحيانا ما يؤدى التنافس بالمال الى حد المشادات الكلامية بين المتنافسين • وعندما يحدث مثل هذا الصراع تأخذ أم العروس دفا وتديره على الأرض ثم تحمله على ظهرها حتى تهدأ الصراعات والفوضى •

---

(١) اشارة للتوقف عن العزف •
(٢) التعريف بالاسم والمدح فى شخصه •
(٣) الطيبون •
(٤) العريس •
(٥) سبعة أيام •

ومن الجدير بالذكر ان هناك بعض الاعراس التى تعقد دون الاتيـــان بالجوق ومن ثم دون احياء سهرة من هذا النوع ويحدث غالبا في محيط الذين يتزوجون من كبار السن • فهم لا يحضرون الجوق ، انما يحضرون مجموعة من الفقهاء فيقضون الليل فى قراءة القرآن ، أو جماعة الحضرة(*) ، فيقضون الليلة في ذكر الله • ولا يقتصر هذا على كبار السن بل هناك أيضا من الشباب من لا يستدعي الجوق لانتماءاتهم الى عائلات متدينة ، اذ يرون فى احضـــار الجوق والراقصات نوعا من البذخ والترف الذى يغضب الله عليهم •

وتختلف كمية ونوعية الحاضرين في كل من الحالات التى أشرنا اليها فبالنسبة للعرس الذى يحييه الفقهاء أو جماعة الحضرة لا يحضره الا كبار السن ، أما العرس الذى يحييه الجوق فلا يحضره الا الشبان ولا يحضر من كبار السن الا من تربطهم بالعريس صلة قرابة متينة وحتى حضور هؤلاء مقصور في مساعدة العائلة فى أعمالها كاستقبال الضيوف وتقديم الطعام لهم •

وسواء فى حالة عرس يحييه الجوق ، أو يحييه الفقهاء أو جماعة الحضرة، فان الحفل يختتم وينتهى عندما ينصرف هؤلاء وان كانت جماعة الحضرة والفقهاء ينصرفون فى الغالب فى وقت لا يتجاوز الثانية عشرة ليلا على حين يسهر الشيوخ حتى الفجر • وبانصراف الجوق ينصرف الجميع ويودع يوم العرس ، أما العريس فيكون قد عاد بعد بداية السهرة ببضع ساعات لينام فى بيته برفقة عروسه •

اليوم الثالث (الفراق) :

يوم الفراق ، هو اليوم الثالث والأخير فى الحفل وهو يسمى بهذا الاسم لأن فيه يتفرق الجمع حيث يعود للمنزل جوه الطبيعي وتستأنف الحياة العادية بداخله • ويتميز هذا اليوم عن باقى الأيام من حيث الشكل والمضمون • **فمن حيث الشكل** • لا يستمر الحفل يوما كاملا بل يكتفى بالنصف الأول من النهار لغاية تناول الغداء ، هذه الوجبة التي تكون مسك ختام الحفل ، أما عن **ناحية المضمون** أى من ناحية العادات والتقاليد ، فانهـــا تختلف كلية عن اليومين السابقين •

(*) هى مجموعة من الفرق تضم كل فرقة أعضاء خاصين بهـــا وهم الشيوخ المسنون يجتمعون كل خميس فى منزل أحد الأعضاء يذكرون الله لعدة ساعات من هذه الفرق : عيساوة ، وحمداوه ، وميساوه ، ودرقاوه •

فقد بينا انه عندما تحمل العروس من بيت والدها الى بيت زوجهـــا لا يصحبها من أهلها الا بعض النسوة وبعض صديقاتها ويظـــل والداها فى منزلهما لا يشاهدان ما يجرى فى يومى الحنة والعرس ، لذا فان اليوم الثالث خاص أساسا باستقبال والدى العروس وأهلها ، كما أن وجبة الغداء فى هذا اليوم تقام على شرفهم ، وعندما تحضر الأم فى هذا اليوم تصحب معها أنواعا منوعة من الحلويات لها غاية محددة نذكرها فيما بعد ٠

ويستقبل أهل العروس عند دخولهم بالتهليل والتصفيق والزغاريد ٠ ويختلط أهل العريس وأهل العروس من النساء فيكونون صفين يردد الصف الأول شطرا من الأغنية ، ويردد الصف الثانى الشطر الآخر منها ، الا أن هناك ظاهرة يتميز بها أحد الصفين ، تتمثل فى وجود العروس بين نساء هذا الصف فهى تخرج من بيتها لأول مـــرة فتقف وسط صف من الصفين ووجهها مغطى بمنديل شفاف لا تضرب على الدف ولا تغنى انما تكتفى بالوقوف وسر ذلك هو أن هذا اليوم هو يوم تقديم الهدايا الى العروس ٠ الا أن هذه الهدايا تخص الذكور وحدهم الرجال منهم والشبان وحتى الأطفال ٠ وتكون الهدايا المقدمة هدايا مالية ، لا غير ٠ وبما أن الرجال لا يتمكنون من رؤية العروس فى اليومين السابقين حتى يقدموا لها هداياهم فانهم ينتظرون خروجها فى اليوم الثالث ٠

ولا تقدم الهدايا من يد الى يد ، بل انها تعلق فى المنديل الذى يوضع على رأسها ويجدر الاشارة الى أن العريس هو أول من يتقدم بهديته يتبعه فى ذلك وزيره ثم يفسح المجال بعد ذلك للآخرين ٠ ويراعى فى الهدايا المقدمة ألا تفوق أحدها هدية العريس اذ يتعين أن تكون أقل منه فاذا علق العريس مائتى درهم على المنديل فيجب على الهدايا الأخرى ألا تتعدى احداها مائتى درهم لأن فى ذلك تحديا للعريس ، كما انه لا يتم التعريف بأصحاب الهدايا كما يجرى فى اليوم الأول ولا حاجة الى التعريف بهم ٠ لأن هذه الهدايا ليست ملزمة أى دينا يجب أن يرد فهى عبارة عن تبرعات تقدم للعروس ٠ ولا تمكث العروس أكثر من نصف ساعة حتى تعود الى البيت ثانية ٠

ومن بين العادات الأخرى التى تمارس أيضا لعبة يشترك فيها الشبان المتزوجون منهم وغير المتزوجين فعندما تتم عملية تقديم الهدايا يذهب العريس ووزيره وجمع الشبان الى احدى الخيام البعيدة فيجلسون ويتفقون على لعب ما يسمى « بالكسنوة » وتجرى هذه اللعبة على النحو التالى :

ينقسم الشبان الى مجموعتين متكافئتين مجموعة تضم الشباب المتزوج ، والأخرى الشباب غير المتزوج ، وينزع من العريس بعض ثيابه ، وتوضع على طاولة يراقبها الوزير ، ومهمة المجموعة المتزوجة تكمن في خطف ثوب من ثياب العروس والجرى به ثم رميه داخل بيت العروس ، أما مهمة المجموعة الثانية ، العزاب ، فتتمثل في منع الفئة الأولى من الوصول الى هدفها لأنه اذا ألقى بثوب من ثياب العريس في بيت العروس ، فلابد من ارجاعه والذين يرجعونه هم أفراد المجموعة الثانية • ويتطلب استرجاعه قدرا ماليا يدفعونه لأم العروس التي تحدد هي القدر المالى ، وغالبا ما يتجاوز العشرة دراهم • وكثيرا ما تقدر أم العروس الظروف المالية لهؤلاء الشباب وخاصة اذا كانوا متعطلين فتخفض في الثمن حيث يصل في بعض الأحيان الى درهمين فقط ، وهي تشجع بذلك على استمرار اللعبة •

وكلما استطاع أحد الأفراد الوصول بحذاء العريس أو قميصه أو غير ذلك الى بيت العروس فانه يرجع بحفنة من الحلويات التي أعدتها الأم خصيصا لذلك • ويضعها في صحن يراقبه الوزير كما انه كلما خرج أحد الأفراد ثوبا من ثياب العريس فانه يعود به ومعه بدوره حفنة من الحلويات يضعها في نفس الصحن ، وقد يصل الأمر الى حد حمـــل العريس نفسه الى بيت العروس وسط كل النساء الحاضرات واخراجه يتطلب ثمنا عاليا يتجاوز مائة وخمسين درهما ، وعندما ينتهون من لعبتهم يقتسمون ما حصلوا عليه من حلويات ، أما الدراهم التي كانت تعطي مقابل استرجاع ثياب العريس فانها تسلم في النهاية الى العروس •

ومن العادات كذلك التي يتسم بها هذا اليوم وان لم تكن عادة لدى الجميع تتمثل في خطة يتخذها الوزير لجمع المال تتخذ في شكل محاكمة تتلخص في : عندما يجتمع الكل لتناول الغداء ، يظل الوزير واقفا يراقب الأشخاص الذين يبدأون الأكل قبل العريس ، وحتى لا يكشف سر وقوفه فانه يتظاهر بخدمة الحاضرين • وبعد الانتهاء من الأكل يفتح باب المحاكمة ويكون الحاكم فيها هو الوزير يعاقب كل من شرع في الأكل قبل العريس بغرامة مالية تتراوح بين درهمين وعشرة دراهم ، لا لشيء الا لانهم تحدوا العريس فبدأوا الأكل قبل أن يبدأ هو بذلك • وما يجمع من مال يقدم للعروس •

بعد ذلك يقوم العريس ووزيره أو أحد اخـــوان العريس بالذهاب الى العروس ، ويسلمان عليها فيأخذ الوزير حزاما يلبسه للعروس ويعطيها ورقة نقدية حسب استطاعته • بعدئذ يزيل الحاجز الذي سبق أن تحدثنا عنه وبينا

انه يقسم الغرفة الى قسمين ليحجب العروس عن الأنظار لأن فترة الحجاب قد انتهت ولم تعد العروس فى حاجة الى حجاب ٠

كل ما ذكرناه يجرى فى النصف الأول من نهار يوم الفراق اذ يتوقف الحفل بعد منتصف النهار ويتوقف الغناء والرقص ويخيم السكون على المنزل ويذهب الحاضرون ٠ أما العريس ووزيره فيغادران المنزل ولا يعودان الا فى المساء برفقة أبناء الجيران من الشبان ليتناول الجميع وجبة العشاء مسح العريس ٠ وعند الباب يجد هؤلاء والدى العريس جالسين ينتظران دخولهما فيتقدم العريس ليقبل رأسيهما ثم يتبعه الوزير وكل الحاضرين فى ذلك ٠ وبعد تناول العشاء تدخل العروس فتقبل رؤوس جميع الحاضرين ومن بينهم عريسها ٠ أما وزيرتها فتأتى خلفها وهى تحمل صحنا يضع كل واحد فيه قطعة نقدية كهدية للعروس ٠

ويتضمن تقبيل العريس رأس والديه معنى وضع حد لفترة الحياء والخجل الذى كان العريس يبديها لوالديه فى الأيام الثلاثة الأولى ، اذ كان يفر من وجه والديه ويتخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا يرياه ، أما وقد قبل رأسيهما فلا حاجة به للاختفاء والخجل منهما ، لذا نجد العروس والعريس وكل العائلة يتناولون فطور الصباح على مائدة واحدة دون حياء ولا خجل ٠

وبعد مضى ثلاثة أيام على الحفل أو بعد أسبوع أو أكثر يذهب العروسان فى ضيافة صهره فى بيته ، ومن عاداتهم ألا يذهبا معا ، بل تذهب العروس فى الصباح ترافقها بعض النساء ورجلان على الأقل ، وفى المساء يلحق بهم العريس ووزيره يصحبهما بعض الأصدقاء ، وعند باب المنزل يجد صهره وحماته جالسين ينتظران دخولهما فيقبل العريس ومن معـــه رأسى صهره وحماته ، ثم يدخلان ليتناولا وجبة العشاء ، وبعد ذلك يغادران المنزل دون أن ينام هناك أحدهما ٠ بحيث لا يمكن للعريس أو زوجته أن يناما هناك تلك الليلة ، اذ عليهما العودة الى المنزل حتى يعدا فى الغد وجبة العشاء التى يحضرها كل الجيران ، وابتداء من تلك اللحظة تصبح العروس زوجة والعريس زوجا لكل منهما حقوق وعليه واجبات ٠

رابعا ــ تعقيب :

اذا كانت الدراسات التسجيلية للتراث يمكن أن تكون فى حد ذاتها غاية من غايات العلم وخاصة علم الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، فان هذه الدراسات يمكنها بفضل وظيفتها الثانية وهى وظيفة اخبارية اطلاعية ،

أى تطلعنا على التراث القائم البعيد فى بعض الأحيان عن القارىء أو الباحث — اذ تنتهى منها الى بعض الانطباعات والملاحظات العامة التى تفيد بعد ذلك فى فهم وتفسير سيرة أو حكاية هذا التراث ٠

وتعد المناسبة أو الموقف هى نقطة بداية العمل التسجيلى أو الاطار الذى يتيح الفرصة لهذا التسجيل ، ومن ثم فان معايشة المناسبة أو الموقف وملاحظة شرائحه المختلفة الأساسية من أهم المداخل اللازمة لتسيير وجود هذا النوع من الدراسات ٠ وحفل الزفاف هو مناسبة أو موقف من شأنه أن يعكس بدقة خصوصية ثقافة الجماعة أو المجتمع ، كما أن من شأنه أن يعطى الفرصة للدارس ليتابع دينامية وحركة عناصر التراث الثقافى التى تشخص هذه المناسبة وتجسدها بوضوح ٠

واذا كانت هناك بعض الانطباعات التى نخرج بها من المتابعة الدينامية لعناصر التراث الثقافى فى مناسبة أو موقف حفل الزواج كما عرضنا له فى قرية بنى درار ، فان هذه الانطباعات أو الملاحظات المستخرجة هى :

أولا : تكاد تتفق عادات وتقاليد دورة مرحلة الزفاف بهذا المجتمع مع العادات والتقاليد المتبعة فى حفل الزفاف فى كثير من مجتمعات الوطن العربى حيث الخلفية الثقافية المتماثلة أو المتقاربة الى حد بعيد ، مما يؤكد وحدة التراث أو تماثل عناصره داخل المجتمع العربى ٠

ثانيا : يعد حفل الزفاف بدوراته الثلاث فى هذا المجتمع حدثا بالغا له أبعاده المادية والاجتماعية والترويحية والدينية كذلك ٠ لذلك فهو حفل للمجتمع كله تقريبا ٠ وكما أوضحنا ان مجرد العلم بوجود حفل زفاف معناه ان الدعوة موجهة لكل أبناء المجتمع ٠ فكلهم مدعوون تلقائيا بدون دعوة ٠

ثالثا : أن مفهوم الزفاف فى هذا المجتمع ليس محدودا كما هو الحال فى المجتمعات الحضرية — فى دخول العريس على عروسه فحسب ، هو ليس زفاف جسديا أنما هو زفاف اجتماعى ٠ فالأسرة على مدى الثلاثة الأيام المتصلة تزف الى المجتمع حدث تشكل أو قيام بيت جديد يؤسس على قيم متعارف عليها ٠ فلابد أن يعطى لهذا الحدث الوقت اللائق به ويتجلى ذلك فى كل العادات والتقاليد التى ترافق أو تترجم هذه الدورات الى واقع مشاهد معاش ٠

رابعا : ان ركون هذا المجتمع بخاصة الى نظام الهدية غير الملزمة الى جانب الألعاب التى تجرى خلال اليوم الثالث يوضح استخدام المجتمع هذه

المناسبة كوسيلة لجمع بعض المال لتخفيف العبء المالى الذى تحملوه فى سبيل ادارة الثلاثة أيام من ناحية ، ثم لفقرهم ورغبتهم فى معاونة الزوجين من ناحية ثانية •

خامسا : والسؤال الذى يمكن أن يطرح نفسه الآن هو : هل الخصوصية الثقافية التى تجسدها العادات والتقاليد المصاحبة لحفل الزواج فى هــذا المجتمع يمكن أن تؤخذ كدالة ثقافية على تخلف المجتمع ؟ واذا كان هناك من يمكنه أن يقرر ذلك مثلا فما هو المقياس أو المعيار الذى تجرى تبعا له عملية القياس ؟ هل النموذج أو القياس تعسفى ، وفى هذه الحالة يكون الظلم البين؟ أم النموذج هو المؤشرات التى تحددت للتخلف والتقدم وانجزتها الايديولوجيات الغربية ؟ وهنا نكون قد استخدمنا عقلا غير العقل الحقيقى فى فهمنا للأشياء • هنا يكون السؤال : ماذا يمكن أن يسهم به علماء الانثروبولوجيا الثقافية فى العالم الثالث تفاديا لاحتمالات الأخطاء الثلاثة السابقة •

ثبت بالأغانى التى تردد خلال حفل الزفاف :

نورد فيما يلى بعض مقتطفات من الأغانى التى ترددها النساء على وجه الخصوص دون الرجل فى محاولة منــا لتسجيلها • ذلك أن الأغانى التى يرددها الرجال هى أغان مسجلة — فى الغالب — فى اسطوانات متداولة ، أما أغانى النساء فليست مسجلة أو مكتوبة ، لذلك نهتم بتسجيلها ، وسوف ترتب هذه الأغانى تبعا للتسلسل الذى تشير عليه ، ويستطيع الباحث أن يلحظ ذلك بوضوح إذا ما حضر احدى حفلات الزفاف فى هذه القرية •

ويمكن تقسيم هذه الأغانى الى أربع مراحل :

المرحلة الأولى :

وهى مرحلة قصيرة لا تشتمل فى الغالب على أكثر من خمسة أبيات تبدؤها النساء بذكر اسم الله ثم تشجيع الفتيات على النهوض لمشاركتهن فى احياء الحفل لأن الغناء بدونهن يكون هزيلا • ومثال على ذلك النوع ما يلى :

باسم الله باسم الله —	والهوى وصلى عليه الله
قولوا باسم الله فى غيواتى —	الله يسخى الواغش بيه
تهاوى يا لحال تهاوى	خلى الزين يهلك الغيوان
هذا الهوى جانى اللاعيان	ارفدو للسما يا لبنــات
ارفدوا للسما يا لبنـــات	الغيوان طاح مريض ميبراش

المرحلة الثانية :

وتدوم هذه المرحلة فترة طويلة ، وفيها أغان متعددة أكتفى بذكر بعض منها :

بو فتيحة يا خسارة المال	ما يهمه ما يقول شخال
بوفتيحه راه حوشه معروف	عنده السراجم للبحور تشوف
بين درار يا عرش الهمنا	غي البارح جيت من ثم
اخرجى تشوفى يا جميلة	اياك ضرب الحزانة برا
ابوى وين غابو الحوت	واش الغريب يموت

هذه المرحلة هى مرحلة المدح ، حيث تشرع النساء فى مدح العائلة التى تقيم الحفل • وفى بعض الأحيان يمدحن والد العريس ، وأحيانا أخرى والدته ، ثم العريس نفسه ، والعروس ووالدها ووالدتها ثم ينتقلن بعد ذلك الى مدح القبيلة التى ينتمى اليها العروس ، مستخدمين فى ذلك التشبيهات المجازية ، أضف الى هذا انهم يتأسفون للذين لم يحضروا الحفل من أهلهم نظرا لوجودهم فى ديار الغربة ، حيث يعملون خارج المغرب فى فرنسا وبلجيكا وألمانيا •

المرحلة الثالثة :

وفيها تردد الأغانى الخاصة بالترحيب بالضيوف ، ومن هذه الأغانى :

مرحبا بكم يالبرا ويا	ياللى جيتو مع خويا
مرحبا بللى جا وراه هنايا	البرانى مع اللى ليا
قول مرحبا يا بو فتيحة	جميع العروبية جاه تبيات

فى هذه المرحلة تشرع النساء فى ترديد الأغانى التى ترحب وتهلل بالضيوف ، ويشكرنهم على تلبية دعوتهم لحضور الحفل ومشاركتهم فى احيائه ، بل انهن يذهبن الى أكثر من ذلك حيث يشجعن الضيوف للنهوض بدورهم والمشاركة فى الرقص والغناء مدعين بذلك ان لكل واحد الحق فى المشاركة وانه لا فرق بين صاحب الدار وبين آخر غريب عنها •

المرحلة الرابعة :

وتخص هذه المرحلة فترة فض البكارة والاعلان عنها ، ومن الأغانى التى تردد فى هذه الفترة :

الزايخة تستاهلى مليون	يا للى فرحت صغارك اليـــوم
شـــوفوا يا لعـــزارا	لا تقـــولو هجـــالة
هكـــذا يكونوا بنـــات	الرجـــال المحضـــيات

ثبت بمراجع الدراسة

أولا : المراجع العربية :

١ ـ أحمد محمد خليفة : **فى المسألة الاجتماعية** ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٢ ـ رالف بيلز وهارى هويجز ، **مقدمة الأنثروبولوجيا العامة** ، الجزء الثانى ، ترجمة محمد الجوهرى وآخرين ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

٣ ـ علياء شكرى ، **بعض ملامح التغير الاجتماعى الثقافى فى الوطن العربى** ، دار الجيل للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

٤ ـ فيح الله ولعلو ، **الاقتصاد السياسى** ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، د.ت .

٥ ـ محمد الجوهرى ، **علم الفلكلور : دراسة فى الأنثروبولوجيا الثقافية** ، الجزء الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

٦ ـ محمد الجوهرى ، **بعض مظاهر التغير فى مجتمع غرب أسوان** ، دراسة انثروبولوجية لأحد المجتمعات النوبية ، مطبوعات كلية الآداب ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ .

٧ ـ مديرية الاحصاء بالمملكة المغربية ، **السكان القانونيون للمغرب** ، المجلد الأول ، الرباط ، ١٩٧١ .

ثانيا : المراجع الأفرنجية :

(1) Southall, Hiden : **Urban Anthropology**, Cross Cultural Studies of Urbanism, Oxford University Press, London, 1973.

(2) Bidney, David : **Theoritical Anthropology**, Schocken Books, Inc., N.Y., 1967.

(3) R. Vivelo, Frank : **Cultural Anthropology Handbook**, Mc-Graw-Hill Book Co., N.Y., 1978.

(4) Mead, Margaret: "National Character" in Soltax (editor), Anthropology Today ; Selections, The University of Chicago Press, Chicago, 1970.

(5) R. Sanday, Peggy, (editor) : **Anthropology and Public Interest**, Academic Press, Inc., N.Y., 1976.

(6) Sol Tax : "The Uses of Anthropology" in Sol Tax (editor), Harizons of Anthropology, Aldine Publ. Co. Chicago, 1964.

مشكلة الارتباط بين الانبساط والعصابية*

دكتور مصطفى أحمد تركي**

١ - مقدمة :

يمكن القول ان جيلفورد Guilford عام ١٩٣٤ هو أول من أثار مشكلة الارتباط بين الانبساط والعصابية وذلك بعد أن خرج من عرضه للبحوث التى أجريت فى هذا المجال حتى ذلك الوقت بمضمون مؤداه : أنه من العسير الاحتفاظ بالاختبارات التى تقيس البعدين من أن يرتبطا معا ارتباط دالا (Guilford, 1934) .

ثم توصل ايزنك Eysenck عام ١٩٥٣ الى نظرية فى بناء الشخصية تقوم على أن الانبساط والعصابية بعدان مستقلان وغير مرتبطين أى أنهما بعدان متعامدان (Eysenck, H., 1970, pp. 44-50) ثم توصلت كاريجان Carrigan عام ١٩٦٠ بعد دراسة البحوث التي تتعلق بهذه المشكلة ، الى أن هذا المجال يحتاج الى بحوث أكثر ، حيث لا يمكن حسمه من نتائج البحوث التى أجريت حتى ذلك الوقت ، وهذا يعنى أن مشكلة الارتباط بين الانبساط والعصابية أو بمعنى أوسع بين الانبساط والتوافق لا تزال قائمة ، كمـــا توقعت أن يختلف الارتباط بين البعدين باختلاف النوع (Carrigan, 1960)

واذا تتبعنا البحوث التى نشرت بعد عام ١٩٦٠ فى هذا المجال لوجدناها قليلة العدد ولا نجد سوى بحوث ثلاثة تبرهن على عدم وجود ارتباط دال بين البعدين الأول والثانى قام بهما ايزنك وايزنك فى دراسة بالتحليل العاملى على اختبار مودسلى للشخصية فلم يجد الارتباط دالا ، فأرجعا الارتباط الذى ظهر بين البعدين الى الصدفة (Eysenck, S. & Eysenck, H., 1863-1967) أما البحث الثالث فقد قام به فيرلى Farley ولم يجد الارتباط بين البعدين دالا أيضا (Farley, 1967).

(*) يوجه الباحث شكره الجزيل الى الأستاذ الدكتور عطية محمود هنا على قراءته لمسودة البحث ومناقشاته وآرائه التى افادته كثيرا .

(**) قسم علم النفس بجامعة الكويت .

ولكن يتضح من نتائج البحوث الأخرى التى اهتمت بهذه المشكلة انها تتفق مع ما توصل اليه جيلفورد ، ولا تتفق مع فرض ايزنك حيث برهنت على وجود ارتباط سالب دال بين الانبساط والعصابية • فوجد بايكل وبرسوف Paykel & Prusoff ارتباطا دالا وسالبا بين البعدين ، كما توصلا بالتحليل العاملى الى تشبع مقياس العصابية بالسالب وتشبع مقياس الانبساط بالموجب على العامل الأول ، وذلك باستخدام اختبار مودسلى للشخصية (Paykel & Prusoff, 1973) كما وجد سبنس وسبنس Spence & Spence ارتباطا دالا وسالبا بين البعدين Spence & Spence, 1964 •

كما توصل لين وجوردن Lynn & Gordon الى وجود ارتباط دال سالب بين البعدين باستخدام اختبار ايزنك (Lynn & Gordon, 1961) ووجد جبسون Gibson ارتباطا دالا وسالبا بين العصابية «والوجه الاجتماعى» من الانبساط (Gibson, 1974) •

وتتفق بحوث أخرى مع هذه النتائج (McGuire et al., 1963, Cohen, 1974). ازاء هذا الموقف غير الحاسم للعلاقة بين الانبساط والعصابية يحاول البحث الحالى المساهمة فى ايضاح العلاقة بين البعدين على عينة عربية ، وبأدوات استخدمت فى البحوث السابقة ، ولكن اذا كانت البحوث السابقة قد استخدمت اختبارا واحدا لتقدير كل بعد ، فالبحث الحالى يستخدم ثلاثة اختبارات لنفس الغرض حتى يمكن المقارنة بين نتائج الاختبارات المختلفة •

٢ — فرض البحث :

بناء على الدراسات السابقة ، وبناء على فرض كاريجان بأن يختلف الارتباط بين المتغيرين باختلاف النوع ، يمكن صياغة فرض البحث على الوجه الآتى :

يوجد ارتباط دال بين الانبساط والعصابية عند كل من الذكور والإناث منفصلين •

٣ — منهج البحث :

(أ) **عينة البحث** : اختار الباحث عينة البحث من الطلبة والطالبات الكويتيين بجامعة الكويت، وكان عدد الطلبة ١٠٣ وعدد الطالبات ١٠٨ • وذلك من طلاب كليات الآداب والتربية والعلوم والتجارة ، وهم ينتمون الى الفرق الدراسية المختلفة • وتتراوح أعمار عينة الذكور والاناث بين ١٧ و ٢٧ سنة •

وتأكد الباحث من عدم التواء توزيع قيم الاختبارات المستخدمة ، مما يبرهن على أن عينة البحث تمثل الى حد كبير جمهور طلبة جامعة الكويت من الكويتيين ·

(ب) **أدوات البحث** : استخدم الباحث ثلاثة اختبارات لتقدير كل من الانبساط والعصابية على الوجه الآتى :

١ ــ لتقدير الانبساط

ــ اختبار الانبساط من بطارية ايزنك للشخصية

ــ اختبار « ر » R للانطلاق والتخفف من الأعباء من بطارية جيلفورد ·

ــ اختبار الانطواء · مشتق من بطارية برنرويتر ، فاختار الباحث البنود التى وزنها أعلى وزن موجب (+ ٣ فأكثر) فى مفتاح التصحيح ·

٢ ــ لتقدير العصابية :

ــ اختبار العصابية من بطارية أيزنك للشخصية

ــ اختبار التقلبات الوجدانية C والاكتئاب D من بطارية جيلفورد ·

ــ اختبار العصابية مشتق من بطارية برنرويتر للشخصية فاختار الباحث البنود التى وزنها أعلى وزن موجب (+ ٤ فأكثر) فى مفتاح التصحيح ·

واستخدمت فى هذا البحث الصور المختصرة من اختبار جيلفورد · وقد أعدها جيلفورد نفسه ، واستخدمت فى بحوث كثيرة باللغة العربية وبرهنت على ثباتها وصدقها (تركى ١٩٧٤ ص ١٦٨) ·

وللاطمئنان الى صدق الاختبارات فى هذا البحث حسب ارتباط كل اختبر يقاس البعد بالاختبارين الآخرين اللذين يقيسانها ، أى حسبت الارتباطات الداخلية لاختبارات كل بعد ، وتبين أن هذه الارتباطات دالة عند مستوى أقل من ٠٫٠١ (أنظر الجدول رقم ١) كما تحقق الباحث من ثبات الاختبارات عن طريق القسمة الى نصفين ، واتضح أن معاملات ثباتها عند مستوى دلالة أقل من ٠٫٠١ (أنظر الجدول رقم ٢) ·

جدول رقم (١)
يوضح معاملات الارتباط الداخلية
بين الاختبارات المستخدمة

مسلسل	الاختبارات	معامل الارتباط
١	الانبساط لايزنك/الانبساط لجيلفورد	٦٤ر٠
٢	الانبساط لايزنك/الانطواء لبرنرويتر	ـ٥٥ر٠
٣	الانبساط لجيلفورد/الانطواء لبرنرويتر	ـ٥٣ر٠
٤	العصاب لايزنك/العصاب لجيلفورد	٦٧ر٠
٥	العصاب لايزنك/العصاب لبرنرويتر	٦٣ر٠
٦	العصاب لجيلفورد/العصاب لبرنرويتر	٦٣ر٠

جدول رقم (٢)
يوضح ثبات الاختبارات المستخدمة

مسلسل	الاختبارات	الثبات بالتصنيف بعد تصحيح الطول
١	الانبساط لايزنك	٦٧ر٠
٢	الانبساط لجيلفورد	٧٣ر٠
٣	الانطواء لبرنرويتر	٩٠ر٠
٤	العصابية لايزنك	٦٧ر٠
٥	العصابية لجيلفورد	٧٣ر٠
٦	العصابية لبرنرويتر	٩٢ر٠

٤ ـ نتائج البحث :

يتضح من الجدول رقم (٣) أن الارتباط بين الانبساط والعصابية غير دال سواء باختبار أيزنك أو باختبار جيلفورد عند الذكور والاناث ، وأن كان الارتباط بين البعدين للذكور والاناث دالا عند مستوى أقل من ٠١ر٠ باختبار برنرويتر للشخصية ٠

جدول رقم (٣)
يوضح الارتباط بين اختبارات الانبساط
واختبارات العصابية عند الذكور والاناث

الاختبارات	ذكور ن = ١٠٣			اناث ن = ١٠٨		
	م	ع	الارتباط	م	ع	الارتباط
الانبساط لايزنك	١١ر٩٦	٣ر١٢	ـ٠٦٢ر	١١ر٠٤	٣ر٤١	١٠١ر٠
العصابية لايزنك	١٢ر٩٩	٤ر٤٠		١٤ر٩٠	٤ر١٤	
الانبساط لجيلفورد	٣ر٣٠	١ر٦٥		٢ر٩٨	١ر٥٣	
العصابية لجيلفورد	٧ر٨٥	٣ر١٥	ـ١٤١ر٠	٩ر١٤	٢ر٩٩	ـ٠٣٦ر٠
الانطواء لبرنرويتر	٨ر٧٨	٤ر٢٥		١٠ر٤٠	٣ر٨٨	
العصابية لبرنرويتر	١٠ر٢٧	٥ر٦٣	٨٤٩ر*	١١ر٣٨	٥ر٢٢	٨٥٧ر*

* دال عند مستوى أقل من ٠٠٥ر٠

ونلاحظ من الجدول أيضا أن الارتباط بين البعدين عند الذكــور في اختبار أيزنك يدور حول الصفر ، ويماثله الارتباط بين البعدين في اختبار جيلفورد عند الاناث ، وان كنا نلاحظ من الجدول أن الارتبـــاط بين البعدين باختبار أيزنك عند الاناث وباختبار جيلفورد عند الذكور يميل الى الارتفاع . ولم يوضح الجدول وجود فرق واضح بين الذكور والاناث في الارتباط بين البعدين سوى أن الارتباط بين البعدين باختبار أيزنك عند الاناث بالموجب وعند الذكور بالسالب .

٥ مناقشة النتائج :

اذا كان جيلفورد هــو أول من أثار مشكلة الارتبـــاط بين الانبساط والعصابية على مستوى القياس ، فان الخلاف حول تحديد مفهوم البعدين قد نشأ منذ فرويد Freud ١٩٢٠ الذى وحد بين المفهومين ، واختلف معه فى ذلك يونج Jung ١٩٢١ الذى لا يجد أى رابطة بينهما ، ولقد شاع هذا التوحيد بين المفهومين ـ كما وضعه فرويد ـ فى كثير من الكتابات التى جاءت بعد ذلك ، ثم ظهر من يؤيد يونج ويعارض رأى فرويد .

ويبدو أن هذا الخلاف على المستوى النظرى بين فرويد ويونج قد أثر ـ فيما يرى كالير وامش Collier & Emch على حركة القياس فى مجـــال

الشخصية ، حيث تمسك معظم مصممي الاختبارات فى المراحل الأولى للقياس بمفهوم فرويد للانطواء والعصابية (Eysenck, 1970, 178-179)

ولكن اذا كان من الممكن أن نعزو الارتباط بين البعدين كما ظهر فى بحوث كل من ستاجنر Stagner ١٩٣٢ وكومبل Compell ١٩٣٣ ، وبرنرويتر Bernreuter ١٩٣٣ ، اذا كان من الممكن أن نعزو ذلك الارتباط الى أن الاختبارات التى استخدمت فى هذه البحوث قد صممت تبعـــا لمفهوم فرويد ، فاننا لا نستطيع أن نفعل ذلك مع نتائج بحوث ظهرت حديثا مثل بحوث كل من لين وجـــوردن Lynn & Gordon ١٩ ، وسبنس وسبنس Spence & Spence ١٩٦٤ ، وبايكل وبرسوف Paykel & Prussof ١٩٧٣ ، وجبسون Gibson ١٩٧٤ والتى استخدمت فيها اختبـــارات لا تتقيد بمفهوم فرويد ومع ذلك برهنت نتائجها على وجود ارتباط دال بين البعدين
(Guilford, 1934 ; Lynn & Gordon, 1961 ; Spence & Spence, 1964 ; Paykel & Prusoff, 1973 and Gibson, 1974).

ويفسر سوبر Super ١٩٤٢ هذا الارتباط بقوله أن ما يقيسه اختبار العصابية هو ذاته ما يقيسه إختبار الانطواء ، لأن الدرجة المنخفضة فى اختبار العصابية تعني التوافق مع البيئة وهو ما يسمىالانبساط الذى يتضمن القدرة على مواجهة الواقع بموضوعية والتعامل معه بغير صراع داخلى ، أما الدرجة المرتفعة فى العصابية فتشير الى سوء التوافق مع البيئة وهو ما يسمى بالانطواء وفى هذه الحالة يميل الفرد الى الانسحاب من الاتصال بالعـــالم الخارجي لعـــدم توافقه معــه Carrigan ويمكن القـــول أن تفسير سوبر (Super, 1942) يقترب كثيرا منرأى فرويد فىالتوحيد بينالانبساطوالعصابية كما انه يشبهالى حد كبير رأى كاريجان Super التى حاولت فيه الربط بين التوافق بصفة عامة (العصابية) والانبساط، وهو بتفسيره هذا ــ أيضا ــ يبتعد تماما عن نظرية آيزنك Eysenck فى بناء الشخصية .

وبالنظر الى نتائج البحث الحالى فى ضوء هذا النقاش وذلك بعـــد استبعاد اختبار برونرويتر لطبيعة تكوينه الفريدة ، ولما يمكن أن يتعرض له من نقد من زاوية أنه قد يكون قد صمم تبعا لمفهوم فرويد ، وهو نقد مقبول الى حد كبير ، حيث اتضح بعد حصر البنود المشتركة بين اختبار العصابية (٢٤ بندا) واختبار الانبساط (٢٠ بندا) التى استقدمت فى هذا البحث ، اتضح أنها ١٣ بندا ، فى حين لا يوجد بنود متشابهة بين اختبارى بطارية

جيلفورد أو أيزنك ، فيتضح من النتائج انها لا تؤيد فرض البحث ولا تتفق مع نتائج تلك البحوث التى وجدت ارتباطا دالا بين البعدين •

كما لا تتفق مع فرض ونتائج أيزنك ــ وخاصة في الارتباط بين البعدين باختبار جيلفورد عند الذكور وباختبار أيزنك عند الاناث ــ الذى يجد فى بحوثه أن هذا الارتباط يدور حول الصفر (ــ١٠ر٠) •
(Eysenck, H., 1970a, p. 46)

وبعد هذه المناقشة يصبح من غير المقبول تفسير العلاقة بين الانبساط والعصابية على أساس تعامدهما كما فى نظرية أيزنك ، ويمكن تفسير هذه العلاقة بوجود ارتباط دال بين مستويات محددة للبعدين ، فقد يوجد مستوى محدد من العصابية ــ عند الذكور أو الاناث ــ ترتبط عنده بمستوى محدد من الانبساط والعكس صحيح • وهو ما قد يفسر لنا لماذا يظهر الارتباط بين البعدين عند مجموعة من الأفراد ولا يظهر ــ مع استخدام نفس الاختبار ــ عند مجموعة أخرى •

وهذاالفرض يحتاج الى دراسة متعمقة للتحقق منه ، ولم يحاول أحد من الباحثين فى حدود معلوماتنا ــ التحقق من ذلك
.(Eysenck, H., 1970b, Eysenck, H., 1973)

٦ ـ اختبار الفرض :

وللتحقق من هذا الفرض قام الباحث باجراء التحليلات الاحصائيــة اللازمة على بيانات البحث ، وقسمت درجات العصابية ودرجات الانبساط الى ثلاثة مستويات بناء على متوسطات درجات أفراد عينة البحث فى الاختبارات المختلفة ، وحسب معامل الارتباط بين درجات كل مستوى من المستويات الثلاثة فى اختبارات العصابية ، وبين ما يقابلها من درجات فى اختبــارات الانبساط • ويوضح الجدول رقم (٤) هذه الارتباطات •

كما حسب معامل الارتباط بين درجات كــل مستوى من المستويات الثلاثة فى اختبارات الانبساط وبين ما يقابلها من درجات فى اختبــارات العصابية • ويوضح الجدول رقم (٥) هذه الارتباطات •

ويتضح من الجدول رقم (٤) وجود ارتباط واحد دال (عند مستوى أقل من ٠٠٥ر) فى المستوى ٦ ــ ١٢ فى اختبار ايزنك عند الاناث • ولا يوجد أى ارتباط دال فى اختبار جيلفورد ، كما يتضح وجود أربعة ارتباطات دالة

(عند مستوى أقل من ٠٠٥ر) في اختبار برنرويتر وارتباطين غير دالين ٠

ويتضح أيضا من الجدول رقم (٥) الخاص بالارتباطات بين مستويات درجات الانبساط وبين ما يقابلها من درجات العصابية ، يتضح وجود ارتباط دال (عند مستوى أقل من ٠٠٥ر) في المستوى ١ ـ ٢ في اختبار جيلفورد عند الاناث ٠

ولا يوجد ارتباط واحد دال باختبار ايزنك ٠ كما يوضح الجدول وجود خمسة ارتباطات دالة باختبار برنرويتر وارتباط واحد غير دال عند الذكور ٠

الجدول رقم (٤)
يوضح الارتباط بين مستويات درجات العصابية
وبين ما يقابلها من درجات الانبساط عند الذكور والإناث

الاختبارات	ذكور			اناث		
	مستوى العصابية	الارتباط	ن	مستوى العصابية	الارتباط	ن
الانبساط لايزنك	١٦ـ٢٤	ـ٢٢٤ر	٤٢	١٧ـ٢٤	ـ١٧١ر	٣٥
العصابية لايزنك	١٢ـ١٥	ـ١٣٢ر	٣٦	١٣ـ١٦	١٠٧ر	٤٤
	١ ـ ١١	ـ١٦٧ر	٢٥	١ ـ ١٢	٤٧٥ر*	٢٩
الانبساط لجيلفورد	٩ ـ ١٦	ـ٢٠٣ر	٤١	١١ـ١٦	٠٧٧ر	٣٧
العصابية لجيلفورد	٦ ـ ٨	١٩٧ر	٤٠	٨ ـ ١٠	ـ١٥٩ر	٤٢
	١ ـ ٥	ـ٠١٢ر	٢٢	١ ـ ٧	ـ١٥١ر	٢٩
الانطواء لبرنرويتر	١٢ـ٢٤	٦٥١ر*	٣٩	١٣ـ٢٤	٧٠٤ر*	٤٦
العصابية لبرنرويتر	٩ ـ ١١	٣٠١ر	٣٣	١٠ـ١٢	١٩٤ر	٢٢
	١ ـ ٨	٥٦٨ر*	٤١	١ ـ ٩	٦٧٩ر*	٤٠

* دال عند مستوى أقل من ٠٠٥ر٠

الجدول رقم (٥)

يوضح الارتباط بين مستويات درجات الانبساط وبين ما يقابلها من درجات العصابية عند الذكور والاناث

الاختبارات	ذكور			اناث		
	مستوى الانبساط	الارتباط	ن	مستوى الانبساط	الارتباط	ن
الانبساط لايزنك	١٣ـ٢٤	٠٤٢ر	٤٤	١٣ـ٢٤	١٢٦ر	٣٥
العصابية لايزنك	١٠ـ١٢	ـ١٧٥ر	٣٨	١٠ـ١٢	٠٢٧ر	٣٦
	١ ـ٩	ـ٣١٣ر	٢١	١ ـ٩	ـ١١٨ر	٣٧
الانبساط لجيلفورد	٥ ـ٧	ـ١٢٥ر	٣٠	٥ ـ٧	٠١٤ر	١٧
	٣ ـ٤	٠١٩ر	٤٠	٣ ـ٤	٢٣٧ر	٤٦
العصابية لجيلفورد	١ ـ٢	٠٥٧ر	٣٣	١ ـ٢	ـ٣٥٩ر*	٤٥
الانطواءلبرنرويتر	١٠ـ٢٠	٦٨١ر**	٤٢	١٢ـ٢٠	٧١٠ر*	٤٣
العصابيةلبرنرويتر	٧ ـ٩	١٠٦ر	٢٦	٩ ـ١١	٤٤٩ر	٢٤
	١ ـ٦	٤٧٣ر**	٣٥	١ ـ٨	٥٣١ر*	٤١

* دال عند مستوى أقل من ٠١ر٠

** دال عند مستوى أقل من ٠٠٥ر٠

ونخرج من هذه النتائج بالملاحظات التالية :

١ ـ ان معظم معاملات الارتباط فى اختبار ايزنك وجيلفورد (١٤ من ٢٤) ارتفعت عما كانت عليه فى نتائج الجزء الأول من هذا البحث (الجدول رقم ٣) وهذا يعنى ـ على الرغم من انها غير دالة ـ ابتعاد الارتباط بين الانبساط ، والعصابية عن الصفر كما افترض ايزنك ٠

٢ ـ ظهور معامل ارتباط دال بين البعدين فى أحد المستويات باختبار ايزنك وآخر باختبار جيلفورد ، وهذا لم يظهر فى الارتباط بين البعدين قبل تقسيم درجات الاختبارات الى مستويات مختلفة ٠

كما أن ظهور الارتباطات الدالة ـ وان كانت قليلة العدد ـ يدعم الفرض الذى توصل اليه الباحث ، ويتعارض مع فرض ايزنك الخاص بتعامد البعدين .

٣ ـ بالنسبة لاختبار برنرويتر ، فعلى الرغم من تماثل معظم بنوده في اختبارى الانطواء والعصابية فاننا نجد في بعض المستويات سواء في العصابية أو الانبساط ارتباطات غير دالة .

مع أن الارتباط بين البعدين قبل التقسيم كان دالا . وهذه النتيجة تتفق مع الفرض الذى قدم فى البحث الحالى .

بناء على ما سبق يمكن القول بوجود بعض الدلائل على إمكانية تحقيق الفرض الذى قدم فى هذه الدراسة ، وامكانية التحقق منه فى دراسات تالية وعلى عينات أخرى سواء من الاسوياء أو العصابيين .

المـــراجع

— تركى ، مصطفى أحمد. (١٩٧٤) الرعاية الوالدية وعلاقتها بشخصية الابناء . القاهرة : دار النهضة العربية .

— Carrigan, Patricia (1960): Extraversion — Introversion as a dimension of Personality: A reappraisal. Psychological Bulletin. 57, 329-360.

— Cohen, D. (1974): Extraversion and Performance: a test of the theory of cortical inhibition. Journal of Abnormal Psychology. 83, 304-307.

— Eysenck, H.J. (1970a): The structure of human Personality. London: Methuen.

— Eysenck, S.B. & Eysenck, H.J. (1963): The Validity of questionnair and rating assessment of extraversion and neuroticism and their factorial stability. British Journal of Psychology, 54, 51-62.

— Eysenck, H.J. & Eysenck, S.B. (1967): On the Unitary nature of extraversion. Acta Psychological, 26, 383-390.

— Eysenck, H.J. ed. (1970b): Readings in extraversion-introversion. (3 vols). London: Staples.

— Eysenck, H.J. (1973): Eysenck on Extraversion London: Staples.

— Farley, F.H. (1967): On the independence of extraversion and neuroticism. Journal of Clinical Psychology, 23, 154-156.

— Gibson, H.B. (1974): The two faces of extraversion: A study attempting validation. British Journal of social and clinical Psychology 13, 91-92.

— Guilford, J.P. (1934): Introversion-Extraversion. Psychological Bulletin. 31, 331-354.

— Lynn, R. & Gordon, I. (1961): The relation of neuraticism and extraversion to intelligence and educational attainment. British Journal of educational Psychology. 31, 194-203.

— McGuire, R.J. et al. (1963): The Maudsley Personality inventory used with psychiatric inpatients. British Journal of Psychology. 54, 157-166.

— Paykel, E.S. & Prusoff, B. (1973): A relationships between personality dimensions: Neuroticism and extraversion against obsessive, hysterical and Oral Personality. British Journal of social and clinical Psychology. 12, 309-318.

— Spence, K. & Spence, J. (1964): Relation of eyelid conditioning to manifest anxiety, extraversion and rigidity. Journal of Abnormal and Social Psychology. 68, 144-149.

— Super, D. (1942) : The Bernreuter Personality Inventory : Review of research. Psychological Bulletin. 39, 94-125.

دور التكنولوجيا فى التنمية الريفية

اعـــداد
دكتورة هدى مجاهد* دكتورة نهى حامد فهمى**
الأستاذ على ليلة***

أولا - التنمية الريفية - بعض الحقائق والاعتبارات الأساسية :

كان لنشأة الثورة العلمية والتكنولوجية فى قلب العالم المتقدم آثرها الواضح فى تميزه من ناحية وفى انقسام العالم الى مجموعتين : مجموعة الدول المتقدمة التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالعلم والتكنولوجيا ، ومجموعة الدول المتخلفة التى عانت طويلا من سيطرة واستغلال العالم المتقدم والتى ما زالت تعتمد على الزراعة كنمط انتاجى •

وبناء على ذلك فان على الدول المتخلفة اذا ما أرادت أن تلحق بركب التقدم والتحضر وأن تلغى سمة التخلف التى تميزها حتى الآن ، ان تحقق أمرين غاية فى الأهمية :

١ - أن تتخلص من الظاهرة الاستعمارية وهو ما حدث فعلا فى النصف الثانى من القرن العشرين •

٢ - أن تستخدم التطور العلمى والتكنولوجيا فى تطوير بنائها الإنتاجى، وذلك باستخدام العلم والتكنولوجيا فى تطوير الزراعة •

ولتحقيق هذا الهدف عقدت كثير من المؤتمرات العلمية والأبحاث والدراسات ، وكانت قضيتها الأساسية المطروحة هى : كيف يساعد العالم المتقدم على تنمية العالم المتخلف ؟

(*) رئيس وحدة بحوث الريف بالمركز القومى للبحوث •
(**) رئيس وحدة بحوث الحضر بالمركز القومى للبحوث •
(***) باحث بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية •

وقبل مناقشة هذه القضية يتطلب الأمـر منـا الاهتمـام بمسألتين أساسيتين :

المسألة الأولى :

تحديد الحقائق الأساسية التي تسود واقع المجتمعات المتخلفة والتي يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند اختيار التكنولوجيا الملائمة للتنمية ، ومن هـذه الحقائق ما يلي :

١ ـ أن الزراعة نمط الانتاج الرئيسي لهذه المجتمعات حيث أن نسبة سكانها الـذين يعملون بالزراعـة تتراوح ما بين ٥٠ الى ٨٠٪من جملة سكانها ٠

٢ ـ ان هذه المجتمعات تعاني من البطالة وكثافة العمالة ٠

٣ ـ أن هذه المجتمعات تعاني من انخفاض مستوى التعليم وارتفاع نسبة الأمية ٠

٤ ـ أن معظم هذه المجتمعات تفتقر الى رؤوس الأموال اللازمة لاقامة المشاريع الانتاجية ٠

٥ ـ أن معظم هذه المجتمعات تعاني من جهاز متخلف للثقافة والقيم ومن الضروري تطويره ٠

٦ ـ أن نمط توزيع الملكية في معظمها مفتت بحيث يحتاج الى تكنولوجيا خاصة ملائمة ٠

٧ ـ أن معظم هذه المجتمعات يفتقر الى الكوادر الفنية والادارية الملائمة٠

المسألة الثانية :

وتتعلق بمجموعة الاعتبارات التي يجب أن نأخذها في الاعتبار لتبني التكنولوجيا الملائمة لتطوير الحياة الريفية ٠ ونذكر بعضها فيما يلي :

١ ـ أن تنمية المجتمعات ذات الطبيعة الزراعية في بنائها الانتاجي يجب أن تتم في اطار القطاعات الريفية ، لأن تحديثها هو تحديث لقطاع كبير من

بناء المجتمع واكساب سكانه ملامح العقلانية والمعاصرة(١) .

٢ - أن يحدث تكامل بين تنمية القطاعات الريفية فى المجتمع وتنمية القطاعات الحضرية التى عادة ما تكون التنمية الصناعية فيهـــا ، وذلك حتى لا تنشأ ظاهرة البناءات المزدوجة(٢)، حيث يصبح كل منها معوقا وظيفيا للقطاع الآخر مما يؤثر على التنمية الشاملة للمجتمع .

٣ - أن يستفاد من خبرة المجتمعات المتقدمة فى تجنب بعض المشاكل التى تواجهها التكنولوجيا الآن ، كتجنب مشاكل فاقد المواد الأولية المستخدمة فى الصناعة ، وحماية البيئة من أخطار التلوث . كذا المحافظة على خصائص الجماعية السائدة فى المجتمعات الريفية والتى افتقدتها المجتمعات التى قطعت شوطا فى الأخذ بالتكنولوجيا والتصنيع حيث تسودها الفردية .

٤ - أن يتخلى البحث العلمى فى البلاد المتخلفة عن حالة الاغتراب العقلى التى يعيشها والتى تظهر ملامحها فى التوجه نحو الطابع الغربى فى الصناعة أو عدم تناولهم لمشاكل حياتهم وصناعاتهم بالدراسة والبحث . ومن ثم عليهم معايشة واقعهم عن طريق انتقاء المستوى التكنولوجى الملائم للحاجات المحلية ثم العمل على اجراء التطويرات التكنولوجية وفقا لأحـــدث مبـــادىء العلم النظرى(٣) .

---

(1) Wharton, Clifton, R.: Modeénizing subsistance Agriculture in Mayron Weiner: Modernization, the dynamic of Growth. Basic Books, Inc. Publishers, New York, London, 1960, p. 260.

(2) Schumacher, E.F.: Industrialization through intermediate technology, in Roland Robinson (editor): developing the third world: The experience of the Nineteen-Sixteen, Cambridge University Press, 1971, p. 80.

(3) Sahasti, Francisco, R.: Underdeveloped, Science & Technology. The new point of the underdeveloped countries in: Eugene-Rabinowitch & Victor Robinowitch: Views of science, Technology and Development. Pergamon Press, Oxford, 1975, pp. 47-48.

ثانيا ــ التكنولوجيا والتنمية الريفية ــ بعض الاستراتيجيات المقترحة :

استقرت مناقشات الباحثين وبحوثهم على الاتفاق حول ضرورة الأخذ بالتكنولوجيا كنمط انتاجى متقدم لتطوير حياة العالم الثالث المتخلفة . بيد أنهم وأن اتفقوا على ذلك ، اختلفوا حول طبيعة التكنولوجيا التى يمكن تبنيها لتطوير الحياة المتخلفة .

ولذلك فان الأمر يستوجب ضرورة توضيح نقطتين أساسيتين :

١ ــ ما هى التكنولوجيا ؟

٢ ــ ما هى استراتيجيات التنمية التكنولوجية ؟

١ ــ ما هى التكنولوجيا :

يقصد بالتكنولوجيا التطبيق العملى لمبادىء العلم النظرية . وبذلك فان التحديث التكنولوجى أو التنمية التكنولوجية تتحقق من خلال آليات جديدة وطرق جديدة فى الانتاج . وأن التقدم التكنولوجى يشير الى قدرة المجتمع على تأسيس ونشر المعرفة العلمية والتكنولوجية والاستفادة منها فى العمليات الاجتماعية والانتاجية(١) .

وعلى ذلك فان العناصر الأساسية للتكنولوجيا كنظام هى الاستفادة من المبادىء العلمية واستغلالها فى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية لتطوير الانسان والبيئة المحيطة به .

ومن ثم فان استخدام التكنولوجيا فى مجال التنمية الريفية يمكن أن يتخذ عدة أشكال من أهمها :

أ ــ اتخاذ التكنولوجيا شكل ترشيد الحياة الزراعية كتنظيم المساحات الزراعية ، اختيار النمط المحصولى الملائم ، أو استخدام المخصبات الصناعية لزيادة المعدلات المحصولية .

ب ــ اتخاذ التكنولوجيا شكل الميكنة الزراعية أى ممارسة الزراعة بالاعتماد على آليات تكنولوجية معينة .

---

(1) Sagasti, Francisco, R. : Op. cit. p. 41.

جـ - اتخاذ التكنولوجيا شكل التصنيع الريفى أو الزراعى حيث تؤسس بعض الصناعات التى تستفيد من الخامات المحلية أو الأيدى العاملة المتوفرة ، أو التى يؤدى انتاجها الى توفير الخدمة الآلية للمحليات الريفية المحيطة .

ومعنى ذلك أن استخدام التكنولوجيا فى تنمية الحيـــاة الريفيـــة هو الاستناد الى مبادىء العلم فى ممارسة ترشيد الحياة الريفية كترشيد الزراعة وتقنيتها آليا ، أو تأسيس الصناعات الزراعية التى تساعد على تطوير الحياة الريفية والارتقاء بها بشكل عام .

٢ - استراتيجيات التنمية التكنولوجية :

لتحقيق تنمية ريفية فعالة باستخدام التكنولوجيا كعنصر تطـــوير ، وجدت مجموعة من الاستراتيجيات تعبر كل منها عن وجهة نظر متكاملة فى شكل ومضمون استخدام التكنولوجيا فى التنمية الريفية .

أ - الاستراتيجية الأولى :

هى تبنى التكنولوجيا الحديثة فى التنمية الريفية . وهذه الاستراتيجية تؤكد أهمية الاستفادة من منجزات التقدم العلمى فى تطويره العالم الثالث . ومن ثم فهى توصى بضرورة اتجاه الدول النامية نحو مشاركة الدول المتقدمة فى تبنى أحدث المستويات التكنولوجية المتاحة . فاذا أحسن استخدام هذه التكنولوجيا الحديثة فانه يكون من السهل عليها المشاركة فى تطوير تكنيكات أكثر حداثة .

هذا فضلا عن أن استيراد التكنولوجيا الحديثة سوف يكون له تأثيره السيكولوجى ، اذ سيعتبر رمزا لنظام جديد انتصر الشعب فى اطاره على روتينية التكنولوجيا التى عاش فى ظلها طويلا(١) .

وتؤكد هذه الاستراتيجية أن تبنى التكنولوجيا الحديثة سوف يتيح للعالم المتخلف الاستفادة من خبرة العالم المتقدم فى معالجة مشاكل التلوث واستنزاف الموارد الطبيعية التى يعلنها العالم المتقدم الآن . هذا بالاضافة الى أن تبنى التكنولوجيا الحديثة سوف يفتح القنوات مع العالم المتقدم مع ما

---

(1) Schumacher, E.F.: Op. cit. p. 87.

ينساب خلالها من الخبرة والمشورة والمعرفة • ويترتب على ذلك أن البـــلاد المتخلفة سوف تجد نفسها تشارك فى التقدم دون التعرض لكثير من متاعبه • وقد تعتمد فى مرحلة ما على استيراد التكنولوجيا الا أنها بعد فترة سوف تحقق استقلالا تكنولوجيا ذاتيا عن طريق تطوير تكنولوجيتها التى تعكس هويتها الخاصة •

غير أن هذه الاستراتيجية قد تعرضت لبعض المآخذ التى تجعلها غير مناسبة لظروف المجتمعات المتخلفة ومن أهم ما وجه اليها ما يلى :

١ ـ ان التكنولوجيا الحديثة فى العـالم المتقدم تعتمد أساسا عـلى استغلال رؤوس الأموال ، وذلك لأنها تعانى من نقص الأيدى العـاملة ، بينما المشكلة التى تواجه البلاد النامية هى نقص رؤوس الأموال فى مواجهة البطالة الكبيرة التى تعانى منها هذه البـــلاد وخاصـــة قطاعاتها الزراعية • ومن ثم فسوف يؤدى اســتيراد التكنولوجيــا الحــديثة الى تعميـــق مشاكل هذه البلاد ، فسوف تزداد البطالة وتصبح الحاجة أكثر الحاحا لرأس المال ، وقد تشكل هذه المشاكل عوامل ضاغطة تعوق التنمية فى القطاعات الأخرى(١) •

٢ ـ ان التكنولوجيا الحديثة سوف تؤدى الى ظاهرة البناءات المزدوجة وهى ظاهرة مرضية بدأت تظهر بشكل واســع فى المجتمعات النــامية • فالتكنولوجيا الحديثة عادة ما تتخذ طابع المؤسسات الكبيرة ذات الانتــاج الوافر ، هذا بالاضافة الى حاجتها الى أيد عامـــلة ماهرة ومدربة • ومن ثم تصبح السياقات الحضرية أكثر ملاءمة لقيامها • ونتيجة لذلك تصبح بعيدة عن المادة الخام ، وفى ذلك تكلفة ثم هى تؤدى الى هجرة البطالة الريفية الى المدينة حيث يصبح الحضر صناعيا والريف بدائيا • وتعوق الهجرة الريفية عملية التنمية الحضرية ذاتها بتوجيه استثماراتها الى مشروعات خـــدمية أساسا(٢) •

---

(1) Schumacher, E.F.: Op. cit. pp. 85-86 and see also Wellisz, S.H.: Op. cit. p. 238.

(2) Wellisz, Stanislaw, H.: The Modernization of Technology in : Mayron Weiner (editor) Modernization, the dynamic of Growth. Basic Books Inc. Publishers, New York, London, 1966, p. 237.

٣ - إن التكنولوجيا الحديثة تحتاج الى بناء خدمات تفتقده البلاد المتخلفة أساسا ، وتحتاج أيضا الى جهاز ادارى محلى على مستوى عال من التأهيل ليس متوافرا ٠

٤ - يهدد تبنى التكنولوجيا الحديثة بافقاد الاستقلال القومى لمحتواه الجوهرى ؛ ذلك لأن البلاد النامية تصبح فى هذه الحالة معتمدة على العالم الخارجى فى طلب التكنولوجيا والخبرة ورأس المال ، يقابلها سيطرة تكنولوجية واقتصادية واجتماعية يمارسها العالم الخارجى المتقدم ٠

ويؤكد كل من Amilcar Herrera وفرانسيسكو ساجاستى F.R. Sagasti والبرتوسانشز Alberto Sanchez Crespo. أن الحاح البلاد المتخلفة فى طلب التكنولوجيا الحديثة من العالم المتقدم جعل سيطرة الأخير على الأول هو الشكل الشائع فى القرن العشرين(١) ٠

ب - الاستراتيجية الثانية :

وتقوم على التبنى التدريجى للتكنولوجيا المتقدمة والتى تعتمد أساسا على افتراضات مشتقة من الفكر التطورى ٠ وتؤكد هذه الاستراتيجية أنه ما دامت البلاد المتقدمة قد عاشت نفس ظروف البلاد المتخلفة فى فترة سابقة فى تطورها ، حيث كانت تعانى من عدم توافر المهارات اللازمة ، وحيث كانت تكاليف التكنولوجيا مرتفعة ، وحيث بطالة الأيدى العاملة غير الماهرة ٠

وبناء عليه فاذا تماثلت ظروف البلاد النامية الآن مع ظروف البلاد المتقدمة فى مرحلة سابقة فان عليها أن تستعير تكنولوجيا هذه المرحلة وبذلك تحصل البلاد النامية على التكنولوجيا الملائمة لظروفها ، فتتجنب اعادة تأسيس المكتشفات التكنولوجية ، لأن هذه التكنولوجيا موجودة فعلا وليس على البلاد النامية الا نقلها فى زمنها المناسب فقط(٢) ٠

وقد تعرضت هذه الاستراتيجية كذلك لبعض الانتقادات التى تجعل الأخذ بها كاستراتيجية لتنمية الدول المتخلفة غير مناسبة ، ولعل أهم المآخذ التى وجهت اليها هى :

---

(1) Sagasti, F.R. : Op. cit. p. 45.
(2) Weillisz, S.H. : Op. cit. p. 236.

١ ـ أن الصناعات التي كانت لها أهميتها في مرحلة ما من مراحل التطور التكنولوجي أصبحت غير ذات قيمة في الوقت الحالي • وذلك بسبب احلال مضمونات صناعية أخرى محلها ، فمثلا البترول قد حل مكان الفحم وحلت الألياف الصناعية محل الألياف الطبيعية •

٢ ـ أن تكاليف التكنولوجيا القديمة قد تكون أكثر انخفاضا بالنسبة لكل وحدة عمل عن تكاليفها بالنسبة للتكنولوجيا الحديثة ، الا أنها تصبح أكثر ارتفاعا اذا كان المقياس هو تكاليف الوحدة الانتاجية •

٣ ـ أن القول بأن التكنولوجيا القديمة أكثر بساطة من التكنولوجيا الحديثة ليس له صدقة المطلق • ذلك لأن التدريب على الآلات الحديثة عادة ما يكون أكثر سهولة •

٤ ـ ان استعارة التكنولوجيا القديمة سوف تكون من المجتمعات المتقدمة التي لم تعد تصنع التكنولوجيا الآن • هذا فضلا عن انقراض الخبراء القادرين على تشغيلها والتدريب عليها • بالاضافة الى أنها سوف تنتج سلعا بمواصفات قديمة وامتيازات أقل • ومن ثم فسوف تنخفض قدرة البلاد النامية على منافسة السلع المنتجة من خلال تكنولوجيا حديثة وتحرم هذه البلاد من مزايا التقدم التكنولوجي وتقسيم العمل العالمي(١) •

٥ ـ ان هذه الاستراتيجية وان كانت تتناقض مع الاستراتيجية الأولى الا أنها تشاركها معظم شرورها • فهي استراتيجية ذات ايديولوجية استعمارية تهدف الى الابقاء على تخلف المتخلفين واضعاف قدراتهم النفسية وحرمانهم من الاستفادة من منجزات التطور العلمي والتكنولوجي التي أصبحت ملكية عالمية شائعة •

ج ـ الاستراتيجية الثالثة :

وهي استراتيجية التكنولوجيا الوسيطة والتي تستند على ثلاث مسلمات اساسية هي :

١ ـ ان البلاد المتخلفة لها طبيعتها الخاصة ومشاكلها وبناؤها المتميزة •

---

(1) Weillisz, Loid : p. 240.

ومن ثم فتكنولوجيا البلاد المتقدمة قد لا تكون ملائمة ، وان التكنولوجيا القديمة يكون فيها عودة للتخلف من جديد •

٢ - ان البلاد المتخلفة اذا كانت لها خصوصيتها من حيث ظواهرها البنائية ، فانه يكون من حقها الاستفادة من المعرفة العلمية العالمية وانتقاء التكنولوجيا التى تستند الى أحدث مبادىء المعرفة العلمية والتى تتناسب مع طبيعة الظواهر المحلية • وهذا يعنى أهمية الاستفادة من التقدم العلمى لحل مشاكل التخلف •

٣ - ان عملية تنمية البلاد النامية تهدف الى تأكيد الاستقلال الاقتصادى، وان هذا الهدف يتحقق من خلال ادراك المجالات الأساسية للاستثمار الاقتصادى حسب طبيعة البناء • فاذا كانت الزراعة غالبة فان الاستثمار التكنولوجى في مجال الزراعة يجب أن تكون له الأولوية ، مع أهمية مراعاة خصوصية المحلية من حيث المشاكل والظواهر ، ثم اقتراح الحلول التى تتشكل وفقا لمبادىء علمية حديثة وشاملة وتهدف الى سد حاجات محلية معينة والتكامل معها بنائيا •

واستنادا الى المسلمات الثلاث السابقة يحدد شوماشير طبيعة التكنولوجيا الوسيطة بأنها أكثر تفوقا من الناحية الانتاجية عن التكنولوجيا التقليدية كما هى سائدة فى البلاد المتخلفة ، بينما هى أكثر رخصا وبساطة من تكنولوجيا الغرب المعقدة التى تحتاج الى رؤوس أموال كبيرة • ويؤكد أن تأسيس التكنولوجيا الوسيطة يتم عن طريق الاستعانة بالعلم المتقدم لتأسيس آليات قادرة على التعامل مع المشاكل المحلية • ويذهب الى أن هذه الاستراتيجية هى فقط القادرة على تأكيد الاستقلال الاقتصادى للبلاد النامية والحفاظ على تماسكها الاجتماعى عن طريق القضاء على احتمالية تخلق ظاهرة البناءات المزدوجة • نظرا لأنها تتعامل مع أهم ظواهر هذه البلاد وهى البطالة والهجرة(١) •

بيد أن السؤال الرئيسى الذى يفرض نفسه هو : كيف يمكن بناء التكنولوجيا الوسيطة ؟ هل يكون ذلك عن طريق التكنولوجيا التقليدية أو تخفيض التكنولوجيا الغربية الحديثة ؟ الاجابة ان كلا المدخلين قد يكون

---

(1) Schumacher, E.F.: Op. cit. p. 92.

صالحا ، الا أن المدخل الرئيسى يكون من خلال تصميم أو انتقاء تكنولوجيا ملائمة للمحلية تستفيد من المبادىء العلمية الحديثة(١) ٠

وتكون قادرة على التعامل مع مشاكل وظواهر القطاعات الريفية في المجتمعات النامية ٠ ويؤكد ذلك أن التكنولوجيا الوسيطة سوف لا تحتاج الى مهارات عالية وسوف تكون قادرة على استغلال الخامات المحلية بشرية كانت أم طبيعية ٠

ويذهب ستانسلو ويلز **Stanislaw H. Wellisz** الى أن نمط هذه الاستراتيجية يمكن أن يتخذ كأساس فى انشاء صناعات صغيرة تنتشر فى قاع المجتمع على اتساع خريطته ، ثم يصاغ تعاون بينهما حتى يتم تأسيس قاعدة تكنولوجية فى الريف ترتبط مع تكنولوجيا الحضر الكبيرة والمتقدمة ومن ثم يدعم كل منهما الآخر ٠ ففى تجربة اليابان يؤكد أهمية الصناعات الصغيرة والدور الذى لعبته في تنميتها وعلاقته بالعمالة ، اذ أن نصف القوى العاملة فى اليابان بعد عام ١٩٥٦ كانت تعمل فى مشروعات صغيرة كل منها أقل من ٣٠ عاملا ٠ وهذا النمط المزدوج للنمو الصناعى قد مكـــن اليابان من التوسع في المهن غير الزراعية ، اذ أن كثيرا من المنتجات التقليدية والأدوات المستخدمة فى الزراعة كانت تصنعها مصانع صغيرة مع وجود علاقة تعاقدية بين المشروعات الواسعة المدى والمصانع الصغيرة والصناعات المنزلية ، مما كان له أكبر الأثر فى تسهيل هذا النمط فى التنمية اليابانية(٢) ٠

وبانتهاء عرض ومناقشة الاستراتيجيات التكنولوجية الثلاث التى يمكن للدول النامية الاعتماد عليها فى التحديث والتنمية نجد أن الاستراتيجيـــة الثالثة التى تقوم على أساس التكنولوجية الوسيطة تعتبر أكثر الاستراتيجيات ملاءمة لظروف هذه الدول ٠ حيث أن الاستراتيجية تتميز بخاصية هـــامة وأساسية وهى قيامها على عنصر الانتقاء والاختيار للعناصر التكنولوجية التى تتفق والطرق العلمية الحديثة من ناحية وواقع الدول النامية من ناحيـــة أخرى ٠

---

(1) Ibid. p. 93.

(2) Hunter, Guy : Modernizing Peasant Societies : A Comparative Study in Asia and Africa, Oxforr University Press, London, 1969.

ثالثا ـ تكنولوجيا الميكنة الزراعية والتصنيع كأساليب للتنمية الريفية :

سنحاول فى هذا القسم أن نناقش أسلوبين من الأساليب التكنولوجية فى مجال التنمية الريفية والتى كثيرا ما تلجأ اليهما بعض الدول النامية وتعتمد عليهما فى استراتيجيتها • وهذان الأسلوبان هما أسلوب الميكنة الزراعية وأسلوب التصنيع الزراعى •

١ ـ ذهبت كثير من مجتمعات الدول النامية الى استخدام الآليات الزراعية التكنولوجية فى الزراعة واستعاضت بها عن العمليات اليدوية الزراعية على أساس أن العائد الانتاجى من وراء استخدام هذه التكنولوجيا يحقق ارتفاعا متزايدا فى الاقتصاد الزراعى ومن ثم ارتفاع مستويات الدخول وتحقيق الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية للفلاح بصفة عامة وللقطاعات الريفية بصفة خاصة •

٢ ـ وقد أثبتت تجارب كثير من الدول النامية التى لجأت الى اختيار هذا الأسلوب (الميكنة) فى التنمية نجاحا متفاوتا فى الدرجة ، ففى الوقت الذى كانت له نتائج فائقة فى بعض الدول ، فشل فشلا ذريعا فى بعضها الآخر •

ولذلك كانت مناقشة الآثار المختلفة المصاحبة لهذه العملية هامة وحيوية قبل اتخاذ القرار باتخاذها كتكنولوجيا وسيطة •

٣ ـ رغم أن معظم مجتمعات الدول النامية تتسم بخصائص وسمات مشتركة ، الا أن وجود اختلاف بين واقع كل منهما من حيث كثافته السكانية والرقع الزراعية الصالحة للاستثمار يكسب هذه الاختلافات دلالات خاصة تحتم ادراكها بوعى عند اختيار هذه المجتمعات لتكنولوجياتها الوسيطة •

وعلى ذلك فان المجتمعات النامية قبل شروعها فى الأخذ بأسلوب الميكنة الزراعية وتقريره ضمن سياستها للتنمية ، عليها أن تناقش عدة اعتبارات هامة وحيوية ومكملة لبعضها البعض ، وهذه الاعتبارات يمكن ايضاحها فى النقاط التالية :

أ ـ ان الاعتماد على الآلة الزراعية أو الميكنة بصفة عامة معناه احلال الآلة محل الأيدى العاملة البشرية ، وان كانت هناك بعض العمليات الزراعية

ما زالت تعتمد على العمل اليدوى من الدرجة الأولى ، وهذا يتطلب ادراك هذه الحقيقة على مستوى المحليات من حيث نوعية المحاصيل التى ستزرع وتحديد المناطق التي تختص بالزراعات التى لا تستغنى عن العمل اليدوى واتخاذ ذلك فى الاعتبار عند التخطيط ٠

ب ـ ان الاعتماد على الآلة سوف يؤدى الى زيادة الفائض فى الأيدى العاملة وبالتالى الى زيادة حجم بطالة القوى العاملة الزراعية ، مما سيترتب عليه هجرة مستمرة لهذه القوى من الريف الى الحضر سعيا وراء العمل ٠

وهذه الحقيقة كذلك لا يجب اغفالها من حيث ما يترتب عليها من احداث معوقات اجتماعية واقتصادية فى المدن الحضرية التى ينزح اليها هؤلاء المهاجرون وما تفرضه من ضغوط مختلفة تعوق عمليات التنمية وتزيد من مشاكل الحضر ٠

ج ـ ان الاعتماد على الآلة يحتاج الى اعادة صياغة فى نوعية العلاقات الاجتماعية والاقتصادية التى تسود مجتمع القرية هذا فضلا عما تتطلبه من وجود تنظيمات زراعية ومؤسسات وهيئات تتمشى مع هذا المتغير المستقل الذى أدخل على مجتمع القرية ٠

د ـ ان الاعتماد على الآلة سيحتاج الى اعادة تكيف على مستوى كل من الأفراد والمؤسسات العاملة فى القرية ، فعلى مستوى الفرد عليه أن يتواءم مع المتغيرات الجديدة ويتكيف معها والاستجابة لها ، ويختلف المدى الذى تتطلبه عملية التوافق والتكيف قصرا أو طولا وفقا لمجموعة القيم والعادات والتقاليد وعوامل الرفض والتحبيذ التى تحكم القرية بأسرها ، هذا فضلا عن مدى وعى الأفراد واتجاهاتهم ومستويات تعليمهم وما اليها من المتغيرات الاجتماعية المؤثرة ٠

أما بالنسبة للمؤسسات العاملة فى القرية فهى تتطلب أيضا اعادة صياغة فى ضوء تعاملها مع الميكنة من حيث ما تتطلبه من عمليات تدريب وادارة وتسويق وارتباط كل هذه العمليات بالجوانب الادارية والتنظيمية ٠

هـ ـ ان الاعتماد على الآلة يحتاج الى ملكيات ذات أحجام كبيرة حتى يتحقق العائد الاقتصادى المنشود من وراء استخدامها والاستعاضة بها عن الأيدى العاملة ، وبالتالى يكون توظيفها توظيفا مثاليا والا كان ادخال الميكنة كأسلوب للتنمية معوقا لها فى حد ذاته ٠

٤ ــ وهذا يقودنا الى أن الميكنة كأسلوب للتنمية ليست دائما الفيصل فى التنمية الزراعية لاختلاف ظروف المجتمعات الريفية فى الدول النامية من حيث نسق الحيازة وحجم الملكيات وكثافة السكان والأيدى العاملة ، ومعنى ذلك أن الميكنة كتكنولوجيا وسيطة قد يترتب على الأخذ بها مساوىء كثيرة ، ففى كثير من الأحيان تكون انتاجية الفدان عالية وكثيفة فى الملكية الصغيرة عنها فى الملكيات الكبيرة المعتمدة على الميكنة •

ولكن ليست هذه النتيجة مطلقة بالنسبة لظروف المجتمعات الريفية بأسرها وانما الأمر يختلف بالطبع حيث أن التنمية الزراعية يجب أن تقوم على أساس حل معادلة هامة وهى الموازنة بين مجالات ثلاثة هى : الزراعــة والصناعة والتجارة • وأن تحديد وزن كل متغير من هذه المتغيرات يعتمد فى المحل الأول على وجود تخطيط شامل يراعى الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية المختلفة للمحليات القروية المكونة للقطاع الريفى ككل فى ضوء علاقته بالقطاع الحضرى •

٥ ــ ناقشنا الميكنة كأسلوب للتنمية وسنحاول القاء الضوء على التصنيع الزراعى كأسلوب للتنمية الريفية من حيث الآثار الاجتماعية والاقتصــادية المترتبة على الأخذ به •

٦ ــ حاول Peter Keldy (١) فى دراسة له عن التفاعل المتبادل بين التنمية الزراعية والتصنيع أو غيره من القطاعات غير الزراعية أن يصوغ العوامل المساعدة على فهم التنمية الاجتماعية والاقتصادية والتحولات البنائية فى بعض الدول النامية • وقد صاغها فى العاملين الآتيين :

أ ــ **العامل الأول** الذى يساعد على فهم التحول البنائى هو أهمية ادراك حالة التخلف الذى يكون عليه المجتمع القروى • وادراك هذه الحقيقة سيؤدى الى ادراك وجود مجموعات من المعارف التكنولوجية المتوافرة والتى يمكــن استغلالها والانتقاء من بينها •

ب ــ **العامل الثانى** : هو ادراك أهمية الاعتماد المتبادل بين قطاع الزراعة

---

(1) Hunter Guy & Bottral, A. Bunting : Policy and Practice in Rural Development, Croom Helm, London, 1976, p. 308.

وغيره من القطاعات الأخرى غير الزراعية لامتصاص القوى العاملة غير الموظفة توظيفا فعليا فى الزراعة واستغلالها فى مجالات أخرى ٠

٧ - والتصنيع الزراعى يعتبر أحد المجالات الحيوية التى يمكن الاعتماد عليها لتشكل مع المجال الزراعى وحدة متكاملة ٠ وقد لجأت كثير من الدول النامية الى أسلوب التصنيع الريفى بصفة عامة والتصنيع الزراعى بصفة خاصة لتنمية قطاعاتها الريفية ٠

وكما سبق القول بالنسبة للميكنة فى أن بعض الدول قد حققت نجاحا فى الأخذ به ، ولم تحقق الأخرى هذا النجاح ، نجـــد أن الوضع بالنسبة للتصنيع قد أدى الى احداث تغيير فعلى فى بعض القطاعات الريفية التى راعت كثيرا من متطلباته وشروطه أى أن الدول التى خططت واستفادت من تجارب الدول التى سبقتها فى هذا المجال قد وصلت الى النتائج المطلوبة بينما الأخذ بالتصنيع كأسلوب للتنمية دون مناقشة آثاره بالنسبة لظروف المحليات قد يؤدى الى سلبيات غير مطلوبة ٠

٨ - من المعروف أن التصنيع عندما يدخل الى أى مجتمع من المجتمعات يؤدى الى احداث تغييرات كثيرة فى البناء الاجتماعى لهذا المجتمع ، ويتبع التغيرات البنائية تغيرات أخرى وظيفية ٠ وتختلف التغيرات التى تحدث نتيجة للأخذ بالتصنيع وفقا لعدة أمور أهمها :

أ - حجم التصنيع : من حيث كـــونه تصنيعا بسيطا أو متوسطا أو ثقيلا ٠

ب - التدرج فى التصنيع ٠

جـ - الاستعداد النفسى لتقبل التصنيع ٠

ويختلف الوضع باختلاف طبيعة البناء الاجتماعى لكل من المجتمـــع الريفى والحضرى واختلاف طبيعة وخصائص السكان فى كل من القطاعين ٠

٩ - ان التصنيع الريفى والزراعى يتناسب مـــع ظروف المجتمعـــات الريفية التى تعانى من فائض فى العمالة الزراعية حيث انه يمتص هـــذا الفائض من ناحية ، ومن ناحية أخرى يفتح مجالا جديدا للعمالة النسائية ٠ وبذلك فانه يتيح الفرصة لتوظيف القوى العاملة غير المستغلة ويدمج المرأة فى مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية التى تتطلب مساهمة ايجابية من كل أفرادها ٠

١٠ - ان التصنيع الريفي والزراعي سوف يؤدي الى انفصال بين مكان الاقامة ومكان العمل ، وان هذا الانفصال سوف يؤدي الى تغيرات أخرى تنعكس على حياة القروي اليومية الذي انتقل من العمل الزراعي في الأرض الى العمل الصناعي في المصنع . وان هذا التحول والانتقال من الزراعة الى الصناعة يفرض عليه كثيرا من الالتزامات والواجبات وسلوكا مغايرا تماما لما اعتاد عليه من قبل . وهذا يتطلب منه اعادة تكيف مع متطلبات العمل الجديدة من ناحية ، واعادة صياغة لعلاقاته الأسرية والمجتمعية .

١١ - ان التنمية الريفية التي تتخذ التصنيع أسلوبا ومدخلا للتنمية تختلف عن تلك التي تعتمد على الميكنة ، حيث أن الأولى تفتح مجالات عمل جديدة تستوعب الأيدي العاملة الفائضة بينما الميكنة تستغني نسبيا عن الأيدي العاملة الزراعية : ومن هنا كانت المفاضلة بين الأسلوبين تعتمد على عدة أمور أهمها :

أ - حجم وكثافة السكان في المحليات الريفية .
ب - توافر الموارد الطبيعية بالمنطقة والتي يمكن تصنيعها .
ج - توافر الامكانيات الفنية والتكنولوجية والمالية والادارية التي تمهد لنجاح المشروع .

١٢ - وقد يكون من المفيد بالنسبة لبعض الدول النامية أن تأخذ بالأسلوبين معا : الميكنة والتصنيع . باعتبارهما قد يكملان بعضهما البعض من حيث الايجابيات والسلبيات التي ترتبط بكل منهما على حدة ، وبالتالي فان في تكاملهما قد ترجع كافة الايجابيات ويكون الناتج من هذا التكامل هو حل المعادلة التي تتطلب التوازن بين المتغيرات الثلاثة التي ذكرت من قبل .

١٣ - غير أن الأخذ بالتصنيع الريفي والزراعي له متطلبات أساسية وهامة يجب أن تراعى قبل اتخاذ قرار التصنيع . ولعل من أهمها :

أ - اختيار وتحديد مكان توطين الصناعة له أهمية بالغة ، وأن الاختيار كلما كان لخدمة حجم ايكولوجي مناسب كانت الاستفادة منه أكثر ، هذا فضلا عن توافر الموارد الطبيعية التي ستصنع بالمنطقة .
ب - توافر الامكانيات المادية والتكنولوجية والبشرية .
ج - تحديد الهيئات والمؤسسات التي تباشر هذه العمليات وادارتها .
د - اعداد مهني وتدريب العاملين .

١٤ – ان الميكنة أو التصنيع كأساليب تكنولوجية يمكن اتخاذها كمنطلقات للتنمية الريفية يترتب عليها آثار اجتماعية واقتصادية كثيرة لعل من أهمها بصفة عامة تأثيرها على الأنساق الاجتماعية الآتية :

أ – الانساق الأدائية ·
ب – الانساق التكيفية ·
ج – خلق انساق وبناءات جديدة ·

أ – الانساق الأدائية :

يعتبر الاقتصاد من أهم الانساق التى تتأثر بالتغيرات التكنولوجية ، ولعل أهم هذه التغيرات ما يتم في شكل اعادة بناء هيكل الأدوار المهنية · فقد تنشأ أدوار جديدة ونظم جديدة أو تحتاج الى اعادة تجديد الأدوار القديمة من خلال تطبيقها بمضامين ذات قيم تكنولوجية حديثة · ولذلك فان تأكيد التساند بين الأداء الوظيفى التكنولوجى للدور ومجموعة التوقعات لابد من تأكيده عن طريق التدريب ·

وقد يؤدى ادخال التكنولوجيا الى ظهور ما يسمى بالبطالة التكنولوجية Technological unemployment اذ أن شاغلى الأدوار الانتاجية فى ظل التكنولوجيا القديمة عادة ما يجهلون التكنيكات والمعرفة التكنولوجية الجديدة ، ومن ثم يجب تأمينهم على مصالحهم واعادة صياغتهم نظاميا بحيث يصبحون قادرين على شغل الأدوار فى اطار التكنولوجيا الحديثة ·

كذلك الحال بالنسبة للتغير الذى ينجم عن ادخال التكنولوجيا الجديدة فى مجال الأدوار والوظائف الاشرافية حيث يتطلب الأمر اعادة صياغة البناء التنظيمى للنسق الاقتصادى وحل المشكلات التى تنشأ بين الوظائف الاشرافية الجديدة والقديمة ·

ب – الانساق التكيفية :

ويقصد بها الاطارات التى تصوغ تكيف الفرد مع الواقع الاجتماعى أو غير الاجتماعى المحيط به · ويعتبر النسق القرابى من أهم البناءات التى تتأثر بالتغيرات التكنولوجية ، اذ يؤدى التغير التكنولوجى عادة الى التعجيل بالاتجاه العام نحو الأسرة الزوجية ، ومن ثم يعمل على تفتيت التجمعات القرابية الواسعة · وذلك لأن الأدوار المهنية تؤكد استقلال الشخصية فى ممارستها لأدوارها القرابية · ويتأثر كذلك دور المرأة الى حد كبير وتنخفض نسبة

المواليد وقد تخرج الى العمل ومن ثم يحاط دورها بقدر كبير من التوتر فى علاقتها بالأدوار الأخرى داخل النسق القرابى المهنى(١) ٠

ج - خلق انساق وبناءات جديدة :

ان ادخال التكنولوجيا بصفة عامة يؤدى الى تخليق نسقين أساسيين :

- تطوير بناء أو تنظيم متكامل للادارة والاشراف تكــون وظيفتــه الأساسية هى ضبط العملية الانتاجية والاشراف عليها ، ثم ملاءمة مدخلات النظام الانتاجى ومخرجاته ٠ هذا بالاضافة الى فتح قنوات الاتصال والتكامل بين التكنولوجيا وبقية الجوانب والمستويات الاجتماعية على كل من المستوى المحلى أو المجتمعى ، كذا العمل على تخليق أسواق للسلع المنتجة وخلــق الحاجات المحلية أو المجتمعية لاستيعاب الناتج التكنولوجى ٠

- بتحديث القطاع الريفى عن طريق غرس الأداء التكنولوجى فان ذلك يستوجب اجراء بعض التغيرات الرئيسية لخلق مجموعةمن التسهيلات لخدمة الواقع التكنولوجى الجديد مثل شق الطرق ، والنقل المثلج والتخزين وما الى ذلك من الخدمات التكميلية(٢) ٠

١٥ - فى ضوء الاعتبارات السابقة ، والآثار الاجتماعية والاقتصادية المختلفة المصاحبة للأخذ بفكرة التكنولوجيا وتنمية المجتمعات الريفية ، نجد أن هذه المجتمعات عليها موازنة هذه الأمور موازنة علمية وواعية حتى تتمكن من تحقيق الأهداف المنشودة من وراء تنميتها ٠ وان تحديد اختيارها للأخذ بأسلوب الميكنة أو أسلوب التصنيع يتوقف على مجموعة من الاعتبــارات المختلفة التى يجب ادراكهــا بحيث تتم المواءمة بين الظروف الاجتماعيــة والاقتصادية والبشرية ٠ وان الدولة النامية يمكنها الجمع بين أكثر من أسلوب فى تنمية قطاعها الريفى على أساس مراعاة نوعيات المحليات التى سيتم فيها التجريب وعلى أساس وجود خطة متكاملة مدركة لابعاد هذا المجتمع من جوانبه المختلفة ٠

---

(1) Parsons, Talcolt: Some Considerations on the Theory of Social Change, Rural Sociology, 26, 1961.

(2) Wellisze, S.H.2: Op. cit. pp. 230-250.

صدر العدد الأول من المجلة الاجتماعية القومية ينـــاير ١٩٧٨ متضمنا البحوث والمقالات الآتية :

- تحديد نسبة المتخلفين عقليا فى مدينة القاهرة الكبرى
  الدكتور عماد الدين سلطان
- استطلاع رأى عام (الاتجاه نحو العمل فى البلاد العربية)
  الدكتورة ناهد رمزى وآخرون
- ازدواج توجيهات القيم عند الصبية (دراسة ميدانية لبعض الصبية)
  الدكتور محمد سعيد فرح
- اتجاهات السياسة الانمائية فى دول العالم الثالث
  الدكتور أمين عباس عبد البديع
- المشاركة الشعبية والتنمية الاجتماعية
  الدكتور عبد الهادى الجوهرى

كما يتضمن العدد مقالات باللغة الانجليزية ورسائل جامعية .

الثمن ٣٠ قرشا

هجرة العقول المصرية*

حجمها وديناميتها وابعادها

دكتورة سامية حسن الساعاتى**

تمهيـــد :

تعد هجرة العلماء أو طالبى العلم من بلادهم ، والنزوح الى بلد آخر أو البقاء في البلد ذاته الذى تلقوا العلم فيه واتخاذه موطنا جديدا لهم ظاهرة قديمة قدم العلم نفسه ، فهي ظاهرة اجتماعية أملتها ظروف الحياة الانسانية وشجع عليها تفاوت التقـــدم الحضارى بين مختلف أقطار العـــالم على مر العصور .

وتعتبر هجرة الفلاسفة اليونان من بلادهم ، واتجاههم الى أثينا فيما بين سنتى ٦٠٠ ق م ، ٣٠٠ ق م أهم الهجرات الانسانية القديمة التى تركزت حول هجرة الكفايات العلمية بسبب العلم ومن أجله . ان بداية ازدهـــار أثينا فى ذلك الوقت كانت قد شهدت تدفق الفلاسفة والعلماء عليها ، حيث واكب تلك الهجرة حركة ثقـــافية واسعة كان من نتيجتها نمو الحضـــارة اليونانية وتقدمها وازدهار أثينا وعظمتها .

وبعد امتداد الحكم الاغريقى الى مصر أخذت العقول أو الكفايات العلمية تتجه نحو الاسكندرية ، حيث عمــــل حكام مصر فى ذلك الوقت على رسم سياسة لجذب المهاجرين من العلماء والفلاسفة اليها ، وذلك بهدف اقامة مركز حضارى جديد يفوق فى أهميته وعظمته مركز أثينا نفسها .

ولم يقتصر عمل البطالسة على تشجيع المهاجرين من العلماء والفلاسفة بل امتد ليشمل اقامة معاهد البحث والدراسة حيث أقاموا مكتبة الاسكندرية

(*) يقتصر البحث على هجرة العقول المصرية الى أوربا الغربية وأمريكا الشمالية .

(**) أستاذ علم الاجتماع المساعد ، جامعة عين شمس .

ومتحفها حتى بلغ مجموع ما فى مكتبتها من كتب ومجلدات ما بين ٥٠٠ـ٧٠٠ ألف كتاب ومجلد كما قدر عدد العاملين فى متحفها وحدهم ما بين مائة الى عدة مئات من الفنيين والعلماء وذلك عدا الزوار الذين كانوا يفدون عليها باستمرار ٠

وبينما عملت الدولة على استيراد العديد من الفلاسفة والأطباء وعلماء الطبيعة والرياضيات والحيوان والنبات والفلك وغيرهم فتكفلت أيضا بنفقات العلماء من مأكل ومأوى وذلك بالاضافة الى ما كانت تدفعه لهم من رواتب مغرية(١) ٠

وعلى الرغم من انتهاء حكم البطالسة لمصر فى النصف الأول من القرن الأول الميلادى فقد استمرت الحركة الفكرية فى الاسكندرية ، وظلت الاسكندرية منارا للعلم والحضارة ردحا طويلا من الزمن ٠ وبينما يقال ان أعظم انتاج الانسانية الفكرى والحضارى فيما بين سنتى ٣٠٠ ق م و ٥٠٠ ق م قد تم فى الاسكندرية فان معظم - ان لم تكن - كل العقول التى ساهمت فى كتابته وتخليده كانت مستوردة من خارج مصر(٢) ٠

وبعد استقرار الحكم العربى فى أوائل العصر العباسى ، اتجه الخلفاء العباسيون الى تشجيع العلم والعلماء واغداق المال على النابهين منهم وذلك لبناء مركز حضارى اشعاعى فى عاصمتهم ٠ وكانت نتيجة ذلك أن أخذت البعثات على اختلاف أقطارهاودياناتها ترد الى بغداد طلبا للعلم ومساهمة فى تنشيط حركتها الثقافية والعلمية ، وتوافرت بذلك الظروف الملائمة لقيام حركة علمية نشطة أدت الى اجتذاب الكثير من العلماء الى مدينة بغداد والاستقرار فيها حتى غدت بغداد أهم مركز ثقافى وعلمى فى ذلك الوقت ، كما أصبحت محط أنظار العالم وطالبى العلم يفدون اليها من مختلف أقطار العالم ٠

ومع انتهاء عصور الظلام فى أوربا ، أخذت تظهر فيها بوادر حركة ثقافية سرعان ما اتسع نطاقها ليشمل معظم الأقطار ، ومختلف الأنشطة

---

(١) أنظر Stevan Dedijer, "Early Migration", in the Brain Drain, Walter Adams (ed.), p. 14.

(٢) أنظر ، محمد ربيع ، هجرة الكفايات العلمية ، ص ١٣ ٠

الثقافية والعلمية والفنية ، وبينما كانت الكنيسة في العصور الوسطى هي الأساس الذي انطلقت منه الحركة الثقافية ، فقد كان للدعم المادي والأدبي الذي قدمه بعض الملوك وأمراء الاقطاع لرجال الفن والفكر ، الأثر الأكبر في تقدم تلك الحركة وازدهارها ٠

واذا كان العرب قد بدأوا نهضتهم الثقافية والعلمية بالأخذ عن الحضارات القديمة وخاصة اليونانية ، فان الأوروبيين بدأوا نهضتهم بالأخذ عن العرب أو من خلالهم ٠

ومع نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر ظهر في أوربا أول جيل من جامعاتها ، حيث بلغ عددها في سنة (١٢٥٠) ، ٩ جامعات في ايطاليا ، ٥ جامعات في فرنسا ، ٤ جامعات في أسبانيا ، وجامعتين في انجلترا ٠ ولقد أخذ عدد الجامعات يتزايد منذ ذلك الحين حتى بلغ في نهاية القرن الخامس عشر ٨٠ جامعة توزعت على مختلف الأقطار الأوربية(١) ٠ ومع ظهور الجامعات واستقرارها كمراكز للبحث والدراسة بدأ رواد الحركة الفكرية في أوربا ينتقلون من مكان لآخر ، ومن بلد لآخر بحثا عن أفضل الأماكن والفرص لمزاولة نشاطاتهم العلمية المختلفة ٠ ولما اتسع نطاق هجرة المفكرين والعلماء أخذت الدول والولايات الأوربية المختلفة تتبنى سياسات محددة بهدف تشجيع أو منع هجرة المثقفين منها واليها ٠ ولقد بلغ من حماس بعض الحكام لتنشيط الحركة العلمية والثقافية في ولاياتهم ان حاولت احدى الولايات الايطالية سرقة جامعة الولاية المجاورة لها بكل ما كان فيها من أساتذة وطلاب ٠

ان ما حدث في أوربا منذ عصر النهضة وحتى ظهور القوميات فيها يعد من أوسع وأهم حركات هجرة العقول في التاريخ ، اذ بينما قامت جامعات بأكملها على هيئات تدريس مستوردة أو مهاجرة فان عدد الطلبة الأجانب في بعض الجامعات الأوربية قد فاق أعداد غير الأجانب من طلابها ٠ لذا فان شيوع ظاهرة هجرة العقول واتساعها ، كان من أهم العوامل التي قادت الى نهضة أوربا وتقدمها ٠

يتبين مما تقدم اذن أن ظاهرة هجرة العقول ليست تطورًا جديدا في

---

(١) انظر : ستيفان ديدجر ، المصدر السابق ص ١٨ ٠

حياة الانسانية أو حدثا طارئا ، ذلك انها كانت وما زالت من أهم سمات الحياة الانسانية ، حيث انها واكبت حياة المجتمعات الانسانية فى مراحل تطورها المختلفة وقادت - فيما قادت اليه - الى المساهمة فى تطور تلك المجتمعات وتقدمها • الا أن قدم هذه الظاهرة واستمرارها لا يفسر لنا مدى الأهمية التى توليها اياها الدول المختلفة هذه الأيام ، وذلك لأن بروز هذه الظاهرة واتجاهها الى أخذ أبعاد جديدة منذ نهاية القرن الماضى جعلتها مثار اهتمام الدول والأفراد كما نبهت أذهان كثير من المفكرين الى تناولها بالدراسة والبحث ، ويمكن أن نرجع ذلك الى عاملين اثنين :

١ - زيادة درجة الاعتقاد بوجود ارتباط مباشر وقوى بين توافر العقول والكفايات العلمية فى بلد معين ، وتوافر امكانية زيادة معدلات التنمية الاقتصادية في ذلك البلد •

٢ - الأبعاد الجديدة التى اتخذتها ظاهرة هجرة العقول واتساع نطاقها لتشمل معظم الدول المتقدمة والكثير من الدول النامية •

مفهوم هجرة العقول :

ان اصطلاح « هجرة العقول » أو نزيف العقول Brain Drain هو اصطلاح ابتدعه البريطانيون لوصف خسائرهم خلال السنوات الأخيرة من العلماء والمهندسين والأطباء بسبب الهجرة الى خارج بريطانيا وخاصة الى الولايات المتحدة الامريكية(١) •

ويمكن القول ان مفهوم هجرة العقول يشير بعامة الى انتقال الطاقة العلمية والتقنية والفنية والفكرية من بلد نام أو حتى من بلد متقدم وتسربها تدريجيا ، الى بلدان أجنبية متقدمة أو أكثر تقدما وغنى ، ويتضمن جميع حقول الدراسة والنشاط البشرى دون استثناء مع تركيز على العلوم •

وتتلخص الفكرة الأساسية التى يتضمنها مفهوم هجرة العقول فى أن الأفراد المدربين مهنيا يستطيعون المساهمة فى التنمية والرفاهية ، بدرجة

---

(١) Harry G. Johnson, "The Economic of the Brain Drain": The Canadian Case, Minerva, London, Vol. 3, No. 3, (1965), p. 300.

تتجاوز بكثير قيمة المال الذى استثمر فى تعليمهم وتدريسهم وذلك من خلال الخدمات التى يقومون بها فى وطنهم الأم . الا أن أوطانهم تخسر كثيرا اذا ما غادر هؤلاء بلادهم الى مكان آخر سعيا وراء العمل والعيش .

التعريف الاجرائى لهجرة العقول المصرية :

وتتم هجرة العقول المصرية الى البلدان المتقدمة والمتطورة (دول أوربا الغربية وأمريكا الشمالية على وجه الخصوص) على صورتين :

الأولى : تتم بشكل مباشر أى بهجرة العلماء الى الخارج .

والثانية : تتم بشكل غير مباشر أى بتخلف طلبة العلم فى الخارج عن العودة فور اتمام دراساتهم المخصصة أو رفضهم العودة نهائيا الى وطنهم الأم مصر .

صعوبات البحث فى الموضوع :

ان تقصى الحقائق والاحصاءات حول موضوع هجرة العقول المصرية ليس بالأمر السهل الميسر . فالمعلومات والاحصاءات الدقيقة الشاملة ليست متوافرة . وربما يرجع ذلك الى أن موضوع هجرة العقول موضوع حيوى وحساس فى الوقت ذاته كما أن له أبعادا سياسية تجعل من العسير تجميع البيانات الشاملة اللازمة .

وقد أنشئت فى مصر عام ١٩٦٧ دائرة خاصة بالهجرة والمهاجرين فى وزارة الخارجية ولكن بياناتها سرية ولا يصرح للباحثين بالاطلاع عليها .

وقد اعتمدت فى الجزء الاحصائى من هذا البحث على بيانات من الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ، وبيانات من بحث لعمرو محى الدين عن هجرة أعضاء هيئة التدريس من السلك الجامعى فى مصر ، أجرى عام ١٩٧٦ وقد أخذها بدوره عن تقرير للمجلس الأعلى للجامعات المصرية .

الجهود السابقة فى دراسة موضوع هجرة العقول :

موضوع هجرة العقول المصرية موضوع بكر فى مجال الدراسات الاجتماعية فى مصر وبخاصة فى الدول العربية عامة فلم يكتب فيه ، أو يتناوله بالبحث والدراسة سوى قلة من الباحثين يعدون على أصابع اليد الواحدة .

وفى هذا المجال يعد انطوان زحــلان من الرواد الأوائل الذين اهتموا بهجرة العقول المصرية ضمن كتابته عن « هجرة الأدمغة فى بيروت والعــالم العربى »(١) • كمـــا يعد كل من الياس زين فى كتابه « هجرة الأدمغــة العربية »(٢) ١٩٧٢ ومحمد ربيع فى كتابه « هجرة الكفايات العلمية »(٣) الصادر فى العام نفسه من أوائل الباحثين فى هجرة العقول المصرية وهم فى معرض حديثهم عن هجرة العقول العربية بوجه عام •

ولا ينبغى أن ننسى فى هذا المقام دراسة مالكولم أديسيشيا المدير العام لليونسكو الذى أعد دراسة حول هجرة الكفاءات من العالم العربى وألقاهـا فى المؤتمر الثقافى العربى الثامن لاعداد المعلمين فى العالم العربى الذى انعقد فى القاهرة فى ديسمبر ١٩٦٩ وترجمت الى العربية فى صـــحيفة التخطيط التربوى(٤) •

أما الجهود العلمية المثمرة التى ركزت على هجرة العقول المصرية بشكل خاص فقد بدأت بدراسة أجرتهـــا ادارة الوافدين فى مصر ، تحت اشراف اليونسكو ، حول هجرة العقول المصرية الى الخارج شملت الهجرة خلال عشر سنوات وأنجزت فى شهر ديسمبر ١٩٦٦ • وقد اختارت اليونسكو مصر من بين تسع دول نامية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية للقيام بمثل هــذه الدراسة • ويعد عادل ثابت من أوائل الباحثين المصريين فى هذا المجال اذ قدم بحثا بعنوان التزامات جمهورية مصر العربية قبل العلم والتكنولوجيا(٥) •

وقد تلت ذلك جهود فردية فى الكتابة حول هذا الموضوع تنوعت مابين اشارات صغيرة فى أعداد مجلة الكاتب يناير ١٩٧٣ ثم تبلورت فى عدد قيم من أعداد مجلة الطليعة العلمية أفرد خصيصا لموضوع هجرة العقول المصرية ١٩٧٣ وعالجت فيه هذا الموضوع أقلام مصرية لباحثين متخصصين فى مجــال

---

(١) انطوان زحلان ، هجرة الأدمغة ، بيروت ١٩٦٨ •

(٢) الياس زين ، هجرة الأدمغة العربية ، بيروت ١٩٧٢ •

(٣) محمد ربيع ، هجرة الكفايات العلمية ، الكويت ١٩٧٢ •

(٤) مالكولم اديسيشيا ، « هجرة الكفاءات من العالم العربى » ، صحيفة التخطيط التربوى فى البلاد العربية ، ١٩٧٠ •

(٥) عادل ثابت ، التزامات جمهورية مصر العربية قبل العلم والتكنولوجيا • فى كلير نادر وانطوان زحلان ، العلم والتكنولوجيا فى البلاد النامية ١٩٧٣ •

الفلسفة والاجتماع والاقتصاد والتربية والسياسة(١) ·

وقد نشر أخيرا بحث لعمرو محى الدين عن هجرة أساتذة الجامعات فى مصر وهو جزء من مشروع لدراسة هجرة العمالة المصرية(٢) ·

أولا - ملامح هجرة العقول المصرية بالأرقام :

ينطلق هذا البحث من حقيقة مؤداها أن ظاهرة هجرة العقــول ليست مقصورة على مصر ، وانما هى ظاهرة عامة تعانى منها كل البلاد ، النــامية منها وأيضا المتقدمة على السواء · لكن النقطة الجوهرية بالنسبة لمصر ، أن هناك تناسبا عكسيا بين درجة النمو الاقتصـــادى والاجتماعى فيها ، وبين هجرة العقول بها ، أى هجرة المثقفين والعلميين · فمصر تخسر هذه الطاقات العلمية والفنية الهائلة التى تشكل مهاراتها وعلومها رصيدا وطنيا حيويا فى الوقت الذى هى بأمس الحاجـــة اليهـــا للتغلب على التخلف الاقتصـــادى والاجتماعى ، والعلمى ، والتربوى ·

بعبارة أخرى يمكن القــول أن هجرة العقول المصرية تحرم مصر كبلد نام من خبراتها وطاقاتها العلمية الوطنية ، وتجعلها دوما فى احتيـــاج الى استيراد الخبرة الأجنبية ·

ومن المعروف أن تكلفة تأهيل مهندس أو طبيب فى مصر ، اذا حسبناها حسابا شاملا للتعليم ، والصحة ، والاعاشـــة ، والسكن ، منذ مولده الى أن يتخرج ، لا تقل بحال عن ٣٠ ألف جنيه · فاذا هاجر بعد ذلك ، الى أمريكا على سبيل المثال ، فالتحليل الاقتصادى لهذه العملية هو أن مصر البلد الفقير يهدى أمريكا ٣٠ ألف جنيه · وغنى عن القول أن حامل الدكتوراه يمثـــل تكلفة أعلى(٣) ·

بل ان أحد كبار رجال الأعمال الامريكيين صرح قائلا أثناء جولته لجمع الاخصائيين فى صناعته : « ان شراء أخصائى شـــاب اليوم أربح بكثير من

---

(١) الطليعة ، العدد الرابع ، ابريل ٧٣ ·

(٢) Amr Mohie El-Din, and Ahmed Omar, "The Emigration of Universities Academic Staff", July 1978.

(٣) أنظر اسماعيل صبرى عبد الله ، هى قضية سياسية فى المقام الأول ، الطليعة ، المصدر السابق ، ص ٤١ ·

تدريبه ، فنفقات التعليم مرتفعة للغاية ، ويشارك فيهـــا كل من : الشخص نفسه ، ووالديه ، والشركات المعنية بالأمر ، والدولة ، والهيئات العـــامة المختلفة ؛ ونحن نحاول أن نتخلص من هـــذه النفقات ، على أن نستمر في تحقيق الأرباح في الوقت نفسه . وعن طريق شراء أخصـــائي من بلد آخر ندخل في علاقة شخصية معه ، ولا ندفع أي تعويض للذين كانوا يستثمرون تدريبه ، ويعلقون عليه الآمال »(١) .

وفي موضوع هجرة العقول المصرية ، تكتسب الأرقام أهمية خاصة في تحديد ملامح هذه القضية وأبعادها ، بما يسمح بتقييمها تقييما صحيحا .

تعد مصر من حيث تصدير المهـــاجرين المهنيين والفنيين من **الأقطار العربية ذات الهجرة العالية** وتتبين ذلك من الجدول التالي :

جـــــدول (١)

هجرة الكفايات العلمية والفنية من الأقطار العربية
الى الولايات المتحدة الامريكية من عام ١٩٦٢ ــ ١٩٦٩*

اسم القطر	المجموع الكلي للمهاجرين
مصر	٩٣١٥
لبنـــان	٨١٩١
الأردن و (عرب فلسطين)	٩٠٥٤٨
العراق	٤١٩٢
سوريا	٢٤٠٦
المغرب	٢٤٧٣
تونس	٤٩٧
الجزائر	٩٨١
المجموع	٣٧٦٠٣

(١) أحمد القصير ، سرقة العقول ، الأرباح والخسائر ، الكاتب ، السنة ١٣ ، عدد يناير
(*) نقلا بتصرف عن الياس زين ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

جدول (٢)

توزيع اجمالى المهاجرين الاصليين وفقا لفئات السن ودولة المهجر خلال الفترة من عام ١٩٦١ الى عام ١٩٧١ *

دولة المهجر / فئات السن	أقل من ٢٠ سنه	٢٠ —	٣٠ —	٤٠ —	٥٠ —	٦٠ فأكثر	غير مبين	المجموع
كندا	١٦٩	١٤٨٠	١١٤٤	٦٨٣	٥١٦	٤٤٧	٢١	٤٤٦٠
استراليا	١٠٨	١٣٠٣	١١٨٣	٥٨٧	٢٧٩	٢٣٤	٤٨	٣٧٤٢
الولايات المتحدة الامريكية	٧٠	٢٠١٦	١٨٨٣	٥٨٦	١٤٢	٦٦	٥٩	٤٨٥٢
البرازيل	٩	٢١٧	١١٢	٦٠	٣١	٢٣	٥	٤٥٧
دول أخرى	١	٣٥	٤٢	٤٠	٢٩	٣٥	١	١٨٣
الاجمالى	٣٥٧	٥٠٠١	٤٣٦٤	١١٥٦	٩٩٧	٨٣٥	١٣٤	١٣٦٩٤
النسبة ٪ للاجمالى	٢ر٦١	٣٦ر٨٨	٣١ر٨٧	١٤ر٢٨	٧ر٢٨	٦ر١٠	ر٩٨	١٠٠ر٠٠

(*) الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ، الهجرة الدائمة للمصريين خارج ج.م.ع. ١٩٧٢ .

جدول (٢)

توزيع اجمالى المهاجرين الاصليين وفقا لنوع المهنة
ودولة المهجر خلال الفترة من عام ١٩٦٢ الى عام ١٩٦١ *

نوع المهنة / دولة المهجر	أصحاب المهن الفنية العالية	أصحاب المهن الادارية	أصحاب المهن والاعمال الكتابية	أصحاب المهن التجارية والمالية	أصحاب حرف وصناع	أصحاب مهن ترفيهية ورياضية	أصحاب مهن أخرى وغير مبين	المجموع	النسبة للاجمالى
كندا	١٠٢٥	٢٣٤	٨٢١	٥٥١	٥٢٤	٨٠	١٢٢٥	٤٤٦٠	٣٢ر٥٧
استراليا	٦٨٨	٢٢٦	٨١٦	٣٥٨	٧٤٧	٣٣	٨٧٤	٣٧٤٢	٢٧ر٣٢
الولايات المتحدة الامريكية	٢٧٨٦	٣١٤	٣١٢	٥٧٢	٢٣٣	٤٢	٥٩٣	٤٨٥٢	٣٥ر٤٣
البرازيل	١٧٩	١٣	٧٠	٢٨	٦٣	١	١٠٣	٤٥٧	٣ر٣٤
دول أخرى	١٥	٣	٢٧	٢٨	٤٢	٤	٦٤	١٨٣	١ر٣٤
الاجمالى	٤٦٩٣	٧٩٠	٢٠٤٦	١٥٣٧	١٦٠٩	١٦٠	٢٨٥٩	١٣٦٩٤	١٠٠ر٠٠
النسبة % للاجمالى	٣٤ر٢٧	٥ر٧٧	١٤ر٩٤	١١ر٢٢	١١ر٧٥	١ر١٧	٢٠ر٨٨	١٠٠ر٠٠	

(*) الطليعة ، المصدر السابق ، ص ٥٨ : ٦٠ .

وقد ذكرنا سلفا أن حركة هجرة العقول المصرية تتم على صـــورتين ، **الأولى مباشرة** أى بهجرة الأطباء ، والمهندسين ، والعلماء ، والفنيين ، وغيرهم من المتخصصين من مصر الى البلاد الأجنبية ، والثانية تتم **بشكل غير مباشر** ، عن طريق تخلف طلاب العلم والتخصص فى الخارج عن العودة الى الوطن الأم ، بعد اتمام دراساتهم أو تخصصهم ، أو برفضهم العودة بشـــكل نهائى الى وطنهم الأصلى •

وســـوف نستعرض فيما يلى بالأرقام حركة هجرة العقـــول المصرية بصورتيها وذلك وفقا لأحدث الاحصاءات المتاحة •

أولا ـ هجرة العقول المصرية الى الخارج :

نتبين من الجدول (٢) حقيقة لها أهميتها ، وهى أن النسبة الغالبة من المهاجرين من العقول المصرية من الشباب أى من هم فى سن العطاء والانتاج (من ٢٠ الى أقل من ٤٠ سنة) •

ويتضح لنا من الجدول ما يلى :

(أ) أن ٦٨ر٧٥٪ أى أكثر من الثلثين تتراوح أعمارهم ما بين ٢٠ سنة وأقل من ٤٠ سنة ، وهى الفترة التى يبلغ فيهـــا الانسان أوج نشـــاطه وحيويته • هذا فى الوقت الذى تصل فيه نسبة من يقلون عن العشرين فى مصر ، الى ما يزيد عن نصف مجموع السكان ، وفى الوقت الذى تساوى فيه قوة العمل ربع مجموع السكان فحسب •

(ب) ان النسبة الغالبة من هذه الفئة (حوالى ٤٢٪ منهم) هاجرت الى الولايات المتحدة ، التى تهتم فعلا بالتركيب العمرى للمهـــاجرين ، الى جانب تكوينهم العلمى والمهنى ، لأنها تريد طاقات « **معمرة** » يكفل لها استغلالهـــا ربحا طويل الأجل نسبيا •

(جـ) ان من تقل امكانيات الاستفادة منهم من المهـــاجرين ، وهم ممن تبلغ أعمارهم ٦٠ سنة فأكثر لا تتجاوز نسبتهم ٦ر١٪ من المجمـــوع الكلى ، والسبب فى قبول هجرة هـــؤلاء غالبا ، هو انهم يكونون جزءا من الأسرة المهاجرة ، كذلك تنخفض نسبة من تقل أعمـــارهم عن العشرين ـ رغم أنهم سينضمون الى صفوف العاملين خلال سنوات قليلة ـ لتصل الى ٢ر٦١٪ • ومن ثم فان نسبة الاعالة بين المهاجرين ، وهى عدد الأشخاص غير العاملين

الذين يعولهم الشخص العامل ، صغير للغاية ، على النقيض ممـــا هو قائم بالنسبة لباقي السكان الذين يعول العامل منهم حـــوالى ٤ أشـــخاص فى المتوسط .

ويتبين لنا من الجدول رقم (٣) ان أصـــحاب المهن الفنية العليـــا ، وأصحاب المهن الادارية ، والصـــناع المهرة ، هم الـكتلة الغـــالبة من بين المهاجرين .

ويتضح من الجدول الحقائق التالية :

أ ـ أن المهاجرين هم بعامة من أصحاب التخصصات المطلوبة للمشروعات الحديثة ، والتى لا يمكن قيام خطة ناجحة للتنمية بدونها :

أصحاب مهن فنية عالية ، وأصحاب مهن ادارية ، وأصحاب حرف ، وصناع .

ب ـ أن نسبة أصحاب المهن الفنية العليا الى مجموع المهاجرين ، هى نسبة جد مرتفعة اذ تبلغ ٢٧ر٣٤٪ .

جـ ـ أن نسبة أصحاب الحرف والصناع ـ وهم غالبـــا من الصـــناع المهرة ، وهي فئة تعانى مصر من عجز كبير فيها ـ هى نسبة مرتفعة اذ تصل الى ٧٥ر١١ من مجموع المهاجرين .

د ـ أن نسبة أصحاب المهن التجارية والمـــالية ـ وهي فئـــة ضرورية وهامة للنشاط الاقتصادى ـ مرتفعة بدورها اذ تصل الى ٢٢ر١١٪ .

هـ ـ أن ما يزيد عن نصف أصحاب المهن الفنية العليا قد هاجروا الى الولايات المتحدة الامريكية .

وقد استخلصنا بعض الملامح الأخرى لهجرة العقول المصرية من بيانات لا يتسع المجال لذكرها بالتفصيل تتبلور أهمها فيما يلى :

١ ـ ان ادارات الحكومة والقطاع العام ، هما المصدر الأساسى للمهاجرين اذ يسهمان بحوالى ٧ر٥٧٪ منهم أو ما يزيد عن النصف .

وغنى عن البيان انه بجانب الفراغ الذى قد يتركه هـؤلاء فى بعض التخصصات ، فانهم يحملون معهم الكثير من خبرات العمل فى هذه المجالات .

٢ ـ ان اسهام القطاع الخاص فى الهجرة محـدود نسبيا ذلك أن من يعملون لحسابهم لا تتجاوز نسبتهم ٦ر٩١٪ من مجموع المهاجرين ، كما أن من يعملون لدى الغير لا تتجاوز نسبتهم ٦ر٧٪ من مجموع المهـاجرين ، الأمر الذى قد يصلح مؤشرا ـ ولو أنه غير مباشر ـ على أن القطاع الخـاص ليس قطاعا طاردا ، وأنه يتمتع بنوع من الاستقرار .

٣ ـ ان هناك بلدانا ثلاثا ، هى كندا ، وأستراليا ، والولايات المتحدة تمتص ٣٢ر٩٥٪ من مجموع المهاجرين ، وأن كندا والولايات المتحدة يمتصان ٦٨٪ من مجموع المهاجرين . وتتميز هذه البلاد بوجود جهد مركز لتجنيـد المهاجرين وتعبئتهم ، على أساس خطة منسقة ذات أهداف محددة .

٤ ـ هناك تضخم كبير فى أعداد المهاجرين من أصحاب الدرجات العلمية العليا ، اذ ارتفع عددهم من مهاجر واحد فى ١٩٦٣ و ١٩٦٤ الى ١٢٢ مهاجرا فى ١٩٦٩ ، ثم بعد ذلك انخفض العدد نسبيا ـ وذلك بعد القيود النسبية التى وضعتها الدولة عندما استشعرت خطر هجرة العناصر اللازمة لنجـاح مشروعاتها ـ لتصل الى ٨٣ مهاجرا فى ١٩٧٠ والى ٤٣ مهاجرا فى ١٩٧١ .

٥ ـ تتكرر الظاهرة السـابقة ، فتنسحب على الحاصلين على درجـة البكالوريوس وما يعادلها فقد ارتفع عددهم من ١٣ مهـاجرا فى ١٩٦٢ الى ١٨٢٢ مهاجرا فى ١٩٦٩ ، ثم انخفض نسبيا ـ أيضا بسبب القيود ـ الى ٩٦١ مهاجرا فى ١٩٧٠ والى ٦٢٧ مهاجرا فى ١٩٧١(١) .

ثانيا ـ الممتنعون عن العودة من الموفدين فى منح وأجازات دراسية :

تكتمل ملامح هجرة العقول المصرية ، اذا ما تدبرنا الوجه الآخر للعملة لهجرة العقول ، ذلك الوجه الذى يتمثل فى الهجرة غير المباشرة للعقول ، وذلك بامتناع الدارسين فى منح أو أجازات دراسية عن العودة الى مصر الأم .

ومن أحدث المعطيات فى هذا الشأن البيانات التالية :

---

(١) أنظر الطليعة ، المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

جـــدول (٤)
الأشخاص المتنعون عن العودة من الموفدين الى الخارج في منح وأجازات دراسية حتى مارس ١٩٧٦

مكان الدراسة	عدد المنح الدراسية	عدد الاجازات الدراسية	المجموع
الولايات المتحدة	٢٢٤	٢٣٤	٥٥٨
كندا	٦	٥١	٥٧
بريطانيا	٦٤	٩٨	١٦٢
ألمانيا الغربية	٤٥	٤٦	٩١
سويسرا	٢٩	٩	٣٨
فرنسا	٢٠	٣٤	٥٤
النمسا	٣	٢	٥
أسبانيا	١	٣	٤
السويد	١	٤	٥
ايطاليا	١	٦	٧
الاتحاد السوفيتى	٤	١	٥
المجر	٢	١٢	١٤
ألمانيا الديمقراطية	٤	١٠	١٤
فنلندا	١	—	١
النرويج	—	٤	٤
هولندا	٥	٧	١٢
الدانمرك	—	١	١
اليونان	—	٢	٢
بلجيكا	—	٥	٥
يوجوسلافيا	—	٢	٢
بولندا	—	٨	٨
بلغاريا	—	٢	٢
الهند	—	٣	٣
اليابان	—	٣	٣
لبنان	—	١	١

(*) المصدر ، عمرو محيى الدين ، المصدر السابق ، ص ١١ .

ويوضح الجدول السابق عدد الأشـــخاص الذين امتنعوا عن العودة من المنح أوالاجازات الدراســـية من الأفراد في السلك الجامعي حتى ١٩٧٦ • وهذه النسبة تمثل حوالى ١٠٪ من اجمالى عدد أعضـاء هيئات التدريس في الجامعات المصرية ، وحوالى ٥٨٪ من أعضـــاء هيئات التدريس فى جامعـــة القاهرة •

وتبين معطيات أخرى نشرت فى مجلة الأهرام الاقتصـــادى أن الدولة خصصت ١٦ مليون جنيه لايفاد ألفى معيد تخلف منهم ١٢٪ عن العودة الى الوطن من بداية الستينات حتى يناير ١٩٧٥ • وتتضح ظاهرة التخلف فى أربع دول هي بالترتيب : الولايات المتحدة الامريكيـــة والمملكة المتحـدة ثم فرنسا وكندا(١) •

ديناميات هجرة العقول المصرية :

اذا نظرنا الى هجرة العقول المصرية كعملية دينامية وجدنا أن هنـــاك ثلاثة أطراف رئيسية تتفاعل فيما بينها ، لتتوزع نواتج هـــذا التفاعل فى النهاية بما فيها من مزايا ومضار ، على الأطراف الثلاثة بدرجات متفاوتة • وهذه الأطراف هى :

١ - المهاجر نفسه •
٢ - البلد المهاجر منه •
٣ - البلد المهاجر اليه •

ولما كان المهاجرون من العقول والكفايات العلمية يشكلون قوة انسانية منتجة ، فان معظم الفوائد التى تحدثها هجرة المتعلمين تعود بالدرجة الأولى على الدول التى تقوم باستقبالهم فى بلادها • أما نوع الفوائد التى تجنيها تلك البلاد ، فترتبط ارتباطا مباشرا بعدد المهاجرين ، ونوع تخصصاتهم ، ومدى حاجتها الى خدماتهم ، ودرجة استفادتها من خبراتهم ، وخاصـــة فى مجالات الانتاج ، ومجالات البحث العلمي •

أما بالنسبة للبلد **المهاجر منه** وهى مصر ، فان المضار التى تحيق بهـا بسبب الهجرة تعد أخطر بكثير من الفوائد التى قد تجنيها ان كانت هنـــاك

---

(١) الأهرام الاقتصادى ، يناير ١٩٧٦ •

فوائد ، فمصر من مجموعة البلاد النامية التى ما زالت تفتقر الى رأس المال البشرى القادر على بدء عملية التنمية ، وتحمل أعبائها ، وبخاصة أننا رأينا بعد الجزء الاحصائى فى هذا البحث أن معظم الهجرة فى هـذه الأيام تقتصر على الكفايات العلمية والمهارات الفنية ، وبالتالى يقود اتساع نطاق الهجرة الى تهجير أكثر فئات المجتمع قدرة على دفع عجلة التنمية ورفع معدلاتها ٠

وبالنسبة لنوع الفائدة التى تعود على **المهاجر نفسه** ، فتتوقف عـلى الأهداف التى من أجلها هاجر ، وعلى مدى توافر الظروف الملائمة لتحقيق تلك الأهداف فى البلد المهاجر اليه ٠ ولمـا كانت الأهداف الانسـانية كثيرة ، ومتنوعة ، ومتشابكة ٠ وحيث أن أوضاع البلاد المهاجر اليهـا تشكل عادة بيئة غريبة عن ثقافة المهاجر وعاداته فان مدى النجاح الذى يحققه المهاجرون لا يرقى غالبا الى مستوى الأهداف التى يتطلعون اليها ٠ وان كانت البـلاد **المهاجر اليها** تعد فى مقدمة دول العالم من النواحى الاقتصادية والثقافية ، ويتمتع سكانها بأعلى المستويات المعيشية وتتوافر لديها دواعى الاستقرار ٠ إذ تمنح المهاجرين فى الغالب فرصة كافية لتحقيق أهدافهم ، وخاصة ما كان منها واقعيا ٠

بعبارة أخرى ، هناك عوامل دينامية تلعب دورها فى تحديد مسـار ظاهرة هجرة العقول المصرية ، هى :

١ ــ عوامل الطرد (وهى مرتبطة بالبلد المهاجر منه) ٠
٢ ــ عوامل الجذب (وهى مرتبطة بالبلد المهاجر اليه)
٣ ــ عوامل متعلقة بالمهاجر ذاته ٠

(١) أما بالنسبة لعوامل الطرد فى مصر ، فهى كثـيرة ومختلفة ويمكن أن تنقسم بدورها الى عوامل نوعية ، وعوامل عامة :

أ ــ العوامل النوعية :

١ ــ عدم وجود اتساق فى خطط البعثات الخارجية فنحن فى حاجة الى تخصصات معينة فى قطاعات أكثر من غيرها ولكن الملاحظ أن البعض يرسل الى بعثات دقيقة وفرعية ، وعند عودته لا يجد المكان المناسب لمؤهلاته ٠

ب ــ العوامل العامة :

١ ــ مستوى المعيشة المتخلف ٠
٢ ــ الأجور المتواضعة ٠

٣ - أعباء الحياة الاجتماعية ، وما تفرضه من التزامات عائلية لا نظير لها فى الدول الرأسمالية المتقدمة حيث يضيق مفهوم الأسرة .

٤ - وجود ثغرات فى التخطيط ترتبط بالخدمات وبوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب .

٥ - احساس العلميين بالاغتراب عن بقية أفراد المجتمع والانعزال عن التيارات العلمية العالمية .

٦ - الاحساس بعدم وجود التقدير الكافى من أفراد المجتمع ، ويقع جزء كبير من هذا الاحساس على عاتق أجهزة الاعلام .

٧ - عدم وجود سياسة ثابتة للأسعار تحفظ التوازن بين الدخل الفردى ، والحاجات الأساسية والنوعية .

(٢) أما بالنسبة لعوامل الجذب ، فهى كثيرة ومتنوعة .

يمكن أن نجملها فيما يلى :

١ - ارتباط المهاجر بالتطورات العلمية العالمية .
٢ - الاشباع الذى يحققه المهاجر من وراء عمله .
٣ - وجود معايير معينة للانجاز والأداء .
٤ - الحصول على مرتبات ودخل أعلى .
٥ - الاغراءات المختلفة التى تقدمها الدول المتقدمة .

(٣) أما فيما يختص بالعوامل المتعلقة بالمهاجر نفسه فيمكن تلخيصها فيما يلى :

١ - هجرة العقول المصرية فى معظمها هى نتاج عدم الاهتمام بتنمية الوعى السياسى بين فئات الباحثين ، أو محاولة تنميتها بطرق خاطئة مما يدفعهم الى التركيز على عملهم العلمى ، وبالتالى فانهم ينفصلون عن التطبيق السياسى والاجتماعى ، فاذا ما قابلوا بعض المعوقات فى عملهم العلمى ، فان ذلك يسهل لهم تبرير التخلى عن واجبهم القومى والهجرة الى الخارج .

٢ - نتيجة لعدم وجود استراتيجية للبحث العلمى فى مصر مرتبطة بخطة التنمية الاقتصادية الاجتماعية ، يحدث الانفصال بين البحوث النظرية

والتطبيق ، وهذا فى حد ذاته قد يشعر الباحثين بالاحباط لأنهم لا يشعرون أن نتائج بحوثهم تستخدم فعلا لتطوير المجتمع ٠

الأبعاد الحقيقية لهجرة العقول :

ان أسباب هجرة العقول المصرية المذكورة آنفا انمــا هى فى الحقيقة مظاهر لها أبعادها الحقيقية ، ومسبباتها الكافية فى نظامنا الاجتماعى العام ٠

ففضلا عن الأبعاد الاقتصادية لهجرة العقول التى تبيناها ســلفا فان قضية هجرة العقول فى رأينا هى قضية **تربوية فى المحــــل الأول** ، اذ أن التعليم أصبح منتجا لسلع يزداد الطلب عليها (اذا جاز لنا هــذا التعبير المادى) ٠ فقضية هجرة العقول هى قضية **فاقد فى التعليم** فبدلا من أن يعود الاستثمار الذى قدمته الأمة من أموالها بعائد بناء مناسب يزيد الدخــل القومى ، اذا بالأمة تفقد هذا العائد ، بل وتفقد أيضا رأس المال الذى دفعته فى تعليم هؤلاء المهاجرين[١] ٠

ان ظاهرة هجرة العقول المصرية انما تعكس نواحى قصور فى النظـام الاجتماعى العام ، تنبع من اعتبــار التعليم وسيلة لتحقيق مكاسب فردية ، دون الالتزام بمسئولية اجتماعية ازاء المجتمع الذى يعطى هذا التعليم ، فكأنما التعليم بذلك هو أقصر طريق للهجرة ، وليس أقصر طريق للتنمية ٠

وهجرة العقول المصرية قضية ذات **أبعاد سياسية هامة** ، انهــا قضية الشعور بالانتماء الى الوطن ، والاحساس بما أنفقه المجتمع عـلى المتعلم حتى حصل على تعليمه من أموال الشعب ، والالتزام الأدبى بخدمة هــذا الشعب وفاء لهذا الدين ٠

ومن المعروف أنه ليس بالخبز وحـــده يحيا الانسان ، وأنه لو لقيت **الحوافز الأدبية** رعاية ، جنبا الى جنب مع الحوافز المادية لأمكن الاحتفاظ بعدد كبير من أولئك الذين يفكرون فى الهجرة ٠ والدليل على ذلك أن عددا كبيرا من المهاجرين من العقول العلمية توافرت لهم امكانيات مالية مناسبة جدا ومع ذلك هاجروا ، فالدافع الرئيسى لهجرة العقول فى رأينــا هو عدم الرضــا العلمى لا عدم الرضا المادى ٠

---

(١) أنظر رشدى سعيد ، هجرة العقول قضية تربوية ، الطليعة ، المصدر السابق ، ص ٢٣ ٠

والحل فى رأينا لا يكمن فى منع هجرة العقول بقرار أو قانون ، وانما الحل يبدأ من **التخطيط للتنمية** • الحل يبدأ اذن برسم سياسة قومية للبحث العلمى ترتبط **بخطة التنمية** ، وتحدد الخطوط العريضة للنشاط البحثى ، والأهداف الأساسية المرجوة منه للسنوات العشر القادمة مثلا ، مع مراعاة التخصص ، وتركيز الامكانيات الموزعة • هذا مع التأكيد على فكرة أن العلميين مدينون لمصر ، ولمجتمعهم ، فيجب عليهم تسديد الدين •

المراجــــع

اولا — مراجع باللغة العربية :

ا — مراجع عامة :

١ — الأهرام الاقتصادى ، يناير ١٩٧٦ ٠
٢ — الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ، الهجرة الدائمــــة للمصريين خارج ج٠ م٠ ع٠ ١٩٧٢ ٠

ب — كتب ومجلات :

١ — أحمد القصير ، سرقة العقول ، الأرباح والخســـائر ، الكاتب ، السنة ١٣ ، يناير ١٩٧٣ ٠
٢ — اسماعيل صبرى عبد الله ، هى قضية سياسية فى المقام الأول ، الطليعة ، العدد الرابع ، ابريل ١٩٧٣ ٠
٣ — الياس زين ، هجرة الأدمغة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٢ ٠
٤ — انطوان زحلان ، هجرة الأدمغة ، صحيفة التخطيط التربوى فى البلاد العربية ، بيروت ، ١٩٦٨ ٠
٥ — رشدى سعيد ، هجرة العقول قضية تربوية ، الطليعة ، العــدد الرابع ، ابريل ١٩٧٣ ٠
٦ — عادل ثابت ، التزامات جمهــــورية مصر العربية قبــل العلم والتكنولوجيا فى كلير نادر وأنطوان زحلان ، العلم والتكنولوجيا فى الدول النامية (مترجم) دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٧٣ ٠
٧ — محمد ربيع ، هجرة الكفايات العلمية ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، ١٩٧٢ ٠

ثانيا — المراجع باللغة الانجليزية :

(1) Dedijer Stevan, "Early Migration", in Walter Adams (ed), the Brain Drain, New York, Macmillan, 1968.

(2) Johnson, Harry G., "The Economic of the Brain Drain": The Canadian Case, Minerva (London), Vol. 3, No. 3 (Spring 1965) p. 300.

(3) Mohie El-Din, Amr and Omar, Ahmed: "The Emigration of Universities Academic Staff, prepared for the Project on Egyptian Labor Migration, Cairo University, MIT. Technology Planning Program. July 1978.

حـــول
تغير أدوار المرأة وتطور المجتمع

دكتورة ليلى عبد الوهاب(*)

شهد العقدان الأخيران حركة واسعة حول قضية تحرير المرأة • وقد حاول العديد من الدراسات الاجتماعية الحديثة ـ التى بدأت بالتحديد فى الستينات من هذا القرن فى أوربا وأمريكا ـ أن تعيد النظر فى بعض المفاهيم التقليدية التى ظلت ـ فترات طويلة ـ تهيمن على التصـــورات والاتجاهات السائدة فى علم الاجتماع التى أثرت تأثيرا بالغا على توجيــه البحوث فى موضوع التمييز بين أدوار الجنسين • بظهور هذه الدراسات والكتابات الحديثة فى علم الاجتماع بدأت قضايا وموضوعات المرأة تخرج من ذلك المجال الضيق الذى ظلت حبيسة فيه لسنوات طويلة • وهو ميدان علم الاجتماع الأسرى Sociology of the family ، وأخـــذت تســـتقل تدريجيا ، حتى تبلورت أخيرا فى ميدان وفرع جديد فى علم الاجتماع يسمى « علم اجتماع أدوار الجنس Sociology sex roles » واذا ســلمنا بأن هذا الاستقلال قد يساهم فى تقديم فهم أكثر موضوعية للعديد من قضايا المرأة ، والتى أهمها التمييز بين أدوار الجنسين وتقسيم العمل بينهما ، فان هذا الاستقلال لا يعنى أن دراسات وبحوث هذا الفرع الجديد قد تخلصت تماما من تلك المنظورات التقليدية القديمة فى تناول ودراسة أدوار الجنس• ويمكننا أن نميز بين ثلاثة اتجاهات للبحوث والدراسات حول أدوار الجنسين وأدوار المرأة على وجه الخصوص • وسنعرض لهذه الاتجاهات الثلاثـــة كمدخل لطرح تصورنا الخاص عن دور المرأة فى المجتمع • •

أولا : الاتجاه الأول (الاتجاه التقليدى) :

يؤكد هذا الاتجاه على ضرورة تقسيم العمل بين الجنسين بحيث تقوم المرأة بعملية الانجاب ورعاية الأسرة والأبناء ، أى أن دورها لا يتعدى كونها

(*) خبير بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية •

زوجة وأما وربة بيت ، ويقوم الرجل بالعمل والانتاج والمشاركة فى كافة النواحى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بالمجتمع • ويرى أصحاب هذا الاتجاه الذى دعم أساسه عالم الاجتماع الأمريكى (بارسونز Parsons) أن التقسيم بهذا الشكل هو عملية طبيعية natural ووظيفته functional فى آن واحد • فهى طبيعية بمعنى أن هناك خصائص بيولوجية لكل من الذكر والأنثى ، هى التى حددت الدور الاجتماعى الذى يجب أن يلعبه كل منهما فى المجتمع • ويعنون بالوظيفية أن تقسيم العمل بين المرأة والرجل على هذا النحو من شأنه أن يدعم نظام الاسرة فى المجتمع ويحقق قدرا من التوازن داخل البناء الاجتماعى للمجتمع ككل ـ ذلك البناء الذى يمثل نظام الأسرة أحد الانساق الرئيسية فيه • ولكن تقسيم العمل بين الرجل والمرأة على النحو السابق لا يقف فى نظر أصحاب هذا الاتجاه عند تحديد وتوزيع الأدوار بين الجنسين وانما يذهب الى أبعد من ذلك حيث انه يرى أن لكل دور محدد قيمة محددة • وتعكس لنا هذه القيمة وضع ومكانة صاحبه فى المجتمع ـ وبناء على ذلك فلا يجد مؤيدو هذا الاتجاه أية غضاضة فى أن تظل المرأة فى وضع ومكانة أقل من تلك المكانة التى يحتلها الرجل فى المجتمع ، بل وتظل تابعا ضعيفا ومقهورا يحتاج دوما الى حماية الرجل وسيطرته سواء كان هذا الرجل أبا أو أخا أو زوجا •

ثانيا : الاتجاه الثانى : (الاتجاه المحافظ)

يركز أصحاب هذا الاتجاه فى دراستهم للمشكلة على العوامل الحضارية التى صاحبت التغيير الذى طرأ على أدوار الجنسين بوجه عام والمرأة على وجه الخصوص فى ظل المجتمعات الصناعية • وانتشرت وذاعت عديد من الدراسات التى أهتمت بالمشكلة على هذا المستوى ، كدراسات كوماروفسكى Komarovsky ١٩٥٣ و ١٩٦٤ ، ودراسة هارتلى Hartely سنة ١٩٧٠ ، ودراسة لوباتا Lopata سنة ١٩٧١ ودراسة روسى Rossi سنة ١٩٦٤ ، وغيرها من الدراسات التى تأثرت الى حد كبير بآراء وكتابات عالمى الاجتماع الامريكيين ميرتون وزنانيكى • ويولى أصحاب هذا الاتجاه اهتماما كبيرا لتأثير التطور العلمى والتكنولوجى فى المجتمعات الصناعية فى شكل الأسرة وأدوار المرأة فيها • فنرى مثلا كوماروفسكى وهارتلى Komarovsky, Hartely يركزان على أن التغير الذى أصاب دور المرأة انمـــا هو نتيجة حتمية لتقلص دور المرأة فى الأسرة • فمع نشأة ونمو المجتمعات الصناعية بدأت الأسر الكبيرة والممتدة ـ والتى كانت مسئولية المرأة فيها كبيرة فى تربية ورعايــة الابناء ـ فى الاختفاء وحلت محلها الأسر النووية • وأصبح الوقت الذى

تبذله المرأة فى رعاية وتربية الابناء أقل • ونتيجة للتقدم الصناعى أصبح الوقت الذى تستغرقه المرأة وكذلك المهارة فى الأعمال المنزلية غير ذى قيمة • نخلص من هذا الى أن التطور خلق لدي المرأة وقت فراغ أطول ومسئولية أقل مما أدى الى ازدياد فرص التعليم والعمل بالنسبة لهـــا • ويفسر علمـــاء الاجتماع المتأثرون بهذا الاتجاه ـ وضع ومكانة المرأة المتميزين بقدر كبير من الدونية ، بوجود عدد من التناقضات الحضـــارية التى جاءت كنتيجـــة للتعارض الذى نشأ بين النموذج القديم لدور المرأة والنموذج الجديد (الذى ظهر نتيجة للتطور الصناعى) هذا التعارض أخذ يمارس دورا أساسيا فى المجتمع من خلال عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعى •

ثالثا : الاتجاه الثالث (الاتجاه الراديكالى) :

يعتبر هذا الاتجاه حديثا نسبيا فى أوربا وأمريكا • ولقد ظهر بالتحديد فى أوائل الستينات من هذا القرن مع بداية ظهور حركات تحرير المرأة ، وأخذ فى النمو والانتشار وبدأ يجتذب اهتمـــام العـــديد من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية وبالتحديد علم الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجيا • وظهرت نتيجة لذلك العديد من الكتابات الراديكالية التى صدرت معظمها عن باحثين وعلماء من الاناث حتى أنه أطلق عليهم اسم النسوية الراديكالية Radical feminism.

ويعد الاتجاه الراديكالى فى واقع الامر من الاتجاهات الرئيسية الجديرة بالنظر والاهتمام • وترجع أهميته الى تلك الثورة التى أحدثتها معظم الكتابات والدراسات التى تناولت مشكلة المرأة سواء فى نطاق علم الاجتماع أو حتى على مستوى الدعوة الى تحرير المرأة من خلال الجماعات والحركات المنتشرة الآن فى العالم • وعلى وجه الخصوص فى أوروبا وأمريكا •

ولقد ثارت الكتابات والدراسات على علم الاجتماع نفسه موجهة اليه عديدا من الاتهامات ، أهمها :

١ ـ نقص البيانات والدراسات التى تهتم بحياة ومشكلات النساء فى المجتمع ـ ذلك النقص الذى يؤدى بالضرورة الى عدم فهم المجتمعات فهمـــا صحيحا ، حيث لا يعرف الا القليل عن نصف سكانها ـ وهم النساء •

٢ ـ ركزت العديد من الدراسات والبحوث التى أجريت على المرأة على المشكلات الاجتماعية والانحرافات التى تتسبب عن المرأة على حساب

تناولها لتلك التى تعانى منها • ومثال ذلك جناح الأحداث والتضخم السكانى وغيرها •

٣ ـ أكدت معظم الدراسات من جهة أخرى على تقسيم العمل بين الجنسين داخل الاسرة وعلى المشكلات التى تنشأ نتيجة التداخل بين أدوار المرأة فى الأسرة وبين دورها كعاملة •

٤ ـ أبرزت الكتابات الراديكالية حقيقة تحيز علم الاجتماع ـ وعلى الأخص فى أوروبا وأمريكا ـ الى جانب الرجل • وأشارت بعض الدراسات مثل دراسة برنارد ١٩٧٣ ان علم الاجتماع الامريكى بنظرياته المختلفة قد استخدم ليساند ويدعم قوة الرجل وليبرر أيضا عمليات التمييز والقهر الموجودة فى تلك المجتمعات •

ونتيجة لهذه الاتهامات انطلقت معظم دراسات وكتابات اصحاب الاتجاه الراديكالى الحديث لتؤكد زيف وتحيز معظم الدراسات التقليدية ولتكشف لنا القناع عن المنطلق الايديولوجى الذى كان وراء معظم هذه الدراسات •

ومن هنا جاء رفض معظم الدراسات الراديكالية لتلك المسلمات والافتراضات التى أقامت عليها البحوث والدراسات التقليدية ـ الأمريكية منها والغربية ـ أساسا لتقسيم العمل وتوزيع الأدوار بين الجنسين • هذا الأساس الذى ينطوى على عملية التمييز بين الجنسين بحيث تبقى القوة والسيادة فى جانب الرجل مقابل الخضوع والتبعية من جانب المرأة •

ولهذا فان أصحاب الاتجاه الراديكالى ، عندما نادوا بحرية المرأة وتخليصها من كافة أشكال الظلم والاستغلال الواقع عليها ، نادوا أيضا بتحرير علم الاجتماع وتخليصه من كافة الاتجاهات التقليدية القديمة التى ظلت ولا تزال مهيمنة وموجهة لمعظم البحوث فى موضوع الادوار والعلاقات بين الجنسين • وبنظرة الى الكتابات الراديكالية نستطيع أن نستخلص حقيقة أساسية هى أن هذه الكتابات فى معظمها قد حاولت أن تقدم تفسيرا جديدا لعملية تقسيم العمل وتوزيع الادوار والمكانات بين الرجل والمرأة • وعلى الرغم من أن هذه الكتابات تختلف فيما بينها فى طريقة التفسير ، الا أن أصحابها يجمعون على أن مسألة التمييز بين الجنسين هى فى حقيقتها ليست مسألة طبيعية جاءت بحكم الاختلاف الفسيولوجى لكل من الذكر والانثى ، ولكنها مسألة تاريخية نشأت وتطورت نتيجة لعديد من العوامل • فيرجعها البعض لاسباب وعوامل سياسية ، والبعض الآخر يرى

أنها نتيجة لعوامل نفسية أو عوامل اقتصادية واجتماعية • وأخيرا هناك من حاولوا تفسير هذه المشكلة بعوامل حضارية •

وهنا لابد لنا أن نتوقف عند أصحاب هذا الاتجاه لكى نميز منهم أولئك الذين حاولوا أن يقدموا تفسيرا ماركسيا قائما اما على استعارة بعض المصطلحات أو على تحوير الأساس الذى تفسر به نشأة وتطور مسألة التمييز بين الرجل والمرأة وما ترتب عليه من استغلال وظلم نتيجة لنشأة وتطور الملكية الخاصة وما تعكسه من تناقضات طبقية وعلاقات انتاجية كشفت عن نفسها بجلاء من خلال نظام الأسرة فى شكلها التسلطى (الأبوى) Patriarchal Family هذا الشكل الذى نشأ وتدعم فى كنف المجتمعات الطبقية ، وكما أشرنا سلفا فان المحاولات التى قدمها بعض الراديكاليين النسويين Radical Feminists وان كانت قد استخدمت اطارا ماركسيا الا انها جاءت متأثرة الى حد كبير بالفكر الليبرالى • ويؤكد ذلك النقد الذى وجهه معظمهم لتفسير انجلز لموضوع التمييز بين أدوار الجنسين وعلاقة ذلك بالتقدم الاقتصادى للمجتمع • وهو التفسير الذى ورد فى دراسته الشهيرة عن أصل الأسرة والملكية الخاصة والدولة والذى يعتبر من الانجازات القيمة • فقد أدى الى اعادة النظر فى العديد من المفاهيم والافتراضات والمسلمات التى كانت سائدة ، وساعد أيضا على تركيز الانتباه على العوامل الرئيسية وراء عمليات الاستغلال (فى أشكاله المختلفة كما تعكسها انماط وعلاقات الانتاج الموجودة فى المجتمعات الطبقية) فقد بين انجلز فى دراسته هذه كيف أن أوضاع المرأة وظروف القهر والاستغلال التى تعرضت لها قد ظهرت كنتيجة لتطورات معينة حدثت مع نشأة الملكية الخاصة والدولة والأسرة • ولكى توضح هذه النقطة لابد أن نعرض بايجاز لاهم النقط التى يمكن ان نستخلصها من دراسة انجلز :

١ ـ فى النظام العشائرى ـ وهو النظام الذى شهد أول تاريخ الانسانية ـ كانت المرأة تقف جنبا الى جنب مع الرجل فى السعى من أجل القوت • وقد اكتسبت بفضل الدور الحاسم الذى كانت تلعبه فى الحياة من المزايا والحقوق مالم تشهده فى كافة المراحل التاريخية اللاحقة • ومن هنا فقد أطلق على هذه المجتمعات المجتمعات « الأموية » نظرا لسيادة النظام الأموى الذى يمنح المرأة حق الوراثة ونسب الأبناء •

٢ ـ مع نمو وزيادة الانتاج نشأ أول شكل لتقسيم العمل ، وظهر نظام التبادل الذى أدى الى نشأة الملكية الخاصة • فشهد التاريخ الانسانى بذلك أول شكل من أشكال المجتمعات الطبقية • ومع نشأة نظام تقسيم العمل،

يبدأ دور الرجل يزداد أهمية • فتولى الرجل الحكم سواء فى داخل البيت أو خارجه ، وتجردت المرأة من كل الحقوق التى كانت تتمتع بها فى ظل النظام العشائرى ، وانحطت مكانتـها وتحولت الى مجـــــرد سلعة وأداة للمنفعـــة •

٣ ـ ومع تطور الانظمة الطبقية ونشأة المجتمعات الاقطاعية والرأسمالية وتطور علاقات الانتاج القائمة على الاستغلال ، اكتسب الرجل المزيد من القوة والسيادة فى مقابل التبعية والخضوع الكاملين من جانب المرأة التى استبعدت من كافة النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وحصرت نشاطاتها وامكانياتها وقدراتها الانتاجية والانسانية فى الحدود البيولوجية وهى عملية الانجاب •

٤ ـ ان تحرير المرأة من كل أشكال الاستغلال والعبودية لا يمكن أن يتحقق الا بتحرير المجتمع بأسره من صور الاستغلال المختلفة التى تشترك المرأة فيها مع كثير من الفئات الاجتماعية الاخرى • وذلك لن يتم الا بزوال الانظمة الطبقية وقيام مجتمعات جديدة تخلو من كل أشكال التمييزوالظلم والاستغلال ، ويدخل فيها الانسان مع أخيه الانسان ـ بصرف النظر عن جنسه ولونه أو سنه ـ فى علاقات أساسها الحب والتعاون من أجل تحقيق السعادة والرفاهية للجميع • وبالطبع فان هذه الصور الجديدة من العلاقات لن تظهر وتتحقق الا فى ظل النظام الاشتراكى •

٥ ـ فى المجتمع الاشتراكى ـ الذى تتحدد قيمة الفرد فيه بناء على مشاركته فى عملية الانتاج وعلى ما يقدمه من عمل ـ فان السبيل الوحيد لتحسين أوضاع المرأة وتحقيق المساواة بينها وبين الرجل هو اعطاؤها الفرص الكاملة لكى تخرج عن ذلك الدور التقليدى لها فى الأسرة وتشارك بفاعلية فى النشاط المنتج للمجتمع •

بعد هذا العرض لاهم النقاط التى ركزت عليها دراسة انجلز نستطيع أن نقف على أهم الخلافات بينه وبين من حاولوا أن يقدموا تفسيرا ماركسيا لمشكلة التمييز بين أدوار الجنسين • ونذكر على سبيل المثال دراسة كيت ميليت ١٩٧٠ ate Millet « السياسة الجنسيه "Sexual Politics
فقد ركزت ميليت فى دراستها على علاقات القوة الموجودة فى المجتمعات الرأسمالية ومنها المجتمع الامريكى على سبيل المثال • ولقد وصفت ميليت المجتمع الأمريكى بأنه مجتمع قائم على التسلط والقوة اللذين ينعكسان على

الأسرة وعلى العلاقة بين الرجل والمرأة داخل هذه الأسرة ، وهو المجتمع الذى احتفظ بكافة أنواع النشاط الانسانى للذكر وحصر دور المرأة فى الوظائف البيولوجية فقط • وفى رأى ميليت انه لما كانت الأسرة هى الوسيط بين الفرد والمجتمع فهى تؤثر بطريقة قاطعة على الشخصية : قيمها واتجاهاتها • وتؤكد ميليت ان تغير الاتجاهات أكثر ضرورة من التحول فى علاقات الانتاج• وهنا يبدو الفرق الجوهرى بينها وبين انجلز • فبينما يركز انجلز على ضرورة التغير فى علاقات الانتاج للقضاء على التمييز بين الرجل والمرأة ، تركز ميليت على أهمية التغير فى البناء السيكولوجى للشخصية •

وتحاول فايرستون (١٩٧١) فى دراسة أخرى بعنوان الجدل الجنسى "The Dialectic of Sex" أن تفسر العوامل التى أدت الى عملية التميز بين الجنسين وتنهج فى ذلك نفس النهج الذى سارت عليه ميليت • فاستخدمت النظرية المادية التاريخية ، مع تعديل فى الأساس الجوهرى لبنائها عن طريق طرح بدائل لهذا الأساس • واذا كانت ميليت قد اعتبرت أن علاقات القوة وتأثيراتها المختلفة فى البناء السيكولوجى للشخصية هى البديل عن علاقات الانتاج والملكية الخاصة فان فايرستون تطرح بديلا آخر – وهو ما أسمته بعلاقات الانجاب Reproduction Relations كأساس لتفسير عملية التميز والقهر التى تعرضت لها النساء • وهى تؤكد أن عملية الانجاب قد لعبت دورا أساسيا فى تحديد دور ومكانة المرأة فى المجتمع • وترى أن حل التناقض القائم فى العلاقة بين الرجل والمرأة وتحقيق المساواة بينهما سوف ينتهى عندما تستقل عملية الانجاب تماما عن كليهما ، وذلك باحلال الانجاب الصناعى artificial reproduction محل الانجاب الطبيعى • كما ترى أن مسألة اعتماد الطفل والأم كل منهما على الآخر سوف يقل عندما تقوم بعض الجماعات الصغيرة والمؤسسات بدور الرعاية والتربية بدلا عن الأم • وأخيرا تتصور فايرستون أن عملية تقسيم العمل بين الجنسين والتمييز بينهما سوف تنتهى بانتهاء الأساس البيولوجى الذى تقوم عليه الأسرة •

والآن ، وبعد هذا العرض السابق لأهم الاتجاهات والتيارات التى اهتمت بقضية التمييز بين أدوار الجنسين – ودور المرأة على وجه الخصوص – نستطيع أن نطرح تصورنا الخاص لهذه المشكلة وهو تصور يقدم رؤيتنا للدور الذى

يجب أن تلعبه المرأة فى المجتمع ويتضمن أيضاً ردنا على الاتجاهات السابقة ٠

أولا : أن مشكلة التمييز بين أدوار الجنسين وغيرها من القضايا والمشكلات التى تهتم بوضع ومكانة المرأة وبالدور الذى يجب أن تلعبه فى المجتمع لا يمكن تناولها الا فى ضوء المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية لواقع كل مجتمع ٠ لذلك نستطيع أن نؤكد على أن وضع المرأة ودورها فى المجتمعات الرأسمالية يختلف عنه فى المجتمعات الاشتراكية ، وهو فى المجتمعات النامية ـ التى يمثل مجتمعنا المصرى أحد نماذجها ـ غيره فى تلك المجتمعات ٠

ثانيا : أن عملية تقسيم العمل بين الجنسين والتمييز بينهما ـ بحيث يقوم الرجل بالمشاركة فى كافة النشاطات الاقتصادية والاجتماعيةوالسياسية للمجتمع ويبقى دور المرأة فقط محصورا عند حدود الأسرة أى كونها زوجة وأما وربة بيت وما يعكسه ذلك من علاقة يحتل الرجل فيها القوة والسيادة وتظل المرأة الطرف التابع والخاضع ـ مسألة لا يمكن ارجاعها الى العوامل البيولوجية أو للخصائص الفسيولوجية لكل من الجنسين ٠ ولكن الذى يحددها فى المقام الأول هو شكل علاقات الانتاج السائدة فى المجتمع وشكل الملكية فيه ٠ ولقد قدم التاريخ لنا الدليل على أن تقسيم العمل بين الرجل والمرأة وهو أول شكل من أشكال التقسيم الذى ظهر فى التاريخ الانسانى للمجتمعات قد ظهر مع نشأة الملكية الخاصة فى تلك المجتمعات ٠ وأقدم مثالا لأوضح فيه هذه النقطة ٠

لقد كان العبيد فى يوم من الأيام أقوياء البنية ، ولكن هذا لم يعفهم من أن يظلوا عبيدا لسادة قد يكون من بينهم من هو ضعيف البنية ٠ اذن فالذى حدد علاقة القوة بين السادة والعبيد هنا ليست القوة أو الضعف البدنى ولكن الذى حددها هو من يمتلك ومن لا يمتلك ٠

ثالثا : اذا كان على المرأة أن تعمل وتكافح من أجل أن تتخلص من كل صور التمييز والظلم التى تعرضت لها وما زالت تعانى منها ، ولكى تحقق ذاتيتها كانسان فلا يمكن أن يحدث ذلك على غرار ما تنادى به جماعاتتحرير المرأة المنتشرة الآن فى العالم ـ وعلى الأخص فى أمريكا وأوروبا الغربية ـ من دعاوى نحو مزيد من التحرر الجنسى أو الثورة على الأسرة من خلال تخلى المرأة تماما عن دورها فيها ، وعلى عملية الانجاب بالذات التى يرون أنها

من أهم أسباب دنو شأن المرأة . فهذه الدعاوى فى رأيى تضر بقضية تحرير المرأة أكثر مما تفيدها . فالتمييز بكافة أشكاله سواء كان قائما على الجنس (الرجل والمرأة) أو اللون (السود والبيض) أو العمر (الشباب والكبار) هو انعكاس للتناقضات الطبقية الناتجة عن علاقات الانتاج الرأسمالية الموجودة فى تلك المجتمعات . ولذلك فان كفاح المرأة فى تلك المجتمعات لابد أن يلتحم بكفاح الطبقة العاملة المستغلة من أجل احلال شكل جديد من العلاقات تختفى فيه كل صور التمييز والاستغلال بدلاً من أن يتخذ كفاحها مجرى فرعيا للصراع .

رابعا : اذا كانت عملية التمييز بين الجنسين مرتبطة هذا الارتباط الوثيق بعمليات الصراع الطبقى والملكية الخاصة فهل هذه العملية سوف تحل بطريقة ميكانيكية بمجرد اختفاء عمليات الصراع الطبقى والملكية الخاصة فى ظل الأنظمة الاشتراكية ؟ للاجابة على هذا التساؤل نستطيع أن نقول أن المجتمعات الاشتراكية وهى التى تلتزم بالأيديولوجية الماركسية قد حاولت منذ البداية أن تدفع بالنساء لكى يشاركن فى قوة العمل بكامل ثقلهن . ونستطيع أن نلمس هذه الحقيقة من نسبة مشاركة النساء فى قوة العمل التى تصل الى ما يقارب النصف فى هذه المجتمعات ، ومنها تشيكوسلوفاكيا على سبيل المثال حيث تصل النسبة الى ٤٨٪ . ان مشاركة المرأة فى قوة العمل من شأنها أن تؤثر على دور المرأة ووضعها فى المجتمع لأنها ستحقق الآتى :

١ ـ فرصة المشاركة الفعلية الى جانب الرجل فى بناء وصنع وتقدم المجتمع .

٢ ـ سيحقق لها قدرا كبيرا من الاستقلال الاقتصادى ذلك الاستقلال الذى سيساعد على نشأة علاقة بينها وبين الرجل لا تقوم على اعتماد وخضوع أحد الطرفين للآخر ، وتختفى فيها المصلحة الطبقية ، وتقوم على الحب والتعاون والمشاركة فى صنع حياة أفضل .

يمكننا هنا التوقف لحظة لكى نرى ما اذا كانت هذه الصورة من العلاقة بين الرجل والمرأة قد تحققت فى ظل الانظمة الاشتراكية بفضل مشاركتها جنبا الى جنب مع الرجل فى قوة العمل أم أنها لم تتحقق بعد ؟ .

نستطيع ان نقرر فى هذا الصدد أمرا هاما يغيب عن بال معظم المحللين

الذين يرون ان المرأة فى المجتمعاتالاشتراكية لم تتحقق لها الحرية والاستقلال المنشودان فبالرغم من مشاركتها الكبيرة فى قوة العمل وفى النشاط المنتج للمجتمع الا أنها لا تزال يقع على عاتقها العبء الأكبر من الأعباء المنزلية ورعاية الأسرة • وقد حاول نورتن دودج فى دراسة اجراها عن النساء فى الاقتصاد السوفيتى (١٩٦٦) أن يؤكد ذلك التناقض الواضح فى وضع المرأة تحت الانظمة الاشتراكية • وقد غاب عن دودج كما غاب عن كثيرين غيره انه اذا كانت الانظمة الاشتراكية قد استطاعت أن تغير الاساس المادى للعلاقة بين الرجل والمرأة فان الجانب المعنوى من هذه العلاقة الذى يتمثل فى القيم والافكار والاتجاهات التى ظلت لاجيال واجيال فى ظل المجتمعات الطبقية السابقة على المجتمع الاشتراكى تلعب دورا أساسيا فى تزييف وعى كل طرف من أطراف العلاقة بطبيعة وجوده وبالدور الذى يجب أن يلعبه فى المجتمع ــ هذا الجانب المعنوى الذى يحتاج الى وقت أطول لاحداث التغيير فيه لا يزال يمارس تأثيره فى ظل المجتمعات الاشتراكية • واذا كان البعض يرى أن هذا التناقض سوف يختفى بمزيد من الممارسة والمشاركة للمرأة فى كافة النواحى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الا أن هذا لا يعفى تلك الأنظمة من مسئوليتها نحو التصدى لهذه المشكلة عن طريق التزامها الى جانب الايديولوجية الماركسية بنظرية خاصة بالنساء تساعد على تخليص المجتمع من القيم والمفاهيم التقليدية القديمة ، وتزيد من وعى النساء بأهمية وجودهن الاجتماعى وبالدور الذى يجب أن يلعبنه فى المجتمع حتى تتحقق المساواة الكاملة لجميع أفراده •

خامسا : بالنسبة للمجتمعات النامية والتى يمثل المجتمع المصرى أحد نماذجها فان وضع المرأة فيه والدور الذى يجب أن تلعبه هو شىء وثيق الارتباط بظروف التخلف الاقتصادى والاجتماعى والسياسى التى مر بهـــا المجتمع المصرى خلال تاريخه القديم والحديث على حد سواء ، لذلك نستطيع أن نقول ان أى تقدم يمكن أن يحدث فى وضع المرأة مرهون بتقدم وتطور هذا المجتمع •

ولكى أوضح هذه النقطة استطيع أن أقول ان قضية المرأة فى المجتمع المصرى هى نفسها قضية التنمية ولا أقول جزء منها فمشكلة المرأة لا تنفصل بحال من الأحوال عن مشكلة الأمية ومشاكل الريف المصرى والعمالة والتعليم والشباب والتشريع والصحة وغير ذلك من المشاكل التى لا تخص المرأة فقط ولكنها تخص المجتمع ككل نساءه ورجاله • واذا ادركنا هذه الحقيقة الهامة نستطيع أن ندرك أيضا أنه بدون استراتيجية واضحة ومحددة المعالم للتنمية

الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع المصرى تعمل على ترشيد واستخدام كل الطاقات المادية والبشرية رجالا ونساء بدون أى تمييز - وخاصة انالنساء يمثلن نصف الطاقة البشرية لهذا المجتمع - فاننا سنظل نتحدث عن كثير من المشاكل دون أى تحسن أو تقدم ·

وأخيرا فان تجارب الشعوب تدلنا على أنه بالعمل وبالعمل المنتج يستطيع المجتمع أن يتقدم ، ويستطيع الفرد فيه أن يحقق ذاتيتهوانسانيته بصرف النظر عن جنسه أو لونه ·

المـــراجع

(1) Bernard, Jessie (1973): "My Four Revolutions": An Autobiographical History of the ASA "Ju Jaan Haber" Changing Woman in a Changing Society, The university of Chicago Press.

(2) Dodge, Norton (1966): Women in the Soviet Economy, Baltimore, Johns Hopkins Press.

(3) Engels, Frederick (1970): The Origin of the Family, Private Property and the State. In selected works, Vol. 3. Progress Publishers, Moscow.

(4) Firestone, Shulamith (1971): The Dialectic of Sex. By Low and Brydon Ltd., London, Great Britain.

(5) Hartley, Ruth (1970): "American Core Culture: Changes and Continuities". In sex Role Pattern. In sex Roles in a Changing Society, edited by Georgeue Seward and Rabert C. Williamson, New York: Random House.

(6) Komarovsky, Mirra (1964): "Cultural Contradictions and Sex Roles". American Journal of Sociology, 52 (November) 185-89.

(7) Millet, Kate (1970): Sexual Politics, Garden City, Double Day and Co. Inc.

(8) Parsons, Talcott (1964): "Essays in Sociological Theory." The Free Press of Glencoe, New York.

to speak out politically, to discover that problems hitherto belived to be personal are in fact social, and that to fight against them is political. But, consciousness-raising without mass political work is a cul-de-sac.

In part, the theory we demand for such struggle is and will be a product of science which can only be fully developed in a socialist society. But, even in its present undeveloped stage, this science is one of the most important weapons. There can be no isolated super-theory of women's liberation. The next thing on the agenda is a more developed Marxist psychology to analyze sexuality, socialization, and the myraid of aspects of development involved in our liberation.

Finally, the point to stress again are the necessary solutions of women's questions not in the democratic way, but only under socialism. Let us borrow Engels words in this sense when he said:

"Unless women are brought to take an independent part not only in political life generally, but also in daily and universal public service, it is no use talking about full and stable democracy, let alone socialism".

But, the question which could be put forward here, is sex or class the primary contradiction ? The best answer can be drawn from the fundamentals of historical materialism. Historical materialism holds that in a society founded on private property, the class struggle is primary ; racial, national, and sex contradictions are secondary. What this means in short is that sexism cannot be explained without reference to the dynamics of class, while an explanation of the broadest outlines of class dynamics does not require a theory of sex. The resolution of sexist contradictions requires the resolution of class contradictions. Of course the relation between the resolutijons of the two contradictions is dialectical, and this is a second key concept, without the concept of primary and secondary being useless.

To a certain extent, it is possible to criticize both some feminists and some traditional Marxists for holding simplistic and mechanical views of the sex-role problem. Liberal feminists regard the male-female division as the primary contradiction, the mechanical Marxists are unable to integrate the secondary contradictions of women's oppression into either a theory of historical explanation or a theory of political action, the latter presupposing the former.

I think that an extension of the defense of socialist liberation must include a theory of the fate of women after socialism. Since the place of women involves secondary contradictions, why will women necessarily be liberated with the resolution of the primary contradiction of the class struggle ? I wish to argue, according to the above analysis of the demographic data of the present study, that the oppression of women, while not primary, is nonetheless crucial to capitalism, and the liberation of women, while not primary, is nonetheless crucial for the development of socialism.

It is true that the women in the movement have been unfairly criticized for "consciousness-raising". This tactic certainly has its place : due to family responsibilities women are isolated. Furthermore, women are not respected intellectually. This makes necessary a period of building up confidence in order

CHANGING ROLES OF WOMEN AND DEVELOPMENT OF THE SOCIETY

The last two decades have witnessed of a widespread movement towards the women liberation. Many social studies have been done to point out the correct definition of the sex-division of labor. Most of these researches proved the truth that the biological and psychoanalytical assumptions among the sex discrimination have not been the scientific ones.

Ideologically speaking, the most social and psychological studies which emphasized the natural (biological and physiological) differences between the sexes, have tended to maintain thé existence of the capitalist system within the family and the whole social structure of the bourgeois society. Their studies have largely been criticized by the Marxist thinkers and also by the radical bourgeois feminists.

In the recent years, many bourgeois feminists have dealt with the problem of sex discrimination. But, the point they have concentrated to in their analyses, is different than that of the scientific Marxist analysis. Their analysis, for example, forces reproduction as a biological basis, and sexuality as a social and political issue. They believed in a unity on the basis of gender alone ; they overlooked the very real differences between their oppression and the oppression of the working class women. Thus, the bourgeois feminists still do not provide us with a way of combining women's struggle with the present class struggle.

In the last several years, parts of women's movements have gone in a radical feminist direction, sometimes under the name of Marxism. The critique of the family and male chauvinism has been carried on in many of their writings. Much of them are anti-capitalist, but since male chouvinism and the patriarchal family is often seen as the cause of capitalist oppression, the critique of the family usually takes precedence over the critique of capitalism.

صدر العدد الأول مارس ١٩٧٨ المجلد الحـــادى والعشرون من المجلة الجنائية القومية متضمنا البحوث والمقالات الآتية :

● بحث سرقة المساكن فى المناطق الحضرية .
الدكتور ابراهيم أبو الغار

● معاملة المذنبين طبقا لقواعد الحد الأدنى (الجزء الثانى)
الدكتور أحمد المجذوب

● وسيط الرشوة الذى لم يتعد فعله العرض أو القبول
المستشار سمير ناجى

● ندوة نقل الكلى والكلى الصناعية
وهناك مقالات باللغة الانجليزية

الثمن ٣٠ قرشا

مفهوم نمط الانتاج الأسيوى

خطوط عامة

محمد محى الدين (*)　　　　أحمد ماجد عبد العزيز (**)

ليس من العسير على أى قارىء للماركسية أن يدرك انها قد ولدت وبالدرجة الاولى كجواب على مشاكل البلدان الرأسمالية المتقدمة ، فلقد تنبأ ماركس بأن الثورة الاشتراكية ستنشب أساسا فى البلدان التى شهدت تحولا صناعيا كبيرا ، بل انه كان يعتقد نتيجة لتحليلاته بأن انجلترا بالذات هى المهيأة لولوج مرحلة الاشتراكية قبل سواها من الأقطار ، وذلك بعد أن نجح المجتمع الانجليزى فى ارساء دعائمه الرأسمالية والقضاء النهائى على الاقطاع ٠

اذا كان لنا ان نذهب الى القول بأن الماركسية تقدم لنا منهجا لدراسة المجتمع الانسانى ، الا أننا لا نستطيع أن نسلم بطابع التفسيرات الشمولية والالزامية التى لقيتها الماركسية ٠

فالمعروف أن النظرة الماركسية الكلاسيكية فى تطور المجتمعات تسلم بأن المجتمع يمر بمراحل خمس هى المشاعية البدائية ، والعبودية ، والاقطاع، والرأسمالية ٠ ثم أخيرا المرحلة الاشتراكية ٠ وان مراحل العبودية والاقطاع والرأسمالية تتميز دائما بوجود طبقتين متصارعتين ، السادة والعبيد فى المجتمع العبودى ، الاقطاعيون والاقنان فى المجتمع الاقطاعى ، وأخيرا الرأسماليون والعمال فى المجتمع الرأسمالى(١) ٠ أما فى المرحلة الأخيرة مرحلة

(*) باحث بوحدة بحوث الريف بالمركز ٠
(**) باحث بالجهاز المركزى للتنظيم والادارة ٠

(١) يمكن العثور على مثل هذا التفسير للنظرية الماركسية فى مؤلف ستالين (المادية التاريخية) وقد حذر انجلز مرارا وتكرارا من خطر تحويل المادية التاريخية الى وصفه تلصق بالأشياء قبل دراستها ، وسخر من « أصدقاء التصور المادى للتاريخ » الذى اتخذوا من هذا التصور ذريعة لعدم دراسة التاريخ ٠ (أنظر رسالته الى شميدث فى ٥ أغسطس ١٨٩٠) ٠

الاشتراكية فيختفي فيها صراع الطبقات لان المجتمع الاشتراكى هو فى أساسه مجتمع لا طبقى ٠

والواقع ان هذه النظرة تصلح أساسا لتفسير تاريخ المجتمع الاوربى أكثر من أى مجتمع آخر ، فنحن نستطيع أن نتكلم بثقة عن وجود مراحل كالاقطاع والرأسمالية فى تاريخ أوربا ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بأن المجتمعات العالم ثالثية قد شهدت مرحلة كمرحلة الاقطاع مثلا فى الوقت الذى حاول فيه بعض المفكرين الماركسيين الغربيين سحب تاريخ المجتمع الاوربى على تاريخ العالم بأسره ، ولكن هل فى الماركسية من ضرورة مطلقة ومسبقة توجب على مجتمعات الارض قاطبة أن تمر بنفس المراحل الخمس؟(٢) ٠

الحق أن نزعة مركزية الذات الاوربية أو النزعة الى مركزة العالم حول أوربا هى وحدها ـ لا الماركسية ـ التى تفترض وجود ضرورة مطلقة كتلك٠ إن نزعة مركزية الذات الأوربية تعبير ايديولوجى نتج أساسا من سيطرة أوربا على العالم ، ولكن بقدر ما يصح الحديث عن الحضور الهجومى لاوربا، بقدر ما يصح أيضا الحديث عن الوجود السلبى لآسيا وأفريقيا فى العالم ، فتقدم أوربا وتخلف آسيا وأفريقيا هما الوجهان غير القابلين للانفصام لنمط الانتاج الرأسمالى ٠

الماركسية اذن لا تنطوى على مثل هذه الضرورة الا فى ظل تفسيرات دوجماطيقية ٠ ففى مقدمة الطبعة الروسية للبيان الشيوعى المنشورة عام ١٨٨٢ والتى كتبها ماركس وانجلز نجدهما يتساءلان « هل يمكن للمشاعة القروية الروسية أن تتحول مباشرة الى شكل ارقى للملكية الشيوعية للارض أم ينبغى لها أن تمر فى نفس عملية التفسخ التى ظهرت فى التطور التاريخى للغرب ؟

ان ثمة جوابا واحدا ممكنا على هذه المسألة اليوم ٠ اذا اعطت الثورة الروسية اشارة انطلاق لثورة بروليتارية فى الغرب ، بحيث تكمل احداهما

---

(٢) يمكن أن نجد مناقشة مستفيضة لهذه القضية فى المقدمة التى كتبها جورج طرابيش لكتاب حول نمط الانتاج الأسيوى ٠ آنظر فى ذلك جان ستينو وآخرون : حول نمط الانتاج الآسيوى ، ترجمة جورج طرابيش ، دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧٢ ط ١ ص ص : ٥ ـ ١٧ ٠

الأخرى ، يمكن لشكل الملكية المشاعية للأرض القائمة حاليا فى روسيا أن يشكل نقطة انطلاق تطور شيوعى(٣) ٠

وبديهى ان أكبر خطأ يمكن أن يقع فيه مفكرو العالم الثالث هو الرد على نزعة مركزية الذات الأوربية بنزعة أخرى مضادة اسيوية أو آسيوية أفريقية أو عالم ثالثية ، ذلك لأن الأيديولوجيا لا تهزم الايديولوجيا ، فاذا ماعدنا الى أيديولوجية المراحل الخمس التى تسحب تطور تاريخ أوربا على تاريخ المجتمع الانسانى كله نجد أن هزيمة هذه الايديولوجيا لم تتأت على يد أيديولوجية أخرى مضادة ، بل نتيجة لممارسة تاريخية محددة ، فلقد شهدت نهاية الحرب العالمية الثانية دخولا جماعيا رائعا ومتعاظما من قبـــل شعوب آسيا وأفريقيا الى مسرح التاريخ العالمى ، وتصاعدت حركات التحرر الوطنى لهذه الشعوب تصاعدا انفجـــاريا دشنه انتصـــار الثورة الصينية سنة ١٩٤٩ ، لم تعد آسيا وأفريقيا اذن مجرد استطالة لأوروبا ٠ لم تعد أوربا هى المركز والعالم المتخلف هو الاطراف ٠

ولقد تزامن مع ذلك — أى دخول آسيا وأفريقيا الى مسرح التاريخ — اشهار افلاس الجمود العقائدى فى بورصـــة الفكر السياسى ، فلقد أتاح نقد خروشوف الشهير للعهد الستالينى فرصة للاتحاد السوفيتى لأن يخرج من عزلته ٠ لقد ألحق الجمود العقـــائدى بالنظرية الماركسية ضررا شديدا ، فتحت شعار المحافظة على شمولية النظرية ووحـــدتها كاد هـــذا الجمود يخنق كل الأفكار الواعدة التى بشر بها ماركس وانجلز فى أواخر حياتهما عن المجتمعات الشرقية ، تلك الافكار التى كان يمكن عن طريق تطويرها واغنائها بمنجزات العلم الحديث توسيع اطار النظرية الماركسية حول تطور المجتمع ومن تليينها حتى تعانق تلك الواقعـــة الجـــديدة ، أى اكتشاف أن الشعوب آسيا وأفريقيا هى الأخرى تاريخا ، وان هذا التاريخ يستعصى فى الأغلب الأعم عن الدخول فى خط التطور النموذجى المعروف باسم « المراحل الخمس » ٠

وبالعودة الى الكتابات الماركسية الكلاسيكية اتضح ان هذه الكتابات تتضمن بعض الأفكار الأساسية حول خصوصية المجتمعات الشرقية ، رغم ان كاتبى هذه الكلاسيكيات قد عاشا وعملا فى القرن التاسع عشر ، أى عـــلى

---

(٣) ماركس ، انجلز ، بيان الحزب الشيوعى ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٦٨ ص ١٠ ٠

وجه التحديد فى القرن الذى كانت أوربا فيه بحق قلب العالم ومركزه •

هذا المبحث الذى بقى لقرن كامل مغمورا مهمـــلا نه فى كلاسيكيات الماركسية اسم محدد هو « نمط الانتاج الآسيوى »(٤) وطبيعى أن كلمـــة آسيوى هنا لا تشير الى حدود مكانية أو جغرافية ، وانما هى تشير الى خصائص نمط معين من الانتاج طبعت به المجتمعات فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

ولننتقل الآن الى جوهر المسألة •••

ان نمط الانتاج الآسيوى لا يقودنا اذن الى اعادة النظر فى مبدأ المادية التاريخية ، وانما الى اعادة النظر فى التفسير الكلاسيكى للمادية التاريخية • وقبل أن نتحدث عن هـــذا المفهوم بالتفصـــيل ، لابد أن نتحدث بشىء من الايجاز عن مفهوم نمط الانتاج بشكل عام وعن الفارق بين مفهوم نمط الانتاج Mode of Production Formation. والتكوين الاقتصادى الاجتماعى Socio-Economic

وثمة ميل الى الخلط الضمنى بين مفهومى نمط الانتاج والتكـــوين الاقتصادى الاجتماعى • فمفهوم نمط الانتاج يبرز ما هو أساسى وعام فى عدد من المجتمعات البشرية العينية • وهو غير قابل لان يتحد فى الهوية مع هوية أى مجتمع كان • على هذا النحو يحلل ماركس فى « رأس المـــال » نمط الانتاج الرأسمالى • وهو لا يحلل ولا يصف أى مجتمع خاص بعينه حتى ولا المجتمع الانجليزى فى الستينات ، ذلك المجتمع الذى كان يحلو لماركس أن يستشهد به فى أكثر الحالات لأنه كان أقرب المجتمعات الى النموذج العام المستنبط ، والاحالات الى هذا المجتمع العينى أو الى غيره من المجتمعات هى محض عناصر فى اقامة البرهان على صحة النموذج المجرد الذى تم استنباطه(٥) •

---

(٤) عرض ماركس مفهوم نمط الانتاج الآسيوى بشكل خاص فى عام ١٨٥٩ فى دراسته المعروفة باسم « التكوينات الاقتصادية لما قبل الانتاج الرأسمالى » وقد نشر هذا النص لأول مرة فى موسكو عام ١٩٣٩ • أنظر فى ذلك :

Karl Marx : Pre-Capitalist Economic Formations, International Publishers, N.Y. Seventh Printing, 1975. = وان كان ماركس فكراته الأولى حول موضوع الاستبداد الشرقى فى مقاله حول نتائج السيطرة البريطانية على الهند ، أنظر ، ماركس ـ انجلز ـ حول الاستعمار • دار التقدم موسكو ص‌ص ٢٢ : ٣١ ، ص‌ص ٦٣ ، ٧٢ •

(٥) جان سورية كانال : المشكلات النظرية لدراسة المجتمعات الطبقية الأولى • فى جان شينو وآخرون : مصدر سابق ص ٤١ •

ونمط الانتاج كما يعرفه القاموس الفلسفى : هو أسلوب مشروط تاريخيا للحصول على ضروريات الحياة والطعام ـ الملبس ـ المسكن ـ أدوات العمل) وهو القاعدة التى ينهض عليها النظام الاجتماعى بما يحتويه من أفكار وقضايا سياسية ونظم اجتماعية ، وبتغير نمط الانتاج تحدث تغيرات مواكبة فى مجمل النظام الاجتماعى كله ، وكلماظهر نمط انتاجي جديد متجاوزا النمط القديم فانه يشير الى ظهور مستوى جديد أعلى فى المراحل التاريخية للتطور الانسانى . ويشتمل كل نمط انتاجى على عنصرين أساسيين : قوى الانتاج وعلاقات الانتاج . وتعتبر قوى الانتاج العنصر الأكثر تحديدا وحسما فى تطور نمط الانتاج والذى تتغير تبعا له علاقات الانتاج . وبالرغم من الدور الهام لقوى الانتاج فى عملية تطور المجتمع ، الا أن علاقات الانتاج أيضا تؤثر تأثيرا فعالا فى تطور القوى المنتجة ، فعلاقات الانتاج تزيد من عجلة تطور القوى المنتجة(٦) .

مفهوم نمط الانتاج هو اذن مفهوم مجرد ، ولا ينطوى على نظام للتعاقب التاريخى لكل فترة تاريخ الحضارات التى تمتد من أولى التكوينات حتى الرأسمالية(٧) .

أما مفهوم التكوين الاقتصادى الأجتماعى ، فيتعلق على العكس بالتاريخ ، فهو يشير الى نموذج مجتمعى محدد صحيح أنه ملزم بالاحالة الى نمط الانتاج السائد حتى تكون له قيمة علمية ولكنه قد ينطوى أيضا على خصائص اقتصادية واجتماعية أخرى(٨) .

ويعرف القاموس الفلسفى التكوين الاقتصادى الأجتماعى بأنه « شكل من الأشكال التاريخية للمجتمع يستند الى نمط انتاجى محدد ويظهر كمرحلة فى تطور المجتمع البشرى » ويمثل هذا المفهوم حجر الزاوية فى نظرية التفسير المادى للتاريخ . وهو ييسر امكانية التمييز بين فترة ما من التاريخ وفترة أخرى وبذلك يساعد على امكانية دراسة الوقائع التاريخية دراسة عينية فى سياق تكوينى معين ، فضلا عن انه يمكن من تجميع الانساق التى تندرج

---

(٦) See M. Rosenthal and P. Yudin : A Dictionary of Philosophy. Progress Publishers, Moscow, 1967, p. 294.

(٧) سمير امين : التطور اللامتكافىء : دراسة فى التشكيلات الاجتماعية للراسمالية المحيطية ، ترجمة برهان غليون ، دار الطليعة ـ بيروت ، ط ٢ ـ ١٩٧٨ ص ١٥ .

(٨) جان سورية كانال ـ مصدر سابق ص ٤١ ، ٤٢ .

تحت مستوى انتاجي واحد في عدد من المجتمعات • ومن ثم يمكننا الكشف عن الملامح الأساسية والمشتركة بين هذه المجتمعات وهو يعين أيضا على دراسة المجتمع الانساني خلال مراحل تاريخية مختلفة بوصفه كائنـــا اجتماعيـــا متطورا تاريخيا يشتمل على كافة الظواهر المتفاعلة في وحـــدتها العضوية متطورا الى نمط الانتاج الأعم(٩) •

ومن ثمة فان التكوين الاقتصادى الاجتماعى هو بنية مشخصة ومسيطرة يميزها سيطرة نمط انتاجي معين توجد معه مجموعة من الأنماط الانتاجية الخاضعة له • فلم يوجد في يوم من الأيام أي من الأنمـــاط الانتـــاجية في حالته الصافية باستثناء نمط الانتاج الرأسمالى ـ فالمجتمعات التاريخية هي تكوينات تتضافر فيها عدة أنماط إنتاجية(١٠) •

وعلى الرغم من أن كتابات ماركس حول المجتمعات الشرقية لا تشكل نظرية متكاملة ، الا أن عناصر ومفهومات هذه النظرية قائمة في نظريته ، منذ أدرك ماركس قبيل وفاته ببصيرته قرب ميلاد عصر تاريخي جديد يتصف بشكل خاص بانتقال مركز الثورة العالمية الى الشرق ، فبعد أن درس ماركس نمو الرأسمالية ، كان يقدر أن المسائل المتعلقة بالزراعة ينبغي أن تدرس بالاستناد الى الوقائع الروسية • ومعلوم ان لينين سيتناول منذ مؤلفاته الأولى ويوسع هذا التحليل الذى تخلى عنه لسوء الحظ مؤسس الماركسية بعد أن أعد خطوطه الأولى في القسم الأخير من « رأس المال » •

ان نمط الانتاج الآسيوى في فكر ماركس مفهوم متلاحم ومتكامل الانشاء • ويميز ماركس تمييزا واضحا شكل الملكية الآسيوية من الملكية القديمة من جهة أولى ومن الملكية الجرمانية من جهة ثانية • وهو يرى أن هناك ثلاثة أشكال من الملكية ولدت جميعها من انحلال المجتمع البدائى ، وكانت نقطة انطلاق لثلاثة أنماط مختلفة من المجتمعات الطبقية • ففي حين ان الفرد في النمط الجرمانى لا يندمج في المشاعة الا بوصفه سيدا قرويا على قطعة من الأرض ، يتميز النمط الآسيوى بصرامة رقابة المشاعة على الأفراد الذين لا يتسلمون الأرض الا على أساس انتمائهم الى هذه المشاعة • وتنضاف الى هذه الوحدات المشاعية الأساسية الدولة الآسيوية ، تلك « الوحـــدة

---

(٩) See Op. cit. p. 419.

(١٠) سمير أمين : المصدر السابق ص ١٧ •

العليا » ـ بتعبير ماركس ـ التى تبقى على مجمل المشاعات القروية وأعضائها فى حالة التبعية الاجتماعية ، « العبودية المعممة » والتى تؤدى فى نفس الوقت وظائف حقيقية ذات طابع سياسى ، وبوجه خاص اقتصادى (ورشات الأشغال العامة) . أما النمط القديم فيقوم من جهة على أساس علاقات أكثر تعقيداً تجمع بين الانتماء الى المشاعة وهو منبع الحق فى الأموال العامة Ager Publicus ويبين تطور الرقابة الخاصة (من قبل أشخاص كانوا فى الأساس محرومين من الحقوق فى الأرض المشتركة) على وسائل الانتاج ولا سيما العبيد(١١) .

ان الخاصيتين الأساسيتين المميزتين حقا لنمط الانتاج الآسيوى هما ، كما يرى ماركس ، من جهة اقتصاد يقوم على أساس عدد كبير من المشاعات القوية الصغيرة المنعزلة عن بعضها البعض ، والتى تمارس الزراعة والأعمال الحرفية على نطاق محدود . وجهة أخرى دولة استبدادية فى القمة تستحوذ على قسم من الفائض الذى تنتجه الجماعات القروية ، تتحمل هذه الدولة أعباء الأشغال العامة كلها ، والرى منها بخاصة ، والتى تعتبر أمرا لا مفر منه لسير عجلة الاقتصاد بصورة حسنة وملائمة(١٢) .

ولعل التساؤلات التى طرحها جان شينو فى مقاله « نمط الانتاج الآسيوى : بعض منظورات للبحث » يمكن أن تكون بمثابة مفتاح لازالة الغموض المحيط بهذا المفهوم وهذه التساؤلات هى :

١ ـ ما سمات الانتاج القروى ؟

لماركس عبارة مشهورة يقول فيها « ان غياب الملكية الخاصة هو مفتاح فهم الشرق كله » معنى ذلك ان المشاعات Communities أو المشتركات القروية كانت تتميز بخاصية أساسية هى عدم وجود ملكية خاصة للأرض ، ويرى بعض الباحثين المصريين انه فى مصر وحتى بعد استقرار حقوق الملكية الخاصة فى أواخر عهد اسماعيل كانت هذه الحقوق حقوقا شكلية فقط ولم تكن حقوقا قانونية ، بدليل ان العائلات التى أيدت الثورة العرابية انتزعت منها أراضيها ووهبت للعائلات التى خانت الثورة .

---

(١١) See Marx, K.: Pre-Capitalist Economic Formation.

(١٢) ستيوارت شرام ، وهيلين كارير دنكوس : الماركسية اللينينية أمام مشاكل الثورة فى العالم غير الأوروبى ، ترجمة زهير الحكيم ، دار الطليعة بيروت ط ١ ، ص ص ١٣ ـ ١٤ .

وفضلا عن عدم وجود الملكية الخاصة ، فان هذا النمط الانتاجى يتميز بالاكتفاء الذاتى انتاجا واستهلاكا فى حدود القرية ، ولكن هذا الاكتفاء الذاتى لم يكن مطلقا بصورة دائمة ، وخاصة فى المجتمعات التى كانت تفتقر الى بعض المنتجات أو السلع الغذائية الأساسية(١٣) ٠

ثانيا : ما العلاقة بين الدولة والمشاعات القروية ؟

تختلف المشاعات القروية التى تندرج تحت نمط الانتاج الآسيوى عن المشاعات البدائية القديمة فى ان الأولى كفت منذ أمد بعيد عن أن تحيا فى استقلال تام لأنها خاضعة لسلطة الدولة المركزية ، فالدولة الشرقية فى نظر ماركس هى التى تنظم بنفسها الانتاج ، وهنا يمكن ان نضع فرضية نحاول أن نتحقق من صدقها التاريخى ٠ هى أن الدولة فى المجتمعات الشرقية كانت تقوم بوظائف استغلالية وهى انتزاع فائض الانتاج الزراعى من القرويين بوسائل مختلفة لصالح الحاكم وهو المالك الاوحد وجيش البيروقراطيين المرتبط به ، ففى مصر مثلا كان هذا الفائض ينتزع — ومازال — عن طريق الضرائب بأشكالها المختلفة وعن طريق التسويق الاجبارى للمحصولات ٠ اذن تحليل وظائف الدولة الآسيوية سيقودنا بالضرورة الى معرفة التناقض الطبقى الأساسى فى المجتمع الآسيوى(١٤) ٠

ثالثا : ما التناقض الطبقى فى المجتمعات الآسيوية ؟

فى المجتمعات الأوربية التى تطورت بشكل نموذجى ، كما فى فلسفة المراحل الخمس كنا نجد أن وسائل الانتاج قد احتكرت احتكارا خاصا من قبل طبقة حاكمة كما هى الحال بالنسبة الى ملاك العبيد فى المجتمع العبودى والاقطاعيين فى المجتمع الاقطاعى والرأسماليين فى المجتمع الرأسمالى ، أما فى المجتمعات الآسيوية فاننا لا نجد مفرا من الحديث عن علاقات طبقية فريدة من نوعها ، فالمشاعات القروية تخضع خضوعا مباشرا وقاسيا لسلطة الدولة المركزية وللوسطاء من الارستقراطية البيروقراطية كالكهنة ورجال الجيش والموظفين الذين يتولون الوظائف الاقتصادية ويقتطعون الفائض الاقتصادى ويسوقون الفلاحين لأعمال السخرة والجندية ٠

---

(١٣) أنظر فى ذلك : جان شينو : « نمط الانتاج الآسيوى : بعض منظورات البحث » فى جان شينو وآخرون مصدر سابق ص‌ص ٥١ : ٥٢ ٠

(١٤) المصدر نفسه : ص‌ص ٥٢ : ٥٥ ٠

ولكن أعضاء هذه الطبقة الحاكمة ليس لهم سوى سلطة وظيفية ، فهم لا يقبضون الا على جزء من زمام السلطة العامة ، ولا يشاركون فى قيادة الاقتصاد واستغلال القرويين الا بصفة شخصية عارضة ، وبالمقابل فان الدولة ككيان مستقل هى القابضة الفعلية على زمام السلطة والمستفيدة الحقيقية من الاستغلال • وبالتالى فان التناقض الطبقى فى المجتمع الآسيوى هو صراع بين الفلاحين المنتجين الحقيقيين للفائض الاقتصادى وبين الدولة بجيشها البيروقراطى الذى يمارس كافة أشكال الاستغلال والقهر(١٥) •

ولكن سيبقى دائما سؤال ملح : لماذا لم يلعب الصراع الطبقى فى المجتمع الآسيوى دوره الطبيعى فى تطوير المجتمع ودفعه نحو شكل أرقى من أشكال الانتاج •

ان الاجابة على هذا السؤال كفيلة بحل كثير من المعضلات النظرية المرتبطة بهذا المفهوم •

رابعا : ما نظام الأرض فى المجتمع الآسيوى ؟

ان هذا السؤال بلا أدنى شك مرتبط بالسؤالين السابقين • فلقد أشار ماركس الى أن حقوق الفرد على الأرض فى المجتمع الآسيوى لاوجود لها الا من خلال المشاعر التى ينتمى اليها الفرد ، والى أن المشاعة هى الوسيط فى التملك الفردى للأرض ، وهو — أى ماركس — يلح أحيانا أخرى على أهمية حقوق المشاعة القروية ذاتها ، ولا شك أنه ليس هناك تناقض بين هذين الميلين ، فهذا النمط من الانتاج تتداخل فيه حقوق المشاعات وحقوق الدولة ويتنوع فيه وزنها النسبى تبعا للزمان والمكان وتبعا لقوة السلطة المركزية(١٦) •

خامسا : ما مكانة المبادلات التجارية والحياة المدنية فى هذه المجتمعات ؟

هذه النقطة تستأهل هى الأخرى دراسة متأنية • فالمبادلات التجارية فى المجتمعات الآسيوية لا تتناول فيما يبدو غير بعض السلع التكميلية التى

---

(١٥) المصدر السابق : صص ٥٥ ، ٥٦ • كان ماركس قد أشار الى فكرة ركود المجتمعات الآسيوية كاحدى السمات الأساسية لنمط الانتاج الآسيوى ولكنه عاد وتخلى عنه •

(١٦) المصدر نفسه : ص ٥٧ ، ٥٨ •

تفتقر اليها القرى أو المقاطعات وغير فائض الانتاج الذى تقتطعه الدولة ، وعليه فان المبادلات التجارية لا تشكل غير تيارات هامشية وجيدة الاتجاه وتقف عاجزة عن التأثير العميق فى وحدة القرية الانتاجية — الاستهلاكية ٠

ولكن ما مصير السلع المحتكرة من قبل الدولة والمصرفة فى شكل بضائع ؟ انها ما يعاد توزيعها بين وسطاء الدولة والشغيلة الدائمين الذين تستخدمهم (البيروقراطية) واما ان تبيعها الدولة فعلا فى المدينة أوللخارج٠

ولقد أشار ١٠ ساكس٠ الى أن مسألة التجارة البعيدة المدى هى واحدة من المسائل التى تفسح مجال التمييز بين الانتاج الآسيوى والانتاج الاقطاعى ، ففى الحالة الأولى لا يكون هناك وجود لرابطة تجارية بين المدينة والريف ، والدولة هى التى تشرف على التجارة البعيدة المدى ٠

أما فى المجتمع الاقطاعى فهناك على العكس رابطة تجارية مباشرة بين المدينة والريف وتشكل المدينة سوقا للفلاحين الأفراد ٠

وهذا ما يحمل على الاعتقاد بأن المدينة فى المجتمع الآسيوى لا تلعب دورا اقتصاديا كبيرا ٠ يقول ماركس فى الأشكال الاقتصادية لما قبل الرأسمالية(١٧) ٠

« ان المدن لا تولد الا حينما يوجد موقع مناسب للتجارة الخارجية ، والا حينما يبادل رئيس دولة أو مرازبته دخلهم (فائض الانتاج) مقابل العمل وينفقونه فى شكل مال عمل » ٠

والحق انه يمكننا الحديث عن طابع حشوى أو زائد عن الحاجة لوظيفة المدينة فى المجتمع الآسيوى ٠

هذه النقاط الخمس سالفة الذكر تعد أساسية فى توضيح المقصود بمفهوم نمط الانتاج الآسيوى ، ولكن نظرا للانتقادات التى وجهت لهذا المفهوم بشكله الكلاسيكى فان بعض المفكرين اليساريين حاولوا صياغة رؤى جديدة لتطويع المفهوم للتغيرات التى اصابت عالمنا المعاصر ، ومن هذهالمحاولات تلك التى قدمها سمير أمين فى مؤلفه التطور اللامتكافىء(١٨) ٠

---

(١٧) المصدر السابق ص ٥٨ — ٥٩ ٠

(١٨) سمير أمين : التطور اللامتكافىء : مصدر سابق وبخاصة الفصل الاول ٠

ويذهب سمير أمين الى أن مفهوم نمط الانتاج هو مفهوم مجرد لا ينطوى على نظام للتعاقب التاريخى لكل فترة من تاريخ الحضارات التى تمتد من أول التشكيلات حتى الرأسمالية • وهو يقترح أن يتم التمييز بين خمسة أنماط انتاجية :

أولا : « نمط الانتاج الجماعى البدائى » السابق على كل الأنماط الأخرى •

والثانى : « نمط الانتاج الخراجى » الذى يربط بقاء الجماعة الفردية بجهاز اجتماعى سياسى لاستغلال هذه الجماعة بواسطة اقتطاع خراج ، وهذا النمط هو الشكل الأكثر شيوعا الذى يسم التشكيلات الطبقية لما قبل رأسمالية أو يميز فيه أيضا بين الأشكال الأولى المبكرة والأشكال المتطورة مثل الانتاج الاقطاعى ، حيث تفقد الجماعة الفردية ملكيتها للأرض لصالح الأسياد الاقطاعيين وتبقى الجماعة جماعة عائلية •

والثالث : « نمط الانتاج العبوى » الذى يشكل نمط انتاج مشتقا ونادراً ، أما النمط **الرابع** فهو « نمط الانتاج السلعى البسيط » ـ الذى يؤلف شكلا متواترا ولكنه لا يتسم البتة بصورة كلية تشكيلية اجتماعية **وأخيرا** : نمط الانتاج الرأسمالى »(١٩) •

ويذهب سمير أمين بعد ذلك الى القول بأن الأنماط الجماعية الأولى هى التى أرست تمايزاً طبقيا جنينيا وهى التى أمنت الانتقال من الشيوعية البدائية الى المجتمعات الطبقية •

وان الشيوعية البدائية تتحد باعتبارها النمط البدائى لتقسيم العمل وفائض الانتاج ، وان الانماط الاتاوية متعددة ومتمايزة ومشروطة بالواقع البيئى ، وذلك لأن العبور من السلبى ـ غياب الطبقات ـ الى الايجابى (مجتمع الطبقات) يظل عبورا بطيئا تدريجيا •

على أن أنماط الانتاج الجماعية البدائية تتسم بالخصائص التالية :

١ ـ تنظيم العمل ، جزء على القاعدة الفردية والجزء الآخر على القاعدة

---

(١٩) مير أمين : التطور اللامتكافىء : أنظر بخاصة الفصل الأول ص ١٥ ـ ٤٩ •

الجماعية ، حيث ان وسيلة العمل الأساسية ـ الأرض ـ تبقى ملكية جماعية للعشيرة •

٢ ـ غياب التبادل التجارى •

٣ ـ توزيع الانتاج داخل الجماعة حسب قواعد ارتباط وثيق بنظام القرابة •

أما نمط الانتاج الخراجى فانه يتسم بانقسام المجتمع الى طبقتين أساسيتين : الطبقة الفلاحية المنتظمة فى جماعات، والطبقة القائدة التى تحتكر وظائف التنظيم السياسى للمجتمع وتفرض على الجماعات الزراعية خراجا غير سلعى • ولكن نمط الانتاج الخراجى المتطور ينزع بشكل دائم تقريبا الى أن يصبح قطاعا اقطاعيا أى أن الطبقة القائدة تحل محل الجماعة فى الملكية المباشرة للأرض •:•

ويضم النمط الاقطاعى :

١ ـ تنظيم المجتمع فى طبقتين : طبقة أسياد الارض وهم أصحاب ملكية لا تنازع • وطبقة الأقنان •

٢ ـ الاستحواذ على الفائض من قبل أسياد الأرض عن طريق حصر وليس عن طريق علاقات تبادلية •

٣ ـ غياب التبادل التجارى داخل الاقطاعية التى تشكل الخلية الأولية للمجتمع • هذا النمط مهدد بالتفكك اذا ما حاول السيد الاقطاعى لسبب ما التخلص من المنتجين وتحرير أقنانه •

أما نمط الانتاج السلعى البسيط فيتسم فى حالته النقية بمساواة المنتجين الصغار الأحرار وبتنظيم التبادل التجارى بينهم • وليس هناك مجتمع قام على أساس سيطرة هذا النمط من الانتاج • ولكن كان يوجد قطاع تشدد فيه العلاقات السلعية البسيطة وخاصة قطاع الانتاج الحرفى حين كان منفصلا بما فيه الكفاية عن الانتاج الزراعى •

ويذهب سمير أمين بعد ذلك الى أن أيا من هذه الأنماط لم يوجد فى حالته النقية فى يوم من الأيام • فالمجتمعات التاريخية هى تشكيلات تتضافر فيها من جهة عدة أنماط انتاجية كما تنتظم فيها من الجهة الثانية العلاقات بين

المجتمع المحلى والمجتمعات الأخرى · وهذا ما يعبر عنه بوجود علاقات التجارة البعيدة المدى ·

فالتشكيلات الاجتماعية هى اذن بنيات مشخصة ومنظمة يميزها سيطرة نمط انتاج معين تواكبه مجموعة معقدة من أنماط الانتاج الخاضعة له ··

ويؤكد سمير أمين على أن تحليل تشكيلة اجتماعية مشخصة يجب أن يتركز حول تحليل نمط توليد الفائض الخاص بهذه التشكيلة وكذلك الفائض المحتمل انتقاله من والى التشكيلات الأخـــرى · ثم تحليل كيفية التوزيع الداخلى لهذا الفائض بين مختلف الأطراف المعنية ··

أما الخصائص التى يتميز بها نمط الانتاج الرأسمالى فهى :

١ ـ تعميم الشكل السلعى على الانتاج الاجتماعى برمته ··
٢ ـ اكتساب قوة العمل نفسها بهذا الشكل السلعى ··
٣ ـ اكتساب المعدات نفسها أيضا لهذا الشكل السلعى ··

وفى هذه المعدات نفسها تتحد حينئذ ماديا علاقة اجتماعية ، علاقة امتلاك الحصر ،الطبقى الذى يحدد الرأسمالى(٢٠) ··

وعلى الرغم من أن سمير أمين قد حدد بدقة الخصائص الأساسية التى يتميز بها كل نمط انتاجى من الأنماط السالفة الذكر الا أنه لم يذكر لنا شيئا عن العناصر الفاعلة أو الميكانيزمات التى تحكم عملية انتقال المجتمع من نمط انتاجى الى نمط آخر ··

بالاضافة الى ذلك فانه لا يقدم لنا تعريفا محددا لمفهومه عن الطبقـــة الاجتماعية فى كل نمط من الانماط ·

على أن نقطة الضعف الأساسية فى نظرية سمير أمين ـ فى اعتقادنا ـ تكمن فيما ذهب اليه حين قال أن « نمط الانتاج السلعى البسيط » لم تكتب له السيادة فى أى من المجتمعات أوأنه « ليس هناك مجتمع قام على أساس سيطرة هذا النمط من الانتاج » ·· ـ على حد تعبيره ـ ويترتب على ذلك نتيجة نظرية هامة مؤداها ان الجهد النظرى الذى بذله لتحديد هذا النمط وخصائصه كان غير ضرورى على الاطلاق ·

---

(٢٠) المصدر السابق ص ٥٠ ·

المراجـع

١ ـ جانشينو وآخرون : حول نمط الانتاج الآسيوى ، ترجمة جورج طرابيشى ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٢ ط ١

٢ ـ ستيوارت شرام ، هيلين كارير دنكوس : الماركسية اللينينية أمام مشاكل الثورة فى العالم غير الاوروبى : ترجمه زهير الحكيم ، دار الطليعة ، بيروت ، ط ١ ١٩٧٢

٣ ـ سمير أمين : التطور اللامتكافىء : دراسة فى التشكيلات الاجتماعية للرأسمالية المحيطية : ترجمة برهان غليون ، دار الطليعة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨ ٠

٤ ـ ماركس٠ انجلز : بيان الحــزب الشيوعى ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٦٨ ٠

٥ ـ ماركس٠ انجلز : حول الاستعمار ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧١ ٠

٦ ـ Marx, K.: Pre-Capitalist Economic Formations, International Publishers, N.Y. Seventh Printing, 1975.

٧ ـ M. Rosenthal and P. Yudin: A Dictionary of Philosophy. Progress Publishers, Moscow, 1967.

دراسة لعملية اتخاذ القرارات فى أحد أجهزة تنظيم المجتمع « الاتحاد الاقليمى للجمعيات بالقاهرة »

ابراهيم عبد الرحمن ابراهيم*

(١) أهمية البحث :

اتجه تنظيم المجتمع فى السنوات الأخيرة للاهتمام بالدراسة الامبريقية المنظمة لواقع الممارسة بدلا من الاغراق فى الصياغات النظرية العامة المبنية غالبا على الاستنتاج من خبرات فردية محدودة ، وذلك نتيجة لما ظهر من عمومية تلك الصياغات وعجزها عن تقديم العون المباشر للمنظم خلال أدائه لعمله ، بالاضافة الى ماتمليه روح العصر من تشكك علمى يرفض القبول بأمثال تلك النظريات العامة الا بعد التحقق منها بالرجوع الى الواقع .

وكان من أكثر القضايا تعرضا للنقد ما تشير اليه كل الكتابات النظرية الكلاسيكية من ضرورة مشاركة المجتمع المحلى « ككل » فى اتخاذ القرارات فى أجهزة تنظيم المجتمع ، بمعنى تمثيل كل الجماعات والقوى والفئات الأساسية فى المجتمع المحلي ، على اعتبار أن فى هذا ضمانا لتكامل المجتمع المحلى وترابطه وزيادة قدرته على مواجهة مشكلاته فى المستقبل ، فلقد بدأ الكثيرون فى التساؤل عن مدى واقعية هذا التصور ، والتساؤل عن نوعية الفئات التى تقوم - بالفعل - باتخاذ القرارات فى أجهزة تنظيم المجتمع ، وعن نوع تأثير كل من تلك الفئات على القرارات ، وعن نوع القيم التى تحملها كل منها الى عملية تنظيم المجتمع .

ويحاول هذا البحث التعرض لتلك القضايا بالدراسة والتمحيص بهدف التعرف على واقع الصورة التى تعيشها أجهزة تنظيم المجتمع فى مصر ، وقد تم اختيار الاتحاد الاقليمى للجمعيات والمؤسسات الخاصة بالقاهرة ليكون مجالا تتم فيه الدراسة باعتباره أحد الأجهزة الأولية لتنظيم المجتمع وباعتبار ما للاتحاد الاقليمى بالقاهرة من تأثير على الصورة التى ستئول اليها الاتحادات فى المحافظات الأخرى فى المستقبل .

---

* المعيد بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية بالقاهرة .

(٢) تحديد المشكلة :

يركز هذا البحث أساسا على دراسة عملية اتخاذ القرارات فى أحد أجهزة تنظيم المجتمع « الأولية » فى مصر وهو الاتحاد الاقليمى للجمعيات بالقاهرة ، ويمكن تحديد مشكلة البحث في شكل السؤال التالى :

« كيف يتم — فى الواقع — اتخاذ القرارات فى الاتحاد الاقليمى للجمعيات؟» ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسى أربعة أسئلة فرعية هى :

١ — ماهى **أنواع** القرارات التى تصدر عن الاتحاد ؟
٢ — ماهى **المراحل** التى يمر بها اتخاذ القرارات فى الاتحاد ؟
٣ — من هم **المشتركون** — بالفعل — فى اتخاذ القرارات ؟
٤ — ماهى **الأسس** التى تبنى عليها تلك القرارات ؟

(٣) المنهج المستخدم :

لما كانت المشكلة التى يتعرض البحث لدراستها تتضمن أنواعا متعددة من الظواهر منها ما يتصل بالسلوك اللفظى أو غير اللفظى ومنها ما يتصل بالاتجاهات والقيم فقد كان من الضرورى اختيار منهج مرن يسمح باستخدام عدد من الأدوات المتكاملة التى تتناسب مع طبيعة الظواهر المدروسة وبدرجة كافية من التعمق المثير للاستبصار ، وقد وجد أن منهج دراسة الحالة هو المنهج الذى يستطيع الاستجابة لتلك المتطلبات جميعا ، وذلك بالاضافة الى أنه يضمن تركيز الجهد فى الحدود التى تسمح بها الامكانيات المادية والزمنية والبشرية المتاحة •

(٤) أدوات البحث :

تم اختيار مجموعة من الأدوات التى تتلاءم مع طبيعة الظواهر المدروسة، وتم تطبيقها على مراحل مترابطة تؤدى كل منها للأخرى وذلك على الوجه الآتى :

(أ) المرحلة الأولى :

وهى مرحلة ذات طابع استطلاعى استخدم فيها البحث المكتبى وتم فيها الرجوع بشكل منظم الى الكتابات السابقة حول عملية اتخاذ القرارات وحول حركة المجالس والاتحادات بصفة عامة، وتم فى اطارها التوصل الى تحليل بنائى وظيفى لتلك الحركة وللظروف التى أحاطت بنشأتها وبالتطورات الهامة التى طرأت عليها •

ولقد تبين وجود نقص فى المعلومات المنشورة عن هذه الحركة فى مصر مما دعا الباحث لاستكمال هذا النقص باجراء ٦ **مقابلات غير مقننة** مع الرواد الأوائل لحركة المجالس والاتحادات فى مصر ممن خاضوا تجاربها وارتبطت أسماؤهم بها وذلك للحصول على بيانات تفصيلية حولها •

(ب) المرحلة الثانية :

وقد استخدم فيها أولا أسلوب **دراسة الوثائق والمستندات** ، حيث تمت دراسة محاضر اجتماعات الجمعية العمومية للاتحاد (وعددها ٤ محاضر) ومحاضر اجتماعات مجلس الادارة (وعددها ٢٥ محضرا) ومحاضر اجتماعات اللجان (وعددها ٦٩ محضرا ـ وهى مجموع المحاضر المسجلة منذ انشاء المجلس حتى أول يناير ١٩٧٢) وقد استهدفت هذه الدراسة تغطية النقطة الأولى من النقاط الفرعية وهى المتعلقة بأنواع القرارات ، بالاضافة الى الحصول على أى معلومات تفيد فى دراسة النقطتين الثالثة والرابعة (المشتركون فى اتخاذ القرارات والأسس التى تبنى عليها) •

كما بدأ الباحث فى هذه المرحلة فى استخدام **الملاحظة بالمشاركة** فقام بملاحظة عدد من اجتماعات مجلس الادارة واللجان استهدف منها تغطية النقطتين الثانية والثالثة (المراحل والمشتركون) بالاضافة الى ما يمكن الوصول اليه من معلومات حول النقطة الرابعة (أسس اتخاذ القرارات) •

(جـ) المرحلة الثالثة :

وفيها تم تصميم **استمارة مقابلة** طبقت على أعضاء مجلس الادارة والفنيين وأعضاء لجنة التخطيط والتنسيق من غير أعضاء المجلس (وعددهم ٣٣ شخصا) واستهدفت الاستمارة استكمال الحصول على البيانات التى لم تستطع الأدوات السابقة التوصل اليها واختبار بعض الفروض أو النماذج التحليلية التى تم التوصل اليها فى المراحل السابقة •

(٥) نتائج البحث :

تبين من دراسة أنواع القرارات التى صدرت عن الاتحاد الاقليمى حتى الآن ومن دراسة ادراك أعضاء مجلس الادارة لأهدافه أن الاتحاد لا يزال يعمل من منظور يماثل ما وجدناه فى مرحلة باكرة من مراحل حركة المجالس فيما يسمى بمجالس الهيئات الاجتماعية ، حيث ينظر للاتحاد على أنه نوع من

« النقابة » التى تضم الهيئات الأهلية وتدافع عنها وتعمل على تحسين مستويات خدماتها والتنسيق بين تلك الخدمات ، أما بالنسبة للوظائف التخطيطية والتصدى للمشكلات المجتمعية وهى الوظائف التى تميز الأشكال الأحدث من أجهزة التخطيط ، والتنسيق فلا يزال الاتحاد بعيدا عن الاهتمام الجدى بها - فهو بحكم تشكيله وتمويله وعلاقة وزارة الشئون الاجتماعية به لا يزال بعيدا عن امكانية تحريك الموارد اللازمة لعمليات التخطيط أو النفوذ اللازم للضغط فى اتجاه التنفيذ • كما تبين أن وزارة الشئون الاجتماعية تمارس حضورا مستمرا فى مختلف مراحل اتخاذ القرارات فى الاتحاد ، فهى تظهر كمنشيء دائم للقرارات بحكم الروابط القانونية العديدة التى تربطه بها أو بحكم وجود مندوبيها فى مواقع اتخاذ القرارات بالاتحاد سواء من خلال ممثل وكالة الوزارة ذى النفوذ فى المجلس أو من خلال مديرة الاتحاد وهى من موظفى الوزارة والمسئولين أمامها •

وعلى خلاف ما تشير اليه الكتابات الكلاسيكية فى تنظيم المجتمع تبين أن متخذى القرارات فى هذاالجهاز الأولى من أجهزة تنظيم المجتمع لا يمثلون المجتمع المحلى ككل ولا مختلف الجماعات والفئات فيه ، وانما هم أقرب لتمثيل فئة منصفوة المجتمع المحلى من كبار الموظفين الحكوميين - وخصوصا من رجال القانون - أو من سيدات المجتمع من المستويات الاقتصادية والاجتماعية العليا منهم لتمثيل فئات العملاء أو منبقية الفئات الاجتماعية الأخرى ذات المستويات الاقتصادية الأقل • ولقد تبين أن الرجال بصفة عامة يتميزون بمشاركة أكبر فى المناقشات ، وخصوصا من بين المعينين ممن يشغلون مناصب قيادية فى الاتحاد غالبا ، بما يبرر القول بأن مناقشات مجلس الادارة تدور عادة بين مجموعة محدودة من المعينين ذوى المراكزالقيادية فى الاتحاد وبين مجموعة محدودة أخرى من الرجال المنتخبين مع مشاركة واضحة من جانب مديرة الاتحاد ، أما السيدات فان مشاركتهن بصفة عامة محدودة جدا فى مناقشات المجلس •

وقد وجد أن المشاركة فى المناقشة قد لا تعنى أوتوماتيكيا التأثير على القرارات وأمكن استخلاص أربعة عوامل وجد أنها ترتبط ارتباطا موجبا بالتأثير على القرارات وهى :

(أ) حجم المشاركة اللفظية فىالمناقشة (معامل ارتباط سبيرمان ٣ و)•

(ب) أسلوب المشاركة فى المناقشة (وجد ارتباط قوى بين ميل الأعضاء لأسلوب معين وبين وصفهم للأعضاء المؤثرين بأنهم يستخدمونه) •

(جـ) ادراك الأعضاء لمكانة الفرد فى المجتمع (معامل ارتباط سبيرمان ٤٧ و) .

(د) ادراك الأعضاء لدراية الفرد بالموضوع محل المناقشة (معامل ارتباط سبيرمان ٥٥ و) .

وبصفة عامة فقد لوحظ أن قلة من متخذى القرارات فى الاتحاد تمارس تأثيرا كبيرا على مايصدر عنه من قرارات ، تتمثل فى الأعضاء من ذوى المكانة المجتمعية العالية من المعينين غالبا ثم من المنتخبين من الرجال من ذوى الخبرة الطويلة بالعمل الاجتماعى .

كما كشفت ملاحظة الاجتماعات أيضا عن الأهمية الواضحة لعامل المكانة المجتمعية كمحدد لعلاقات متخذى القرارات ببعضهم البعض وفى علاقتهم بالفنيين ، وأشارت النتائج الى أن من الضرورى ألا توجد هوة واسعة بين أعضاء المجلس وبين المنظم الاجتماعى سواء من حيث العمر أو الدخل أو المكانة المجتمعية .

ولقد تبين أن الأسس التى تبنى عليها القرارات انما ترتبط ارتباطا وثيقا بالقيم التى يعتنقها الأعضاء الأكبر تأثيرا ، حيث يتبلور فى كل موقع من مواقع اتخاذ القرارات نسق متميز للقيم يكون معيارا للاختيار بين البدائل مستمد أساسا من قيم ذوى التأثير .

ولما كانت حركة المجالس فى مصر لم تبلور لنفسها طريقا واضحا يمكن أن تتراكم حوله الخبرات المتصلة التى يمكن أن توجه قرارات الاتحاد ، بالاضافة الى أن نقص الوجود المهنى للاخصائيين الاجتماعيين المؤهلين فى الاتحاد - كل هذا قد أدى لخلو الطريق أمام بعض التفضيلات أو القيم الاجرائية مثل الرجوع الى الخبرات السابقة وللنصوص القانونية وللجو العام السائد فى البلد ولاتجاهات وزارة الشئون لتكون أسسا لاتخاذ القرارات بدلا عن تلك القيم المهنية .

وعلى أى حال فقد تبين أن الفئات المختلفة وان اتفقت قيمها فى بعض الجوانب فانها قد اختلفت فيما بينها بالنسبة لبعض القيم العامة الأخرى ، وكانت أوضح تلك الاختلافات بين قيم المعينين والمنتخبين .

وبصفة عامة فان من المفيد أن توجد صيغة أقوى للتنسيق بين الاتحاد

وبين كل الوزارات المعنية بالخدمات فى المحافظة ـ ولا يكفى فى هذا المجال مجرد تعيين بعض المندوبين لتلك الوزارات فى مجلس الادارة ولكن الأهم هو أن يكون لهؤلاء المندوبين القدرة على التأثير فى عملية اتخاذ القرارات فى وزاراتهم بما يتمشى مع اتجاه قرارات الاتحاد ، وبهذا يتجنب الاتحـــاد ووزارة الشئون تصور وجود وضع خاص يربط الاتحـــاد بوزارة الشئون بالذات ، ويطلق يده ليكون هيئة محلية للتنسيق وللتخطيط الفعال ولحل المشكلات المجتمعية أيضا ٠

مقدمات التكيف الاجتماعى للعمال فى بيئة عملهم وأثرها على الكفاية الانتاجية (*)

عفاف ابراهيم محمود عبد القوى(**)

ان موضوع التكيف الاجتمـــاعى من الموضوعات الرئيسية فى العـــلم الاجتماعى ، وقد تناولته هذه الدراسة فى مجال هام هو مجال الصناعة ، حيث تهدف الى دراسة مقومات التكيف الاجتماعى للعمال فى بيئة العمل (داخل تنظيم صناعى) وأثر ذلك على كفايتهم الانتاجية • ذلك أن تنظيم المصنع يعد من بين تنظيمات المجتمع الجديرة بالدراسة الواقعية وخاصة فى المجتمع المصرى ، كمجتمع نام ، يحتاج الى دفع عملية التنمية الصناعية ، ضمن اطار التنمية فى كافة المجالات ، عن طريق تحقيق الزيادة فى المعدلات الانتاجية لعمال الانتاج فى الصناعة بالذات ، باعتبارهم دعامة العمل الانتاجى وأهم عناصره ، وفى نفس الوقت الاهتمام بالعمال كبشر يحتاجون الى توفير الرعاية والتأمين الاجتماعى ، والجو الاجتماعى والسيكولوجى المناسب فى بيئة العمل بما يؤدى الى تحسين تكيفهم الاجتماعى • كما أن عمال الانتاج المباشر هم أكثر الأفراد فى المصنع تعرضا لمشكلات التكيف الاجتماعى بحكم مواجهتهم للعملية الانتاجية ومشكلات التغير التكنولوجى •

وعلى هذا الأساس تنقسم أهداف الدراسة الى قسمين رئيسيين :

أهداف تتعلق بالدراسة النظرية تتمثل فى دراسة التكيف الاجتماعى فى النظرية السوسيولوجية من جميع جوانبه وأبعاده ومشكلاته ، والاستفادة من هذه الدراسة والدراسات التطبيقية والاتجاهات النظرية فى مجال دراسة السلوك الانسانى داخل التنظيمات الصناعية فى تحديد جميع جوانب مفهوم التكيف الاجتماعى فى بيئة العمـــل ، واستخلاص قضـــاياه الأساسية •

(*) ملخص لرسالة ماجستير فى علم الاجتماع تحت اشراف الأستاذ الدكتور فاروق العادلى ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، مايو سنة ١٩٧٨ •

(**) باحثة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية •

ومن ثم أمكن ربط المفهوم الذى اعتمدت عليه الدراسة الواقعية للتكيف الاجتماعى فى بيئة العمل بالأسس النظرية التى قامت عليها ٠

والقسم الثانى من الأهداف يتعلق بأهـــداف الدراسة الميدانية التى تتمثل فى الآتى :

استخلاص مؤشرات التكيف الاجتماعى للعمال فى بيئة العمل ، وهى : عوامل التكيف الاجتماعى ، ومظاهر التكيف الإجتماعى ، ثم مؤشرات الكفاية الانتاجية بالنسبة للعمال فى أحد التنظيمات الصناعية فى المجتمع المصرى ٠ وذلك لامكان الكشف عن العلاقات بين هذه الأنواع الثلاثة من المتغيرات على أساس الفروض التى استخلصت من نتائج الدراسات السابقة فى الموضوع٠

وعلى النحو السابق تم تقسيم الدراسة الى ثلاثة أقسام لتحقيق كـــل من الأهداف النظرية والميدانية :

القسم الأول : ويتناول التكنيف الاجتماعى فى النظرية السوسيولوجية ويتضمن مقدمة عامة لتصور الدراسة لأهمية التكيف الاجتماعى فى النظرية السوسيولوجية ٠ حيث يتناول الفصل الأول تحديد المفـــاهيم الأساسية للدراسة للتمييز بين مصطلح التكيف الاجتماعى وغيره من المفـــاهيم التى تستخدم للدلالة على عمليات التكيف المختلفة ٠

ويتناول الفصل الثانى أبعاد التكيف الاجتماعى ومجاله ومحتواه ،حيث يعرض لأنواع التكيف الأخرى للانسان ، وهى التكيف البيولوجى ،والتكيف مع ظروف البيئة الطبيعية الخارجية ، والتكيف النفسى الداخلى ، من ناحية مفهومها وأهميتها وعلاقتها بالتكيف الاجتماعى ، لتوضيح أهمية هذه التكيفات واعتبارها أبعادا للتكيف الاجتماعى يتأثر بها ويؤثر فيها ٠ ثم تحديد مجال التكيف الاجتماعى بالنسبة لمجالات أنواع التكيف الأخرى للانسان ٠كذلك يتضمن هذا الفصل مناقشة لمحتوى التكيف الاجتماعى من ناحية معانيه ومعاييره فى النظرية السوسيولوجية ٠

أما الفصل الثالث فيتناول أهم المداخل النظرية فى دراسة مشكلات التكيف الاجتماعى فى العصر الحديث ، والتى حددتها الدراسة فى ثلاثة مداخل أساسية :

١ ـ مدخل التغير الاجتماعى ٠ أى وجهات النظر التى تتناول مشكلات

التكيف الاجتماعى الناتجة عن التغير الاجتماعى السريع فى العصر الحديث وهى تتمثل فى ثلاثة مداخل :

(أ) مدخل الانحراف وفقدان الوظيفة ·
(ب) مدخل التفكك الاجتماعى ·
(ج) مدخل التخلف الثقافى ·

٢ - مدخل توتر الحاجات · ويضم وجهات النظر التى ترجع أسباب مشكلات التكيف الاجتماعى فى العصر الحديث الى توتر الحاجات الانسانية ، بسبب ما أدى اليه التقدم التكنولوجى في المجتمعات الغربية من اشباع للحاجات المادية على حساب الحاجات النفسية والاجتماعية ·

٣ - مدخل التكيف الاجتماعى للشخصية ، ويتناول مشكلات تكيف الشخصية الانسانية من خلال التفاعل الاجتماعى والثقافة ·

القسم الثانى : ويتناول التكيف الاجتماعى فى بيئة العمل · ويتضمن مقدمة لربط مفهوم التكيف الاجتماعى وقضاياه فى بيئة العمل بما استخلص عن مفهوم التكيف الاجتماعى وقضاياه فى النظرية السوسيولوجية · ويضم هذا القسم الفصل الرابع الذى يتضمن عرضا للاتجاهات الأساسية فىدراسة السلوك الانسانى داخل التنظيمات وخاصة التنظيمات الصناعية ، لتوضيح مدى تناولها لقضايا التكيف الاجتماعى المطروحة فى مجال تنظيمات العمل ، والتى هى مستمدة أساسا من النظرية السوسيولوجية العامة · ومن ثم يتناول الفصل الخامس مجال وأبعاد التكيف الاجتماعى وقضاياه المحورية فى بيئة العمل ، بناء على ما استخلص من دراسة التكيف الاجتماعى فى النظرية السوسيولوجية ومتابعة ذلك من واقع نتائج دراسات السلوك الانسانى داخل التنظيمات ·

ويضم هذا القسم خاتمة تتناول المفهوم المتكامل للتكيف الاجتماعى للعمال فى بيئة العمل من جوانبه المختلفة وعلاقته بالكفاية الانتاجية ·

القسم الثالث : ويحوى الدراسة الميدانية لمقومات التكيف الاجتماعى للعمال فى بيئة العمل وأثرها على الكفاية الانتاجية بالتطبيق على تنظيم صناعى مصرى · حيث يتناول الفصل السادس تحديد الاطار التصورى الذى يتضمن فروض الدراسة الميدانية ومتغيراتها وأهدافها · كما يتضمن كذلك تصور الدراسة لعلاقة الكفاية الانتاجية بالتكيف الاجتماعى ·

ويتضمن الفصل السابع تحديد الخطوات والاجراءات المنهجية التى اتبعت للوصول الى نتائج الدراسة ٠

ويتضمن الفصل الثامن عرضا لنتائج الدراسة الميدانية وأهم استخلاصاتها الأساسية ٠ ومناقشة النتائج فى ضوء الفروض ٠

وتعرض خاتمة البحث مدى تحقيق الدراسة لأهدافها النظرية والميدانية كما تحوى أهم المقترحات والتوصيات اللازمة ٠

ويمكن أن نلخص فى هذا الصدد القضايا الأساسية التى خلصنا اليها من دراسة التكيف الاجتماعى فى النظرية السوسيولوجية فى الآتى :

أن مجال التكيف الاجتماعى للفرد فى المجتمع هو فى مجال العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص بعضهم وبعض من ناحية ، وبينهم وبين ثقافة مجتمعهم من ناحية أخرى ٠

كما أن عملية التكيف الاجتماعى للانسان لها أبعادها البيولوجية والنفسية فضلا عن تأثيرات البيئة الكلية ، وهى البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية العامة ٠

والتكيف الاجتماعى يتميز بالنسبية حسب المواقف الاجتماعية ٠ بمعنى أن التكيف الاجتماعى لا يعنى المسايرة للظروف والأوضاع القائمة ، فقد تكون هذه الأوضاع بحيث يكون التكيف معها هو العمل على تغييرها ، كما لا يعنى الخروج باستمرار عن المألوف وعن مقررات الجماعة ، لأن هذا يعنى تفكك وانهيار تماسك الجماعة ٠ ومن ثم فان تحقيق التكيف قد يتطلب أحيانا تغيير الظروف القائمة لتحقيق مطالب الانسان ، وذلك فى حالة فساد النظم الاجتماعية مثلا ، وأحيانا أخرى تغيير الانسان نفسه ليتلاءم مع ظروف الجماعة، كما فى بعض حالات الأمراض النفسية والعصبية التى يفشل أصحابها فى التكيف السليم مع المجتمع ، وفى حالات الجريمة (على سبيل المثال) ٠

وتتحدد أهم مشكلات التكيف الاجتماعى الأساسية للانسان وخاصة فى العصر الحديث فى ثلاث قضايا أساسية ومترابطة وهى :

١ — مشكلات التغير الاجتماعى ٠

٢ ـ توتر الحاجات الانسانية ٠

٣ ـ مشكلات تكيف الشخصية الانسانية من خلال التفاعل الاجتماعى والثقافـــة ٠

كما أمكن استخلاص مفهوم التكيف الاجتماعى وقضاياه الأساسية فى بيئة العمل وربطها بالقضـــايا الأساسية للتكيف الاجتمـــاعى فى النظرية السوسيولوجية على النحو الآتى :

أن مجال التكيف الاجتماعى للعمال فى بيئة العمل ، هو فى مجـــال العلاقات بين العمال بعضهم وبعض ، وبينهم وبين الرؤساء (الادارة والمشرف) والتكيف مع ثقافة المصنع الذى يعملون فيه ٠

كما أن التكيف الاجتماعى فى بيئة العمل يتأثر بعوامل الخلفـــية الاجتماعية والشخصية للعامل نفسه ، فضلا عن تأثير البيئة الاجتماعيـــة المحيطة ٠

والقضايا المحورية الثلاث للتكيف الاجتماعى للعمال فى بيئة العمـــل هى :

١ ـ مشكلات التغير الاجتماعى فى بيئة العمل ٠

٢ ـ حاجات العمال ٠

٣ ـ مشكلات التكيف الاجتماعى للشخصية التى يواجهها العامل الفرد ٠

ويتمثل التكيف الاجتماعى للعمال فى التكيف الموقفى من خلال العوامل الأساسية التى تشكل جوانب موقف العمل ، وهى : الزملاء والرؤساء والعمل ٠ ويستدل عليه من مجموعة مظاهر ، تتحدد حسب معايير موقف العمل فى علاقات التعاون والتماسك مع الزملاء والرؤساء ، والاحساس بالزمن فى العمل والانتماء الى جماعة العمل ، والايجابية فى العمل وفى الســـلوك الاجتماعى ، الى غير ذلك من مظاهر التكيف الاجتماعى للعمال فى بيـــئة العمل ٠

ومن ثم تناولت الدراسة النظرية أهمية العوامل التى تساعد على تحقيق التكيف الاجتماعى للعمال فى بيئة العمل وبخاصة العـــوامل الاجتمـــاعية والنفسية ٠ وتهدف الدراسة الميدانية الى قياس علاقتها بالكفاية الانتاجية ٠

الدراسة الميدانية :

يهدف البحث الميداني الى دراسة علاقة التكيف الاجتماعي للعمال بعوامل التكيف المختلفة ، وعلاقة الكفاية الانتاجية للعمال بالتكيف الاجتماعي وعوامله . والغرض الأساسي من ذلك هو الكشف عن أهم العوامل التى تؤثر فى التكيف الاجتماعى للعمال وفى كفايتهم الانتاجية فى بيئة العمل .

منهج البحث واسلوبه :

اعتمد البحث على المنهج التجريبى الذى يقوم على دراسة العلاقات بين مجموعة من المتغيرات . واستخدام اختبار كا٢ فى اختبار هذه العلاقات . وطبق البحث على عينة من عمال الانتاج بمصنع النقل بشركة النصر لصناعة السيارات خلال عام ١٩٧٣ .

واستخدم فى البحث التجريبى استبيان يتضمن مقياسين لقياس اتجاهات العمال نحو العوامل المؤثرة فى التكيف الاجتماعى ، ومقياس مظاهر التكيف الاجتماعى ، الى جانب استخدام مقياس يتضمن بنود الكفاية الانتاجية. كما تم اختبار هذه العلاقات بناء على عدة فروض أساسية استخلصت من نتائج البحوث السابقة فى الموضوع على النحو الآتى :

الفرض الأول :

تؤثر العوامل النفسية والاجتماعية على التكيف الاجتماعى للعمال بدرجة أكبر من تأثير مستوى الأجور والظروف الفيزيقية وغيرها من العوامل المادية .

الفرض الثانى :

تؤثر العوامل النفسية والاجتماعية على مستوى الكفاية الانتاجية للعمال بدرجة أكبر من تأثير مستوى الأجور والظروف الفيزيقية والتحسينات الفنية وغيرها من العوامل المادية .

الفرض الثالث :

تناسب درجة انتاجية العمال تناسبا طرديا مع درجة التكيف الاجتماعى فى بيئة العمل .

الفرض الرابع :

ان العوامل التى تؤثر فى درجة التكيف الاجتماعى للعمال تؤثر فى درجة الكفاية الانتاجية ٠

أهم نتائج البحث :

أهم النتائج التى خلص اليها البحث ، هى أهمية العوامل المختلفة فى التأثير على التكيف الاجتماعى وخاصة العوامل النفسية والاجتماعية ٠ وأن عامل نظام الاشراف (الذى يتضح فى علاقة المشرف بعماله) هو أهم هذه العوامل فى التأثير على التكيف الاجتماعى للعمال ٠ كما اتضح أن لبعض العوامل مثل السن والحالة التعليمية ومدى خطـــر المهنة تأثيرا على درجـــة الكفاية الانتاجية للعمال ٠ كما أن عامل نظام الحوافز ، أى المكافآت التى يحصل عليها العمال نتيجة الاجتهاد فى العمل ، هو العامل الأكثر تأثيرا فى درجة الكفاية الانتاجية للعمال ٠

وأهم توصيات البحث تتلخص فى نقطتين أساسيتين هما : أهمية توافر جو من العلاقات الانسانية فى بيئة العمل ، وأهمية تحقيق المتطلبات الانتاجية ٠ حيث يحتاج مجتمعنا فى هذه المرحلة من تطوره الى الاهتمام بكل من الانسان والانتاج من أجل تحقيق معدلات عالية للتنمية الاقتصاديـــة والاجتماعية ٠ وأن أجدى الوسائل فى ذلك ، هى الاهتمـــام بنظم الحوافز ومكافأة المجتهدين على أسس موضوعية ٠

كيف تصبح أنثروبولوجيا ؟

جورج شبندلر(*)

عرض وتحليل

نبيل صبحي حنا(**)

يقع الكتاب الذى نعرض له هنا فى ٣٠٤ صفحة ، بالاضافة الى المقدمة. ويتضمن مجموعة من الصور التى توضح مختلف جوانب الحياة الاجتماعية للشعوب التى عمل بينها كل انثروبولوجى . وهو مزود بخريطة توضح المناطق موضوع الدراسة فى أجزاء العالم المختلفة .

كما تتضمن بعض فصوله قائمة بالمراجع التى اعتمد عليها الباحث .

فكرة الكتاب وموضوعه :

يواجه الانثروبولوجيون مشكلات متعددة أثناء عملهم الميدانى . فهناك المشكلات المتعلقة بموضوعية الملاحظة ، وادراك الظواهر ، ومشكلات اختلاف قيم واتجاهات الأنثروبولوجى عن قيم واتجاهات وثقافة الشعوب التى يقوم بدراستها . ويبدو أن من أهم المشكلات التى يواجهها الانثروبولوجى مشكلة التكيف مع طرق الحياة المختلفة في المجتمع الذى يقوم بدراسته ، والذى يمكن أن يختلف عن مجتمعه تماما . تلك المشكلة التى يمكن أن تؤثر فى صلاحية المادة العلمية اذا لم يتم حلها .

ويحتاج الأنثروبولوجيون بصفة عامة الى كتابات متعلقة بموضوع تكيف الأنثروبولوجى فى الميدان . لهذا يأتى هذا الكتاب الذى نعرض له هنا محاولة للاسهام فى سد جوانب النقص التى تعانى منها دراسات المناهج

---

* George D. Spindler, Being an Anthropologist. Holt Rinehart and Winston Inc., U.S.A., 1970.

(**) مدرس مساعد الأنثروبولوجيا بكلية الآداب - جامعة القاهرة .

الأنثروبولوجية • فهو عبارة عن تقرير تفصيلي يشرح باسهاب كيف تم تكيف ثلاثة عشر من الأنثروبولوجيين ، وأفراد عائلاتهم فى احدى عشرة ثقافة مغايرة عن ثقافتهم • واذا كان ذلك يعتبر الهدف الأساسى الذى كان يهدف اليه مؤلف الكتاب ، الا أنه لم يكن قاصرا على مناقشة هذه المشكلة ، بل تتضمن - كما سيتضح فى ثنايا عرضنا للكتاب - الكثير من المناقشات الخاصة بجمع المادة وتحليلها وتفسيرها • ولهذا فهو يعتبر خير مساعد للدارسين المتخصصين الذين يرغبون فى فهم معنى الانثروبولوجيا والتعرف على الأنثروبولوجيين •

وقد ارتكزت فكرة هذا الكتاب على ثلاث مسلمات رئيسية هى .

- أن العمل الميدانى عمل معقد • وأن تفسير المادة الميدانية أمر أكثر تعقيدا • واذا كان ذلك يتطلب أن يكون لدى الأنثروبولوجى بعض الخبرات، فان خبرة من سبقوه فى الميدان يمكن أن تكون ذات قيمة للمبتدئين ولغير المبتدئين على السواء •

- عندما يحاول الأنثروبولوجى دراسة الظواهر الميدانية دراسة دقيقة، فان ذلك لا يمكن أن يتم عن بعد ، بل يتطلب منه أن يكون متداخلا فى المجتمع الذى سيقوم بدراسته • وهنا يواجه الأنثروبولوجى مشكلات التكيف ، التى لا تؤثر فقط على تقريره للأحداث ، وتفسيره لها ، انما تؤثر فقط على سير الأحداث نفسها ، وهذا يتطلب أيضا الالمام بخبرات الآخرين فى مسألة التكيف •

- أن كل دراسة اثنوجرافية تجرى هى دراسة فريدة من نوعها ، وكل أنثروبولوجى هو أنثروبولوجى فريد ، يختلف عن أى أنثروبولوجى آخر •

بل ان كل حدث يحدث فى كل موقع ميدانى هو حدث فريد سوف لا يتكرر مرة أخرى • ولهذا فان تسجيل هذه الخبرات والأحداث بيد الأنثروبولوجى الذى عاش التجربة يعتبر عملا علميا ذا قيمة كبيرة • ويبدو أن هذه الفكرة هى التى دعت المؤلف الى أن يعرض فى الكتاب لكل دراسة منفصلة عن الأخرى تماما ، ويقدم لنا كل دراسة بمقدمة عن المؤلف نفسه ، وطبيعة شخصيته ، ونوعية اهتماماته •

واذا كان هذا الكتاب قد وضع مسألة وصف وتحديد الخبرات الحقلية وطريقة تكيف كل أنثروبولوجى فى الميدان - فى المركز الأول من اهتمامه ، الا أنه قد اهتم أيضا بتنظيم عرض العمل الميدانى داخل كل دراسة •

وقد تم اختيار هذه المجموعة من الدراسات لتكون متن الكتاب - دون غيرها - بناء على عدة معايير أهمها :

- الاختلاف في الأساس النظرى الذى قامت عليه كل دراسة ، وذلك بهدف تحقيق نوع من الثراء فى المادة .
- تباين السن بين كل أنثروبولوجى وآخر .
- اختلاف فترة وزمن العمل الميدانى .
- اختلاف موقع وطبيعة الخبرة الميدانية .

وقد كان المؤلف يتوقع وجود اختلافات شديدة بالنسبة للآراء والاختبارات والنتائج التى توصل اليها كل أنثروبولوجى ، ولكن الواقع أن معظم التقارير كانت متفقة فى المبادىء المنهجية العامة .

وتعد أهم ثمرة لجهود هؤلاء الأنثروبولوجيين هى أن كتاباتهم ، وملاحظاتهم ، وتفسيراتهم للأحداث والظواهر المختلفة التى سجلت فى هذا الكتاب تضيف الى معرفة القارىء الكثير عن حياة الشعوب موضع الدراسة . والأهم من ذلك أنها تساعد على ازالة أو على الأقل التخفيف من حدة - الحواجز بين الجماعة التى ينتمى اليها الأنثروبولوجى ، والجماعة التى يقوم بدراستها ، وذلك بفضل ما قدموه من طرق مختلفة للتكيف مع الجماعات المتميزة ، حتى أصبحوا أعضاء فيها ، وبفضل ما تضمنته فصول هذا الكتاب من وصف تفصيلى وواضح لطبيعة العلاقات التى كونها كل أنثروبولوجى مع المجتمع الذى عاش فيه ، الأمر الذى ترجم ترجمة صادقة حينما شعروا بالحنين الى هذه المجتمعات ، وكأنها أوطانهم .

وقد زود كل أنثروبولوجى تقريره بالخبرات ، والملاحظات ، وردود الأفعال التى عادة ماتخلفها مثل هذه الدراسات ، والتى نادرا ما يسجلها الباحثون فى تقاريرهم . ويرجع الاهتمام بهذه الجوانب الى ما أبداه المؤلف من آراء يؤكد فيها أن المنهج الذى يتبعه الأنثروبولوجى ، وخبرته الميدانية . وادراكه لما يلاحظه ، وتفسيره للأحداث ، كلها عناصر ضرورية للحكم على صدق تصويره للمجتمع . فالأنثروبولوجى يحتاج لأن يدرك ويتصور قبل أن يكتب . ولهذا تعتبر معظم الدراسات الاثنوجرافية وثائق شخصية يمكن أن نزنها ونختبر صدقها . وهى تكون أكثر صدقا كلما حاول الأنثروبولوجى أن يحقق أكبر قدر من الموضوعية ، وألا يضفى عليها من وجهات نظره أو اتجاهاته ما هو غير موجود فى الواقع الذى يدرسه ، وأن يبتعد عن التحيز

وخاصة في دراسة المجتمعات التى تكون ذات وضعيات خاصة ٠

وقد كانت أهم المشكلات التى واجهت كل أنثروبولوجى فى دراسته الميدانية ، وتضمنتها معظم التقارير هى :

- مشكلة الدخول الى المجتمع ، وطريقة تقديم نفسه للآخرين ٠
- مشكلة اقامة علاقات قوية تساعده على الحصول على المعلومات التى يريدها ، وما يتطلبه ذلك من تكيف مع بيئات غريبة ٠
- مشكلات التفاعل مع أشخاص يختلفون عنه فى الهوية ٠
- المشكلات المتعلقة بالموضوعية فى جمع المعلومات وتفسيرها ٠
- المشكلات الأخلاقية التى تواجه الباحث فى محاولته أن يصبح صديقا للناس لكى يتمكن من ملاحظتهم عن قرب ملاحظة هادفة ٠

ويؤكد المؤلف أن كل أنثروبولوجى واجه هذه المشكلات عديدا من المرات ، وقد اختلفت ردود أفعال كل أنثروبولوجى عن الآخر ٠ هذا بالاضافة الى أن كلا منهم عانى من المشكلة الرئيسية التى يواجهها كل أنثروبولوجى ، والتى تتعلق بالشك والقلق الذى يعانى منه عندما يجمع أكثر المعلومات الضرورية من الميدان عن طريق الاتصالات غير الرسمية ، والعرضية ٠

محتويات الكتاب :

يحتوى الكتاب على أحد عشر فصلا يتضمن كل منها تقريرا عن العمل الميدانى فى منطقة متميزة ٠ ويعرض لنا هومر بارنت Homer G. Barnett فى يومياته كيف أن طبيعة الأحداث التى يعيش فيها الباحث فى مجتمع الدراسة يمكن أن تؤثر على تنظيم العمل الميدانى من يوم لآخر ٠ وأوضحت يومياته كيف كان ينتظر اللحظة التى يصبح فيها صديقا يمكنه المشاركة فى جميع جوانب الحياة الاجتماعية ٠ واذا كان كل أنثروبولوجى يدرك موضوع المسافات التى غالبا ما توجد بينه وبين الاخباريين ، الا أن هذه اليوميات تمكننا من الوقوف على طبيعة هذه المسافات بوضوح ودقة ٠ كذلك أكد بارنت أنه يجب على الأنثروبولوجى أن يبدو جذابا وموثوقا به ، ونافعا اذا حل فى أى مكان ٠ كما بين أن تداخله مع الناس مكنه من أن يكون « داخل » و « خارج » نسق العلاقات فى نفس الوقت ٠ وهذا دائما هو موقف الأنثروبولوجى ٠

أما الأنثروبولوجي بيلز Alan R. Beals فقد قدم لنا تقريرا ممتازا عن دراسته لمجتمع قرية جوبالبور Gopal Pure بجنوب الهند · ووضح لنا كيف أصبح عضـوا فيه بالمعنى الذى يطمح اليـه كثير من الأنثروبولوجيين ، ولا يصل اليه الا القليل منهم · وقد وضح فى تقريره الفرق بين أن تكون ملاحظا مشاركا وبين أن تكون ملاحظا غـير مشارك · وعرض لمشكلات ادارة شئون البيت التى تواجه الباحث وكيف تؤدى الى تعويق العمل الميدانى · وعلق على أهمية تعلم لغة المجتمع مؤكدا أن أفضل طريقة لتعلمها هى عزلة الباحث فى المجتمع ، مع الاعتماد على أشخاص لا يتكلمون الا تلك اللغة فقط · كذلك ناقش موضوع تسجيل الملاحظات واليوميات وعرض للمغالطات التى تحدث فى استعمال الكاميرا ، أو شريط التسجيل · ومن أهم ما كتبه بيلز هو شرحه لفكرة « المشاركة » ، والمعنى الشخصى لخبرة العمل الميدانى التى أحس بأثرها عندما عاد الى الولايات المتحدة الأمريكية مع زوجته ، وطفله الذى ولد فى الهند · كذلك ناقش بكفاءة قيادة وضبط الباحث لنفسه فى الميدان ، وكيف يجب أن يكون متداخلا فى الميدان ومنفصلا عنه فى نفس الوقت ·

وفى مالطة قام الاستاذ الجامعى الأنثروبولوجى بويسيفين J. Boissevain بدراسة قرية « هال فاروج » Hal-Ferruge · وكتب لنا تسلسل الأحداث ابتداء من الخطوات التمهيدية الى دخول مالطة ، ثم رؤية الناس ، وتسجيل الوثائق ، واكتشاف القرية · ويعطينا تسجيل الاتصالات الميدانية الأولى مع الناس فكرة متعمقة عن هذه الخطوات التى نادرا ما سجلت فى الدراسات الميدانية · وقد ناقش بوسيفين الأدوار الفرعية التى يضـطر الأنثروبولوجى أن يلعبها بالاضافة الى دوره الأساسى · وأوضح أن المعلومات الأكثر قيمة أحيانا تأتى نتيجة الاتصالات العرضية غير المخططة ، مثل المباريات التى تحدث فى الطريق ، وفى حلقات اللعب ، وفى الكنيسة ·· الخ ، وأن هذه المعلومات العرضية يمكن أن تتأكد وتدعم من خلال جهوده الرسمية والأكثر تخطيطا · كذلك ناقش المعاناة التى يعيشها الأنثروبولوجى كل لحظة عندما يفكر فيما اذا كانت اتصالاته اليومية سوف تكون منتجة أم لا ·

ويمكن للفرد أن يأخذ من الفصل الذى كتبه روبرت دنتان R.K. Dentan انطباعا مشرقا عن الجوانب الشخصية للعمل الميدانى ، وفى نفس الوقت يمكن أن يلاحظ اهتماماته بالمنهج العلمى فى الدراسة الميدانية · فقد ناقش موضوعية بحثه ، والطرق والأساليب والأدوات التى استعملها بطريقة توضح حرصه على أقصى درجة من الموضوعية · وقد اختبر دانتان الحرمان الفيزيقى

القاسي ، كما واجه التهديد فى عالم غريب كلية ، هاجمته فيه الحشرات ، وأمطار الغابات • وقد أدت هذه المعاناة الى ارتباطه بالمجتمع ، حتى أنه كان يرغب في العودة اليه، ليس من أجل الأسئلة التى لم يستفسر عنها، ولكن من أجل رؤية الناس مرة أخرى •

وقدمت الأنثروبولوجية نورما دياموند Norma Diamond فى الفصل الخامس دراسة لقرية للصيادين فى جمهورية الصين حصلت بها على درجة الدكتوراه • ويظهر فى هذه الدراسة أساليب اجراء الاستبار والملاحظة ، واستعمال الاختبارات الاسقاطية وأسئلة التوجيه القيمى• والموضوع الرئيسى فى هذا الفصل هو عملية تكيفها كفتاة ، وطالبة ، وشابة متحضرة ، من بلد غنى فى قرية متخلفة فقيرة • وذورها التكيفى كأمريكية فى مجتمع صينى • فقد عالجت « نورما » مشاكل العلاقة مع القرويين فى ضوء هذه المسائل المرجعية ، التي أثرت على قبول وتصور الناس لها وللبحث الذى قامت بــــه •

ويتضمن الفصل السادس عرضا لدراسة « هارت » C.W.M. Hart التي أجراها على قبيلة التيوى Tiiwi البدائية بشمال استراليا ، التى قضى مع أبنائها ما يقرب من عامين فى ترحال مستمر بالحد الأدنى من المعدات الشخصية ووسائل الانتقال • وقد اهتم بأن يشرح كيف وجــد المفتاح للدخول الى الحياة الاجتماعية للتيوى ، والقيام بدراستها ، وهو يعتبر أنه لا يوجد ما يوضح طبيعة علاقة الأنثروبولوجى بالميدان أكثر من هذا •

وتوضح تجربة جون هتشكوك J.I. Hitchcock التى استغرقت الفصل السابع ، كيف يكون العمل الميدانى مروعا بالنسبة للمبتدئين عندما لا يجدون بناءات اجتماعية ، أو انساق للقرابة، أو أدوار أو مكانات واضحة• كما يوضح أن العمل الميدانى هو أكثر من مجرد لقاء بين عقل الباحث وأفراد المجتمع المراد دراسته •

وتوضح دراسة جون هوستتلر J. Hostetler فى الفصل الثامن أهمية تعاون أفراد مجتمع الدراسة مع الباحث ، وأهمية مراعاة واحترام معايير هذا المجتمع • واذا كان هذا الفصل يساعدنا على فهم طبيعة العمل الميدانى فى مجتمع محكم التنظيم ، فهو يعطينا فكرة واضحة عن المجتمــــع نفسه أيضا •

أما دراسة لينكولسن كيزر L. Keiser في شيكاغو فقـــد ركـــزت على العمل الميداني في مناطق للأقليات تتميز بالحقد العنصري ، وكيف يؤثر ذلك في البحث الميداني • فقد كان دوره معقدا كرجل أبيض يعيش بين السود ، فعلى الرغم من أنه تداخل في المجتمع ، الا أنه ظل خارجا عنه أيضا ، وظلت الحواجز قائمة بينه وبين أعز أصدقائه • وقد اهتم كيزر بتوضيح أثر التوجيه orientation لدى الباحث ،وكيف يمكن أن يكون عاملا محددا لمشاهداته •

وقد قدم لنا ادوارد نوربك E. Norbeck تقريرا رائعا في الفصل العاشر من الكتاب عن دراسته لقرية « تاكاشيما » اليابانية • وكان يهدف منه أولا وأخيرا افادة القارىء • وقد استهل الفصل بعرض مختصر لحياته ، وأنهاه بتقرير مفصل وصف‌فيه كيف كان المجتمع الياباني، والثقافة اليابانية صعبة بالنسبة له • ويوضح لنا الفصل بصفة عامة كيف جمع الأنثروبولوجي نوربك مادته الميدانية ، ويساعدنا أن نفهم بطريقة أفضل المجتمع المحلي الياباني الذي قام بدراسته •

وينتهي الكتاب بدراسة جورج ولويس شبندلر George and Louise الذي يصور فيه المؤلفان حبهم للمجتمع الذي درسوه ، وكيف أثر في حياتهم الشخصية والعائلية • ويعطينا هذا الفصل فكرة عن عمل ميداني بدأ دون دراسة لمناهج البحث الميدانية • لهذا يتعرض الفصل لبداية العمل الميداني، ثم دخول الميدان والاحتكاك بالناس ، ثم طرق اختيـــار العينة ، واجـــراء الاختبارات والمقابلات •

* * *

اننا عندما نطالع هذاالكتاب نجد أنفسنا أمام أكثر من عمل في مجال المناهج الأنثروبولوجية • فعلى الرغم من أن جورج شبندلر هو الذي اهتم باخراج هذا العمل الى النور ، الا أن الذين ساهموا فيه كثيرون • فقد ساهم فيه أكثر من أنثروبولوجي ، يحمل كل منهم عقلية متميزة ، ويمارس منهجا ميدانيا من نوع خاص ، ويكتب تقريرا فريدا بعد أن درس منطقة متميزة •

واذا كان اهتمام الكتاب قد انصب على مسألة تكيف الأنثروبولوجي في الميدان • فانهم قد أعطونا وصفا لنوعيات مختلفة لهذا التكيف •

ويعتبر هذا الكتاب تقريرا ممتازا يحاول أن يصل الى أقصى الموضوعية فى الدراسة الميدانية ، فى الوقت الذى لا يتجاهل فيه شخصية الباحث ، وميوله ، واتجاهاته ، وقدرته على التكيف . بجانب هذا يعتبر عملا انسانيا حاول فى كل صفحة أن يصور عمل الأنثروبولوجى فى الميدان على أنه أكثر من مجرد باحث ، انه رجل علاقات انسانية ، وأن يبين كيف يمكن أن يخدم ذلك البحث العلمى بصفة أساسية . فضـــلا عن ذلك فهو يقـــدم الأنثروبولوجيا كطريقة للحياة ، وكنسق قيمى ، وهى بذلك يمكن أن تخدم معظم الأغراض المثالية والانسانية التى قامت لكى تخدمها .

تدرج المدن على أساس الأنشطة التجارية والخدمات

مارى اندريه بروست (*)

عرض الاستاذة اميرة مشهور(**)

يتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء رئيسية :

١ - المقدمة وتتناول بعض التعريفات والجوانب التاريخية للموضوع .

٢ - جزء خاص بالدراسات النظرية والأبحاث التجريبية الخاصة بالموضوع .

٣ - جزء خاص بتطبيق الموضوع على المدن الفرنسية فى سنة ١٩٥٤ وذلك على أساس الأنشطة التجارية والخدمات .

وفى نهاية الكتاب فصل خاص بمستقبل أنشطة القطاع الثالث فى المناطق الحضرية .

اهمية موضوع الكتاب :

يتناول الكتاب موضوع ترتيب المدن أو تدرجها على أساس استخدام معيار الأنشطة التجارية والخدمات ، ويتعرض فى ذلك الى نظريات وأبحاث عديدة، وترجع أهمية الكتاب الى ابراز الروابط بين ممفهوم التدرج ومفهوم الحجم والأنشطة الحضرية ، كذلك فهو يتعرض لموضوع مستقبل التحضر وآثاره على الأنشطة التجارية والخدمات .

---

* Prost, Marie-Andrée : La Hiérarchie des villes en fonction de leurs activités de commerce et de service, Gauthier. Villars, Paris, 1965, pp. 333.

(**) باحثة بوحدة بحوث التحضر ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

عرض الكتاب :

إن عملية التحضر ترتبط ارتباطا وثيقا بعملية التصنيع ، فحيث توجد منشآت صناعية تنشأ المدن وتنخفض الاهمية النسبية لأنشطة القطاع الثالث (الخدمات والتجارة) بينما تنمو قيمتها المطلقة •

وفى الماضى كانت المدينة مركزا للتبادل التجارى ، ومنذ القرن التاسع عشر ومع نمو الصناعة ووسائل النقل بدأت تنشأ علاقات وثيقة بين المدن وأصبح الكثير منها عواصم محلية ، وهكذا تطورت الشبكة الحضرية وأصبحت مكونة من مجموعة من المدن ذات الترتيب الادارى المتدرج والتابعة لعاصمة محلية •

ويوجد نوعان من المدن نتيجة لعملية التحضر ، ونجد النوع الأول منها فى الدول الغربية حيث حققت مدن هذه المجموعة شوطا كبيرا فى عملية النمو الاقتصادى • وسكانها من الحضر أساسا ، أما النوع الثانى من المدن فهو مدن الدول المتخلفة حيث لم تستكمل عملية التحضر فيها ، والنسبة الكبرى من سكانها من الريف ، ويحاول هذا الكتاب أن يبين الأهمية الحقيقية للنشاط التجارى والخدمات فى المراكز الحضرية الحالية •

ويعتبر القطاع الثالث فى الاقتصاد القومى ضروريا للحياة الحضرية ، وتستوعب أنشطة هذا القطاع عددا من العاملين يتناسب مع الحجم الكلى للسكان ، أى أن هناك نسبة معينة من الأفراد يجب أن تعمل فى هذا القطاع ، وهناك أنشطة معينة فيه تعتبر أقل أهمية من أنشطة أخرى ، أى أن الأهمية النسبية لأنشطة القطاع الثالث مختلفة مما يؤدى الى وجود انماط مختلفة من المدن •

ثم تعرض الكتاب لبعض التعريفات الخاصة بمفاهيم أساسية فـى الموضوع :

١ ـ المدن والتجمعات السكانية :

هناك عدة تعريفات للمدن كل منها يعتمد على معيار معين مثل المعيار التاريخى أو الادارى أو العددى •

ويقوم تعريف المدينة فى فرنسا على أساس مفهوم « التكتل السكانى»

أى وجود منطقة متصلة المساكن أو العمران ، وعلى ذلك فان التكتل الحضرى هو تجمع يتعدى مجموع سكانه ٢٠٠٠ نسمة ، بينما فى بلجيكا وهولندا حيث يؤخذ بنفس المفهوم يعتبر الحد الأدنى من السكان فى التكتل العمرانى هو ٥٠٠٠ نسمة ٠

ومع نمو عملية التحضر ظهرت التجمعات السكانية المتعددة الوحدات والتى لا يتوفر فيها شرط اتصال العمران حيث تمتد المدينة وتشمل الوحدات المجاورة ، كذلك ظهر أيضاً ما يسمى بمناطق العمران الصناعى أو الحضرى وهى مجموعة من الوحدات السكانية تتميز بتجانس سكانها وتبادل الأيدى العاملة فيما بينها وقربها من مناطق الثروة المعدنية أو قربها من الشبكة الأساسية للمواصلات، مما أدى الى نمو النشاط الصناعى بها بصورة ملحوظة، كذلك قد تكون مركزا لاقامة العمال الصناعيين الذين يعملون فى المناطق الأخرى ، وعلى ذلك تشمل هذه المناطق كل الوحدات الحضرية السابقة الى جانب وحدات أخرى تتميز بالطابع الصناعى والتوسع العمرانى وأهمية الهجرة اليومية لسكانها ٠

وفى هذا الكتاب يؤخذ أساسا بأنشطة القطاع الثالث فى التجمعات السكانية الحضرية ٠

٢ ـ أنشطة القطاع الثالث :

ان القطاعات الثلاثة للنشاط الاقتصادى تبعا لكولين كلارك Colin Clark تشمل أولا الزراعة والصيد والموارد الطبيعية ثم قطاع الانشطة الصناعية بما فيها المناجم ٠ وأخيرا القطاع الثالث أو قطاع الخدمات الذى يرتبط وجوده بوجود المدينة ، ويشمل هذا القطاع خدمات البنوك والتجارة والتأمينات والخدمات الخاصة والخدمات العامة والخدمات الادارية والجيش ٠

وهناك خدمات ترتبط فقط بسكان المدينة الى جانب خدمات أخرى تخدم المنطقة التابعة للمدينة ، وعلى ذلك هناك خدمات محلية مثل تجارة المحاصيل الزراعية والمواد الغذائية وخدمات الفنادق والخدمات المنزلية والكهرباء والماء ، وأيضا هناك خدمات غير محلية مثل خدمات البنوك والتأمينات والاذاعة ٠

وفى هذا الكتاب اعتمدت الدراسة على الاحصاء السكانى لسنة ١٩٥٤ فى فرنسا ، واستخدمت الاحصاءات بتحويل كل رقم الى نسبة لمجموع السكان العاملين ٠

الدراسات النظرية والبحوث التطبيقية الخاصة بالترتيب الوظيفي للمدن :

إن عملية التحضر أصبحت في السنوات الأخيرة ذات أهمية خاصـــة بالنسبة لعلماء الاجتماع والجغرافية ، فقد ظلت المدينة لمدة طويلة مركزا للمناطق الزراعية تستقبل منها الغذاء وتقدم لها بعض الخدمات ، أما الآن فقد تطور مركز المدينة وارتبط وجودها بالنمو الصناعي •

نظام المناطق المركزية لكريستالر : Christaller

يعرف كريستالر المدينة على أساس وظيفتها وهى أنها مركز لتقديم الخدمات والسلع للمناطق القبلية المحيطة بها ، وهذه السلع والخدمات المركزية متعددة الانواع فبعضها ضعيف الانتشار والبعض الآخر متوسط الانتشار وأخيرا هناك خدمات مركزية واسعة الانتشار ، ويتوقف مـــدى انتشار الخدمة أو السلع على عوامل عديدة مثل : أهمية المنطقة المركزيةالتى تقدم الخدمة وقدرات المشترين وتغير الأســـعار والسلع الأخرى المعروضـــة وأسعارها وأنواعها وكمياتها ، وبتجميع السلع المركزية فى مجموعات تبعا لعدد الوحدات المستهلكة لها ومدى انتشارها يمكن أن نصـــل الى تصنيف لأحجام المدن أو ترتيب للمناطق المركزية ، وقد توصـــل كريستالر بهذه النظرية من دراسته التطبيقية فى منطقة جنوب ألمانيا •

ويرى كريستالر أن نظرية ترتيب المناطق المركزية تقوم أساسا على ثلاثة قواعد ، القاعدة الأولى هى قاعدة السوق والتموين ثم قاعدة المواصلات وأخيرا قاعدة التنظيم الادارى والسياسى • وتعتبر القاعدة الأولى هى القاعدة الأساسية فى ترتيب المناطق المركزية ، ومثل هذا التنظيم ليس ثابتا ، ولكنه يتغير باستمرار تبعا لتزايد الطلب على السلع المركزية نتيجة لتغير حجم السكان ومستوى المعيشة ، وأيضا تبعا لتغير وسائل المواصلات التى تؤدى الى ظهور مناطق مركزية جديدة •

تعميم نظرية التدرج الحضرى لكريستالر :

١ ـ تناول Losch نظرية كريستالر بالدراسة ولكنه وضع تصورا مجردا ومثاليا لتنظيم المدن •

٢ ـ Beckmann صاغ نظرية كريستالر فى صورة حسابية ، فقد حدد حجم سكان مدينة معينة كدالة فى موقعها •

٣ — أما قانون Reilly فهو يبين العلاقة بين حجم سكان المدن وبين المسافة التى تفصل بين هذه المدن أو مناطق تأثيرها ، وقد استخدم فى بيان هذه العلاقة تطبيقا لقانون الجاذبية العالمى فى الطبيعة ، وقال أنه فى نطاق العلاقات الحضرية تكون جاذبية المدينة أو منطقة تأثيرها مرتبطة ارتباطا تصاعديا مع حجمها وارتباطا عكسيا بالمسافة الموجودة بينها وبين المناطق الأخرى .

٤ — وتولى Brian Berry القيام بعمل تجريبى لتأكيد ومراجعة نظرية كريستالر ، وقد أظهر مفهومين عامين ومكملين للنظرية وهما مفهوم مكانة أو رتبة السلعة ومفهوم نقطة ظهور الوظـــائف ويضع المفهوم الأول حدود سوق السلعة التى تنتجها المنطقة المركزية ، أما المفهوم الثانى فيبين الحجم الأدنى للسوق أوالقدرة الشرائية الدنيا اللازمة لعرض سلعة معينة من المنطقة المركزية .

٥ — أما Philbrick فقد درس المدن فى اطار المساحة الاقليمية التى يمكن أن ينظر لها من زاويتين ، أما على أنها مساحة متجانسة أو مساحـــة مستقطبة ، وقد وضع قواعد أساسية للتنظيم المكانى لأى مجتمع ، كذلك حدد فيلبريك سبع درجات للوظائف مدرجة تبعا لأهمية التخصص ، ودرس المنطقة الحضرية التى يمكن اعتبارها اما منطقة متجانسة أو منطقةجذب .

دراسة الأنشطة الحضرية فى مجموعها :

ان دراسة الأنشطة التجارية والخدمات تستلزم تحليلا لكل النشاط الاقتصادى حتى تبين الروابط الداخلية الموجودة فيه بين الأنشطة المختلفة ، وكان فلورانس Sargent Florence أول من قام بدراسة فى هذا المجال ، فقد قدم معامل التوطن الصناعى وهو عبارة عن درجة التركيز المحلىلصناعة معينة بالنسبة لبيان عام مثل مجموع السكان أو العمالة الصناعية أو الدخل. وعلى هذا الأساس فهناك صناعات لديها معـــامل ضعيف للتركز وتسمى الصناعات المتوطنة مثل الصناعات التى تقدم الخدمات كالمياه والكهرباء ، وهناك صناعات ذات معامل مرتفع وهى الصناعات الأولية .

وكما امكن التمييز بين صناعات مختلفة تبعا لتركزها على الصعيـد القومى فقد قام Boudeville بدراسة ممـاثلة عـــلى الصعيد المحـــلى وميز بين الأنشطة المحلية والاقليمية والقومية .

١ ـ مفهوم اقتصاد الأساس :

في منطقة معينة توجد صناعات أساسية وصناعات متوطنة أو خدمات، والصناعات الأولى أو صناعات التصدير هي أساس اقتصاد المدينة وهي التي تؤدى الى ظهور علاقات تبادلية فيما بين المدن ، أما الصناعات المتوطنة فهي تابعة للصناعات الاولى وتتضمن أنشطة الخدمات ، وقد وضع Homer Hoyt العناصر الأولى لهذه النظرية مستخدما معيار العمل لقياس أهمية هذه الأنشطة ، وأظهر أن هناك علاقة ثابتة بين الأنشطة الاساسية والأنشطة المتوسطة وأن الأنشطة الأساسية تلعب الدور الايجابي في التنمية الحضرية ، وعلى ذلك فقد وضع مضاعفا للعمالة الأساسية ، الا أن هذا المضاعف ذو صفة اجمالية ولا يمكن تحليله تبعاً للمناطق والقطاعات الصناعية المختلفة ، كذلك فهو ليس ثابتا ، وعلى ذلك فقد ادخلت بعض التحسينات على نظرية المضاعف حتى يمكن استخدامه في كل من المدى القصير والمدى الطويل على السواء ، فقد قدم Cahen, Ponsard مضاعفا آخر سمي بمضاعف العمالة الديناميكي ، كذلك هناك دراسة مكملة في هذا المجال أجريت لتحديد التغير في الأنشطة المتوطنة عندما يزيد حجم المدينة ، أى أن هذه الدراسة تضع مضاعفا للعمالة الحضرية في المدى الطويل .

٢ ـ مفهوم السيطرة : Domination

ان مفهوم السيطرة ينشأ من وجود علاقة تبادلية (سيطرة ـ تبعية) وتكون فيها الوحدة المسيطرة صاحبة أكبر قدر من السيطرة والرقابة على الوحدات الأخرى ، وقد اعتبر Gras أن نموذج السيطرة في النظام الاجتماعي والاقتصادي الحديث هو الاقتصاد العاصمي Métropolitain أى الاقتصاد المكون من المنتجين والمستهلكين لسلع وخدمات تابعة لبعضها البعض ، والذين يتم اشباع رغباتهم عن طريق نظام تبادلي مركز في المدينة الكبرى التي تعتبر مركزا للتجارة المحلية ، وهذا المركز العاصمي قد نما في أربع مراحل متتالية هي أولا تنظيم السوق ثم نمو الصناعة وتركز السكان ثم تنظيم النقل والمواصلات . وأخيرا نمو النظام المالي والرقابة المصرفية .

وقد رأى Bogue أن المركز المسيطر يجب أن يكون له أهمية ديمغرافية خاصة (أكثر من ١٠٠ ألف نسمة) ، كذلك فتأثير هذا المركز يكون بمقدار

الوظائف التى يمارسها وخاصة أنشطة القطاع الثالث •

أما Perroux فقد اقترح استخدام مفهوم السيطرة لدراسة الحياة الاقتصادية بنظرة ديناميكية ، وقد استخدم فى ذلك فكرة أثر السيطرة أو الوحدة الاقتصادية المسيطرة التى تتلخص فى تأثير غير قابل للانعكاس من وحدة اقتصادية على وحدة أخرى ، وهذا التأثير يرجع الى حجم هذه الوحدة وسلطتها التجارية وطبيعة نشاطها ، ويتم هذا التأثير عند كل المستويات الاقتصادية •

وعلى أساس مفهوم اقتصاد الأساس ومفهوم السيطرة يجب تحليل الهيكل الحضرى والتمييز بين : الأنشطه الأساسية (محركة ومتجذبة) والأنشطة المتوطنة (مسيطرة ــ عادية) •

ويمكن تقسيم أنشطة القطاع الثالث الى :

١ ــ الأنشطة الأساسية أو أنشطة التصدير (الخدمات المصرفية والسياحية والصحية) •

٢ ــ الأنشطة المسيطرة محليا (الخدمات الادارية) •

٣ ــ الأنشطة العادية (تجارة التجزئة فى السلع الغذائية) •

وهذا التحليل قام بدراسته Alexandersson باستخدام المعامل الأدنى للتشغيل ، فقد لاحظ أن عمليات التبادل التجارى بين الجماعات تزيد نسبيا كلما كان حجم الجماعة صغيرا وعلى ذلك فان الانتاج المخصص لسكان المدينة يسمى City serving production والصناعات المنتجة للسوق الخارجية تسمى City forming industries وهى مصدر للأموال اللازمة لتغطية واردات المدينة ، وهذا الجزء الأخير من الانتاج يمكن تحديده بمقارنة نسب الأفراد المستغلين فى كل قطاع وذلك فى المدن المختلفة ، وهو ما يسمى بالمعامل الأدنى للتشغيل ، أى معيار تحديد نسبة التشغيل فى كل صناعة بكل مدينة •

الدراسات التطبيقية على توزيع المدن تبعا لحجم السكان :

تنقسم الدراسات التطبيقية الخاصة بتوزيع المدن تبعا لحجم السكان الى طريقتين مختلفتين :

١ ـ الدراسة التحليلية لتوزيع المدن تبعا لحجم السكان :

في هذه الدراسة يستخدم رسم بياني بمقياس لوغاريتمي ثم تحدد لكل مدينة نقطة على الرسم وذلك على أساس حجم سكان المدينة من ناحية ودرجتها من ناحية أخرى ، ويمكن بذلك أن نحصل على مجموعة من النقاط تأخذ شكل خط مستقيم تقريبا ، أى أن توزيع المدن يتجه من المدن الاكبر الى المدن الأصغر بتزايد هندسي ، وبالمثل نجد أن حجم السكان العاملين في القطاع الثالث يخضع لهذا التوزيع مثل حجم المدن ، وعلى ذلك يمكن الحصول على دالة تشير الى العلاقة بين السكان العاملين فى القطاع الثالث بمدينة معينة وحجم السكان الكلي بالمدينة ، وهذه القاعدة تتحقق أكثر فى ظل بعض الشروط ، فهي تنطبق على المناطق الواسعة وغير المتجانسة وعلى المدن التى تتمتع بقدر من الاكتفاء الذاتي (التجارة الخارجية لا تزيد عن ١٠٪ من مجموع تجارتها) ، وتسمى هذه القاعدة بقاعدة الحجم تبعا للدرجة أو الترتيب ٠

وهناك أيضا قاعدة المدن الرئيسية أى أن أكبر مدينة تكون سائدة ليس فقط بحجمها ولكن بتأثيرها القومي أيضا ، فهى المركز السياسى والاقتصادى والاجتماعى للدولة ، وعلى هذا الأساس وضعت خريطة للمدن الرئيسية في كل دول العالم التى يوجد بها على الاقل أربع مدن بها أكثر من ١٠٫٠٠٠ نسمة ودليل المدينة الرئيسية هو نسبة سكان المدينة الكبرى فى الدولة الى مجموع السكان فى الأربع مدن الكبرى ٠

٢ ـ الدراسة الاجمالية لتوزيع المدن تبعا لحجم السكان :

قام Brian Berry بدراسة عامة لتوزيع المدن تبعا لحجم السكان في المجتمع المصرى ، كمجتمع نام ، يحتاج الى رفع عملية التنمية الصناعية ، بالنسبة لمعظم الدول ، وقد وضع المدن التي يزيد عدد سكانها عن ٢٠٫٠٠٠ نسمة في مجموعات :

من ٢٠٫٠٠٠ الى ٥٠٫٠٠٠ نسمة ـ من ٥٠٫٠٠٠ الى ١٠٠٫٠٠٠ نسمة ـ من ١٠٠٫٠٠٠ الى ٢٥٠٫٠٠٠ نسمة ـ من ٢٥٠٫٠٠٠ الى ٥٠٠٫٠٠٠ نسمة ـ من ٥٠٠٫٠٠٠ الى مليون نسمة ـ ثم المدن التى بها أكثر من مليون نسمة ، ثم يتم تجميع الترددات على لوغاريتم واذا كان توزيع المدن لوغاريتميا فان النقط تأخذ شكل خط مستقيم ، واذا كان ميل هذا الخط منتظما فهذا يعنى أن المدن موزعة تبعا لقانون لوغاريتمي ، ويمكن بالتالى استخدام قانون الحجم تبعا للترتيب ، أما اذا كان التوزيع متدرجا فهذا يعنى أن المدن الوسيطة الحجم غير موجودة وبالتالى توجد مدن رئيسية ٠

ان المراكز المسيطرة تتميز بصفة عامة بأنها متخصصة فى كل الخدمات وتجارة الجملة أكثر من أى مدينة رئيسية ، وبمقارنة حجم سكان المراكز المسيطرة بحجم سكان المدن الداخلة فى منطقة تأثيرها توصـــل Bogue الى خلاصة هى أن المدن الرئيسية التى بها ٥٠٫٠٠٠ نسمة فأكثر يكون فى منطقة تأثيرها عدد أكبر من المدن الهامة عن المدن الرئيسية التى بها أقل من ٥٠٫٠٠٠ نسمة ٠

ترتيب المدن تبعا لوظائفها :

رأى Gras, Mc Kenzie أن سيطرة المدينة الرئيسية هى فى الأساس من الناحية التجارية والمصرفية ، وتؤدى مركزية الرقابة الى وجود تكوين متكامل للمنشآت والوحدات الحضرية القائمة بالانتاج ٠

١ ـ تحليل المراكز تبعا لوظائفها :

تمت عدة دراسات لترتيب المدن تبعا لوظائفها ولكن على مستويات مختلفة ، فبعض هذه الدراسات اهتمت بالمدن الكبرى والبعض الآخر بالمدن الوسطى وأخيرا بعض الدراسات اهتمت بالمراكز الصغيرة جدا ٠

وبالنسبة للدراسات التى تمت على مستوى المدن الكبرى فقد قامت بترتيب المدن بالاعتماد على طريقتين ، الطريقة الأولى تقوم على أساس المعدات الأساسية l'équipement intrinsèque أى الأهمية النسبية لكل من أنشطة القطاع الثالث والأنشطة التجارية والمصرفية والقوة المالية والخدمات والمعدات الثقافية والفنية والرياضية ، واستكملت هذه الطريقة بالاعتماد على منظور ثان وهو مدى التأثير الخارجى للمدن ، وهذا التأثير يتم تقديره على أساس معايير مختلفة مثل السلطة الاقتصادية للمدن وقدرتها على الاجتذاب وحجم السكان بالمناطق المتأثرة بهذه المدن ٠

وقد أجرى Smailes دراسة أخرى لترتيب المدن فى انجلترا ، وقد استبعد الأهمية الديموغرافية والوضع الادارى فى دراسته واعتمد على وجود أو عدم وجود بعض أنواع الخدمات مثل البنوك والتأمين وتجارة الجملة ووجود جامعة ومستشفى ودار للنشر ، وعلى هذا الأساس رتب المدن الى : العاصمة ـ المدن الرئيسية الكبرى ـ المدن ـ المراكز الهامة ـ المدن الثانوية ـ القرى المتحضرة ـ المناطق الريفية ٠

وأخيرا هناك دراسات اهتمت بتحليل وظائف المراكز الصغيرة ، فدراسة Brush قامت على أساس ترتيب الوحدات الحضرية التى بها أقل من ٧٠٠٠ نسمة وقسمتها بالاعتماد على الأنشطة التجارية بها ، أما Carter فقد اعتمد فى دراسته على البنوك الموجودة فى المدن ومدى أهميتها .

٢ ـ تحليل وظائف المراكز :

يتم التحليل هنا فى اتجاهين ، الاتجاه الأول هو توضيح التخصص الوظيفى للمركز ، والاتجاه الثانى دراسة الأنشطة الحضرية المختلفة .

ولتوضيح التخصص الوظيفى للمدينة يرى Reiss أن تخصص المدينة فى نشاط معين يعنى قيامها بتصدير سلع وخدمات هذاالنشاط ، واعتمد فى دراسته على معيارين هما حجم المدينة ومركزها العاصمى بحيث يتم تصنيف المدن وتحديد تخصصها ، وقد وجد تسعة أنواع من التخصصات: هى الصناعات التحويلية ـ التعليم العالى ـ الادارة ـ النقل ـ الجيش ـ الخدمات الترفيهية ـ البنوك والتأمين ـ الخدمات الصحية والطبية ـ التجارة .

وقد استكملت هذه الدراسة بتحليل أعمق للأنشطة الحضرية ، وقد قدم Mme Cahen, Ponsard دراسة تشمل تصنيف هذه الأنشطة الى تسع فئات وذلك اعتمادا على مهمة النشاط بالنسبة للسوق ، وهذه الفئات هى : مهمة قومية اقليمية ـ مهمة محلية ـ مجموعة الافراد التى تخدم الحاجات الجارية للمنشآت القومية بالدولة ـ مجموعة الافراد التى تخدم الحاجات الجارية للمنشآت القومية فى الاقليم ـ الأفراد العاملون فى أنشطة مرتبطة بنمو الدولة (عمليات البناء) ـ مجموعة الأفراد التى تزاول نشاطا مستقلا تماما (مثل الفنانين) .

٣ ـ تحليل منطقة تأثير المركز :

تمت دراسة منطقة تأثير المركز بطريقتين مختلفتين ، تقوم الطريقة الأولى على أساس سؤال سكان المراكز الصغيرة لمعرفة الاماكن التى يتوجهون لها للحصول على السلع والخدمات اللازمة لهم ، وبالتالى نصل الى مراكز التخصص ونرتبها ونعرف مدى تأثيرها ، وقد حدد Bracey أربع خدمات ينتقل الأفراد للحصول عليها وهى : الخدمات الصحية ـ المحلات ـ خدمات البنوك ـ السينما ، وهذه الطريقة تؤدى الى وضع خريطة محددة

مناطق تأثير المراكز ، وقد توصل Piatier بنفس الطريقة الى تحديد ثلاثة أنواع من المراكز وهي : المراكز الرئيسية - المراكز الثانوية - المراكز الصغيرة ، وفي كل نوع من المراكز تختلف الخدمات المقدمة .

أما الطريقة الثانية لدراسة منطقة تأثير المركز فهي مباشرة وتقوم على تحليل المواصلات بين المراكز المختلفة ، ويتوقف متوسط مدى تأثير المركز على الأنشطة التي يزاولها من ناحية وعلى المسافة التي تفصل بينه وبين مركز آخر ، وتظهر أهمية منطقة تأثير المركز من كثافة المواصلات التي يمكن تقديرها بعدة طرق مثل كثافة المواصلات البرية أو الاتصالات التليفونية ، وقد أجريت في انجلترا دراسة لتحديد طريقة قياس القيمة النسبية لوسائل المواصلات العامة في المقاطعات المختلفة ، وهذه الدراسة وضعت مؤشرا وهو مدى سهولة الوصول اليها accessibilité ، أما الدراسات التي أجريت في فرنسا فقد استخدمت تحليل المواصلات لترتيب المراكز الحضرية ، وقد استخدم Hautreux ثلاثة معايير (الاتصالات التليفونية - تحركات المسافرين - الهجرة الداخلية) لوضع خريطة لترتيب المدن ذات الأهمية المحلية .

ترتيب المدن تبعا لوظائفها وتبعا لأهميتها الديموغرافية :

قام Berry بدراسته على المراكز الصغيرة ، وقد فرق بين ثلاث مجموعات من المدن تتميز بثلاثة مستويات من الكثافة السكانية ، كذلك ظهر ٦٧ وظيفة مركزية مقسمة الى مجموعات : ثلاث مجموعات من المتغيرات وخمس مجموعات للصفات الأساسية ، ويجب أن يتوافر حد أدنى من السكان حتى تتواجد كل مجموعة من هذه الأنشطة ، وبذلك أظهرت الدراسة أنه توجد مجموعات من الوظائف تمارس في مدن ذات أحجام مختلفة .

ومن ناحية أخرى حاول Ducan أن يجد العلاقات القائمة بين الحجم والوظيفة كمتغيرين ، وبالنسبة للوظائف فقد حددها في ست فئات : الصناعات الاستخراجية - الصناعات المنتجة - الصناعات التحويلية - الخدمات المحلية - الخدمات غير المحلية - البناء ، كذلك قام بوضع ترتيب آخر يتضمن احجام المدن ، وقد قسمها الى سبع مجموعات كبيرة للمناطق الحضرية وحدد نسبة معينة من السكان العاملين في كل نشاط بالنسبة لكل مجموعة .

وهكذا فقد أثبتت الدراسات التجريبية وجود ترتيب حضرى على أساس مزاولة أنشطة القطاع الثالث ، الا أن هذه الشبكة الحضرية المرتبة يمكن ان تتغير نتيجة لظهور أنشطة جديدة ونمو المراكز الحضرية المختلفة ، وعلى ذلك فقد قام Juillard بدراسة تتضمن ترتيب المراكز الحضرية (فى فرنسا) آخذا فى الاعتبار عناصر ثابتة وعناصر متغيرة ، أما العناصر الثابتة فهى : حجم السكان الكلى فى المنطقة ـ الاهمية الاقتصادية للمدينة مقاسة على أساس الدخل من الضرائب على الشركات وعدد الاتصالات التليفونية ـ معيار لمدى مركزية المنطقة ، ومن ناحية أخرى فقد حدد معيارين متغيرين هما : التغير الديمغرافى ـ التغير الاقتصادى ٠

وبعد ذلك قام الكاتب بدراسة تفصيلية لتدرج المدن فى فرنسا على أساس عدة معايير ، فأولا استخدم معيار الأنشطة التجارية والادارية وبالنسبة للأنشطة الادارية قسم المدن على أساسها الى : المقاطعات ـ المقاطعات الفرعية ـ والمدن التى ليس لها نشاط ادارى ، أما الأنشطة التجارية فقد قسمها الى : نشاط الموانى (المدن الساحلية) ـ النشاط السياحى ـ النشاط الجامعى (التعليم العالى) والدفاع ٠

كذلك رتب الكاتب المدن الفرنسية على أساس معيار الحجم حيث ان مزاولة الأنشطة التجارية والادارية يرتبط بحجم المدينة ، وقسم المدن الى : مدن بها أقل من ٢٠٫٠٠٠ نسمة ومدن بها أكثر من ٢٠٫٠٠٠ نسمة ٠

وأخيرا قام الكاتب بتحليل تدرج الأنشطة الحضرية للقطاع الثالث ومدى انتشارها أو مجال تأثيرها كمعيار ثالث لدراسة ترتيب المدن الفرنسية ٠

مستقبل الأنشطة الحضرية فى القطاع الثالث :

استخلص الكاتب أن الشبكة الحضرية شبكة متدرجة على أساس أهمية الأنشطة التجارية والخدمات التى تزاولها المدن ، وتتوقف هذه الانشطة على ثلاثة عوامل هى : الأنشطة التجارية والادارية المعينة التى تزاولها بعض المراكز الحضرية ـ الأهمية الديموغرافية للمراكز المختلفة ـ مدى انتشار تأثير المراكز ٠

وقد ركز الكاتب على أن « مركز الأعمال » يتميزعن باقى المجموعة الحضرية ٠ وذلك لعدة أسباب منها : النمو السكانى الذى يتجه الى الانخفاض

نسبيا ــ أهمية نسبة العمالة فى القطاع الثالث ــ تركز المنشآت والمشروعات بها ٠

ويرى الكاتب أن مكانة أنشطة القطاع الثالث فى التجمعات الحضرية فى تزايد وذلك بسبب النمو الاقتصادى وضرورة هذه الأنشطة بالنسبة لقطاع الانتاج والاستهلاك ، وكذلك فان المناطق الحضرية تتطلب زيادة فى الخدمات المالية والمصرفية ٠

وفى نهاية دراسته رأى الكاتب أن أهمية سلع وخدمات القطاع الثالث فى تزايد مستمر مع النمو الاقتصادى ، الا أن هذه الأهمية يجب أن توزع بين مختلف مستويات المدن بحيث تصبح المدن الرئيسية مركزاللاعمال ذات التخصص الواضح وتنتعش المدن الأخرى ٠

اتجاهات الأبناء المراهقين نحو عمل الأم(*)

دكتورة أمينة محمد كاظم(**)

أن التغير الكبير الذى حدث فى المجتمع المصرى وأدى الى خروج المرأة الى العمل ، أدى بدوره الى تغير فى حياة الأسرة المصرية • ولما كان الأبناء هم أهم عناصر الأسرة التى تعانى أو تستفيد من خروج الأم الى العمل فقد كان من المهم أن نستطلع رأى الأبناء ونتعرف على اتجاهاتهم نحو عمل الأم فى مصر •

تحديد المشكلة :

قامت هذه **الدراسة** لمعرفة علاقة كل من متغير الجنس ومتغير الأمعاملة/غير عاملة باتجاه المراهقين نحو عمل الأم • وذلك على عينة من مجتمع الطبقة الوسطى •

أسئلة البحث :

١ - (أ) هل يفضل المراهقون أن تكون الأم مجرد ربة بيت أو امرأة عاملة ؟

(ب) هل يختلف البنين عن البنات فى هذا التفضيل ؟

(ج) هل يختلف أبناء الأم العاملة عن أبناء الأم ربة البيت فى هذا التفضيل ؟

(د) ما هى الأسباب وراء جهات النظر التى يبديها هؤلاء الأبناء ؟

٢ - (أ) ما هى اتجاهات المراهقين نحو قدرة الزوجة المصرية للقيام بمسئولياتها نحو عملها خارج البيت ؟

(ب) هل يختلف البنين عن البنات فى هذه الاتجاهات ؟

(ج) هل يختلف أبناء الأم العاملة عن أبناء الأم ربة البيت بالنسبة

(*) المقصود بالأبناء هنا البنين والبنات :

(**) قسم علم النفس - كلية البنات - جامعة عين شمس •

لهذه الاتجاهات ؟

(د) ما هى الأسباب الكامنة وراء هذه الاتجاهات ؟

٣ - (أ) كيف يقارن المراهقون بين كفاءة الأم العاملة عن الأم ربة البيت فى رعايتها لأبنائها ؟

(ب) هل يختلف البنون عن البنات فى هذه المقارنة ؟

(جـ) هل يختلف فى ذلك أبناء الأم العاملة عن أبناء الأم ربة البيت ؟

(د) ما هى الأسباب وراء وجهات النظر التى يبديها هؤلاء الأبناء ؟

خطوات البحث :

العينة : مكونة من عدد ٢٠٦ طالب وطالبة من الصف الثانى الثانوى بمدرستين من مدارس اللغات بالقاهرة • متوسط السن لديهم ١٥ر٧٦ سنة وانحرافه المعيارى ٠١ر١٠ بعضهم أبناء الأمهات من ربات البيوت وبعضهم أبناء لأمهات عاملات فى وظائف فنية عالية • وهى تعتبر عينة من الشريحة الوسطى من المجتمع •

الأدوات : ثلاثة أسئلة مفتوحة يجيب عنها الأفراد بصراحة وحرية ودقة •

١ - هل من الأفضل أن تعمل الزوجة فى مهنة أو وظيفة أم تتفرغ للمنزل • لماذا ؟

٢ - هل يمكن أن توفق المرأة فى مصر بين عملها خارج المنزل ومسئوليتها داخله • ولماذا ؟

٣ - أيهما أقدر على رعاية الأبناء ، المرأة العاملة أم ربة البيت • ولماذا ؟

- استخدم منهج تحليل المحتوى لتصنيف استجابات أفراد العينة الى فئات حسب وجهات النظر المختلفة •

المعالجة الاحصائية :

- استخدام النموذج الخطى المعمم The generalized linear model (Nelder, J.A. and Wedderburn, R.W.M., 1972 ; Jolly, 1950 ; Dyke and Patterson, 1952 ; Yates, 1955, 1951 ; Lancaster, H.O., 1951 ; Lewis, J.A., 1968).

- وذلك لمعرفة العلاقة بين العاملين (الجنس والأم عاملة/غير عاملة) ووجهات نظرهم التى يبدونها من خلال اجاباتهم على الأسئلة الثلاثة • وقد صمم لذلك برنامج للكمبيوتر فى معهد التربية جامعة لندن •

ملخص للنتائج :

أولا : الاتجاهات السائدة فى العينة الكلية :

١ - اتجاه ايجابى عام نحو الأم العاملة وحقها فى الخروج للعمل •

٢ - اعطى أغلبية الأفراد شروطا معينة حتى يمكن التسليم بمقدرة الأم المصرية العاملة للتوفيق بين مسئولياتها فى البيت والعمل خارجه •

٣ - أظهرت العينة اتجاها ايجابيا واضحا فى صف الأم ربة البيت كأم أفضل فى رعايتها لأبنائها •

ثانيا : عامل الجنس واتجاهات العينة :

١ - أظهرت البنات اتجاهات ايجابية نحو حق المرأة للعمل خارج بيتها بينما أظهر البنين عكس هذا الاتجاه • وربما يكون هذا توحداً لكل جنس من الأبناء مع نفس الجنس من الآباء •

٢ - أظهر البنون اتجاهات سلبية واضحة تجاه امكانية الأم المصرية العاملة للتوفيق بين كل مسئولياتها داخل بيتها وخارجه فى العمل • بينما أظهرت أغلبية البنات شروطا وتحفظات قبل تسليمهن بامكانية أن تقوم المرأة العاملة بحمل جميع مسئولياتها ، كما ظهر بينهن ميل طفيف trend نحو الاعتقاد بامكانية ذلك • وقد يعكس هذا شعور هؤلاء الأبناء المراهقين وادراكهم لما تتحمله الأم العاملة فى مصر من صعوبات ومدى حاجتها الى معونات كثيرة لكى تستطيع أن توفق بين مسئولياتها المتباينة •

٣ - أظهر البنون والبنات اتجاهات ايجابية نحو الأم ربة البيت كأم افضل لأبنائها ومع هذا فان عامل الجنس يلعب دوره بوضوح لكى يجعل الاتجاهات الايجابية نحو الأم ربة البيت أكثر ايجابية عند البنين منها عند البنات •

ثالثا : عامل (الأم عاملة/ غير عاملة) واتجاهات العينة •

١ - أظهر أبناء الأم العاملة اتجاهات ايجابية نحو تفضيل خروج الأم للعمل بينما أبدى أبناء الأم ربة البيت اتجاهات مضادة •

٢ ـ لأبناء الأم غير العاملة اتجاهات سلبية واضحة تجاه مقدرة الأم المصرية العاملة للنهوض بواجباتها المتعددة ، بينما كان اعتقاد أبناء الأم العاملة بجانب مقدرتها ولكن أبدى أغلبيتهم بعض الشروط قبل أن يسلموا بقدرتها على التوفيق بين مسئولياتها داخل وخارج منزلها ٠

٣ ـ أبدى أبناء الأم غير العاملة اتجاهات ايجابية واضحة تجاه ربة البيت كأم أفضل فى رعاية الأطفال ٠ بينما كان هناك اتجاه موجب طفيف عند ابناء الأم العاملة ٠

ويبدو على هذا أثر عامل (الأم عاملة/غير عاملة) واضحا على اتجاهات العينة وذلك على اجابتهم عن الأسئلة الثلاثة سواء كان اتجاه المجموعتين فى نفس الاتجاه أو فى عكسه ٠

الأسباب والشروط التى أبدتها العينة بالنسبة لكل وجهة نظر :
صنفت الأسباب الى :

(أ) أسباب تتعلق بشخصية المرأة نفسها ٠

(ب) أسباب تتعلق بالبيئة المحيطة ٠

ـ كانت الموافقة أو عدم الموافقة على عمل المرأة خارج بيتها تعود فى المقام الأول الى التسهيلات والمعاونات التى تجدها الأم العاملة من البيئة المحيطة ٠

ـ كانت الأسباب الرئيسية وراء امكانية توفيق المرأة العاملة المصرية بين مسئولياتها المتعددة ، تعود بالدرجة الأولى الى شخصيتها (المرأة العاملة نشطة ، ماهرة ٠٠) بينما كانت الأسباب وراء فشلها تعود فى الغالب الى أسباب بيئية ، (نظام العمل ، قلة الحضانات) ٠٠

ـ اشترطت العينة أيضا شروطا ينبغى توافرها فى البيئة المحيطة وذلك لمعاونتها فى القيام بواجباتها (حضانات قريبة على مستوى جيد ، مواصلات سهلة) ٠

ـ أرجعت العينة أسباب تفضيل المرأة (سواء عاملة أوغير عاملة) فى أن تكون أما أحسن لأولادها الى شخصية المرأة نفسها ورغبتها وقدرتها ، وليس الى كونها عاملة أو غير عاملة ٠

رقم الايداع بدار الكتب ١٦٥/١٩٧٩

ATLAS PRESS
11, 13 Souk El-Tewfikia Street, Cairo — Tel. : 747797

9. Lancaster, H.O. (1951). Complex contingency tables treated by the partition of χ^2. J.R. statist. Soc. B, 13, 242-249.

10. Lewist, J.A. (1968). A program to fit Constant to Multiway Tables of Quantitative and Quantal Data. J.R. statist. Soc. C., 17, No. 1, 33-41.

11. Lindquist, E.F. (1953). Design and Analysis of Experiments in Psychology and Education. Houghton Mifflin Co., pp. 18, 74, 159, 180.

12. Moore, T. Children of full time and part-time mothers, International Journal of Social Psychiatry. Special Congress Issue. No. 2, pp. 1-10.

13. Nelder, J.A. and Wederburn, R.W.M. (1972). Generalised Linear Models. J.R. Statist. Soc. A, 135, Part 3, p. 370.

14. Klein, V. (1969). Britain's Married Women Workers. International Library of Sociology and Social Reconstruction. Limited Broadway House, London.

15. Yates, F. (1955). The use of transformations and maximum likelihood in the analysis of quantal experiments involving two treatments. Biometrika, 42, 382-403.

16. Yates, F. (1961). Marginal percentages in multiways of quantal data with disproportionate frequencies. Biometrics, 17, 1-9.

17. Yudkins, S. and Holme, A. (1963). Working Mothers and their children, Michael Joseph, London.

— The main reasons for the EWM to be able to cope with her duties were personality reasons (active, clever...). While environmental reasons were mainly behind her failure (work system). Also environmental conditions were found to be valuable in helping to carry her duties (good nurseries in the nearby, easy traffic...).

— Personality reasons were found to be behind the success of the wm/nw as a better mother for her children.

References

1. Abdel Fatah, K. (1966). The psychology of the working woman. Ph.D. Thesis, Ain Shams Univ., Egypt.

2. Dyke, G.V. and Paterson, H.D. (1952). Analysis of factorial arrangement when the data are proportions. Biometrics, 8, 1-12.

3. Moharam, E. (1971). The Woman and the Work. M.A., Thesis, Ain Shams Univ., Egypt.

4. Gavron, H. (1976). Conflict of Housebound Mothers Penguin Books Ltd., Harmondswath, Middlesex, England.

5. Esmail, M.E. ; Mansour, R.F. and Ibrahim, N.I. (1967). How to rear our Children. El Nahda El Arabia, Cairo, Egypt.

6. Jolly, G.M. (1950). The use of probits in combining percentage kills. Ann. Appl. Biol., 37, 597.

7. Kandil, B. and Kazem, A. (1976). The Attitudes of the Educated Girls towards the woman's work. The Anglo-Egyptian Library, Cairo, Egypt.

8. Kandil, B. (1964). A comparative study between working and nonworking mothers' children in some aspects of their personalities. Ph.D. Thesis, Ain Shams Univ., Cairo.

3. Both boys and girls groups have +ve attitudes towards the housewife mother as a better mother to her children. Inspite of that, sex plays its role to make this +ve attitude more clear in the boys group.

Third :

WM/NW influence

1. WM's daughters and sons show +ve attitudes towards preferring the mother to go out for work. While NW's daughters and sons show opposite attitudes.

2. NW's daughters and sons have clear —ve attitudes towards the capability of the EWM to carry all her duties. While WM's daughters and sons believe more in her capability, but the highest ratio of them state some conditions before they can agree that it is possible for her to cope with her responsibilities.

3. The NW's daughters and sons have clear +ve attitudes towards the housewife as a better mother. While there is a slightly +ve attitude towards her among those who have WM.

The influence of factor WM/NW is very clear on the attitudes of the sample, that is evident in all questions, whether the two groups have the same direction or opposite directions.

Reasons and conditions behind the P.V.

Reasons were classified into two categories:

- Reasons related to the woman's personality.
- Reasons related to environment.

— Agreement and disagreement for the mother to go outside to work, depends in the first place on the facilities that mothers find in or gain from environment.

SUMMARY

The two independent factors ; (WM/NW) and (B/G), are clearly influencing the P.V of this sample (dependent variable), in answering the three open questions.

This effect is clear among the total subjects of sample and among the groups, in the following manner :

First :

General attitudes within the total sample

1. A general +ve attitude towards the wm and her right to go out to work.

2. The highest ratio of the subjects set certain conditions so that they might believe that the EWM can cope with both her responsibilities at home and her job.

3. There are clear +ve attitudes beside the housewife mother as a better mother to her children.

Second :

Sex role

1. Girls have +ve attitudes towards the woman's rights to go out side her house for work, while boys have opposite attitudes. Each sex of the sample is identifying with the same sex of parents.

2. Boys have clear —ve attitudes towards the possibility for the EWM to assume easly all her responsibilities. While the highest ratio of the girls put certain conditions before they can believe that this is possible. The rest of girls have a slight +ve trend towards "it is possible for the EWM to cope with her responsibilities." Perhaps this reflects that these adolescents can notice and feel how the working mother suffer, and how she is in need of many facilities.

TABLE (16)

Percentages of reasons or conditions behind every p.v.

Reasons	%of reasons for the 1st p.v					%of reasons for the 2nd p.v					% of reasons for the 3rd p.v				
	WM		NW			WM		NW			WM		NW		
	B	G	B	G	Total	B	G	B	G	Total	B	G	B	G	Total
Related to personality	100	100	100	100	100	40	40	62.5	50	46.51	46.7	46.2	60.3	63.6	58.52
Having/ not having time	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	53.3	53.9	39.7	36.4	41.48
Both have advantages & disadvantages	-	-	-	-	-	60	60	37.5	50	53.49	-	-	-	-	-
Total	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

The WM's girls are significantly more on the side of the wm than the NW's girls.

The NW's girls are significantly more in the favour of the nw than the WM's girls.

The WM's girls believe more that there are no differences between the two mothers, than the NW"s girls.

We can say here that the influence of factor (WM/NW) is very clear.

Reasons or conditions behind the different P.V.

Table 16 shows that :

There are only personality reasons for the p.v. "the wm is more capable in taking care of her children". Such reasons as (the work give the woman more experiences which can help her to manage with her children ; the wm is a good model to her children because she is active and productive). Here this group of subjects have a strong belief in the WM's personality. We can notice that most of them have working mothers (see table 12).

Nearly half (46.51%) of the reasons behind the 2nd, p.v. "There is no difference between the wm and the nw in taking care of the children," depend also upon the woman's personality such as (the issue is, who is more faithful ; or, it depends upon her own personality and her level of education).

The other half (53.49%) depends upon the equality of the two mothers such as (the nw has more time to care for her children and the wm has more experience).

For the third p.v, (58.52%) of the subjects give personality reasons such as (the nw is not always tired and exhausted, so she can take care of her children better than the wm).

The other category of reasons are focused on one point, that is, she has time to give to her children.

The relations between differences in having (WM/NW) and the previous attitudes :

A. Within the total sample :

Tables (12 & 14) show that :

The WM's daughters and sons have slightly +ve attitudes towards the nw as a better mother **(table 12).**

The NW's daughters and sons have clear +ve attitudes towards the nw as a better mother **(table 12).**

The influence of factor **(WM/NW)** is clear inspite of the same +ve attitudes of the two groups **(table 14).**

B. Among boys :

Tables (12 & 15) show that :

The two groups of boys **(WM/NW)** are both on the side of the housewife mother **(60% of WM's boys and 84% of NW's boys).**

The NW's boys are significantly more against the wm than the WM's boys.

The NW's boys are significantly more on the side of the nw than the (WM)'s boys.

So, both the two groups have +ve attitudes towards the housewife mothers, but this factor **(WM/NW)** makes the (NW)'s boys more +ve.

C. Among girls :

Tables (12 & 15) show that :

The NW's girls are in the favour of the housewife mother.

The highest ratio of the WM's girls (42.55%) believe that there were no differences between the two kinds of mothers. They are nearly the same towards the wm (29.79% of them), and towards the nw (27.66%).

The relations between differences in sex and the previous attitudes :

A. Within the total sample :

Tables (12 & 14) show that :

Boys and girls of the total sample have +ve attitudes towards the housewife mother as a better mother to her children. This attitude is more clear within the boys group (78% of them) than within the girls group (53.77% of them). Although this attitude is consistent with the general attitude of the total sample, sex plays its role in making boys more on the side of the housewife mother.

B. Within the NW's daughters and sons :

Both the two groups (B/G) of the NW have +ve attitudes towards the housewife mother as a better mother in taking care of her children (84% of the boys and 74.6% of the girls) (table 12). This is consistent with the general attitude of the total sample.

No real differences were detected between the two sexes (table 15). Influence of sex is not clear, this is perhaps because girls here are housewives' daughters.

C. Within the WM's daughters and sons :

Tables (12 & 15) show that :

The WM's boys are beside the nw (60% of them), as a better mother to her children.

The highest ratio of the (WM)'s girls (42.55%) believe that there is no difference between WM and NW in taking care of the children.

They gave nearly equal P.V beside both of them, 29.8% in the favour of the WM and 27.7% in the favour of the NW.

The WM's boys are significantly more on the side of the housewife mother than WM's girls.

TABLE (15)

χ^2 between B/G within each maternal group, and between WM/NW within each sex

P.V	WM (B/G)		NW (B/G)		Boys (WM/NW)		Girls (WM/NW)	
	χ^2	sig.	χ^2	sig.	χ^2	sig.	χ^2	sig.
The (WM) is more capable	0.81	N.S	0.52	N.S	4.92	0.05	8.09	0.01
There is no difference	3.66	N.S	1.12	N.S	1.44	N.S	8.46	0.01
The (NW) is more capable	7.19	0.01	1.82	N.S	6.29	0.02	23.15	0.001

Discussion :

Table (12) shows that there are three P.V to answer the question.

— The wm is more capable in taking care of her children.

— There is no difference between the wm and the nw.

— The nw is more capable.

The general attitudes towards the capability of both working mother and housewife mother in taking care of their children :

Table (12) shows a clear +ve attitude for the housewife mother (65.53% of them).

Although it appears from the subjects' responses to the first question as if they are identifying with their parents' P.V, we can notice in their responses to the third question that may respond from the child's P.V, who is in need to his mother's care, wishing her to stay at home. For these reasons, perhaps we find that the majority of them are for the housewife mother as being more capable to take care of the children. These attitudes were also clear in Kandil, B. and Kazem, A. (1976, p. 89).

Same considerations for factors A, B and C are used as those in questions (1 & 2).

Do the independent variables influence the dependent variable ?

Do factors B and C interact with factor A ?
The same previous statistical techniques are used.

TABLE (13)
The goodness of fit table

Model fitted	χ^2 for goodness of fit	d.f	significance
1) Constant	164.10	11	0.001
2) B.C+A	44.36	6	0.001
3) B.C+A.B	9.20	4	N.S
4) B.C+A.C	30.69	4	0.001
5) B.C+A.B+A.C	1.51	2	N.S

— Although model 3 can be considered a good fit at 5% significance level, we prefer to play it safe and accept model 5 as the model of best fit.

— To obtain tests of partial effects of factors B & C, we take differences indicated above.

TABLE (14)
To test the partial effects of factors B & C

Testing of factors	χ^2	d.f	significance
Model 4—model 5 = A.B	29.18	2	0.001
Model 3—model 5 = A.C	7.69	2	0.001

So both factors B & C are significant predictors.

χ^2 was calculated for differences between groups as the previous questions, to test the influence of each factor on every p.v (present/not-present).

TABLE (12)

The different P.V to answer the question

P.V	WM						NW						Total				Total sample	
	Boys		Girls		Total		Boys		Girls		Total		Boys		Girls			
	F	%	F	%	F	%	F	½	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%
The (WM) is more capable	5	20	14	29.8	19	26.39	4	5.3	5	8.5	9	6.72	9	9	19	17.92	28	13.59
There is no difference	5	20	20	42.6	25	34.72	8	10.7	10	16.95	18	13.43	13	13	30	28.30	43	20.88
The housewife is more capable	15	60	13	27.7	28	38.89	63	84	44	74.6	107	79.85	78	78	57	53.77	135	65.53
Total	25	100	47	100	72	100	75	100	59	100	134	100	100	100	106	100	206	100

TABLE (11)

Percentages of reasons or conditions behind every p.v.

Reasons or conditions	% of reasons for the 1st p.v					%of conditions for the 2nd p.v					%of reasons for the 3rd p.v				
	WM		NW			WM		NW			WM		NW		
	B	G	B	G	Total	B	G	B	G	Total	B	G	B	G	Total
The.(EWM)'s personality	66.66	75	55.55	38.46	60	-	26	30.4	32	26.8	33.3	25	48.8	9.5	35.1
Environment factors :															
-System of work	16.66	12.5	33.33	30.77	22	28.6	3.7	-	12	7.31	50	-	6.98	28.6	16.2
-Family & community relations	16.66	6.3	11.11	23.08	14	71.4	48.2	43.5	40	46.3	16.7	75	37.2	51.14	59.5
	3.33	18.8	44.44	53.8	36	100	51.85	43.5	52	53.16	66.7	75	44.2	85.7	75.7
All or some of the above	-	6.3	-	7.69	4	-	22.2	26	16	19.51	-	-	6.98	4.76	5.4
Total	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

conditions (53.16% of it). These environmental conditions are such as (comfortable work, husbands' help, good nurseries in the nearby, easy traffic...). That means that difficulties which confront the EWM may relate primarily to environmental factors. It is the same for reasons behind the third p.v. "It is impossible for the EWM to cope with her responsibilities", it is mostly environmental reasons (75.68% of the reasons). That may give the meaning that her failure is more due to environmental factors (work system, family factors, or community difficulties...) than to personality factors.

III. Attitudes of adolescents towards the capability of both the working mothers and the non-working mothers in taking care of their children :

Question 3 :

Which of the two, the working mother or the housewife mother, is more capable in taking care of her children ? Why ?

take care of the children and family. This of course may influence the samples, attitudes to the +ve direction.

The group of which have non-working mothers have clear —ve attitudes towards the capability of the EWM to carry all her duties.

These findings are consistant with what we find in question one.

B. Among boys :

Table (7) shows +ve attitudes towards the possibility for the EWM to assume all her duties among (WM)'s boys ; while (NW)'s boys have opposite attitudes. The differences between the two groups (WM/NW)'s boys are significant except in the second "p.v". It is possible under certain conditions" (Table 10). These findings are consistent with other findings.

C. Among girls :

Table (7) show that there are +ve attitudes beside the EWM within the (WM)'s girls group and the opposite within the (NW)'s girls group. Inspite of their opposite attitudes they are only significantly different in the third p.v. "It is impossible for the EWM to cope with her responsibilities" (Table 10). The highest ratios of the two groups (57.45% of WM's girls) and (42.37% of NW's girls) put some conditions for the EWM to be able to assume all her duties. This means that girls, whether they are daughters of WM or NW, know about what the EWM suffers.

Reasons or conditions behind every p.v. :

Table (11) shows that reasons behind the p.v. "It is possible for the EWM to cope with her responsibilities" ; are mostly related to the (EWM)'s personality (60% of the reasons). That means that her success may be due to her own personality in the first place (she is active, clever, mature and educated, almost respect her duties,...). While conditions for the (EWM) to assume her responsibilities easily, are mostly environmental

+ve attitude within the girls group. It can be sex role (table 9). Nearly half of the girls put certain conditions for the EWM to be able to carry her responsibilities (table 7). This may be because of the obvious difficulties which the EWM always meet.

A. Among the nonworking mothers, daughters and sons :

Both sexes expressed their belief in the incapability of the EWM to cope with her responsibilities (table 7). Except for the third p.v., no real differences was noted between them. Boys significantly believe that it is impossible for the EWM to manage with all her duties, than the girls group (table 19). This means that although the two groups have the same direction of attitudes, boys still believe more in the incapability of the EWM to carry all her duties. This may be due to their sex.

B. Among the working mothers' daughters and sons :

Both sexes have +ve attitudes towards the capability of the EWM to assume all her responsibilities (table 7). There are no real differences between boys and girls, but girls significantly give more conditions than boys (table 10). These +ve attitudes pointed to another factor which influences their attitudes. This factor is that they have working mothers.

The relations between differences in having (WM/NW) and the mentioned attitudes :

A. Within the total sample :

Tables (7 & 9) show that the working mothers, daughters and sons believe more in the possibility for the EWM to cope with her responsibilities, but in the mean time the highest ratio (47.22%) of them are aware of the difficulties which the EWM always faces, and put certain conditions before they can be sure of her capability. As it was said before, mother's attitudes towards her work affect and reflect her husband's and childrens', attitudes towards her work. Since the mothers of this sample are professionals, their jobs may give them some satisfaction. In addition to that, the woman's work in Egypt is usually part-time, this suits them and gives them more time and effort to

TABLE (10)

χ^2 between B/G within each maternal group,

and between WM/NW within each sex

P.V	WM (B/G)		NW (B/G		Boys (WM/NG)		Girls (WM/NW)	
	χ^2	sig.	χ^2	sig.	χ^2	sig.	χ^2	sig.
It is possible for the (EWM) to cope with her duties	1.34	N.S	2.42	N.S	14.65	0.001	1.90	N.S
She can under certain condition	5.69	0.02	1.97	N.S	0.06	N.S	2.37	N.S
It is unpossible	3.28	N.S	6.26	0.02	8.34	0.01	10.63	0.01

sig. = significance.

Discussion :

Table (7) shows that there are three P.V to answer the question :

— It is impossible for the EWM to cope with her responsibilities.

— It is possible under certain conditions.

— It is impossible.

The general attitudes towards the possibility for the EWM to cope with her duties :

Table (7) shows that the highest ratio of the sample (39.81%) have stated certain conditions to help the EWM to be able to carry all her duties. That means that adolescents know about the difficulties confronting the WM in Egypt. Regardless of these conditions, the sample tend to believe that it is impossible for her to cope with her duties.

The relations between differences in sex and the three mentioned attitudes :

Table (7) shows a clear —ve attitude towards the possibility for the EWM to manage with her work inside and outside the house within the boys group. While there is a slight

TABLE (8)

The goodness of fit table

	Model fitted	χ^2 for goodness of fit	d.f	significance
1)	Constant	77.61	11	<0.001
2)	B.C+A	41.47	6	<0.001
3)	B.C+A.B	13.32	4	<0.02
4)	B.C+A.C	26.45	4	<0.001
5)	B.C+A.B+A.C	3.37	2	N.S.

Conclusions :

1. The single predictor model 3,4 (i.e. when factor B or factor C are considered individually) are not good fits.
2. Therefore consider the two factors model 5 as the model that best describes the data.
3. Obtain tests of the partial effects of factors B and C by taking differences indicated in table (8).

TABLE (9)

To test the partial effect of factors B & C

Testing of factors	χ^2	d.f	significance
Model 4—model 5 = A.B	23.11	2	<0.001
Model 3—model 5 = A.C	9.98	2	<0.001

So both factors B & C are significant predictors.

To test the relations between each factors and every p.v (present/not present). χ^2 was calculated for diffferences between the same groups as in question one.

TABLE (7)

The different P.V to answer the question

P.V.	WM						NW						Total				Total sample	
	Boys		Girls		Total		Boys		Girls		Total		Boys		Girls			
	F	%	S	%	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%	F	%
It is possible	12	48	16	34	28	38.89	9	12.0	13	22.03	22.	16.42	21	21	29	27	50	24.27
Under certain conditions	7	28	27	75.45	34	47.22	23	30.67	25	42.37	48	35.82	30	30	52	49.06	82	39.81
It is impossible	6	24	4	8.50	10	13.89	43	57.33	21	35.59	64	47.76	49	49	25	23.58	74	35.92
Total	25	100	47	100	72	100	75	100	59	100	134	100	100	100	106	100	206	100

if she has the ability". This reflects the varieties in the same community, every category of the sample has its reasons for its own p.v. The same idea for the other category of reasons.

Table (6) shows that environmental reasons are more important than the woman's personality reasons for the three P.V. That means that agreement and disagreement for the mother to go outside to work depends in the first place on the facilities that mothers find or gain, whether these facilities are financial facilities (raize her family income) ; or family facilities (husband's help) ; or community facilities (sufficient modern nurseries, suitable jobs arrangements, modern domestic tools,... etc.).

II. Attitudes of adolescents towards, the possibility for the Egyptian working mother (EWM) to cope with her duties.

Question 2 :

Is it possible for the woman in Egypt to cope with both her responsibilities outside and inside her house ? **Why ?**

Consider :

Factor A = P.V (the dependent **variable**).

Factor B = WM/NW (independent variable).

Factor C = Sex (independent **variable**).

— Do the independent variables influence the dependent variable ?

— Do factor B and C interact with **factor A ?**
To answer this question we use the same technique as in question one.

TABLE (6)

Percentages of reasons and conditions behind every (p.v.)

reasons or conditions	% of reasons for the 1st p.v					% of conditions for the 2nd p.v					% of reasons for the 3rd p.v				
	WM		NW		Total	WM		NW		Total	WM		NW		Total
	B	G	B	G		B	G	B	G		B	G	B	G	
Related to the woman's personality.	-	27.03	8.33	13.04	16.09	-	42.86	42.31	13.64	28	-	33.33	8.11	-	6.67
Related to environment: -Financial	33.33	16.22	16.67	13.04	18.39	25	14.29	34.62	22.73	27.12	-	-	-	-	-
-Job	-	-	-	-	-	50	14.29	3.85	15.38	13.56	-	-	-	-	-
-family or social relations.	20	45.95	50	39.13	40.23	25	14.29	7.69	40.9	22.03	100	66.67	91.89	100	93.33
	53.33	62.16	66.67	52.17	58.62	100	42.86	46.15	81.82	62.71	100	66.67	91.89	100	
All or some of the above	40	10.81	16.67	34.78	22.99	-	14.29	11.54	4.55	8.47	-	-	-	-	-
Without reasons or conditions	6.67	-	8.33	-	2.30	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
Total	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

B. Among boys :

Tables (2 & 5), show that there are +ve attitudes towards the working mother among the (WM)'s boys and —ve attitudes among (NW)'s boys. The (WM)'s boys are significantly more preferring the mother to go out to work while the (NW)'s boys are significantly more preferring the mother to be just a housewife. The same previous discussion holds here.

C. Among Girls :

Both girls of (WM) and (NW) have +ve attitudes towards the mothers' work. The (WM)'s girls have significantly more +ve attitudes than the (NW)'s girls (tables 2 & 5).

As it was mentioned before, girls may have identified with their mothers, and have their dreams of the future as working

mothers. This may influence their responses.

Still girls of (WM) are more in the favour of the mothers,

work because of the two factors ; being a girl and being a daughter of a working mother.

Reasons behind the different (P.V) :

The content analysis was applied to analyse responses given by the subjects as reasons behind every (p.v.). It is difficult to make comparisons between groups because of the small frequencies obtained and also because of some empty cells.

Reasons are classified into two categories ; reasons related to the woman's personality, and reasons related to environment. Some of the sample presented the woman's personality as reasons for the p.v. "it is better for the woman to go outside her house for work". Some of them presented the woman's personality as reasons for the opposite p.v." it is better to be just a housewife". Also some of them presented personality conditions for the mother to go to work. So we can find responses-like" she can work like the man ; why not the working woman is mature and capable" ; or "no, she must be just a housewife ; she is not strong and capable like the man" ; or "she can work

same time boys are more significantly preferring mother to be just a housewife. While there are no real difference between the two groups on the p.v "she can work under certain conditions."

These results confirmed the previous discussion of the total sample.

C. Among the working mothers, daughters and sons :

Tables (2 & 5) show +ve attitudes towards the working mother within the two groups (B/G). There are no significant differences between boys and girls of working mothers in any p.v except the third one where boys significantly more preferred the mother to be just a housewife, than girls. In spite of the sex, effection is clear in the third p.v., we can say that perhaps this group of sample have kind working mothers, this makes no differences between boys and girls in their +ve attitudes towards the working mother. If this interpretation is true, it will be more clear when we discuss the relations between the differences in having (WM/NW) and these attitudes.

The relations between differences in having (WM/NW) and the adolescents attitudes towards the mothers' work :

A. Within the total sample :

As table (4) shows, this factor (WM/NW) affected the sample's attitudes towards the mothers' work.

Table (2) shows a +ve attitude, within the group which have working mothers and approximately a —ve attitude within the group which have non-working mothers (NW). It may be said that to be a son or a daughter of a working mother, this can affect the attitudes towards the working mother in a +ve direction. This is similar to what Klein, V. (1969, pp. 62-83) found in her study about the attitudes of men towards their wives' work. Husbands disapproval was more widespread among men whose wives were not employed than among husbands of working mothers. Boys in our research may have been affected by their fathers' attitudes towards the wives' work. This may constitute a hypothesis for further research.

Discussions :

(Table 2) shows that there are 3 P.V to answer the question :

— It is better to go to work.
— She can work under certain conditions.
— It is better to be just a housewife.

The general attitudes towards preferring the mother to go outside her house for work :

Table (2) shows a positive attitude towards the mothers work (the highest ratio 42% of them on the side of the mothers' work).

Relations between differences in sex and these other previous attitudes :

A. Within the total sample :

Table (2) shows negative (—ve) attitudes towards the mothers, work within the boys group (the highest ratio 43% against the mothers' work), and positive (+ve) attitudes within the girls group (the highest ratio 56.60% on the side of the mothers' work).

That means that sex is relative to this samples attitudes towards the mothers work (see table 4). Girls are more for the working mother, while boys are more against it. Girls may identified with mothers and their rights to work. They may answer the question as if it was "do you want to go to work outside the house ?". The same hold for the boys, perhaps their attitudes were influenced by their fathers' attitudes, or they may answer the question as if it was "do you want your wife to go outside to work ?"

B. Among the non-working mothers, daughters and sons :

Tables (2 & 5) show that there is a —ve attitude within (the boys group towards the working mother, while there is a) +ve attitude within the girls group. Girls are significantly prefer the mother to go to work outside the house than boys. In the

To test the partial effect we take the improvement going from model 3 to 5 and from model 4 to 5 (see Table 4).

TABLE (4)

To test the partial effects

Model	χ^2	d.f.	Significance
Model 3—Model 5 = A.B	34.51	2	0.001
Model 4—Model 5 = A.C	16.97	2	0.001

As the results are significant, we can say that both factors B and C are influencing the points of view (P.V).

To test the effect of each factor on every (p.v.) χ^2 was calculated for differences between groups :

a) Boys/Girls (B/G) within every maternal group.

b) WM/NW within each sex.

This χ^2 against every p.v (present/not present).

TABLE (5)

χ^2 between B/G within each maternal group

and between WM/NW within each sex

P.V	WM (B/G)		NW (B/G)		Boys (WM/NW)		Girls (WM/NW)	
	χ^2	sig.	χ^2	sig.	χ^2	sig.	χ^2	sig.
Better to work	2.86	N.S	9.04	0.01	18.42	0.001	14.96	0.001
Work under conditions	0.05	N.S	0.16	N.S	3.11	N.S	6.6	0.01
Better to be just a housewife	4.63	0.05	9.19	0.01	4.91	0.05	5.85	0.02

sig. = significance.

In order to assess the effect of the independent factors B and C on A we follow the following procedures :

Step 1 = fit the model B.C+A.
Step 2 = fit the model B.C+A.C
Step 3 = fit the model B.C+A.B
Step 4 = fit the model B.C+A.C+A.B.

Criterion for judging the goodness of fit :

The DEVIANCE measure in the computer out-put is the measure of goodness of fit.

Note :

The deviance measure is obtained from the log likelihood test which is distributed as χ^2 (the degree of freedom as given by the computer program).

In order to determine which of the models is the best fit we examine the significance of the deviance measure for the models in step 1-4.

TABLE (3)

The goodness of fit table

Model fitted	χ^2 for goodness of fit	d.f.	Significance
1) Constant term	93.97	11	0.001
2) B.C+A	59.19	6	0.001
3) B.C+A.C.	34.86	4	0.001
4) B.C+A.B	17.86	4	0.01
5) B.C+A.B+A.C	0.35	2	N.S.

In this case the best fitting model is (B.C+A.B+A.C), where the deviation between the model and the emperical data is the least (N.S).

I. Attitudes of adolescent towards preferring the mother to go outside her house for work :

Question 1 :

Is it better that the wife would have a job outside her house or would she be just a housewife ? Why ?

The data (the frequencies of the subjects' responses at every point of view) were represented in a contingency table with percentages, (table 2).

Consider :

Factor A = Points of view (P.V).
Factor B = Working mothers/non-working mothers (WM/NW).

Factor C = Sex.
Factor A, which representing the (P.V) in the previous table (2) is the dependent variable, while factors B, C representing WM/NW and sex, are independent variables.

The overall research question that requires an answer is "do the independent variables influence the dependent variable ?" The statistical question then becomes "do the independent variables interact with the dependent variable ?"

To answer this question we use the 'Loglinear Model" Techniques as described by (Nelder, J.A. and Wedderburn, R.W.M., 1972 ; Jolly, 1950 ; Dyke and Patterson, 1952 ; Yates, 1955, 1961 ; Lancaster, H.O., 1951 ; Lewis, J.A., 1968) on the assumption that error deviations resulting from fitting the model $Y = X B$ is distributed as poisson.

Note :

The Y vector in the above equation contains logs of the frequencies in the contingency table. The X matrix indicates the contrasts determined by the independent factors and B is the vector of unknown coefficients. B is estimated by using the maximum likelihood tehnique.

TABLE (2)

The different P.V in reply to the first question

P.V	Working mothers (WM)						Non-working mothers (NW)						Total				Total sample	
	Boys (B)		Girls(G)		Total		B		G		Total		B		G		Total	
	F	%	F	%	F	%	F	%	F		F	½	F	%	F	%	F	%
It is better to work	15	60%	37	78.7	52	72.22	12	16	23	39	35	26.12	27	27	60	56.60	87	42.23
Work under certain condition	4	15	7	14.9	11	15.28	26	34.7	22	37.3	48	35.82	30	30	29	25.47	59	28.64
Better to be just a housewife	6	24	3	6.4	9	12.50	37	49.3	14	23.7	51	38.06	43	43	17	16.04	60	29.13
Total	25	100	47	100	72	100	75	100	59	100	134	100	100	100	106	100	206	100

2. Is it possible for the woman in Egypt to cope with both her responsibilities inside and outside her house ? Why ?

3. Which of the two, the working mother or the housewife mother, is more capable in taking care of her children ? Why ?

These results can be generalized to a hypothetical popula-answers of the subjects on every question. The different responses were classified into classes according to points of view, each class included responses which have certain characteristics that comprised a special point of view. The subjects were the units of analysis. To test reliability of content analysis it was done twice.

Treatment of the Results

Statistical analysis

— The generalized linear model was applied to test the relations of the two variables (sex and WM/NW) and the P.V on every question.

— A[1] computer program was designed to apply this model.

— If the obtaining χ^2 of any variable is significant (i.e. : there is a real relationship between the variable and the P.V) ; we can then test the relation of this variable and every point of view, by calculating χ^2 for differences between groups against every (p.v) present/not present).

In the present research the reasons behind each point of view (p.v) will only be presented according to every group of subjects.

Results and Discussion

The content analysis method was followed to analyse the tion of which such a sample could have been drawn at randum (Lindquist, 1953).

(1) It was designed by Mr. T. Halil ; Department of Measurement, Analysis and Computing; Institute of Education, London University.

Procedures

Sample :

A group of 206 Egyptian students in the second year attending secondary schools (Ramses College for girls and St. George College for boys). [1] They are language schools where parents pay tuitions. The sample includes working mothers and non-working mothers. The working mothers obtaining professional jobs such as ; doctors, engineers, teachers,... etc. It is a sample of middle class.

Table (1) shows number of students in each maternal group (n), means (x) and S.D. for each of their age.

TABLE (1)

N, $\bar{X}$ and S.D. of age, for boys and girls in each maternal group

	WM			NW			Total		
	N	$\bar{X}$	S.D	N	$\bar{X}$	S.D	N	$\bar{X}$	S.D
Boys	25	16.04	0.86	75	16.05	0.73	100	16.04	0.90
Girls	47	15.29	0.62	59	15.67	0.92	106	15.50	0.79
Total	72	15.55	0.88	134	15.88	0.97	206	15.76	1.01

The Tool :

[2] The tool used in this study was in the form of three open questions. The subjects were able to answer the questions at ease.

The questions

1. Is it better that the wife would have a job outside her house, or would she be just a housewife ? Why ?

(1) Parents do not pay any tuitions in public schools.

(2) It was used in Kandil, K. and Kazem, A. 1976.

for their mothers". But so what curiously, a large number of mothers said that their children have no comment to make about their working. Presumably these children either took the situation entirely for granted or the matter was simply not discussed.

Some factors that affect the attitudes of daughters and sons towards the mother's work, such as, arranging proper care for them during their mothers' absence ; their mothers' attitudes towards her work, in part, affect and reflect her hsuband's and her childrens' attitudes towards her work. These factors may depend upon the socio-economic status of the mother (or family), because jobs that give some satisfaction are high socio-economic status than those that are disliked. Further studies are needed in different social contexts in many parts of the world.

Reasons for the woman to work

Most studies mentioned in (Yudkins, S. and Holme, A., 1963 ; Klein, V., 1969 ; Kandil, B. and Kazem, A., 1976) showed that financial reasons were the most important reasons for the woman to work outside home. Abdel Fatah, K. (1972) found, however that it was not the most important. Other reasons were such as : Social stimulus, work with the husband, independence, professional interests, self ascertainly, joining social life (same references).

General Information :

1. Assumptions

As a prelude to this research, the author assumes that the given questions under the conditions of this research will initiate verbal responses that reflect to a considerable degree, the samples' actual (private) attitudes.

2. Abbreviations

For simplicity, the author used the following abbreviations :

P.V = Points of view
WM = Working mothers
NW = Non-working mothers
B/G = Boys/girls
p.v = Point of view
w.m = Working mother
n.w = Non-working mother
EWM = Egyptian working mothers or mother.

Soviet Union, mothers apparently carry an undue share of domestic responsibilities (Mace, 1961, in Yudkins, S. and Holm, A., 1963).

It was found in Klein, V.'s study (1969) that the woman gainful employment in accordance with their husbands points of view. For the husbands own views: disapproval was more widespread among the men whose wives are not employed than among husbands of working wives. Margaret Mead had revealed that the one most favoured by men as an ideal prospective wife was the one who has also been very successful in her job (Gavron, H., 1976, p. 131).

Childrens' points of view

There were some studies collected by Yudkins, S. and Holme, A. (1963, pp. 101-103). In a panel conducted by Y.W.C.A. in the U.S.A. the daughters of working mothers tended to approve of their mothers work and to feel that they benefited by their increased responsibilities. The daughters of the non-working mothers held the opposite view. On the other hand a study by Essig and Morgan based on a questionnaire to the adolescent daughters of women who were employed and women who were not, gave the opposite conclusion. Peterson studying Michigan high school girls, posed the question whether employment of the mother resulted in less "control" and less "interest" as perceived by their adolescent daughters. The answer, statistically, was definite "no". In analysing various subgroups, Peterson found that even those mothers who had worked during most of their childrens' lives received as good a rating from their daughters as the others, but those women who enjoyed their work most were thought by their daughters to have less control and less interest. In Yudkins, S. and Holme, A. survey they did not ask the children directly they only have the mothers' word or their views. Of the mothers 135 said that their children expressed open dislike and resentment at their working. The children of almost an equal number of mothers, however, were apparently pleased, interested and appreciative. In 321 families they "don't" mind or "understand the necessity" or "are aware of the difficulties but glad of the pocket money" or "perhaps a bit worried

d) What are the verbalised reasons behind these attitudes which will exist ?

2. a) What are the attitudes of adolescents towards the capability of wives in Egypt to cope with their responsibilities at home and at work ?

   b) Do boys and girls differ in their attitudes with respect to their verbal responses to the above question ?

   c) Do sons and daughters of working mothers and non-working mothers differ in the mentioned attitudes ?

   d) What are the verbalised reasons behind these attitudes ?

3. a) How the adolescents compare the capability of housewife mother with that of working mother in child-care affairs ?

   b) Do boys and girls differ in this realm ?

   c) Do sons and daughters of working mothers and non-working mothers differ in this realm ?

   d) What are the verbalised reasons behind each of the mentioned points of view ?

Review of related literature

As a result of womans', work many new outlooks developed about the family life. For example, the differences between sexes, the family size, the importance of health conditions, the children's treatment, all these have undergone a lot of change (Yudkins, S. and Hlome, A., 1963 ; Kandile, B., 1970 ; Abdel Fatah, K., 1972 ; Moharam, E., 1971).

Husbands points of view

According to Yudkins, S. and Holme, A. (1963), it seems a long way for husbands to go, before one can talk of a real full agreement for the woman to go outside to work. Even in the

ADOLESCENTS' ATTITUDES TOWARDS THEIR MOTHERS' WORK

By

Amina Kazem, Ph.D.*

Introductory Note :

One may notice lately, that a great change took place in the Egyptian society. Now, after a long history of being devoted only to domestic affairs, particularly in the middle class, wives share the responsibility of living with their husbands.

Sons and daughters primarily are the main family members who either suffer or enjoy the consequences of their mothers' work. It seems worthwhile to consider their attitudes.

Statement of the Problem

The purpose of this study is to investigate adolescents' attitudes towards their mothers' work, and to attempt to find out whether adolescents differ in their attitudes according to their sex, and according to whether they have a working mother or not. More specifically, the present study is an endeavour to answer the following questions :

1. a) Do adolescents prefer their mothers to be just housewives or to be career women too ?

   b) Do boys and girls differ in their preferences with respect to their verbal responses to the above question ?

   c) Do sons and daughters of working mothers and non-working mothers differ in their attitudes towards the mothers' work ?

---

* Psychology Department, Ain Shams University.

Page

THE NATIONAL REVIEW

OF SOCIAL SCIENCES

No. 2-3 May - September 1978 Vol. 15

Page

In Arabic

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES
The National Center for Social and Criminological Research
Gezira P.O., Cairo, Egypt

Price Per Issue	Issued Three Times Yearly	Annual Subscription
U.S. $ 4.00	January—May—September	U.S. $ 12.00

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES

- Adolescents' Attitudes Towards Their Mothers' Work.

In Arabic

- Design a permanent sample for public opinion research.
- Anthropology and the Third World, a field study in the Arabic society.
- The problem of the relation between extrovesion and neurotism.
- The Egyptian mind's migration. Its size, dinamics and dimensions.
- The changing role of women and the progress of society.
- The concept of Asian Production type, general outlines.

Summary Thesis

Books Review



Issued by :
The National Center For
Social and Criminological
Research, Egypt

No. 2-3 May - September 1978 Vol. 15

